جامعة البحرين
كلية الآداب
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية



# الأمثال في القرآن الكريم

## دراسة لغوية تحليلية

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير

مقدم من:
الطالبة: إيمان إسماعيل الذوادي
الرقم الجامعي: ١٩٩٧١١٠٠

إشراف:
الدكتور: عبدربه عبد اللطيف عبدربه

العام الجامعي
٢٠٠٦/٢٠٠٧م

جامعة البحرين
كلية الآداب
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية




# الأمثال في القرآن الكريم

## دراسة لغوية تحليلية

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير

مقدم من:
الطالبة : إيمان إسماعيل الذوادي
الرقم الجامعي: ١٩٩٧١١٠٠

إشراف:
الدكتور: عبدربه عبد اللطيف عبدربه

العام الجامعي
٢٠٠٦/٢٠٠٧م

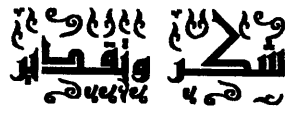
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً

مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

( سورة الحشر: ٢١)




قال رسول الله ( ﷺ ) : (( ...من أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى يعلم أن قد كافأتموه ...))

[ مسند أحمد ٢/٩٩] وعملا بهذا الحديث الشريف أتقدم بدعائي وشكري الجزيل إلى:

أبي / إسماعيل علي الذوادي، وأمي/ أمينة عبد الحميد الحسيني

وأستاذي الدكتور/

## عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه

على ما بذلوه من جهد، وصبر ومساندة لي فجزاهم الله عني خيرا، وجعل عملهم في ميزان حسناتهم.

# المقدمة

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد،

فللمثل في الكلام مكانة مهمة لما فيه من بيان رفيع ذي وقع غريب على الآذان وتأثير عجيب في النفوس والقلوب، فهو طريق المعنى إلى العقل، يُجسد بالصورة المعاني الذهنية المعبّرة بأقصرلفظ وأوجز عبارة وأروع سبك وأقوى تأثير وأحكم وقع.

وإذا كانت هذه مزية الأمثال العامة المتداولة بين الناس، فما بالك وأمثال القرآن، تلك التي ضربها الحكيم العليم، فجمعت بين متونها إعجاز البيان، ومكنون العلوم، وسحر التأثير، فهي مظهر من مظاهر إعجازه البياني، ولهذا عُدّت من علوم القرآن الكريم. يقول الماوردي(١): " .... إن من أعظم علوم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه... " (٢).

" فالأمثال وعاء حكمة الأمم وخزانة تجاربها ووسيلة من أهم وسائل حفظ تلك التجارب والحكم تتناقلها المجتمعات وتتوارثها الأجيال، ذلك لأنها من أدق أساليب التعبير معنى وأوجزها لفظا، وأبلغها تأثيرا في النفوس. وحين تقصر أساليب التعبير الأخرى عن استيعاب مراد المتكلم أو يضيق إدراك المخاطب عن فهم المراد منه، فإن ضرب المثل حينئذ يجعل ذلك كله سهلا ميسرا مع إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وروعة التشبيه؛ ولذلك عَدّتِ العرب الأمثال جزءا من أهم أجزاء ديوانها، تعود إليها، تستنطقها، لتستفيد منها تاريخ الأحداث والوقائع أو سير الأشخاص والأبطال، وغير ذلك من مكنون الحكم وصميم الفوائد التي اشتملت الأمثال عليها".(٣)

ولقد كان يكفي أن يقرأ قارئ القرآن قوله تعالى: ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ (٤) أو ينصت سامع القرآن إلى قوله تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٥) حتى يَنشُد علمها باحثا ومُنقبا في غورها، محاولا فهمها، وقد كان بعضُ السلف يبكي إذا قرأ مثلاً لم يفهمه ويقول: " لست من العالمين" .(٦)

---

(١) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي(٣٦٤-٤٥٠هـ = ٩٧٤-١٠٥٨م) فقيه شافعي، أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، ومن أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. من كتبه (أدب الدنيا والدين-ط) و (الأحكام السلطانية-ط) و (النكت والعيون-خ) ، و (الأمثال والحكم-خ).الزركلي، الأعلام: جـ٤، ص: ٣٢٧

(٢) السيوطي، الإتقان: جـ٢، ص: ٢٥٤

(٣) انظر: محمد القياض، الأمثال في القرآن: ٩

(٤) الحج:٧٣

(٥) العنكبوت: ٤٣

(٦) ابن القيم الجوزية: ( الأمثال في القرآن ) المقدمة.

وسأسير في هذا البحث على وفق المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على دراسة البنى اللغوية والتركيبية للأمثال، وتوجيه الوجوه الإعرابية والقراءات القرآنية في ضوء أصول النحو واللغة وتفسير معانيها المختلفة، وربط ذلك بالدلالة الاجتماعية من حيث المكان والزمان، والاجتماع والثقافة والحضارة، وعلاقة كل ذلك بجماليات النص وقيمته الفنية، مع مراعاة ربط السياق التركيبي النحوي بالقراءة الدلالية لينفتح النص القرآني على معان متعددة بتعدد التأويلات التي تُستمد من الاحتمالات التركيبية واللغوية.

هذا، وسأقصر بحثي على الأمثال القرآنية المقترنة بلفظ ( مثل) والتي وردت بالقياس التمثيلي وبذلك تخرج من البحث الأمثال القرآنية غير القياسية والآيات القرآنية الجارية مجرى المثل، والتشبيهات ونحوها.



## خطة البحث:

وقد جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة:

**المقدمة:**

تتضمن نبذة عن ماهية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والمنهج الذي يسير عليه البحث، ثم تقسيم الرسالة وفق هذا المنهج.

**التمهيد :**

دراسة تمهيدية لكل المؤلفات التي تناولت الأمثال العربية عامة، وأمثال القرآن خاصة. والتنبيه على الجوانب التي لم تأخذ حظها من الدراسة، والتي ستكون موطن الانطلاق في هذا البحث.

**الفصل الأول: الأمثال في القرآن الكريم.**

**المبحث الأول:** المثل في لغة العرب.

معناه لغة، معناه في اصطلاحات العلوم والفنون، الفرق بين المثل والحكمة.

**المبحث الثاني:** المثل القرآني.

معاني المثل في القرآن، ضرب المثل في القرآن، أقسامه وأنواعه، عدد الأمثال القرآنية، منهج جمع آيات الأمثال القرآنية وترتيبها، آيات الأمثال، موضوعات الأمثال.

**الفصل الثاني: المعاني المعجمية ودلالاتها في الأمثال القرآنية.**

الحقول المعجمية لألفاظ الأمثال القرآنية، الدلالة المعجمية لألفاظ الأمثال، التناسق بين المعنى المعجمي والسياق.

## الفصل الثالث: التراكيب النحوية ودلالاتها:

معالجة نحوية للجمل وأشباه الجمل، والأساليب النحوية، وما يطرأ عليها من تغييرات مع توجيه القراءات القرآنية، والاحتمالات الإعرابية في آيات الأمثال القرآنية، ودلالات التراكيب.

المبحث الأول: قضية العقيدة ( الإيمان، الكفر، النفاق )

المبحث الثاني: العالم الآخر

المبحث الثالث: الحياة الدنيا

المبحث الرابع: القرآن الكريم

المبحث الخامس: الإنفاق

المبحث السادس: القصص القرآني

## الفصل الرابع: التصوير الفني في المثل القرآني.

التصوير الفني، التمثيل، التمثيل المركّب والمفرق، التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية أغراض التمثيل في المثل القرآني، التصوير الفني في المثل القرآني، التخييل الحسي والتجسيم، مصادر التصوير الفني، اللغة التصويرية في المثل القرآني، خصائص التصوير الفني في المثل القرآني، التصوير المتحرك، التناسق الفني في تصوير المثل القرآني.

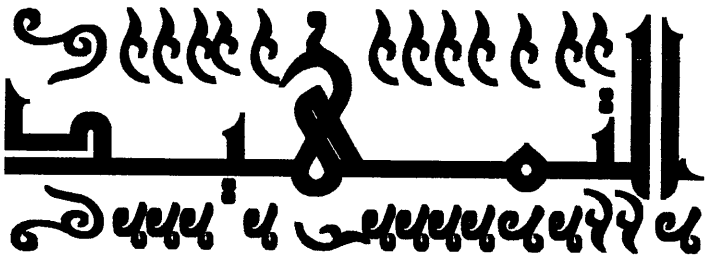
## الفصل الخامس: الدلالة الاجتماعية في المثل القرآني.

الدلالة الاجتماعية، المظاهر الاجتماعية في المثل القرآني، القرآن يصورالبيئة ( المكية والمدنية ) التي نزل فيها، وهو صالح لكل زمان ومكان.

## الخاتمة:

تحوي أبرز جوانب البحث، وأهم نتائجه، والتوصيات التي ترشد إلى جوانب تحتاج إلى دراسة متواصلة مع البحث.





## التمهـــيد:

حظيت الأمثال العربية - قديما وحديثا - بالجمع والدراسة، ومنذ القرن الثاني تحولت حركة جمع الأمثال - تدريجيا - من أيدي القصّاص والرواة والإخباريين إلى أيدي اللغويين الذين اشتدت عنايتهم بالأمثال العربية حيث صارت أمثلة جيدة للغة العربية الفصحى إلى جانب غيرها من النصوص الأخرى، فنشطت حركة تدوين الأمثال عند كثير من البصريين والكوفيين، مثل: الأصمعي(١) وأبو زيد (٢) وأبو عبيدة(٣) والنضر بن شميل(٤) والمفضل الضبي (٥) وابن الأعرابي (٦) وعلى الرغم من كثرة مؤلفات الأمثال في هذا العصر فإنه لم يصل إلينا من مصنفات هذا العصر إلا كتابان:

أحدهما: ( كتاب أمثال العرب) للمفضل الضبي وهذا الكتاب " وإن كان من كتب المرحلة الثانية لتدوين الأمثال إلا أنه يمكن أن يؤخذ مثالا على كتب المرحلة الأولى التي جُمعت فيها الأمثال على أيدي الإخباريين والرواة "(٧) وقد امتاز بكثرة الأخبار والأشعار والأنساب، ففيه قرابة المائة حادثة، تدور حول سادات قريش وأيام العرب في الجاهلية يجيء خلالها، أو عقبها المثل أو الأمثال، والبيت من الشعر أو الأبيات. والسمة القصصية واضحة في الكتاب فالمحور الأول هو القصة تؤيدها الأمثال فتكسوها قوة وصدقا.

وثانيهما: ( كتاب الأمثال ) لأبي فيد مؤرّج السدوسي (٨) وتكمن أهميته في أنه أحد الكتب الأصول في اللغة عموما والأمثال بوجه خاص ، فهو من أوائل الكتب التي ألفت في الأمثال العربية القديمة، كما أنه يمثل مرحلة من مراحل التدوين التي فقدت أغلب كتبها، فهو خير مثال بين أيدينا على كتب المرحلة الثانية من مراحل جمع الأمثال وتدوينها تلك المرحلة التي نشطت على أيدي اللغويين والعلماء بعد النسابين والإخباريين، والتي تميزت بالجدية العلمية، إذ لم يعد الغرض من الأمثال حكاية ما يدور حولها من قصص وتاريخ، وإنما أصبحت الغاية تتجه إلى تسجيل الألفاظ الغريبة والتراكيب الفصيحة، فأصبح المثل لهذا شاهدا لغويا ونحويا وأسلوبيا عند هؤلاء العلماء.

**والسدوسي في كتابه يمزج بين الأمثال وأقوال العرب السائرة، وتغلب عليه النزعة اللغوية فهو يذكر المثل ويعقب عليه بتفسير غريبه، وإيراد الشواهد الشعرية عليه، وتارة يبدأ بذكر كلمة الغريب ويفسرها ثم يورد المثل الذي يشتمل عليها، وقد يأتي المثل لتأييد الشرح اللغوي مثل تفسيره لكلمة(الدَّرْدَرْ )(٩)**

---

(١) عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي (١٢٢-٢١٦هـ = ٧٤٠-٨٣١م) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. تصانيفه كثيرة، منها (الأضداد-ط) مشكوك في أنه من تأليفه و (خلق الإنسان-ط) و (المترادف-خ) و (الفرق-ط) أي الفرق بين أسماء الأعضاء من الإنسان والحيوان. الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ١٦٢.

(٢) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (٢١٩-٢١٥هـ = ٧٣٧-٨٣٠م) أحد أئمة الأدب واللغة. من أهل البصرة. ووفاته بها. وهو من ثقات اللغويين. من تصانيفه كتاب (النوادر-ط) في اللغة، و (الهمز-ط) و (المطر-ط) و (اللبأ واللبن-ط). الزركلي، الأعلام:جـ ٣، ص: ٩٢.

(٣) معمر بن المثنى، البصري، أبو عبيدة النحوي(١١٠-٢٠٩هـ = ٧٢٨-٨٢٤م) من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة وكان إباضيا، شعوبياً من حفاظ الحديث. له نحو ٢٠٠ مؤلف، منها (نقائض جرير والفرزدق-ط) و (مجاز القرآن-ط) و (معاني القرآن) و (إعراب القرآن-خ) و (الأمثال). الزركلي الاعلام: جـ ٧، ص: ٢٧٢

(٤) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: (١٢٢-٢٠٣هـ = ٧٤٠-٨١٩م) أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو (من بلاد خراسان) من كتبه (الصفات) كبير، في صفات الإنسان والبيوت والجبال والإبل والغنم والطير والكواكب والزروع، و (كتاب السلاح) و(المعاني).الأعلام للزركلي = جـ ٨، ص:٣٣

(٥) المفضل بن محمد بن عامر الضبي أبو العباس (٠٠٠-١٦٨؟هـ = ٠٠٠-٧٨٤م) راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب. من أهل الكوفة. لزم المهدي وصنف له كتابه(المفضليات-ط) وسماه الاختيارات. من كتبه(الأمثال-ط) و(معاني الشعر) و (الألفاظ) و (العروض) . الزركلي، الاعلام: جـ ٧، ص: ٢٨٠

(٦) أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي ( ٧٦٧-٨٤٥ ) إمام في اللغة، وكان أحد العالمين باللغة، من مصنفاته : كتاب (تفسير الأمثال ) و( النوادر ) و( الأنواء ) و( الألفاظ ) . ابن خلكان، وفيات الأعيان:جـ ٤، ص: ٣٠٦.

(٧) عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية ٤٩

(٨) مؤرج بن عمرو بن الحارثمن بني سدوس بن شيبان، أبو فيد (٠٠٠-١٩٥هـ = ٠٠٠-٨١٠م) عالم بالعربية والأنساب. من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد. من كتبه (جماهير القبائل) و (غريب القرآن) وكتاب (الأمثال-خ) و (المعاني) وله شعر جيد. الزركلي الاعلام: جـ٧، ص: ٣١٨.

(٩) الدُّرْدُر: منابت أسنان الصبيّ

قبل ذكر المثل. وهو في كتابه لا يهتم ببيان مضارب الأمثال ولا بأسماء قائليها، " والكتاب حافل بالأشعار، ففيه ما يربو على مائة وأربعين بيتا. " (١)

وفي القرن الثالث يطالعنا ( كتاب الأمثال ) لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢) الذي اعتمد فيه على كتب السابقين عليه وبخاصة كتب الأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة والمفضل الضبي ولكنه فاق كتب السابقين عليه بروعة تبويبه وحسن تقسيمه ودقة إحكامه، وحصر الموضوعات والمعاني التي جعلها أساسا للتبويب يجمع في كل باب أمثاله الواردة فيه.

وقد شغل هذا كثيرا من العلماء الذين تناولوه بالدراسة والشرح والتعليق والتجريد والتتميم والتضمين، وأهم ما وصل إلينا من أعمال هؤلاء كتاب ( فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ) لأبي عبيد البكري (٣) الذي ضمنه كثيرا من شروح وتعليقات من سبقوه. وقد بين البكري في فاتحة شرحه منهجه في الكتاب حين قال: " أما بعد فإني قد تصفّحت كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، فرأيته قد أغفل تفسير كثير من الأمثال فجاء بها مهملة، وأعرض عن ذكر كثير من أخبارها، فأوردها مرسلة، فذكرت من تلك المعاني ما أشكل، ووصلت من تلك الأخبار بأمثالها ما فصّل، وبينت ما أهمل ونبّهت على ما ربما أجمل، إلى أبيات كثيرة غير منسوبة نسبتها، وأمثال جمة غير مذكورة ذكرتها، وألفاظ عدة من الغريب فسرتها " (٤)

وأما كتاب أبي عكرمة الضبي (٥) " فتختلط فيه أمثال العرب بأقوالهم السائرة شأنه في ذلك شأن كتاب الأمثال للسدوسي، وقد اهتم فيه صاحبه بالتفسيرات اللغوية والنحوية للكلمات الواردة في الأمثال، مدللا عليها بالشواهد الشعرية الوفيرة، مع ندرة القصص ومضارب الأمثال التي قيلت فيها" (٦) .

وقد امتازت غالبية مؤلفات الأمثال القديمة بعدم الفصل والتمييز بين أمثال العرب وأقوالهم السائرة والأمثال التي على وزن ( أفعل من )، والكلمات التي تجري مجرى الأمثال ( كالمُكَنَّى والمُبَنَّى والمُثَنَّى ) (٧)كما امتازت بإيراد الشواهد الشعرية على غريب الألفاظ وبعض

---

(١) زلهايم، الأمثال العربية القديمة: ٨٢

القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخرساني البغدادي، أبو عُبيد ( ١٥٧-٢٢٤هـ = ٧٧٤-٨٣٨م) من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدباً. توفي بمكة. من كتبه (الغريب المصنف- ط) مجلدان، في غريب الحديث، ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن، و (الطهور-خ) في الحديث، و (الأجناس في كلام العرب-خ) و (فضائل القرآن-خ) و الأمثال- ط).الزركلي، الأعلام: جـ٥، ص: ١٧٦

(٣) عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي، أبو عبيد (٠٠٠-٤٨٧هـ = ٠٠٠-١٠٩٤م) مؤرخ جغرافي، ثقة. علامة بالأدب.نسبته إلى بكر بن وائل. له كتب جليلة، منها (المسالك والممالك-خ) غير كامل و (شرح أمالي القالي- ط) و (التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه- ط) و (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لابن سلام- ط) منه مخطوطة كتبت سنه ٦٠٨ في الرباط. الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ٩٨.

(٤) أبو عبيد البكري : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ( المقدمة )

(٥) أبو عكرمة من أهل سر من رأى، كان نحويا لغويا إخباريا، أخذ عن ابن الأعرابي، وأخذ عنه القاسم بن بشار الأنباري، كان أعلم الناس بأشعار العرب، وأرواهم لها. (ت: ٢٥٠ هـ). انظر : إنباه الرواة: ١/ ١٦٦، ومعجم الأدباء: ١/ ١٦١. وقد طبع كتابه ( الأمثال ) بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

(٦) انظر: عبد المجيد قطامس: الأمثال العربية٨٦ ـ ٨٨

(٧) ( المكنى ) مثل قولهم: " أم القرى " لمكة المكرمة، و:(المُبنّى) مثل قولهم:" ابن الأيام " للرجل المجرب و " بنت الفكر " للرأي و: (المُثنى )مثل قولهم : " الجديدان " لليل والنهار، و " القمران " للشمس والقمر، و" الأسودان " للتمر والماء. .. وهذه الكلمات جرت في كلام العرب مجرى الأمثال، وشاعت في لغتهم شيوعها، وهذه الصفة وحدها هي التي تجمعها بالأمثال، وفيما عداها لا تمت إليها بأية صلة، لأنها ليست جملا، ولا تتضمن تشبيها، وهما من أركان المثل . ( انظر: قطامش الأمثال العربية: ٢٤).

القضايا اللغوية الواردة في الأمثال، و من هذه المؤلفات كتاب ( الفاخر في الأمثال ) لأبي طالب المفضل بن سلمة الضبي (١) الذي قدم لكتابه بالكلمات التالية:" هذا كتاب معاني ما يجري على ألسن الناس العامة في أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب، وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك، فبيّناه من وجهه، على اختلاف العلماء في تفسيره؛ ليكون من نظر في هذا الكتاب عالما بما يجري في لفظه، ويدور في كلامه، وبالله التوفيق... " (٢) وكتاب ( الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة) لحمزة بن الحسن الأصبهاني (٣) وقد ذكر عبد المجيد قطامش أن اسم الكتاب ( الدرة الفاخرة في الأمثال التي على وزن أفعل ) (٤). وقد صدر الأصبهاني للكتاب بمقدمة قيمة، تكلّم فيها عن المكانة اللغوية للأمثال التي على وزن ( أفعل من ) والتي هي موضوع هذا الكتاب وبعد هذه المقدمة ساق الأمثال العربية التي على وزن ( أفعل من ) في ثمانية وعشرين بابا على نسق الحروف الهجائية، وعلى عددها. وقد انفرد الكتاب من بين كتب الأمثال، بذكر طائفة كبيرة من الكلمات التي تسير في اللغة مسير الأمثال، فعقد لها بابا مستقلا هو الباب الثلاثون، وفسر كلا منها تفسيرا واسعا، مدعوما بآراء العلماء وأقوال الشعراء. وقد اعتمد على الكتاب اعتمادا كبيرا ثلاثة من مدوّني الأمثال الذين أتوا بعده وهم أبو هلال العسكري(٥)، والميداني (٦) والزمخشري (٧) ، فالميداني نقل أمثال الدرة الفاخرة التي على وزن ( أفعل من ) في أعقاب أبوب كتابه بعنوان ( ما جاء على أفعل من هذا الباب) واعترف بهذا النقل في المقدمة كذلك.

---

(١) المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (٠٠٠-نحو ٢٩٠هـ = ٠٠٠-نحو ٩٠٣م) لغويّ، عالم بالأدب. من كتبه (البارع-خ) في اللغة، و( الفاخر-ط) في الأمثال، و(مايحتاج إليه الكاتب).الزركلي، الأعلام: جـ ٧، ص: ٢٧٩

(٢) زلهايم، الأمثال العربية : ١٧٠

(٣) حمزة بن الحسن الأصبهاني (٢٨٠-٣٦٠هـ = ٨٩٣-٩٧٠م) مؤرخ، أديب. من أهل أصفهان. وكان مؤدبا. وصنف لعضد الدولة ابن بوية كتابه (الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية). من كتبه (تاريخ أصبهان) و (الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر-خ) وكتاب (الأمثال على أفعل من كذا-خ). و ( الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ) مطبوع بتحقيق قطامش ١٩٧٢. انظر: الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ص: ٢٧٧ ، و انظر عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية:١٠٢ .

(٤) قطامش، الأمثال العربية: ١٠٢ - ١٠٣

(٥) الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال(٠٠٠-بعد ٣٩٥هـ = ٠٠٠-بعد ١٠٠٥م) عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى(عسكر مُكرم) من كور الأهواز. من كتبه (التلخيص) في اللغة، و (معجم-خ) في اللغة، و (جمهرة الأمثال-ط) و (كتاب الصناعتين: النظم والنثر-ط) و (العمدة). الزركلي، الاعلام: جـ ٢، ص: ١٩٦

(٦) أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، أبو الفضل) (٠٠٠-٥١٨هـ = ٠٠٠-١١٢٤م) الأديب البحاث، صاحب (مجمع الأمثال-ط) لم يؤلف مثله في موضوعه. ولد الميداني ونشأ وتوفي في نيسابور (حاضرة خراسان) ونسبته إلى (ميدان زياد) محلة فيها. ومن كتبه (نزهة الطرف في علم الصرف-ط) و (السامي في الأسامي-ط) في اللغة، و (الهادي للشادي-خ) نحو، و (شرح المفضليات). الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص: ٢١٤

(٧) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧-٥٣٨هـ = ١٠٧٥-١١٤٤م) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر(من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. توفي بالجرجانية. من أشهر كتبه(الكشاف-ط) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة-ط) و (المفصل-ط) و (المستقصى-ط) في الأمثال. الزركلي، الاعلام: جـ٢، ص: ٨١

ونصل إلى مرحلة التدوين الثالثة في القرن السادس الهجري، فنجد كتب الأمثال قد اكتسبت نوعا من المنهجية في التصنيف فهي تورد الأمثال مرتبة على حسب حروف المعجم، بدءا بالأمثال التي يحتويها الباب على شكل فهرس، فالأمثال التي على وزن( أفعل من) مفهرسة كذلك، معقبة بالأمثال المولدة، وقد امتازت هذه الكتب بكثرة الشواهد الشعرية والمسائل اللغوية والنحوية التي تستثيرها بعض الأمثال، كما اهتمت ببيان أصولها ومضاربها، وبذكر شذرات من أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ومن هذه الكتب كتاب (جمهرة الأمثال ) لأبي هلال العسكري، و كتاب (مجمع الأمثال) للميداني، وكتاب ( المستقصى ) للزمخشري الذي يُعَدّ هو الآخر من أهم ما وصل إلينا، من الكتب القديمة التي أفردت للأمثال. فهو موسوعة كبيرة لمعرفة أحوال العرب وأخلاقهم، ومزايا الناطقين بلغة الضاد. (١)

أما كتب الأمثال الحديثة، فقد سار معظمها في اتجاه تاريخي أدبي يهتم بدراسة مصنفات الأمثال العربية القديمة وأمثال القرآن والحديث، وبيان ما يتعلق بأسلوبها وفنيتها واستخلاص ما تعكسه من دلالات على صورة الحياة الفكرية والاعتقادية الثقافية، ومن هذه الكتب كتاب ( الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد ) لرودلف زلهايم (٢)وكتاب ( الأمثال في النثر العربي القديم) للدكتورعبد المجيد عابدين، وكتاب ( الأمثال العربية ) لعبد المجيد قطامش.

وقد اهتمت بعض المؤلفات المعاصرة بدراسة الأمثال العربية القديمة دراسة لغوية ومن هذه الكتب كتاب ( الأمثال العربية والعصر الجاهلي) لمحمد توفيق، الذي أفرد في كتابه فصلا بعنوان ( دراسة لغوية وأدبية للأمثال العربية) بين فيه خروج الأمثال عن القياس والاستشهاد بالأمثال على مفردات اللغة وتراكيبها، وكتاب ( الحذف في المثل العربي ) لعبد الفتاح الحموز الذي أحصى فيه مواضع الحذف في أمثال كتاب ( مجمع الأمثال ) للميداني، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أبواب: الأول: حذف الاسم، الثاني: حذف الحرف، والثالث: حذف الجملة.

---

(١) الزمخشري: المستقصى ( المقدمة )

(٢) رودلف زلهايم: مستشرق ألماني، شغل منصب عميد كلية الفلسفة بجامعة فرانكفورت سنة ١٩٦٢، وقد نشر كتابه ( الأمثال العربية القديمة ) بالألمانية سنة ١٩٥٤ الذي تناول فيه مؤلفات الأمثال العربية القديمة مع دارسة للمثل العربي، وقد ترجم الكتاب عن الألمانية وحققه ووضع فهارسه الدكتور رمضان عبد التواب وطبعته مؤسسة الرسالة، طبع للمرة الثانية سنة ١٩٨٢ م، الزركلي، الأعلام: جـ٤، ص: ١٠٢.

أما الأمثال في القرآن الكريم، فقد تناولها بالبحث عدد غير قليل من المفسرين واللغويين والبلاغيين، ولعل أقدم ما وصل إلينا مما ألف فيها رسالة صغيرة، بعنوان ( الأمثال الكامنة في القرآن الكريم ) للحسين بن الفضل (١) تضمنت بعض أمثال العرب والعجم وما يماثلها - في معانيها - من ألفاظ القرآن الكريم، وكتاب ( الأمثال من الكتاب والسنة) للحكيم الترمذي (٢) " وقد تضمن الكتاب مقدمة وافية، أبرز فيها الترمذي طبيعة المثل القرآني، وأهميته. غير أنه اكتفى بعد هذا بإيراد الأمثال، والإشارة إلى من ضُربت لهم، والتعقيب عليها تعقيبا شديد الإيجاز". (٣)

ومما وصل إلينا كتاب ( الأمثال في القرآن ) لابن القيم الجوزية (٤) " وقد تضمن الكتاب خمسة وعشرين مثلا، أربعة منها لا ذكر للفظ المثل فيها. وقد تولى تفسيرها بالتفصيل، وأشار إلى بعض مما جاء متماثلا منها. ومع هذا التفصيل، لم يزد على ما ذكره المفسرون شيئا يمكن أن يستوقف الباحث"(٥) .

أما المحدثون من الباحثين والدارسين، فقد ساروا في ثلاثة اتجاهات متفاوتة:
الاتجاه الأول، اهتم الباحثون فيه بالتأصيل اللفظي لمصطلح المثل القرآني، و بتقسيمه، وببيان مجالاته والموضوعات التي تطرق إليها، وأول ما يطالعنا من جهودهم في هذا الاتجاه كتاب ( الأمثال في القرآن الكريم ) وهو رسالة علمية للدكتور محمد جابر الفياض أجرى فيها تحقيقا للفظ ( مثل ) وانتهى إلى أن ( المثل ) ليس فقط من البروز والشخوص، وإنما من النموذج، وذكر فيها تقسيما للأمثال القرآنية القياسية حيث قسمها إلى مكية ومدنية. كما خصص الفصل الأخير من رسالته لمقارنة أمثال القرآن بأمثال العهدين ( القديم والحديث ).

ورغم ما بذله الباحث من جهد، فإنه لم يهتم بالناحية اللغوية للمثل، كما أنه في مقارنته بين الأمثال القرآنية، وأمثال العهدين اقتصر على ذكر أمثال من التوراة والإنجيل والقرآن شارحا لها ومفسرا لمعانيها، وبذلك انحرف عن المسار الذي وعد بتحقيقه في هذه المقارنة.

أما كتاب (الأمْثَال، والمِثْل، والتّمثُّل، والمثُلات ) لسميح عاطف الزين فقد أجرى فيه المؤلف تحقيقا لغويا لكلمة مَثَلْ ( بالفتح)، ومِثْلْ ( بالكسر والسكون) والمِثَالْ ( بالكسر) والتّمَاثُلْ، والتّمْثِيلْ.....الخ، وهو في كتابه هذا متأثر تأثرا تاما بما ذكره التهانوي (٦) في( كشاف اصطلاحات الفنون ) مادة ( م ث ل ).

---

(١) الحسين بن الفضل بن عُمير البجلي (١٧٨-٢٨٢هـ = ٧٩٤-٨٩٥ م) مفسر معمر، كان رأسا في معاني القرآن. أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، وأنزله واليها عبدالله بن طاهر، في دار اشتراها له (سنة٢١٧)فأقام فيها يعلم الناس٦٥سنة. الزركلي، الأعلام = جـ٢،ص:٢٥١

(٢) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبدالله (٠٠٠- نحو٣٢٠هـ = ٠٠٠- نحو٩٣٢م) باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل (ترمذ) نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر. أما كتبه، فمنها (نوادر الأصول في أحاديث الرسول- ط) و ( الفروق-خ) و ( الأمثال من الكتاب والسنة ). الزركلي، الأعلام: جـ ٦، ص: ٢٧٢
محمد الفياض، الأمثال في القرآن الكريم : ص١٨

(٣) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ١٨-١٩

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين (٦٩١-٧٥١هـ = ١٢٩٢-١٣٥٠م) من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. ألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين- ط) و (الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية- ط). الزركلي، الأعلام: جـ ٦، ص: ٥٦

(٥) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ١٨ - ١٩

(٦) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (٠٠٠- بعد ١١٥٨هـ = ٠٠٠- بعد ١٧٤٥م) باحث هندي. له (كشاف اصطلاحات الفنون- ط) مجلدان، فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨هـ ، و (سبق الغايات في نسق الآيات- ط). الزركلي، الأعلام: جـ ٦، ص: ٢٩٥

أما الاتجاه الثاني فقد عني الدارسون فيه بدراسة الأمثال القرآنية بناء على ما ورد ذكره في كتب التفسير الموضوعي، ويمثل هذا الاتجاه كتاب ( الأمثال في القرآن ) لمحمد قطب وكتاب ( فصل المقال في حقيقة الأمثال ) للدكتور محمود محمد غطاس وكتاب ( دلالات الأمثال في القرآن) لمحمد رأفت سعيد الذي اكتفى فيه مؤلفه بالوقوف على الدلالات الأولية الظاهرة لأمثال القرآن، والتي ورد ذكرها في كتب التفسير الموضوعي ولم يزد على ذلك وكتاب ( ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره) لعبد المجيد بيانوني.

وأما الاتجاه الثالث، وهو الاتجاه الفني التطبيقي في دراسة الأمثال القرآنية، فأهم المؤلفات التي سارت فيه كتاب ( الصورة الفنية في المثل القرآني ) للدكتور محمد الصغير وهو دراسة بلاغية ذات طابع تقليدي، تعنى بعناصر الصورة الفنية في الأمثال القرآنية من مجاز وتشبيه واستعارة، وقد تطرق الباحث فيها لموضوعات الأمثال ودلالات ألفاظ المثل القرآني وقيمتها الصوتية والإيحائية. لكنه أغفل ربط ذلك بدلالات السياق ومحدداته التركيبية.

ومما يندرج تحت هذا الاتجاه كتاب ( أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع) لعبد الرحمن حبنكة الميداني الذي ذكر فيه أغراض وخصائص الأمثال القرآنية، وأردف كل غرض وكل خاصية بآية من آيات الأمثال القرآنية كدليل وتطبيق على ما ذكره.

وكتاب ( الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله) للدكتور عبد الله الجربوع وهو عبارة عن رسالة نال بها درجة الدكتوراه عالج فيها أمثالا من القرآن هي أصول في بيان أصل الإيمان بالله، وأسباب الهداية والضلال ونحوها. كما اشتملت على دراسة آيات لها علاقة بالأمثال وهي أصول في التعريف بالله، وبيان تفرده بالألوهية والربوبية وسائر صفات الكمال وقد اهتم فيها بربط المثل بالسياق الوارد فيه، وبتحديد أجزائه ومكوناته وببيان أهميته والغرض الذي ضرب من أجله.

وكتاب( التعبير اللغوي في أمثال القرآن ) للدكتور محمود السيد حسن تحدث فيه عن مفهوم (المثل ) ومكانة الأمثال وأغراضها وما يتمثل به من أقوال الحكماء في الجاهلية، وعن الحكمة العربية في الأمثال المنظومة، وخصائص الأسلوب العربي في الأمثال السائرة.

وأفرد حديثا لموضوعات ومجالات الأمثال في القرآن، أورد فيه بعض أقوال المفسرين، كما كان يذكر بعض المباحث اللغوية، والمسائل النحوية وأحيانا الوجوه الإعرابية لبعض الأمثال القرآنية، وخصص حديثا آخر للأمثال القصصية ( المصرحة والكامنة ) وشرحها شرحا لم يتجاوز فيه ما ورد في التفسير الموضوعي للأمثال، وختم كتابه بفصل أفرده للحديث عن ( بلاغة التمثيل في النظم القرآني ) وهو في هذا الفصل يبتعد عن موضوع الأمثال القرآنية ابتعادا تاما رغم العناوين التي توهم بأنها تمس صلب موضوع الأمثال القرآنية، كـ( تنوع أغراض الخبر والإنشاء في أمثال القرآن) و( وضع النداء موضع التعجب، ووضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي ) وهو في كل ذلك لا يذكر آية من آيات الأمثال كدليل يدلل به على صحة ما ذهب إليه، وإنما يسهب في الإطار النظري للقضية التي يطرحها، ويذكر آيات عامة كدليل عليها، وهكذا دواليك.

وهو في تعامله مع الأمثال متأثر بالقرطبي(١) في تفسيره ( الجامع لأحكام القرآن ) والشوكاني(٢) في تفسيره ( فتح القدير ) ولا يكاد يتعدى ما ورد فيهما.

هذا، وبعد استقراء وتتبع جهود السابقين في الأمثال القرآنية لا أجدني مغالية إذا قلت إنني - وإن كنت أفدت منها أشياء كثيرة - لم أفد منها كثيرا في مجال الدراسة اللغوية والتحليلية للمثل القرآني؛ لأن تلك الجهود قد ركزت على المعنى التفسيري للألفاظ وعبارات الأمثال وبيان عناصر التشبيه فيها دون اهتمام، أو ربط بين النواحي الجمالية والبنى التركيبة النحوية، وأثرها في خلق جماليات النص وفي التعبير عن المظاهر الاجتماعية للمثل القرآني ومدى التأثر بالبيئة والتأثير في لغة العرب. وقد انطلق البحث من هذا الجانب الذي لم يلق كبير عناية واهتمام، آملة أن يكون انطلاقة لطلاب العلم يفيدون منه في مجال الدراسات اللغوية المتصلة بالقرآن الكريم عامة، وبأمثاله خاصة.

* * * *

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الاندلسي، أبو عبدالله، القرطبي(٠٠٠-٦٧١هـ = ٠٠٠-١٢٧٣م) من كبار المفسرين، صالح متعبد. من أهل قرطبه. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها.من كتبه (الجامع لأحكام القرآن- ط) عشرون جزءا، يعرف بتفسير القرطبي و (قمع الحرص بالزهد والقناعة) . الزركلي، الاعلام: جـ٣، ص:٣٢٢ وانظر: الجامع لأحكام القرآن: مقدمه المجلد الأول.

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ ) مفسر وفقيه وقاض باليمن ، من مؤلفاته: فتح القدير، إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر، والنشر في فوائد سورة العصر. ( مقدمة المحقق لتفسير فتح القدير: ١٢- ٣٣)

# الفصل الأول

# الأمثال في القرآن

المبحث الأول: المثل في لغة العرب.

المبحث الثاني: المثل القرآني.

## المبحث الأول: المثل في لغة العرب.

### المثل لغة:

يحتل لفظ ( مثل ) مساحات كبيرة نسبيا من معاجم اللغة، وذلك لتعدد معانيه، والأصول التي جُمعت منها تلك المعاني، وكثرة مشتقاته وفروعه، يقول ابن فارس (١) : " الميم والثاء واللام أصل يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مِثْل هذا، أي نظيره. والمِثْل والمِثَال في معنًى واحد. وربما قالوا مثيل كشبيه. ..... والمَثَل: المِثْل أيضا، كشَبَه وشِبْه" (٢).

ويقول الأزهري (٣) :
المَثَل:" الشيء الذي يُضرب مَثَلا، فيُجعل مُثْلة. و المَثَل: الحديث نفسه... يُقال: مَثَلٌ ومِثْل، وشَبَه وشِبْه بمعنى واحد.. و المَثَل: بمعنى العِبرة، نحو قوله تعالى: ﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ (٤)و... المَثَل بمعنى الآية نحو قوله تعالى: ﴿ وجعلناه مثلا لبني إسرائيل﴾ (٥). والأخيران بمعنى واحد " (٦)

ويذكر الزبيدي (٧) أن أصل المَثَل في كلام العرب " المِثْل، وهو النظير ويقال: مَثَل ومِثْل ومثيل: كشَبَه، وشِبْه، وشبيه..... " (٨)

" و المَثَل محركة: الحُجّة، والحديث، وقد مَثَّل به تمثيلا وامْتَثَلَهُ، وتَمَثَّلَهُ وبه. والصفة منه:﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ (٩) وامتثل عندهم مثلا حسنا.... وتمثل بالشيء ضربه مثلا والمثال: المقدار، والقصاص. جمع: أَمْثِلَةٌ ومُثُلٌ ..... ومَثَّله له تمثِيلا صوّره له حتى كأنه يَنظر إليه. وامتثله هو: تَصوّره. وامْتَثَل طريقته: تَبِعها فلم يَعْدُها " (١٠)

وفي هذه المادة ( م ث ل ) يقول ابن منظور(١١): " مَثَل: كلمة تسوية يُقال هذا مِثْله ومَثَلُه كما يُقال شِبْهه وشَبَهه.... الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين... والمَثَل: الحديث نفسه... ومثل الشيء صفته..... وقوله عز من

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٢٩-٣٩٥هـ = ٩٤١-١٠٠٤م) من أئمة اللغة والأدب. أصله من قزوين، وأقام مده في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها، وإليها نسبه. من تصانيفه (مقاييس اللغة- ط) ستة أجزاء و (المجمل- خ) طبع منه جزء صغير. الأعلام للزركلي: جـ١، ص: ١٩٣

(٢) مقاييس اللغة: مادة ( مثل )

(٣) محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (٢٨٢-٣٧٠هـ = ٨٩٥-٩٨١م) أحد الأئمة في اللغة والأدب. مولده ووفاته في هراة بخراسان. نسبته إلى جده (الأزهر). عني بالفقه فاشتهر به أولا، ثم غلب عليه التبحر في العربية. من كتبه (تهذيب اللغة- ط) و (غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء-خ) و (تفسير القرآن) و (فوائد منقولة من تفسير للمزني-خ). الزركلي، الاعلام: جـ ٥، ص: ٣١١

(٤) سورة الزخرف:٥٦
(٥) سورة الزخرف:٥٩
(٦) التهذيب: مادة ( م ث ل )
(٧) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى ( ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م - ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م ) علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب. ومن كبار المصنفين . من كتبه ( تاج العروس في شرح القاموس - ط ) عشر مجلدات، و( إتحاف السادة المتقين ) في شرح إحياء العلوم للغزالي و( مختصر العين ) في اللغة، اختصر به كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد. الزركلي، الأعلام: جـ ٧، ص: ٢٩٦- ٢٩٧
(٨) تاج العروس: جـ٨/ ص:١١٠
(٩) سورة محمد:١٥

(١٠) الفيروز أبادي، القاموس المحيط : مادة ( مثل )
(١١) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٦٣٠-٧١١هـ = ١٢٣٢-١٣١١م) صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب). أشهر كتبه (لسان العرب- ط) عشرون مجلداً جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً. ومن كتبه (مختار الأغاني- ط) ١٢ جزءاً، و (مختصر مفردات ابن البيطار-خ) و (نثار الأزهار في الليل والنهار- ط). الزركلي، الأعلام: جـ ٧، ص: ١٠٨

قائل:﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ (١) مثلها هو الخبر عنها وقيل معناه صفة الجنة..... والمَثَل مأخوذ من المثال والحذو..... وفي التنزيل العزيز: ﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ (٢) وذلك أنهم عبدوا من دون الله مالا يسمع ولا يبصر، وما لم ينزل به حجة فأعلم الله الجواب مما جعلوه له مثلا وندا..... وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ (٣) ويكون المثل بمعنى الآية، قال الله عز وجل: ﴿ .... وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ﴾ (٤)، أي آية تدل على نبوته..... والمِثال: المقدار وهو من الشّبه، والمثل ما جعل مثلا أي مقداراً لغيره يُحذى عليه..... والمثال القالب الذي يقدر على مِثْله..... قالب يدخل عين النصل في خرق في وسطه ثم يُطرق غراراه حتى ينبسِطا.... وتماثل العليل: قارب البرء فصار أشبه بالصحيح من العليل المنهوك. وقيل إن قولهم تماثل المريض من المثول والانتصاب كأنه هم بالنهوض والانتصاب..... وامتثلوه غرضا أي نصبوه هدفا لسهام مَلامِهم وأقوالهم... وقد مَثُل الرجل، بالضم. مَثَالةً أي صار فاضلا... والأمثل: الأفضل. والطريقة المثلى: التي هي أشبه بالحق... والتمثال: الصُّورة... ومثل: لطىء بالأرض ... وزال عن موضعه... ومثل بالرجل مثلا ومثله... نكل به... والمثلة بفتح الميم وضم الثاء العقوبة... وقالوا: مثل ماثل أي جهد جاهِدٌ.. والمثال: الفراش..... والنمط.....والمِثال حَجَر قد نُقِر في وَجْهِهِ نَقْرٌ على خِلْقة السِّمة سواء، فيجعل فيه طرف العمود أو المُلْمُول(٥) المضَهَّب " (٦) هذا ملخص ما أورده ابن منظور في مادة ( م ث ل ).

ويذكر زلهايم: أن الأصل السامي العام لكلمة ( مَثَل ) يتوزع حسب اشتقاقها - بين معنيين: معنى " المُماثلة" ومعنى " العرض في صورة حسية " (٧)

ومن العرض السابق نلحظ أن مادة " مَثَل " تدور ومشتقاتها المتقاربة أو المتباعدة عنها معنًى كمَثَل، مِثل، المثيل، المِثال، المُماثلة، التمثّل، التّمثِيل. حول فلك: الشَبَه والشِبْه، والشبيه، المُشابه، والمُشابهة، والتشبيه. ورغم تعدد مشتقات مادة " مَثَل " وتداخلها الدلالي، **إلا أنه يمكن الوقوف على ثلاثة معانٍ رئيسة:**

مَثَل: المِثْل بمعنى (الشِّبْه والنظير ).

مَثَل: الصفة الغريبة أو الحديث السائر لغرابته.

مَثَل: المِثال ( النموذج ) من التمثيل والتصوير.

---

(١) سورة محمد:١٥

(٢) سورة الحج: ٧٣

(٣) سورة الزخرف:٥٦

(٤) سورة الزخرف:٥٩

(٥) الملمول: المِكحال انظر لسان العرب ( م ل ل )

(٦) المضهب، تضهيب القوس والرمح: عرضهما على النار عند التثقيف، وضهبه بالنار: لوّحه وغيره ، انظر لسان العرب ، مادة : ( ض هـ ب ) لسان العرب: مادة ( م ث ل )

( ٧) الأمثال العربية: ص ٢١-٢٢

**المثل = المِثْل** بمعنى ( الشِّبْه والنظير)

يقول ابن فارس " الميم والثاء واللام أصل يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مِثْل هذا، أي نظيره. والمِثْل والمِثَال في معنًى واحد. وربما قالوا مثيل كشبيه. ..... والمَثَل: المِثْل أيضا، كشَبَه وشِبْه". (١)

وابن جني (٢) يؤكد أن مَثَل ومِثْل بمعنى واحد يقول " فإن قيل: فإنه لم يأت عنهم ضربت له مِثْلا - بكسر وسكون - كما يقال: ضربت له مَثَلا - بفتحتين - قيل: المعنى واحد، وإن لم يأت الاستعمال به، كما أتى الآخر في هذا المعنى. ألا ترى أنك لا تضرب مثلا إلا بين الشيئين اللذين كل واحد منهما مِثْل صاحبه، ولو خالفه فيما ضربته فيه، لم يضربه مَثَلا". (٣)

ويؤكد الرازي(٤) هذا الرأي، فيقول: " مِثْل كلمة تسوية يقال هذا ( مِثْله ) و ( مَثَله ) كما يقال شِبْهه و شَبَهُه " (٥) وربما استأنس القائلون بهذا، بأنه قد سُمع عن العرب ذلك قال الميداني: " وقلت: أربعة أحرف سُمع فيها فَعَلٌ وفِعْلٌ، وهي مَثَلٌ و مِثْلٌ، وشَبَه وشِبْه، وبَدَلٌ وبِدْلٌ، ونَكَل ونِكْل، فمَثَل الشيء ومِثْله وشَبَهه وشِبْهه: ما يماثله ويشابهه قدرا وصفة، وبدل الشيء وبِدْله: غيره، ورجل نَكَل ونِكْل للذي ينكل به أعداؤه. وفعيل لغة في ثلاثة من هذه الأربعة، يقال: هذا مثيله وشبيهه وبديله ولا يقال نكيله".(٦)

إلا أن ما أورده الميداني في مطلع حديثه عن كلمة ( مَثَل ) لا يُعطي صورة مجملة عن رأيه في هذه المسألة؛ لأنه فرق بين المَثَل والمِثْل في تضاعيف كلامه، فجعل المَثَل - بفتحتين - أعم من المِثْل - بكسر وسكون - فنراه يقول: " فالمَثَل ما يُمثّل به الشيء: أي

---

(١) مقاييس اللغة: مادة ( م ث ل ) .

(٢) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح (٣٩٢-٠٠٠هـ = ١٠٠٢-٠٠٠م) من أئمة الأدب و النحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو٦٥ عاما. وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه (المحتسب-ط) في شواذ القرآات، و (سر الصناعة-ط) الأول منه، في اللغة، و (الخصائص-ط) ثلاثة أجزاء، في اللغة، و (اللمع-خ) في النحو، و (المقتضب من كلام العرب-ط) رسالة، وغير ذلك وهو كثير. وكان المتنبي يقول: ابن جنّي أعرف بشعري مني . الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ٢٠٤ وانظر: ابن خلكان : جـ١، ص: ٣١٣

(٣) المحتسب: جـ٢/٢٧٠

(٤) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، زين الدين (٠٠٠-بعد ٦٦٦هـ = ٠٠٠-بعد ١٢٦٨م) صاحب (مختار الصحاح-ط) في اللغة، وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب. أصله من الري. ومن كتبه (شرح المقامات الحريرية-خ) و (روضة الفصاحة-خ) في علم البيان. الزركلي، الأعلام: جـ ٦، ص: ٥٥

(٥) مختار الصحاح: مادة ( م ث ل )

(٦) مجمع الأمثال:ج١، ص ٣٣

يُشَبّـه كالنّكـل من يُنَكّل بـه عدوه، غير أن المِثل لا يوضع في موضع هذا المَثَل، وإن كان المَثَل يوضع موضعه. " (١)

ولعله متأثر في هذا بما ذهب إليه الأصفهاني(٢) في كتابه ( المفردات ) الذي حاول فيه أن يقدّم تحديدا دقيقا للفظ ( مَثَل ) وذلك بالكشف عن العلاقة بين مادة الكلمة ووجوه استعمالاتها المختلفة، يقول في ذلك: " والمَثَل يقال على وجهين أحدهما: بمعنى المِثل نحو شِبه وشَبَه ونِقض ونَقض.... والثاني: عبارة عن المشابهة لغيره في معنًى من المعاني أي معنًى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة". (٣)

فالمَثَل ـ بفتحتين ـ عنده أعم من المِثْـل ـ بكسر وسكون ـ من ناحية الاستعمال والتجوُّز لأن ( مثل ) ـ بفتحتين ـ إما أن يكون قائما على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما، وهذا ما عبر عنه بقوله: " والمعنى الثاني للمَثَل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنًى كان" أو أن يكون قائما على تشبيه شيء بشيء لوجود أكثر من عنصر تشابه بين الشيئين، وقد يُعبّر به عن المماثلة التامة، وهذا ما عناه الأصفهاني بقوله: " المَثَل بمعنى المِثل نحو شِبه وشَبَه".

ويقول ابن منظور(٤) : " يقال مِثل ومَثَل وشِبه وشَبَه بمعنى واحد. والمَثَل والمَثِيل: كالمِثل [ في معنى المشابهة ] والجمع أمثال، وهما يتماثلان والأصل في المَثَل أنه قائم على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما، أو لوجود أكثر من عنصر تشابه". (٥)

ولعل قرينة السياق تكون هي الفيصل في هذه المسألة، ذلك أن محددات السياق بقرائنها المختلفة تُعيّن المقصود من لفظ المَثَل وتحدد معناه.

والمشكلة التي تواجه الباحث هنا تكمن في لفظ ( مَثَل ) ـ بفتحتين ـ والتي يرتبط معناها المعجمي بمعنى التشبيه، لكونها أداة من أدواته ولذلك كان لا بد من إعادة " قراءتها دلالي" (٦) كما فعل الأصفهاني ليصح انسجامها مع السياقات المختلفة معنًى.

فلفظ المَثَل " وإن تضمن معنى الشّبَه إلا أنّ هذا لا يعني توحد اللفظين في المعنى، ذلك أنّ لفظ ( المِثل ) يطلق على عموم المماثلة، والتساوي بين كل الجزئيات، فهو أعم أدوات التّشبيه دلالة، وبه تعقد المشابهة بين الأشياء المعقولة والمحسوسة، أما المَثَل ـ بفتحتين ـ فهو ليس أداة تشبيه، وإن تضمن معنى التشبيه" (٧)، لذلك كان المَثَل ـ كما ذكر الأصفهاني ـ أوسع استخداما من المِثل.

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال: جـ١، ص: ٣٣

(٢) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب(٠٠٠-٥٠٢هـ = ٠٠٠-١١٠٨م) أديب. من الحكماء العلماء. من أهل (أصفهان) سكن بغداد. واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (محاضرات الأدباء- ط) مجلدان، و (والذريعة إلى مكارم الشريعة- ط) و (جامع التفاسير)، و (المفردات في غريب القرآن- ط). الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ص: ٢٥٥

(٣) المفردات في غريب القرآن : ٤٦٢

(٤) لسان العرب: مادة ( م ث ل )

(٥) منذر عياشي، المعنى الدلالي ( محاضرة ألقاها على الطلاب): المقدمة

(٦) محمد الفياض: ١٥٠- ١٥١

## المثل = الصفة

ذكرت معاجم اللغة أن المثل - بفتحتين - يأتي بمعنى الصفة، إلا أنها لم تذكر شواهد من اللغة على ذلك، ويقول المبرد(١) : " في قوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ التقدير فيما يُتلى عليكم مَثَل الجنة ثم فيها وفيها. قال ومن قال: إن معناه صفة الجنة فقد أخطا لأن ( المَثَل ) لا يوضع في موضع الصفة، وإنما يقال: صفة زيد إنه ظريف، وإنه عاقل، ويقال: مثل زيد مثل فلان، إنما مأخوذ من المثال والحذوْ والصفة تحلية ونعت" ( ٢) .
قال ابن سيده (٣) في قوله عز من قائل:﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ (٤) " .... مثلها هو الخبر عنها، وقيل معناه صفة الجنة، وردَّ ذلك أبو علي الفارسي(٥) بقوله: " لأن المَثَل الصفة غير معروف في كلام العرب، وإنما معناه التمثيل." (٦)

و" هذا الزعم يرده ورود استخدام المثل بمعنى الصفة في القرآن الكريم كثيرا" (٧) وأقوال العلماء الثقات، فقد فَسَّر لفظ (مَثَل ) بمعنى ( الصفة ) كثير من العلماء الذين اعتنوا بالتفسير ومعاني مفردات القرآن الكريم، وقد ذكر ابن منظور ما ورد عن ابن عباس(٨) وأبي عمرو بن العلاء(٩) وغيرهما لإثبات صحة دعوى استعمال العرب لها بمعنى الصفة. فقد أورد رواية لعُمَرَ بن أبي خليفة(١٠) قائلا: " سمعت مقاتلا صاحب التفسير يسأل أبا عمرو بن العلاء عن قول الله عز وجل: ﴿مثل الجنة ﴾ ما مثلها ؟ فقال: ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ (١١) قال: ما مثلها، فسكت أبو عمرو. قال: فسألت يونس بن حبيب النحوي(١٢) عنها، فقال: مثلها صفتها. قال محمد بن سلام الجمحي(١٣) ومثل ذلك قوله ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ﴾ (١٤) أي صفتهم. قال أبو منصور الثعالبي (١٥): ونحو ذلك روي عن ابن عباس ". (١٦) ويقول الجوهري(١٧) : " ومَثَل الشيء أيضا صفته" (١٨).

---

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس (٢١٠-٢٨٦هـ = ٨٢٦-٨٩٩م) إمام العربية ببغداد. من كتبه (الكامل- ط) و (المذكر والمؤنث-خ) و (المقتضب- ط). الزركلي، الأعلام: جـ ٧، ص:١٤٤ ، وابن خلكان، وفيات الأعيان : جـ ١، ص: ٤٩٥ وفيه: (وفاته سنة ٢٨٦ وقيل٢٨٥).
(٢) المقتضب:ج٣، ص:٢٢٥
(٣) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن: (٣٩٨-٤٥٨هـ = ١٠٠٧-١٠٦٦م) إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس) وانتقل الى دانية فتوفي بها. كان ضريراً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة، ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها؛فصنف (المخصص- ط) سبعة عشر جزءاً، وهو من أثمن كنوز العربية و (المحكم والمحيط الاعظم- ط) أربعة مجلدات منه.الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ٢٩٣.
(٤) سورة الرعد:٣٥ و سورة محمد:١٥
(٥) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبوعلي الفارسي (٢٨٨-٣٧٧هـ = ٩٠٠-٩٨٧م) كان يقرأ بقراءة أبي عمرو البصري، وكان من نحاة البصرة. من كتبه: (الإيضاح-خ) في النحو. ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها. من كتبه (التذكرة في علوم العربية)، عشرون مجلداً، و (الحجة في علل القراءات السبع - ط ).
الزركلي الأعلام: جـ ٢، ص: ١٧٩
(٦) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( م ث ل )
(٧) عبدالله الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ١، ص: ٥٠
(٨) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ق.هـ -٦٨هـ = ٦١٩-٦٨٧م) حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله (ﷺ) وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وتوفي في الطائف. له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثا. وينسب إليه كتاب في (تفسير القرآن- ط) جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيراً حسناً. وأخباره كثيرة. الزركلي، الأعلام: جـ ٤ ،ص: ٩٥
(٩) زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء (ت: ١١٨هـ ) من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. قرأ القرآن على يد شيوخ المكيين والمدنين والبصريين ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، له أخبار وكلمات مأثورة. وللصولي كتاب (أخبار أبي عمرو ابن العلاء). الزركلي، الأعلام: جـ ٣، ص: ٤١، وغاية النهاية: جـ١، ص: ٢٨٨
(١٠) عمر بن أبي خليفة: لم أجده
(١١) سورة محمد:١٥.
(١٢) يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي (٩٤-١٨٢هـ = ٧١٣-٧٩٨م) علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره. وهو من قرية (جَبَّل) بفتح الجيم وضم الباء المشددة، على دجلة، بين بغداد وواسط. أعجمي الأصل.أخذ عنه سيبويه و الكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة. من كتبه (معاني القرآن) كبير، وصغير، و(اللغات) و (النوادر) و (الأمثال).الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ص: ٤١٦
(١٣) محمد بن سلام (بالتشديد) بن عبيدالله الجمحي بالولاء، أبو عبدالله (١٥٠-٢٣٢هـ = ٧٦٧-٨٤٦م) إمام في الأدب. من أهل البصرة، مات ببغداد. له كتب، منها (طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين- ط) و ( بيوتات العرب) و (غريب القرآن) الأعلام للزركلي : جـ ٦،ص:١٤٦
(١٤) سورة الفتح: ٢٩
(١٥) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(٣٥٠-٤٢٩هـ = ٩٦١-١٠٣٨م) من أئمة اللغه والأدب. من أهل نيسابور. كان قراءا، اشتغل بالأدب والتاريخ، من كتبه (يتيمة الدهر- ط) أربعة أجزاء، و (فقه اللغه- ط) و (سحر البلاغه- ط) و (خاص الخاص- ط) و (الأمثال- ط) و ( التمثيل والمحاضرة- خ).
الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ١٦٣.
(١٦) لسان العرب: مادة ( م ث ل )
(١٧) إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر (٣٩٣-١٠٠٣م) أول من حاول(الطيران) ومات في سبيله. لغويّ، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه (الصحاح- ط) مجلدان. وله كتاب في (العروض) ومقدمة في (النحو) أصله من فاراب. الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص: ٣١٣
(١٨) الصحاح : مادة ( م ث ل )

ويقول الراغب الأصفهاني: " والمَثَل يقال على وجهين أحدهما: بمعنى المِثل نحو شِبْه وشَبَه.... وقد يعبِّر بهما عن وصف الشيء نحو قوله: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ قال عن قوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء﴾ " وقيل: المِثل هاهنا بمعنى الصفة، ومعناه: ليس كصفته صفة"(١)

ويقول ابن منظور: ( والمَثَل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مِثْله، ومَثَل الشيء أيضا صفته. ومَثَلها صفتها..... )(٢) ويقول الرازي: " مَثَل الشيء بفتحتين صفته..". (٣)

والحقيقة أن هناك تداخلا كبيرا بين معنى ( المَثَل ) ومعنى (الصفة ) يقول أمين الخولي: " .... ومع أن اللغويين لا يتفقون على تفسير المَثَل بمعنى الصفة، إلا أن أصل المادة لا ينفيه، بل لا يستبعده، لأن التمثيل: هو تشبيه وتصوير، فقرب أن يكون وصفا، وأن يكون المَثَل صفة " (٤) فالتمثيل " إنما يورد لبيان أوصاف الممثل له بمقايستها بأوصاف الممثل به، والذي يسوق المَثَل أو التشبيه إنما يريد وصف المشبّه أو الممثل له" (٥). فالقصد الأساسي من التشبيه أو التمثيل هو الوصف، وكلاهما ( المَثَل ) و( الوصف) يمكن إرجاعهما إلى التشبيه وإلى المثول والانتصاب في ذهن السامع للبيان والإيضاح.

وهناك أمثلة عديدة للتداخل بين معنى المثل والوصف في الآيات القرآنية نحو قوله تعالى: ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ (٦) وقول الطبري(٧) في تفسيره لهذه الآية : " يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثّلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشباه بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون "(٨) .
" وإنما سَمّى الله تعالى الأوصاف التي وصفوا بها النبي - ﷺ - أمثالا باعتبار أن الكفار مثّلوه في أنفسهم، ثم وصفه كل بما يوافق ما مثّله به، فالتعبير بلفظ ( الأمثال) الذي وُصِفَ به النبي ( ﷺ ) يشير إلى أصل الوصف، وهو التمثيل والمشابهة التي قامت في قلوب أعدائه قبل أن يصفوه". (٩)

وقد لاحظ عبدالله الجربوع التداخل بين معنى المَثَل و الوصف في قوله تعالى: ﴿ وحور عين. كأمثال اللؤلؤ المنثور ﴾ (١٠) " فاللؤلؤ المكنون مثل واحد، وإنما جُمعت كلمة ( أمثال ) لمراعاة أوصاف اللؤلؤ المكنون المتعددة، فيكون تشبيه الحور العين بأوصاف

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٤٦٢

(٢) ابن منظور، لسان العرب مادة: ( م ث ل )

(٣) مختار الصحاح: مادة ( م ث ل )

(٤) محاضرات ألقاها الخولي في جامعة القاهرة. نقلا عن محمد الفياض، الأمثال في القرآن الكريم: ٨٨

(٥) عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ١، ص: ٥٧

(٦) سورة الإسراء: ٤٨

(٧) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤-٣١٠هـ = ٨٣٩-٩٢٣م) المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان. له ( أخبار الرسل والملوك-ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءاً، و (جامع البيان في تفسير القرآن-ط) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءاً، و (اختلاف الفقهاء-ط) و (المسترشد) في علوم الدين، وفي تفسيره مايدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. الزركلي، الأعلام: جـ ٦، ص: ٦٩

(٨) جامع البيان: جـ٨/٨٨

(٩) عبد الله الجربوع، الأمثال لقرآنية: جـ ١/ ٥٨

(١٠) سورة الواقعة ٢٢- ٢٣

اللؤلؤ المكنون، من صفاء اللون، وجماله، ونعومة ملمسه، ونحوها، وليس المراد تشبيه حال الحور بحال اللؤلؤ في كونه مكنونا، بل بأوصافه التي تكون أحسن ما تكون حال كونه مكنونا والله أعلم". (١)

ومما سبق، يتضح أنه لابد من إعادة قراءة كلمة (مَثَـل ) ـ بفتحتين ـ دلاليا؛ لكي يصح انسجامها مع السياقات المختلفة معنًى.

## المثل = المِثال ( النموذج )

قال المبرد " المثل مأخوذ من المِثال..... والأصل فيه التّشبيه، فقولهم " مَثَـل بين يديه " إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة..... والمِثال القصاص لتشبيه حال المُقتص منه بحال الأول، فحقيقة المَثَل ما جُعِل كالعلم للتشبيه بحال الأول، كقول كعب بن زهير(٢) :

كانت مواعِيدُ عُرقُوبٍ لها مَثَـلا ومَا مَـواعِيدُها إلا الأبَـاطِيلُ (٣)

فمواعيد عرقوب علَمٌ لكل ما لا يصح من المواعيد ". (٤)

ويقول الأصفهاني " المِثال هو مقابلة شيء بشيء هو نظيره، أو وضع شيء ما ليُحتذى به فيما يُفْعل ". (٥)

ويقول إسماعيل بن عباد(٦): " المِثْلُ: شِبْه الشَّيء في المِثال والقدر والخِلْقة، وهو المثِيل أيضا..... و المِثال: المقدار... و المِثال والمُمَاثلة: المُساواة "(٧).

ومما سبق يمكن الوقوف على معنيين لكلمة ( مَثَـل ) ـ بفتحتين ـ المعنى الأول: المثال بمعنى الشّبه والنظير، والمعنى الثاني: المِثال بمعنى، النموذج والمقدار الذي يُحتذى ويقاس عليه.

وعلى المعنى الأول يقول ابن فارس: " هذا مِثل هذا، أي نظيره، والمِثل والمِثال في معنًى واحد، والمِثال الفراش، والجمع مُثُـل، وهو شيء يماثل ما تحته أو فوقه." (٨) فهو في معنى النظير والمماثلة، ويقول ابن منظور: " المِثال: المقدار وهو من الشّبه". (٩) فالمَثل يأتي بمعنى المِثال، وهو الشّبْه والمِثل.

---

(١) الأمثال القرآنية: جـ١، ص ٦٠

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى، أبو المضرب ( ٠٠هـ / ٠٠م ـ ٢٦هـ / ٦٤٥م ) شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية، هجا النبي( ﷺ) فأهدر دمه، فجاءه (كعب ) مستأمنا وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة ( بانت سعاد ) فعفا عنه النبي( ﷺ) وخلع عليه بردته. الزركلي الأعلام: جـ ٦، ص: ٨١

(٣) عرقوب : اسم رجل من العمالقة، قيل هو عرقوب بن معبد، وكان أكذب أهل زمانه. انظر ابن منظور، اللسان: مادة ( عرقب )، والميداني جـ١، ص: ٣٣

(٤) ( المقتضب ) : جـ٣/ص: ٢٢٥، نقلا عن الميداني، مجمع الأمثال: ج١، ص ٣٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٤٦٣

(٦) إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني (٣٢٦-٣٨٥هـ = ٩٣٨-٩٩٥م) وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلا وتدبيراً وجودة رأي. ولد في الطالقان (من أعمال قزوين) وإليها نسبته، وتوفي بالري ونقل إلى أصبهان فدفن فيها. له تصانيف جليلة، منها (المحيط-خ) منه نسخة في مكتبة المتحف العراقي، ببغداد، في مجلدين في اللغة، وكتاب(الوزراء) و (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي- ط)، كتاب (الصاحب بن عباد، حياته وأدبه- ط). الزركلي، الأعلام:جـ١، ص:٣١٦ .

(٧) المحيط في اللغة : مادة ( م ث ل )

(٨) مقاييس اللغة: مادة ( م ث ل )

(٩) لسان العرب: مادة ( م ث ل )

ويُفرق التهانوي (١) بين المَثَل والمِثال فيقول: " المَثَل بفتح الميم والثاء في الأصل بمعنى النظير، ثم نقل منه إلى القول الفاشي الممثل مضربه بمورده. والمِثال - بالكسر- يطلق على الجزئي الذي يذكر لإيضاح القاعدة، ولإيصاله إلى فهم المستفيد، كما يقال: الفاعل كذا ومثاله ( زيد ) في: ضرب زيد". (٢)

كما يفرق بين المثال والنظير فيقول:

" والفرق بين المِثال والنظير أن مثال الشيء لابد أن يكون جزئيًا من جزئياته ذلك الشيء، ونظير الشيء ما يكون مشاركا له أي لذلك الشيء في الأمر المقصود منه..... وقد يطلق النظير على المِثال مسامحة، ولكن إذا قوبل بالمثال بأن يقال: هذا نظير له لا مثال له مثلا لا يراد به المثال، بل يراد به أنه نظير له أي شبيه له. هكذا ذكر أبو القاسم والجلبي، في حاشية المطول، في باب الإسناد في بحث إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر". (٣)

وعلى الرغم مما ذكره التهانوي فهناك تداخل كبير بين المعاني المتواردة على كلمة ( مَثَل ) فالمَثَل هو المِثل والمِثال، والنَّظير والمساوي والمُماثل.

أما المعنى الثاني لكلمة ( مَثَل ) فهو: المِثال بمعنى النموذج الذي يُحتذى ويقاس عليه، وهذا المعنى مأخوذ من المثول والانتصاب، يقول الأصفهاني: " أصل المثول الانتصاب، والمُمثِّل المصوِّر على مِثال غيره، يُقال مَثُل الشيء أي انتصب وتصوّر". (٤)

يقول ابن منظور: " والمَثَل: ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره يحذى عليه. ومثّل الشيء يمثّل مثولا: قام منتصبا، ومثّل بين يديه مثولا أي انتصب قائما، ومنه قيل لمنارة المسرجة ماثلة والمِثال: القالب الذي يقدر على مِثله.... والمثال: حجر قد نقر في وجهه نَقرٌ على خِلقة السِّمة سواء، فيجعل فيه طرف العمود أو المُلْمُول المضهَّب ، فلا يزالون يحنون منه بأرفق ما يكون حتى يدخل المِثال فيه فيكون مِثله "(٥). وقد يكون هذا هو الأصل المادي الذي اشتق منه لفظ ( مَثَل ). ففوهة المكحلة هي النموذج الذي يُحتذى على غراره تثقيف المكحال، كما أن قطر العمود أو الوتد هو المِثال أو النموذج الذي على غراره يُقاس قطر الفوهة التي تنقر على وجه الحجر ليرتكز فيها العمود.

---

(١) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي(٠٠٠-بعد ١١٥٨هـ = ٠٠٠-بعد ١٧٤٥م) باحث هندي. له (كشاف اصطلاحات الفنون- ط) مجلدان، فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨هـ ، و (سبق الغايات في نسق الآيات- ط). الزركلي، الأعلام: جـ٦، ص:٢٩٥

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون:جـ٤، ص ١٤١

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٤) المفردات : ٢٤٦

(٥) لسان العرب: مادة ( م ث ل )

يقـــول الفيـــروز آبـــادي : " المِثـــال: المقـــدار والقـــصاص، وصـــفة الشيء..... - والتَّمثال - بفتح وتشديد التاء - : التمثيل ، ومثّـلَـهُ تمثيلا صوّره له حتى كأنه يَنْظُر إليه، وامْتَـثَـلَـهُ هو تصوّره، وامْتَـثَّلَ طريقته تبعها فلم يَعْدها، ومنه اقتَصّ كتَمثّـل ومنه مَثَّلَ قام منتصبا كمَـثُـل بالضم " (٢) .

ومنه قيل " تماثل العليل: قارب البرء فصار أشبه بالصحيح من العليل المنهوك وقيـل: إن قـولهم تماثـل المـريض مـن المثـول والانتـصاب كأنـه هـمَّ بـالنهوض والانتـصاب.....ويقـال: المـريض اليـوم أمثَـل أي أحـسن مثـولا وانتـصابا ثـم جعـل صـفة للإقبال ... وهو من قولهم هو أمثَل قومه أي أفضل قومه. والتّمثال: الصورة، والجمع التَّماثيل. ومثّـل له الشيء: صوره حتى كأنه ينظر إليه.... وأما التّماثل - بفتح التاء - فهو مصدر مَثّـلْت تمثيلا وتَمْـثالا. ويقال: امتثلت مِثال فلان احتذيت حذوه وسلكت طريقته... ومَثَلَ الشيء يمْثُـل مثولا ومَـثُـل: قام منتصبا، ومَثُـل بين يديه مثولا أي انتصب قائما... والماثل: القائم" (٣).

وهنا نلحظ ربط ابن منظور بين (المَثَل) و (المِثال ) و ( التّمـثُـل ) و ( التمثيل ) نظرا لتقارب المعنى الدلالي بين هذه الألفاظ، فخيط المماثلة يشد ما ابتعد عن جذر ( م ث ل ) ليعيده إلى معناه اللغوي الأصيل.

وكلمة ( مَثَل ) تهدف إلى بيان المعنى وتوضيحه سواء كان هذا بواسطة التشبيه أو التصوير، وذلك لينتصب المعنى مجسدا أمام السامع وضوحا وفهما " ولهذا قيل المَثَل مشتق

---

(٢) القاموس المحيط: مادة ( م ث ل )

(٣) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( م ث ل ).

من المثول والانتصاب، ومن هذا المثول والتجسد اشتُقّ المِثال بمعنى المقدار أو النموذج الذي يُحتذى عليه ومنه اشتُق ( **التَّمثل** ) و( **التَّمثيل** ) و( **التَّمثال** ) فالحذو تمثّلٌ بالشيء، وتمثيل له، ومما بين المثال وما حُذي عليه من تماثل اشتق ( التّمثال ) .

بمعنى الصورة المتجسدة المشابهة أو المماثلة لنموذج احتذيت عليه، ومنه سميت العقوبة(**مَثُلة** ) لأنها تجعل صاحبها مثلا متجسدا وعلما رادعا لكل من يصنع ذلك الصنيع أو ينوي صنعه".(١)

وقد ربط الزمخشري بين ( المِثال ) و ( التّمثّل ) و ( التّمثيل ) فقال: " ومَثُل قائما: رأيته ماثلا بين يديه. وتماثل من مرضه. ومثّله به: شبّهه، وتَمثّل به: تشبّه به. ومُثِّل الشيء بالشيء: سُوّي به وقدر تقديره.... وحذاه على المِثال وعلى الأمثلة والمُثُل، ومثّلَ مِثالاً، وتمثّله: اعتمله، ومثّل التماثيل ومَثّلها: صوّرها. . . وهذا البيت مَثَلٌ نتمثّله عندنا ونتمثّل به ونَمتثِلُه ونَمْتَثِل به. وامتَثَلت الأمر احتذيته. وامتثل منه: اقتصّ، وأمثَلَهُ منه القاضي: أقصّه، وأخذ المِثال: القصاص" (٢).

وبعد هذا التقاطر الرهيب للفظ ( مَثَل ) ـ بفتحتين ـ نصل إلى أن خيط ( الشّبه والمماثلة ) هو الخيط الجامع لكل هذه المعاني المتفرعة، وهو خيط رفيع لا يكاد يُرى للوهلة الأولى.

إلا أن أصحاب المعاجم السابق ذكرهم حسموا قضية تدافع المعاني وتداخلها على لفظ مَثَل ( بفتحتين ) بمحاولة إيجاد " معيار دلالي يحكم هذه المعاني في سياقاتها المختلفة"(٣) ، لذلك كانوا يحاولون تأويل تلك المعاني بإرجاعها إلى خيط ( الشبه والمماثلة ) وربطها به بعد " تحيين " (٤) معناها بما يتناسب والسياق الواردة فيه.



(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة ( مثل ) وابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( مثل )
(٢) أساس البلاغة: ٦٩٢
(٣) منذر عياشي، القراءة الدلالية ( محاضرات ) : ص: ١٧
(٤) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

**المثل اصطلاحا:**

يطلق لفظ ( مَثَـل) على كل قول اشتهربين الناس وتناقلوه، وضربوه في المواقف المناسبة له. وأغلب كتب الأمثال عرّفت المثل اصطلاحا بأنه: " القول السائر الذي يُشبّه مضربه بمورده". بشروط وضعوها كالسيرورة، والحكاية، و إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه.(١)

وهذا التعريف في الحقيقة مقصور على نوع من الأمثال وهو المثل السائر. وهو النوع المتبادر الذي يسبق إلى الذهن عند إطلاق كلمة مَثَل.

والمراد ( بمضرب المثل ) " الحالات والمواقف المتجددة التي يمكن أن يُستعمل فيها المثل، لما بينها وبين مورد المثل من التشابه. ومورد المثل يراد به: الحالة التي قيل فيها ابتداءً " . (٢)

ويُعد أبو عبيد القاسم بن سلام من أوائل من عرفوا الأمثال اصطلاحا فقال : ".... الأمثال هي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه ". (٣)

فالأمثال يُعبر بها عن أمور كثيرة، وفيها يكون التعبير بطريقة غير مباشرة عن الشيء المراد، وهي في إيجازها تقوم على حسن التشبيه والتصوير اللذين هما سمتان من سماتها، وقد يكون معنى قول أبي عبيد السابق حين قال: " بكناية غير تصرح" أي أن هذه الأمثال هي الحكمة الناتجة من التجربة التي يُعبر عنها كناية أي بطريقة غير مباشرة، وليس المقصود هنا الكناية بمعناها الاصطلاحي في علم البيان.

ويعرفه المبرد بقوله: " المَثَل مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يُشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه". (٤)

وقال ابن السّكّيت (٥) :" المَثَل لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ شبّهوه بالمثال الذي يُعمل على غيره ". (٦)

---

(١) انظر محمد الصغير، الصورة الفنية: ٥٥، ومحمد توفيق، الأمثال العربية: ٤٠

(٢) عبد المجيد محمود: أمثال الحديث: ص ٨٢ - ٣٨

(٣) كتاب الأمثال: ٣٤

(٤) نقلا عن الميداني، مجمع الأمثال: المقدمة، نقلا عن المبرد، المقتضب: جـ٣، ص: ٢٢٥

(٥) يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف(١٨٦-٢٤٤هـ = ٨٠٢-٨٥٨م) إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله، لسبب مجهول. مات (ببغداد) من كتبه (إصلاح المنطق- ط) و (الألفاظ- ط) و (الأضداد- ط) و (القلب والإبدال- ط) و (الأمثال). الزركلي، الأعلام: جـ ٨، ص: ١٩٥

(٦) نقلا عن الميداني، مجمع الأمثال: المقدمة، نقلا عن ابن السكيت، إصلاح المنطق:

ويعرف الترمذي الأمثال بأنها: " نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهتدي النفوس بما أدركت عيانا[ فهي توضح للنفس ما غاب عن ] أسماع الرؤوس وأبصاره" (١).

ويعرفه الفارابي (٢) فيقول: " المَثَل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر. ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وتفرّجوا به عن الكُرب المكربة، وهو من أبلغ الحكمة؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة " (٣).

وهو في تعريفه يرى أن المثل( أداة تعبيرية عن أشياء لا يُعبر عنها بشكل مباشر إلا بصعوبة بالغة) ويظهر ذلك في قوله ( واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية)، لذلك تتناقلها الأفواه، كما أنه اعتبر المثل من أبلغ الحكمة، وبين في حديثه الأثر النفسي للأمثال الذي يظهر في قوله: ( وتفرجوا به عن الكرب المكربة ) (٤).

ويلاحظ مما سبق أن معنى المثل اصطلاحا يحمل مدلولا واسعا فكثيرا ما كان يختلط بالحكمة، يقول أبو هلال العسكري: " ثم جُعل كل حكمة سائرة مثلا.. .. " (٥) ولعل هذا يعود إلى تأثر العلماء السابقين بفكرة المثول والبروز والشخوص في المثل المشتقة من المعنى اللغوي للمثل وهو المثال، " وهذا أثر من آثار طغيان الغرض الذي ضُربت الأمثال من أجله على طبيعة المثل وماهيته" (٦)، فالغرض من المثل تجسيد المعنى المعقول ليكون ماثلا أمام سامعه، وهذا ما جعل المثل يتداخل في تعريفه مع الحكمة.

وقد نقل الميداني عن بعضهم قوله: " سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب " (٧) .

وبهذا نخلص إلى أن المثل اصطلاحا يلتقي مع تأصيله اللغوي، فهناك علاقة وثيقة بينهما، وقد أرجع غالبية من عرفوا معنى المثل اصطلاحا معناه إلى معاني المثل اللغوية كالنظير والشبيه، والمثال، والحديث والتمثل بمعنى الإنشاد.

---

(١) الأمثال من الكتاب والسنة للترمذي: المقدمة.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، أبو إبراهيم (٠٠٠-نحو٣٥٠هـ = ٠٠٠-نحو٩٦١م) أديب، غزير مادة العلم، من أهل فاراب (وراء نهر سيحون) وهو خال الجوهري صاحب الصحاح. صنف كتابا سماه (ديوان الأدب-خ) عرّفه بقوله: وهو ميزان اللغة ومعيار الكلام. وهو غير الفارابي الحكيم. جـ١، ص: ٢٩٣.

(٣) ديوان الأدب: ١/ ٧٤

(٤) محمد توفيق، الأمثال العربية: ٣٤

(٥) جمهرة الأمثال : المقدمة

(٦) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ٥٧

(٧) الميداني، مجمع الأمثال: المقدمة

وقد عرّف المرزوقي (١) صاحب ( شرح الفصيح ) المثل تعريفا دقيقا فقال : " هو جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتُنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها وعمّا يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تُضرب وإن جُهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ضرورات الشعر فيها ما لا يُستجاز في سائر الكلام. ومن شروط المثل ألا يُغير عما يقع في الأصل عليه ألا ترى قولهم: ( أعط القوس باريْها )، تُسكن ياؤه، وإن كان التحريك الأصل؛ لوقوع المثل في الأصل على ذلك، وكذلك قولهم: ( الصيف ضيعتِ اللبن ) لمّا وقع في الأصل للمؤنث لم يُغيَّر بعد، وإن ضرب للمذكر" (٢).

فالمثل عنده يُضرب في " أحوال مماثلة لمورده الأصلي على سبيل التشبّه والمحاكاة، وقد يُضرب المثل حتى ولو جهل أصله، ولا يتغيّر في أي حال من أحوال استعماله"(٣) .

والأصفهاني يركز على فكرة التشابه بين المضرب والمورد فيعرف المثل بأنه: " قول في شيء، يُشبه قولا في شيء آخر، بينهما مُشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر، ويصوِّره نحو قولهم ( الصيف ضيَّعتِ اللبن ) (٤) فإن هذا القول يُشبه قولك: أهملتِ وقت الإمكان أمرك، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال.. " (٥).

وإلى هذا ذهب الزمخشري فقال: " سُميت الجملة المقتطعة من وصلها، أو المرسلة بذاتها المتسمة بالقبول، المشتهرة بالتداول مثلا، لأن المحاضر بها يجعل موردها مثالا، ونظيرا لمضربها " (٦).

كما أن أمين الخولي أكد هذه الفكرة بقوله:" ومن معنى المشابهة جاء استعمال المثل السائر للقول يُشبّه به حالة بحالة " (٧)فالشبه هو الخيط الرابط بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للمثل.

أما السيوطي(٨) فهو في مزهره لا يُعطي رأيه في معنى المثل، وجل ما يفعله هو أن يعرض لآراء الآخرين فيه، ويستنتج من اجتماعها أنّ الأمثال لا تتغير بل تجري كما ضُربت ولا يُستعمل فيها الإعراب، يقول: " الأمثال لا تُغيّر ... [ و] العرب تُجري الأمثال على ما جاءت، ولا تستعمل فيها الإعراب" (٩)

---

(١) أحمد بن محمد بن الحسن، أبوعلي المرزوقي (٠٠٠-٤٢١هـ = ٠٠٠-١٠٣٠م) عالم بالأدب من أهل أصبهان. كان معلم أبناء بني بوية فيها. من كتبه ( الأزمنة والأمكنة- ط) مجلدان، و (شرح ديوان الحماسة لأبي تمام- ط) أربعة مجلدات، و شرح (المفضليات). الأعلام للزركلي = الجزء الأول، صفحة٢١٢.

(٢) لم أعثر على هذا الكتاب، فاكتفيت بإشارة السيوطي له في كتابه المزهر ٤٨٦/١ - ٤٨٨

(٣) محمد توفيق، الأمثال العربية: ٣٥

(٤) (ضيعتِ) بكسر التاء وإن خاطب به مذكرا، لأن الأمثال تحكى، فلا تغير عن صيغتها التي تمثل بها أول مرة. ويضرب هذا المثل لمن يضيع الأمر ثم يريد استدراكه، انظر: جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري٥٧٥/١.

(٥) الأصفهاني، المفردات: جـ ٢/ ص: ٨٥٣ - ٨٥٤

(٦) المستقصي: المقدمة

(٧) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ٥٥ ، نقلا عن الخولي، محاضرات ألقاها على الطلبة في جامعة القاهرة.

(٨) عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين(٨٤٩-٩١١هـ = ١٤٤٥-١٥٠٥م ) إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرساله الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزوياً عن أصحابه جميعا، فألف أكثر كتبه. وبقي على ذلك إلى أن توفي.من كتبه (الإتقان في علوم القرآن- ط) و (إتمام الدراية لقراء النقاية- ط) كلاهما له في علوم مختلفة، و (الأحاديث المنفية-خ)، و (الأرج في الفرج- ط) و (الأشباه والنظائر- ط) في العربية، (الأشباه والنظائر- ط) في فروع الشافعية، و (عقود الجمان في المعاني والبيان- ط) و (متشابه القرآن- ط) و (المزهر- ط) في اللغة. الأعلام للزركلي = الجزء الثالث، صفحة ٣٠٢.

(٩) المزهر: جـ١، ص: ٤٨٧

ويؤكد محمد الفياض العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمثل فيقول: " هناك وضوح في العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في تفسير المثل بالمثال، والتمثيل أو الحذو عليه..... فالاصطلاح مأخوذ من حذو المضرب أو تمثيله بالمورد، الذي اتخذ مثالا له "(١).

وقد ربط الفياض بين المعنى الاصطلاحي للمثل وهو " القول السائر " و"الحديث"(٢) الذي عده ابن منظور أحد المعاني اللغوية للمثل حين قال: " والمَثَل الحديث نفسه "(٣) لأن المثل ينتشر ويسير بين الناس كالحديث الذي يتناقله الناس وينشرونه فيما بينهم.

والعسكري في معرض حديثه عن المثل يذكر شرط ( الحكاية) الواجب توافره في المثل، فيقول: "... ويقولون: الأمثال تُحكى، يعنون بذلك. أنها تُضرب على ما جاءت من العرب، ولا تغير صيغتها، فتقول للرجل" الصيف ضيعتِ اللبن " بكسر التاء لأنها حكاية."(٤) إذا فالأمثال تستعمل على ما جاءت عليه من العرب شكلا ومضمونا، من غير أن يطرأ عليها تغيير في ألفاظها ومعانيها أيا كانت معانيها والصيغ التي صيغت بها.

وقد علل الزمخشري عدم تغير الأمثال بالتماثل التام بين حالي المورد والمضرب، لدرجة يتهيأ معها أنهما حالة واحدة وليسا حالتين متشابهتين، فقال: "..... فإذا قيل لمن فرط في طلب حاجة عند إمكانها، ثم طلبها بعد فواتها: " الصيف ضيعت اللبن " فقد جعل قصة دخنتوس(٥) مثل قصته، ونزلهما منزلة واحدة، وتصورهما بصورة فردة، ولهذا ترك تاء ضيعتِ على كسرها. وهكذا جميع الأمثال لا يجوز تغييرها." (٦) وبهذا يكون قد أرجع شرط الحكاية إلى الجذر اللغوي وهو الشبه والتماثل.

ولعل من المفيد التنبيه على أن التعاريف السابقة مقصورة على نوع من الأمثال هو الأمثال السائرة. وهو النوع المتبادر الذي يسبق إلى الذهن عند إطلاق كلمة مَثَل.

وللحسن اليوسي(٧) رأي مفصل في المثل يرتكز على التشبيه وينطلق منه إلى أنواع المثل السائر ليبين علاقتها بالتشبيه، يقول:" المَثَل هو قول يرد أولا لسبب خاص ثم يتعداه إلى أشباهه فيستعمل فيها شائعا على وجه تشبيهها بالمورد الأول، غير أن الاستعمال على وجهين: أحدهما أن يكون على وجه التشبيه الصريح. كقولهم " كمجيرأم عامر. . . والثاني

---

(١) الأمثال في القرآن: ٨٩
(٢) المرجع السابق: ٦٢
(٣) لسان العرب :جـ١١/٢١٦
(٤) أبو هلال العسكري: (٠٠٠-بعد ٣٩٥هـ = ٠٠٠-بعد ١٠٠٥م) الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى(عسكر مُكرم) من كور الأهواز. من كتبه (التلخيص) في اللغة، و (معجم-خ) في اللغة، و (جمهرة الأمثال-ط) و (كتاب الصناعتين: النظم والنثر-ط) و(العمدة).الأعلام للزركلي = جـ٢، ص:١٩٦
(٤) جمهرة الأمثال: المقدمة
(٦) الزمخشري: (٤٦٧-٥٣٨هـ = ١٠٧٥-١١٤٤م)
محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر(من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. توفي بالجرجانية. من أشهر كتبه(الكشاف-ط) في تفسير القرآن، و (أساس البلاغة-ط) و (المفضل-ط) و (المستقصى-ط) في الأمثال. الأعلام للزركلي = الجزء السابع، صفحة١٧٨
(٥) دَخْنَتُوس: بنت لقيط كانت امرأة لعمرو بن عُدَس وكان شيخا، فأبغضته فطلقها وتزوجها فتى جميل الوجه. وأجدبت السنة فبعثت إلى عمرو تطلب منه حَلُوبة فقال المثل. المنجد للأعلام: ٢٣٣
(٦) المستقصى: المقدمة
(٧) الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (١٠٤٠-١١٠٢هـ = ١٦٣٠-١٦٩١م) فقيه مالكي أديب، يُنعت بغزالي عصره. من بني (يوسي) بالمغرب الأقصى. من كتبه (المحاضرات-ط) في الأدب، و (منح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب-خ) و (زهر الأكم في الأمثال والحكم-خ) لم يكمله، منه نسخ في خزانة الرباط . الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ص: ٢٢٣

ألا يكون على وجه التشبيه الصريح كقولهم: " الصيف ضيعتِ اللبن ".. ونحو ذلك وهو أكثر من الأول" (١).

وعلى هذا فالأمثال السارية تنقسم من حيث اشتمالها على التشبيه إلى أقسام هي:

١ـ " ما شُبّه مضربه بمورده، وكان أسلوبا تشبيهيا، مثل قولهم: ( كمجير أم عامر ) يُضرب لمن يضع المعروف في غير أهله، ولمن يُكافؤ بالسوء على إحسانه. (٢)

٢ـ ما شُبّه مضربه بمورده، ولكن الأسلوب ليس تشبيهيا، كقولهم: ( الصيف ضيعتِ اللبن ) وتشبيه المضرب بالمورد إنما هو من باب الاستعارة التمثيلية (٣)، حيث تستعار حال من ضُرب له أولا، لحال من ضُرب له آخرا لوجود التشابه بينهما.

٣ـ الحِكَم وجوامع الكلم والأقوال التي ليس لها مورد، وليست أسلوبا تشبيهيا.

كقولهم: ( إن القليل بالقليل يكثر ) وتمثلهم بقول المتنبي(٤) :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم.(٥)

فالأسلوب ليس تشبيها، وليس هناك مورد للمثل تشبّهُ به حال من ضُرب له.

٤ ـ ما كان أسلوبه تشبيها ولكن ليس له مورد يُشبّه به مضربه، كتمثلهم بقول الخنساء(٦): " كأنه علم في رأسه نار " (٧) فهذا ليس فيه واقعة أو حال سابقة ضرب لها، وإنما تشبيه بصورة محسوسة يتخيلها السامع (٨).

وقد تنبه عبد المجيد عابدين إلى تقارب معنى المثل اصطلاحا مع لفظ مثل عند الساميين القدماء الذين أطلقوه على " فنون من التعبير بعضها موجز وبعضها مطوّل، أطلقوه على الكلمة الموجزة التي اكتسبت صفة الشيوع والشهرة بين الناس، والكلمة المركزة الدالة على مهارة الصنعة والقدرة على الإلغاز والتعمية، وأطلقوه على القطعة الأدبية، التي قد تبلغ الفقرة أو الفقرتين من الكلام، والتي تقص نبوءة من النبؤات، أو ترد قياسا ومقارنة، لتفسير فكرة أو توضيح عبارة، أو تحكي قصة خرافية ذات مغزى"(٩) .

---

(١) انظر: مجمع الأمثال للميداني: جـ٢،ص: ١٤٤ .
(٢) انظر زهر الأكم جـ ١ ، ص: ٢٢
(٣) الاستعارة التمثيلية: تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، انظر: د. عبد العزيز عتيق: علم البيان:ص:١٩٢

(٤) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي ( ٣٠٣هـ/ ٩١٥م - ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ) الشاعر الكريم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم المبتكرة، له ديوان شعر مطبوع ومشروح. الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص: ١١٠- ١١١.

(٥) البيت في ديوانه
(٦) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُّلمية من بني سُليم، من قيس عيلان. من مضر(٠٠٠-٢٤هـ = ٠٠٠-٦٤٥هـ) أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق. من أهل نجد. عاشت أكثر عمرها في العصر الجاهلي. وأدركت الإسلام فأسلمت. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية). لها (ديوان شعر - ط) فيه ما بقي محفوظا من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية (سنة١٦هـ) قتلوا جميعا فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم! . الزركلي، الأعلام: جـ٢، ص:٨٦ وانظر: الشعر والشعراء:١٢٣
(٧) هذا عجز بيت وصدره ( وإن صخرا لتأتم الهداة به ..... ) انظر ديوان الخنساء:٤٩.
(٨) عبد الله الجريوع : جـ١، ص: ٤٣ - ٤٤
(٩) الأمثال في النثر العربي القديم:٨

وجاء في المعجم الوسيط أن المثل اصطلاحا: " جملة من القول، مقتطفة من كلام أو مرسلة بذاتها تنتقل ممن وردت فيه إلى مشابهه دون تغيير..... أو أسطورة على لسان حيوان، أو جماد كأمثال كليلة ودمنة". (١)

ولعل هذا التعريف يحيل إلى فكرة تصنيف الأمثال حسب سمتها الاصطلاحية، والتي على أساسها تنقسم الأمثال إلى ثلاثة أقسام أساسية هي:

١ـ المثل الموجز السائر: وهو المقصود بكلمة مثل عامة، " وهي كلمة موجزة قيلت في مناسبة ما، ثم تناقلتها ألسن الناس جيلا إثر جيل ". (٢)

" وهو إما شعبي لا تعمُّل فيه، ولا تكلف ولا تقيُّد بقواعد النحو كقولهم: ( كلبٌ طوافٌ خيرٌ من أسدٍ رابض) " (٣)

وإما كتابيّ، صادر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء كقولهم: " رب عجلة تَهَبُ ريثا، ورب فَرَوقَةٍ يدعى ليثا، ورب غيث لم يكن غيثا" (٤)ومنه الحديث الشريف:(( إن من البيان لسحرا ))(٥) .

٢ـ المثل القياسي: " وهو سرد وصفيّ أو قصصي، أو صورة بيانية؛ لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل يسميه البلاغيون التمثيل المركب" (٦) ، أو التشبيه التمثيلي " وهو تشبيه مستوف لركني التشبيه ـ المشبه والمشبه به ـ إلا أن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور، ولا يُشترط فيه غير تركيب الصورة سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته حسية أو معنوية، وكلما كانت عناصر الصورة أو المركب أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ" (٧).

" فهو تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر أو اعتبار أحدهما بالآخر لغرض التأديب والتهذيب أو التوضيح والتصوير. وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير. مثال قوله تعالى: ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا(٨) ﴾" (٩).

٣ـ المثل الخرافي: " وهو حكاية ذات مغزى تُقال على لسان غير الإنسان، وتهدف لغرض تعليمي أو فكاهي وما أشبه ذلك كقولهم: ( أُكِلت يوم أُكِل الثَّوْرُ الأسود)(١٠) " (١١) ويندرج تحت هذا النوع بعض أمثال كتاب كليلة ودمنة التي تقع فيها الحوادث ويجري فيها الحوار بين حيوان وحيوان، وحيوان وإنسان.

---

(١) مادة ( م ث ل )
(٢) محمد توفيق، الأمثال العربية: ٤٦
(٣) الأصبهاني،الدرة الفاخرة: ٢/ ٤٦٤
(٤).المفضل الضبي، كتاب الأمثال: ٦١
(٥) مسند أحمد: ٢/٥٩ و ٤/ ٢٦٣، والعسكري يقدم له بـ " خبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن أحمد الكاغدي، عن أبي بكر عبد الله بن حماد العقدي، عن أبي بكر جعفر أحمد بن الحارث الخزاز، عن المدائني، عن مسلمة بن الحارث، عن عيينه بن عبد الرحمن، عن أبيه" جمهرة الأمثال جـ١، ص: ١٨.
(٦) ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن: مقدمة المحقق سعيد الخطيب: ص: ٢٠-٢١
(٧) عبد العزيز عتيق، علم البيان: ٨٦
(٨) سورة الجمعة:٥
(٩) ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن: مقدمة المحقق سعيد الخطيب: ص: ٢٠-٢١
(١٠) يُضرب مثل للرجل فقد ناصره، فلحقه الضَيم من عدوّه، وهو من أمثال كليلة ودمنه. لعسكري، جمهرة الأمثال: ٦١/١ .
(١١) ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن: مقدمة المحقق سعيد الخطيب: ص: ٢٠-٢١

" والفرق بين المثل الخرافي والقياسي، أن المثل الخرافي تُنسب الأحاسيس الإنسانية فيه إلى غير الإنسان من حيوان أو طير أو غيرهما. أما المثل القياسي فالحيوانات فيه - إن استخدمت - لا تعدو أن تكون مجرد توضيح للفكرة. دون أن تتعدى القوانين التي يخضع لها نوعها. والمثل الخرافي يرمز إلى الأشياء، أي يقال شيء ويراد به شيء آخر، أما القياسي فيراد به الأشياء المذكورة فيه لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل". (١)

وقد توسع العلماء في بيان معنى المثل، ونظروا فيه من جوانب متعددة يتوافق كل منها مع تخصصاتهم المختلفة واتجاه البحث عندهم، وهم - وإن اختلفوا في صياغاتهم الأسلوبية لمعنى المثل - متفقون على معانيه الاصطلاحية التي تقوم على المضرب والمورد، والسيرورة والحكاية، وإن عُني فريق دون الآخر بإبراز جوانب من خصائص المعنى المصطلح عليه والتي لا ينفيها الطرف الآخر، وإنما يركز في تعريفه على جوانب أخرى للمعنى هي أقرب إلى بحثه وتخصصه، وإن اختلفوا ظاهرا على وحدة المعنى المراد.



---

(١) ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن: مقدمة المحقق سعيد الخطيب: ص: ٢٠-٢١

## المَثَـل عند البلاغيين:

ذكرت أمهات كتب البلاغة أن المثل ـ بفتحتين ـ هو التشبيه، وأن الأمثال هي الأشباه والنظائر. وأضافوا إلى المثل معاني فرعية كالوصف والعبرة، وهذه المعاني قريبة من تعريفات المفسرين للمثل وهي أقرب إلى الاستعمال اللغوي من الاصطلاح (١) .

وقد سار على هذا المنهج كثير من البلاغيين كقدامة بن جعفر (٢) الذي عرف المثل في معرض حديثه عن الأمثال قوله:" فأما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال، ويبينون للناس تصرف الأحوال، بالنظائر والأشباه، والأشكال، ويرون هذا القول أنجح مطلبا، وأقرب مذهبا. . . فلذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال، والقصص عن الأمم ونطقت ببعضه على ألسن الوحش والطير" (٣) فهو يرى، أن الأمثال هي الأشباه والنظائر والأشكال. كما أشار إلى قيمة المثل وهي: " أن الخبر إذا كان ممكنا فهو محتاج إلى ما يدل عليه وعلى صحته، والمثل مقرون بالحجة، وأن الحكماء والأدباء استعملوها لأنهم أرادوا أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها وتصريف القول فيها، حتى يتبين لسامعه ما آلت إليه أحوال أهلها عند لزومهم الآداب أو تضييعهم إياها "(٤) .

وبعد أن كان المثل يعني مطلق التشبيه أو كما عبر عنه النّظّام(٥) بقوله هو: " نهاية البلاغة " (٦) أخذ لفظ ( المثل ) بفتحتين يتحدد أكثر فأكثر على يد البلاغيين الذين أدرجوه في مباحث علم البيان وأخذوا يحددون معناه ويفرقون بينه وبين ضروب علم البلاغة.

وقد عد القيرواني(٧) المثل من باب التمثيل، واعتبر التمثيل من ضروب الاستعارة، وأن التمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنهما بغير آلته ( أدته) (٨) .

ويميل الجرجاني(٩) إلى التوحيد بين معنى المثل بفتحتين والتمثيل يقول: " وكل ما لا يصح أن يسمى تمثيلا، فلفظ المثل لا يستعمل فيه أيضا" (١٠) .

ورغم توحيد الجرجاني بين المثل ـ بفتحتين ـ والتمثيل إلا أنه يرى الأصل في المثل هو التشبيه

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٢٣/٢، ومعاني القرآن للفراء:١٥/١، وتأويل مشكل القرآن لأبي قتيبة الدينوري: ٣٧٨.

(٢) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (٠٠٠-٣٣٧هـ = ٠٠٠-٩٤٨م) كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد. يُضرب به المثل في البلاغة. له كتب، منها (الخراج- ط) قسم منه، و (نقد الشعر- ط) و (جواهر الألفاظ- ط) و (السياسة). الزركلي، الأعلام : جـ٥، ص:١٩١

(٣) نقد النثر: ٦٦

(٤) المرجع السابق: ٦٧

(٥) إبراهيم بن سيار هانئ البصري، أبو اسحاق النظّام(٠٠٠-٢٣١هـ = ٠٠٠-٨٤٥م) من أئمة المعتزلة.وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظامية) نسبة إليه. أما شهرته بالنظام فأشياعه يقولون إنها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. أن له كتبا كثيرة في الفلسفة والاعتزال. الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص: ٤٣

(٦) نقلا عن كتاب الميداني مجمع الأمثال: المقدمة

(٧) الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي(٣٩٠-٤٦٣هـ =١٠٠٠-١٠٧١م) أديب، نقاد، باحث. ولد (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر. من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده- ط) و (قراضة الذهب- ط) في النقد، و (الشذوذ في اللغة). الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ص: ١٩١

(٨) انظر العمدة: ١ /٤٥٠

(٩) عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر (٠٠٠-٤٧١هـ = ٠٠٠-١٠٧٨م) واضع أصول البلاغه. كان من أئمة اللغه. من أهل جرجان(بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق.من كتبه (أسرار البلاغة- ط) و (دلائل الأعجاز- ط) و (الجمل-خ) في النحو، و (المغني) في شرح الايضاح، و (العمدة) في تصريف الأفعال. الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ٤٨

(١٠) أسرار البلاغة: ٧٦

يقول: " والأصل في كونه مثلا وتمثيلا هو التشبيه المنتزع من مجموع أمور، والذي لا يحصله لك إلا جملة من الكلام أو أكثر.. "(١)

ويقول أيضا: " وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر. . " (٢)

فالمثل عنده هو التشبيه الذي لا يحصل إلا بضرب من التأويل يقول في ذلك: " اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأويل، والآخر: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأويل". (٣) وفي معرض تفريقه بين التشبيه والتمثيل يقول:" التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا" (٤) فهو يعتبر التمثيل تشبيها إلا أنه تشبيه خاص.

ونستخلص من كلام الجرجاني أن:
- أن المثل والتمثيل يستعملان بمعنى واحد.
- الأصل في المثل والتمثيل هو التشبيه المنتزع من مجموع أمور.
- أن المثل هو التشبيه الذي لا يتحصل إلا بضرب من التأويل.
- أن التشبيه أعم من التمثيل، فكل تمثيل تشبيه ولا عكس.

والمثل عنده يشمل التمثيل بنوعيه، ما جاء بركنيه - التشبيه التمثيلي - وما جاء على سبيل الاستعارة - الاستعارة التمثيلية - ومما سبق يمكن القول أن الجرجاني تكلم عن نوعين من أنواع الأمثال:

النوع الأول: الأمثال القياسية، وهي التي خصها بالتمثيل أي التشبيه المنتزع من متعدد.

النوع الثاني: الأمثال السائرة وخصها بالاستعارة التمثيلية أو على حد قوله " التمثيل الكائن على حد الاستعارة " (٥) وعده من المجاز المركب ومثاله( أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى) (٦)

وقال عنه في موضع آخر: " وأما التمثيل الذي يكون مجازا لمجيئك به على حد الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: ( أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى)، فالأصل في هذا أراك في تردد كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة". (٧) فالجرجاني يرى أن أصل المثل - بفتحتين - هو ( التمثيل ) الذي يعرفه بالتشبيه المنتزع من متعدد.

أما السكاكي(٨) فيعرف المثل - بفتحتين - بأنه تمثيل على سبيل الاستعارة، ولذلك لا يجد التغيير إليه سبيلا، وهو في تعريفه يقصر حديثه على المثل السائر، يقول: " إن التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة ولا غير، سمي مثلا، ولورود المثل على سبيل الاستعارة لا يتغير" (٩)

---

(١) أسرار البلاغة:٩٢
(٢) المرجع السابق: ٩٢
(٣) المرجع السابق: ٧٦
(٤) المرجع السابق: ٨٠
(٥) دلائل الإعجاز: ٢٧٥
(٦) المرجع السابق: ٢٧٥
(٧) المرجع السابق:٦١
(٨) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج الدين (٥٥٥-٦٢٦هـ = ١١٦٠-١٢٢٩م) عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بخوارزم. من كتبه (مفتاح العلوم- ط) و (رسالة في علم المناظرة- خ). الزركلي، الأعلام: جـ٨، ص: ٢٢٢
(٩) مفتاح العلوم: ١٨٧

وتابعه في رأيه هذا أصحاب التلخيص والشروح أمثال الخطيب القزويني (١) الذي نقل رأي السكاكي في تعريفه للمثل، وأضاف إليه قوله: " واعلم أن المثل السائر لما كان فيه غرابة استعير لفظه للحال، أو الصفة، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة" (٢) .
ويظهر من تعريفه أنه خلط بين المثل السائر والمثل القياسي، وهو في خلطه هذا متأثر بالزمخشري الذي أثار فكرة الغرابة في الأمثال، واستعارة لفظ المثل للحال والصفة والقصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، يقول الزمخشري في ذلك: " ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه، وقد استعير الأسد استعارة الأسد للمقداد، للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة" (٣) .

وقد أشار التفتازاني (٤) إلى أن المثل هو استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه مركب انتزع وجه الشبه فيه من متعدد، وهو يميل إلى توحيد لفظ الاستعارة التمثيلية والمجاز المركب في معنًى واحد.

ويعرف المثل بقوله: " ومتى فشا استعمال المجاز المركب أو التمثيل على سبيل الاستعارة لا على سبيل التشبيه ولا في معناه الأصلي يسمى مثلا، ولهذا أي ولكون المثل تمثيلا فشا استعماله على سبيل الاستعارة و الأمثال لا تغير لأن الاستعارة يجب أن تكون لفظ المشبه به المستعمل في المشبه فلو تطرق تغيير إلى المثل لما كان لفظ المشبه بعينه به فلا يكون استعارة فلا يكون مثلا وتحقيق ذلك أن الاستعارة يجب أن يكون لفظ الذي هو حق المشبه به أخذ منه عارية للمشبه فلو وقع فيه تغيير لما كان هو اللفظ الذي يختص المشبه به فلا يكون عارية فلهذا لا يلتفت في المثل إلى مضربه تذكيرا وتأنيثا وإفرادا وتثنية وجمعا بل إنما ينظر إلى مورد المثل مثلا إذا طلب رجل شيئا ضيعه قبل ذلك تقول له ( الصيف ضيعتِ اللبن ) بكسر تاء الخطاب لأن المثل قد ورد في امرأة. وأما ما يقع في كلامهم في نحو ضيعت اللبن بالصيف على لفظ المتكلم فليس بمثل بل مأخوذ من المثل وإشارة إليه ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن عجيب ونوع غرابة " (٥)

وقد أكد الصعيدي (٦) هذا المعنى في تعليقه على الإيضاح حيث يقول: " وكل هذا ( أي المجاز المركب ) يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقا، ومتى فشا استعماله كذلك( أي فشا استعماله باقيا على هيئته في حال مورده من غير تغيير ) سمي مثلا، ولذلك لا تُغير الأمثال ( لأنها تستعمل على سبيل الاستعارة؛ فيجب أن يبقى لفظها على حاله من غير تغيير، وتُجرى الاستعارة فيها بأن تُشبه صورة مضربها بصورة موردها، ثم يُستعار لفظها

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجلي (٦٦٦-٧٣٩هـ = ١٢٦٨-١٣٣٨م) قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. من كتبه (تلخيص المفتاح- ط) في المعاني والبيان، و (الإيضاح- ط) في شرح التلخيص، و (السور المرجاني من شعر الأرجاني). الزركلي، الأعلام: جـ٦، ص:١٩٢.

(٢) الإيضاح : جـ ٢، ص٤٤٢

( ٣) الكشاف: جـ١،ص: ١٠٩

(٤) مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. (٧١٢-٧٩٣هـ = ١٣١٢-١٣٩٠م) ولد بتفتازان(من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها.من كتبه (تهذيب المنطق- ط) و(المطول- ط) في البلاغة، و( شرح السعد )، و ( المختصر- ط) اختصر به شرح المفتاح. الزركلي، الأعلام: جـ ٧، ص: ٢١٩.

(٥) المطول على التلخيص: ص: ٣٨٠- ٣٨١

(٦) علي بن أحمد بن مكرّم الصعيدي العدوي(١١١٢-١١٨٩هـ = ١٧٠٠-١٧٧٥م) فقيه مالكي مصري، كان شيخ الشيوخ في عصره. ولد في بني عدي (بالقرب من منفلوط ) وتوفي في القاهرة. من كتبه (حاشية على شرح كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني- ط) ، و (حاشية على شرح العزية للزرقاني- ط). الأعلام الزركلي: جـ٤، ص: ٢٦٠

لها، وعلى هذا يكون كل مثل استعـــارة ولا عكس ومن أمثلتهم " أَحَشَفاً وسُوءُ كيلة !"(١) يُضرب لم يُظلم من جهتين، وتشبه فيه هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر حشفا بتطفيفٍ في الكيل فقال له: " أحشفا وسوء كيلة!" ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به على طريق الاستعارة التمثيلية" (٢)

والعلوي(٣) يؤكد ما ذهب إليه الجرجاني والسكاكي ومن أتى بعدهما، فالمثل عنده مرادف للتمثيل، وهو يفرق بين التمثيل والتشبيه من ناحية ظهور أداة التشبيه، فإن كان التشبيه مضمر الأداة فهو معدود في الاستعارة والتمثيل ( الاستعارة التمثيلية ) وإن كان مظهر الأداة فهو تشبيه تمثيلي، فمصطلح التمثيل عنده هو الاستعارة التمثيلية المبنية على التشبيه التمثيلي، أما التمثيل الذي تظهر فيه الأداة فهو تشبيه تمثيلي لا يخرج من باب التشبيه، يقول في هذا: " كل ما كان من التمثيل تظهر فيه أداة التشبيه، كالكاف، وكأن، فإنه معدود من جملة التشبيه، ولا يفترقان بحال لأن التشبيه أكثر ما يطلق على ما كانت الأداة فيه ظاهرة، فأما ما كانت الأداة فيه غير ظاهرة فهو التمثيل، فإنه لا يقال له تمثيل إلا إذا كان واردا على حد الاستعارة" (٤).

وهو هنا يقصر كلامه على المثل السائر ولا يتعداه إلى المثل القياسي، فالمثل عنده تمثيل، وهو نوع من الاستعارة وجه الشبه فيه منتزع من متعدد، وهو من أنواع المجاز وهذا ظاهر من قوله:" اعلم أن التمثيل نوع من أنواع البيان، وهو مخالف للتشبيه، فإن التشبيه إنما يكون في المظهر الأداة، وهذا نوع من الاستعارة، وهو معدود من أنواع المجاز، وإنما قلنا إنه من الاستعارة من جهة أن الاستعارة حاصلة فيه، وإنما تقع التفرقة من جهة أن الوجه الجامع، إن كان منتزعا من عدة أمور فهو التمثيل، وإن كان مأخوذا من أمر واحد فهو استعارة" (٥).

وقد تأثر برأي السكاكي كثير ممن أتوا بعده، فالسيوطي يركز على فكرة أن المثل هو مجاز مركب فشا على سبيل الاستعارة، ولهذا فالأمثال لا تغير ألفاظها، ولو تغيرت ألفاظها لما عدت أمثالا، كما يركز على شرط استعمال المجاز المركب والتمثيل في غير معناه الأصلي ليكون مثلا يقول في ذلك: " فإن فشا المجاز المركب على سبيل الاستعارة لا على سبيل التشبيه ولا في معناه الأصلي ( الاستعمال ) أي استعمال المجاز المركب والتمثيل ( فمثل ) هو بفتحتين وهو كلام شبه مضربه بمورده و( تغييره ) عما ورد عليه ( محال ) عندهم أي ممتنع استعمالا

---

(١) العسكري، جمهرة الأمثال: جـ١، ص: ٨٥، الميداني، مجمع الأمثال: جـ ١، ص: ٣٢٠

(٢) بغية الإيضاح:جـ٣، ص١٣٠

(٣) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي (٦٦٩-٧٤٥هـ = ١٢٧٠-١٣٤٤م) من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن. يروى أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره. من تصانيفه (الشامل-خ) في أصول الدين، و (نهاية الوصول إلى علم الأصول) ثلاثة مجلدات، و (التمهيد لأدلة مسائل التوحيد-خ) و (الحاوي) في أصول الفقه، ثلاثة مجلدات، و (شرح الكافية-خ) و (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - ط) ثلاثة أجزاء، و (الإيجاز لأسرار كتاب الطراز-خ) وغير ذلك مما يقال إنه بلغ مئة مجلد. الأعلام للزركلي = الجزء الثامن، صفحة١٤٣.

(٤) الطراز: جـ ٢/ ص:٣

(٥) المرجع السابق: جـ٣ / ص: ١٢٩

لكونه تمثيلا نشأ استعماله على سبيل الاستعارة والأمثال لا تغير لأن الاستعارة يجب أن يكون لفظ المشبه به فيها هو المستعمل في المشبه فلو غير المثل لما كان لفظ المشبه به فلا يكون استعارة فلا يكون مثلا" (١).

والهاشمي(٢) يرى أن المثل " مجاز مركب أو استعارة تمثيلية، وهذه الاستعارة التمثيلية إذا فشت وشاع استعمالها تكون مثلا لا يُغير مطلقا بحيث يُخاطب به المفرد والمذكر، وفروعهما بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديل عن مورده الأول وإن لم يُطابق المضروب له"(٣). وهو يعرف الاستعارة التمثيلية بأنها استعارة مبنية على التشبيه التمثيلي الذي وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعددة.

وهو يرى أن المجاز المركب" تركيب استعمل في ما يشبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد - وذلك بأن تشبّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تُدخِل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه وسميت الاستعارة تمثيلية مع أن التمثيل عام في كل استعارة للإشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا - إذ هي مبنية على تشبيه التمثيل. ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد - لهذا كان أدق أنواع التشبيه وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات" (٤).

أما ابن الأثير(٥) فيعرف المثل بأنه: " القول الموجز المرسل، ليُعمل عليه "(٦) ومن تعريفه للمثل يظهر عدم تأثره بمن سبقوه كالجرجاني والسكاكي، ويؤكد هذا قوله: " وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا، ولهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال مثلته به"(٧) فهو لا يفرق بين التشبيه والتمثيل وإنما يعدهما شيئا واحدا، وبهذا يخالف ما ذهب إليه البلاغيون الذين جاءوا قبله.

وقد أجمل زلهايم رأي البلاغيين في المثل بقوله: " المثل عند البلاغيين حالة خاصة من حالات التمثيل، وهو تشبيه أو استعارة، أخذ وجه الشبه فيها من أشياء مختلفة، أي أنه بعبارة أخرى جملة استعارية، فإذا شاع مثل هذا التمثيل على الألسنة، سمي مثلاً " (٨).

---

(١) عقود الجمان: جـ٢/ ص: ٥٨

(٢) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (١٢٩٥-١٣٦٢هـ = ١٨٧٨-١٩٤٣م) أديب معلم مصري، من أهل القاهرة، ووفاته بها. وصنف كتبا منها (أسلوب الحكيم- ط) مجموع مقالات، و (جواهر الأدب- ط) و (جواهر البلاغة- ط) و (ميزان الذهب- ط) و (مختار الأحاديث النبوية- ط). الزركلي، الأعلام: جـ: ١، ص: ٩٠.

(٣) جواهر البلاغة: ٢٦١

(٤) المرجع السابق:٢١٦

(٥) نصرالله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري،أبو الفتح، ضياء الدين،المعروف بإبن الأثير الكاتب (٥٥٨-٦٣٧هـ = ١١٦٣-١٢٣٩م) وزير، من العلماء الكتاب المترسلين ولد في جزيرة ابن عمر، وتعلم بالموصل،مات ببغداد، ومن تآليفه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- ط) و (كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب- خ) و (البرهان في علم البيان- خ). الزركلي، الأعلام: جـ ٨، ص: ٣١.

(٦) المثل السائر: جـ١، ص:٣٦

(٧) المرجع السابق: جـ١،ص: ٣٧٣

(٨) الأمثال العربية:٢٦

وهو بهذا التعريف ينظر للمثل نظرة عامة، فيجمل بتعريفه أنواع المثل كالسائر والقياسي، ويبين أن أصل المثل هو التشبيه أو الاستعارة، المنتزع وجه الشبه فيها من أمور متعددة، وأن انتقال التمثيل من التصوير إلى المثلية هو فشو وتداول استعماله.

ومنير القاضي في تعريفه للمثل متأثر بآراء السابقين عليه لذلك أجمل آراءهم، وعرف المثل بقوله: " والمثل في مصطلح الأدب: هو القول السائر الممثل بمضربه أي المشبه حالة مضربه، بحالة مورده: أي الحالة التي كان قد ورد فيها القول. فهو استعارة تمثيلية، مبنية على التشبيه المركب، وقد حصر علماء الأدب قديما وحديثا الكلام في المثل بهذا المعنى" (١)

وبعد هذا، يمكننا فهم قول التهانوي حين عرف المثل بقوله: " المَثل - بفتح الميم والثاء المثلثة - في الأصل بمعنى النظير، ثم نقل منه إلى القول السائر أي الفاشي الممثل بمضربه وبمورده، والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام، وبالمضرب الحالة المشبهة بها التي أريد بالكلام وهو من المجاز المركب، بل لفشو استعمال المجاز المركب بكونه على سبيل الاستعارة، سُمّي بالمثل ثم إنه لا تُغير ألفاظ الأمثال تذكيرا وتأنيثا، وإفرادا وتثنية، وجمعا، بل إنما يُنظر إلى مورد المثل، مثلا إذا طلب رجل شيئًا ضيعه قبل ذلك، تقول له: "ضيعت اللبن بالصيف"، بكسر تاء الخطاب لأن المثل قد ورد في امرأة، وذلك لأن الاستعارة يجب أن يكون لفظ المشبه به المستعمل في المشبه، فلو تطرق تغير إلى الأمثال لما كان لفظ المشبه به بعينه فلا يكون استعارة فلا يكون مثلا" (٢)

ورغم تعدد واتساع مدلول المثل بحسب اهتمامات وتوجيهات الذين درسوا المثل من مطلق التشبيه إلى التمثيل فالاستعارة التمثيلية والمجاز المركب، فإن عرق الشبه - الأصل اللغوي لمادة مثل - مازال نابضا في كل فروع وتجليات مدلول الكلمة ومعانيها الاصطلاحية، ولا يوجد من بين العلماء والمفسرين والبلاغيين من ذهب إلى معنًى لكلمة (مثل ) إلا وكان الشبه هو الأساس الذي انبثق منه والذي يرتد إليه في آخر المطاف.



(١) مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع: ٣ - ٤

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون: جـ٤،ص:١٣٩

## الفرق بين المثل والحكمة:

ذكر اللغويون للحِكمة معاني عدة، لعل من أبرزها: المعرفة، والإتقان، والعدل. يقول الخليل بن أحمد:"... والحِكمة العدل، والحلم، ورجل حكيم: من قوم حكماء..." (١)واقتصر الجوهري على تفسيرها بالمعرفة والإتقان، فقال: " والحكم أيضا الحكمة: من العلم، والحكيم: المتقن للأمور" (٢)

وقال الأصفهاني:" الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات، وفعل الخيرات" (٣) .

واللغويون مجمعون على أن أصل مادة (ح ك م ) هو المنع، يقول الخليل بن أحمد (٤) :" وأصل الحُكم: من قولهم: حَكَمْتُه عن الشيء، وأحكمته: منعته، ومنه حكمة الدابة" (٥)

وقال الأصفهاني: " حَكَمَ: أصله منع منعاً لإصلاحٍ، ومنه سُمِّيتْ اللجام: حكمة الدابة" (٦).

وقال ابن منظور: "..... والحكمة معرفة أفضل الأشياء، بأفضل العلوم، والحِكمة العدل، وأحكم الأمر: أتقنه، ورجل حكيم، عدل..... وقال الأزهري: حَكَم الشيء وأحكمه كلاهما: منعه من الفساد، وكل من منعته من شيء فقد حكّمته وأحكمته، قال: ونرى أن حَكَمة الدابة سُميت بهذا المعنى لأنها تمنع الدابة من كثير من الجهل. يقال أحكمت فلانا أي منعته، وبه سُمّي الحاكم لأنه يمنع الظالم..... والحَكَمَة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه من مخالفة راكبه، ولما كانت الحَكَمَة تأخذ بفم الدابة وكان الحنك متصلا بالرأس جعلها تمنع من هي في رأسه كما تمنع الحَكَمة الدابة" (٧) .

وجمع أحمد رضا في معجمه ما قيل عن معانيها فقال: " الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، ومعرفة الموجودات، وفعل الخيرات، ومعرفة أفضل العلوم، والعلم، والعدل في القضاء والنبوّة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، والتفقه، والعلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه - في الأمر نفسه - بقدر الطاقة البشرية" (٨)

---

(١) معجم العين: مادة (ح ك م).
(٢) الصحاح: (ح ك م )
(٣) المفردات: (ح ك م )
(٤) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن(١٠٠-١٧٠هـ = ٧١٨-٧٨٦م) من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، ولد ومات في البصرة.كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، منقطع القدمين، مغموراً في الناس لا يُعرف. له كتاب (العين-خ) في اللغة و (معاني الحروف-خ) و (جملة آلات العرب-خ).الزركلي، الأعلام: جـ٢، ص: ٣١٤
(٥) معجم العين (ح ك م )
(٦) المفردات: ( ح ك م )
(٧) لسان العرب :مادة ( م ث ل )
(٨) معجم متن اللغة: (ح ك م)

و اليوسي يرى أن الحكمة تحوي معنى الحُكم والإحكام و معانيهما:"..... الحكمة هي فِعْلَة من الحُكم أو الإحكام، أما الحُكم فيرد بمعنيين: أحدهما القضاء، يقال: حكم الشارع أوالقاضي بكذا حُكْما - بضم فسكون - الثاني: العلم، يقال حكم حكما وحكمة.. وأما الإحكام فيكون أيضا بمعنيين: أحدهما: الإتقان، يقال: أحكم فلان كذا إحكاما إذا أتقنه، والثاني: المنع يقال: أحكمت السفيه وحكمته أيضا أي منعته وأخذت على يده..... " (١).

" أما المعنى الاصطلاحي للحكمة فقد حصره العلماء في معان عدة منها:

١. القرآن والفقه به.
٢. السنّة.
٣. المعرفة بالدين والفقه فيه.
٤. النبوّة.
٥. الإصابة في القول والفعل.
٦. الخشية." (٢)

والطبري بعد أن حصر معاني السلف في الحكمة ذهب إلى أن الحكمة هي: الإصابة في القول والفعل لما دل عليه الكتاب والسنة، يقول: " والصواب من القول عندنا في ( الحكمة ) أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول (ﷺ) والمعرفة بها، وما يدل عليه ذلك من نظائره، وهو عندي مأخوذ من ( الحُكم ) الذي بمعنى الفصل بين الحق والباطل..... يقال منه: ( إن فلانا لحكم بيّن الحكمة ) يعني به: إنه لبيّن الإصابة في القول والفعل" (٣) .

" وذكر في موضع آخر أن ما رجحه في معنى الحكمة - وهو الإصابة في القول والفعل لما دل عليه الكتاب والسنة - ينتظم تلك المعاني" (٤) حيث قال: " فإذا كان ذلك كذلك معناه، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان ذلك كذلك، كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مُفَهَّماً خاشيا لله فقيها عالما، وكانت النبوة من أقسامه، لأن الأنبياء مسددون مفهّمون، وموفقون لإصابة الصواب في الأمور. والنبوة بعض معاني الحكمة "(٥).

---

(١) زهر الأكم: ٢٩/١

(٢) عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ١، ١٢٨

(٣) جامع البيان:٦٠٨/١

(٤) عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ١، ١٣٠

(٥) المرجع السابق: ٣ /٩١

وقد ذهب الفخر الرازي(١) إلى أن" المراد من الحكمة إما العلم وإما فعل الصواب؛ يُروى عن مقاتل أنه قال: تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه أحدها: مواعظ القرآن، وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم، وثالثها: النبوة، ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار" (٢).

أما القرطبي فقد ذكر اختلاف العلماء في معنى الحكمة اصطلاحا فقال: " واختلف العلماء في الحكمة؛ فقال السدي(٣) : هي النبوة. وابن عباس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدّمه ومؤخره. وقال قتادة (٤) ومجاهد(٥) : الحكمة هي الفقه في القرآن. وقال مجاهد: الإصابة في القول والفعل. وقال ابن زيد: الحكمة العقل في الدين. وقال مالك بن أنس(٦): الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له. وروى عنه ابن القاسم أنه قال: الحكمة التفكير في كتاب الله والاتباع له. وقال أيضا: الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به. وقال الربيع بن أنس(٧): الحكمة الخشية. وقال إبراهيم النّخعي(٨): الحكمة الفهم في القرآن؛ وقاله زيد بن أسلم(٩). وقال الحسن: الحكمة الورع" (١٠).

كما ذهب إلى أن أصل الحكمة المنع وأن المعاني التي سبق ذكرها هي روافد تصب في معنى الحكمة، وأن أصل الحكمة ما يمتنع به عن السفه يقول: " وهذه الأقوال كلها ما عدا السُّدّي والربيع والحسن قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس؛ فكتاب الله حكمة؛ وسنة نبيه حكمة وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة. وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه؛ فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يُمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح، وكذا القرآن والعقل والفهم" (١١) .

ويقول ابن عاشور(١٢) في تعريف الحكمة: " الحكمة إتقان العلم وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم، فلذلك قيل: نزلت الحكمة على ألسنة العرب، وعقول اليونان، وأيدي الصينيين. وهي مشتقة من الحُكْم - وهو المنع - لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال، ومنه سميت الحديدة التي في اللجام وتجعل في فم الفرس، حَكَمَة.. .. وفسرت الحِكْمَة بأنها معرفة حقائق الأشياء على ماهي عليه بما تبلغه الطاقة، أي بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ولا يغلط في العلل والأسباب....." (١٣) .

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبدالله، فخر الدين الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ = ١١٥٠-١٢١٠م) الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته. من تصانيفه (مفتاح الغيب-ط) ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و (نهاية الايجاز في دراية الإعجاز-ط) بلاغه.الزركلي، الأعلام: جـ٦، ص: ٣١٣.

(٢) التفسير الكبير:جـ٤/ ٥٩

(٣) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي (٠٠٠-١٢٨هـ = ٠٠٠-٧٤٥م) تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: (صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس). الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص:٣١٧ .

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (٦١-١١٨هـ = ٦٨٠-٧٣٦م) مفسر حافظ ضرير أكمه. قال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب.الزركلي، الأعلام: جـ٥، ص: ١٨٩

(٥) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي ( ٢١هـ - ١٠٤هـ ) أحد الأعلام الأثبات، قارئ، ومفسر . كان أقل أصحاب ابن عباس رواية عنه في التفسير، وكان أوثقهم لهذا اعتمد على تفسيره الشافعي والخاري وغيرهما. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون: جـ ١، ص: ٧٩

(٦) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبدالله (٩٣-١٧٩هـ = ٧١٢-٧٩٥م) إمام دار الهجرة، وأحد الائمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية.. كان صلبا في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف (الموطأ-ط). وله رسالة في (الوعظ-ط) وكتاب في (المسائل-خ) ورسالة في (الرد على القدرية) وكتاب في (النجوم) و (تفسير غريب القرآن) وأخباره كثيرة. الزركلي، الأعلام: جـ٥، ص: ٢٥٧

(٧) الربيع بن أنس: لم أجده في كتب الأعلام

(٨) إبراهيم بن مالك الأشتر بن الحارث النخعي(٠٠٠-٧١هـ = ٠٠٠-٦٩٠م) قائد شجاع، من أصحاب مصعب ابن الزبير. شهد معه الوقائع وولي له الولايات وقاد جيوشه في مواطن الشدة. وكان مصعب يعتمد عليه ويثق به. و النخعي نسبة إلى النخع (بفتحتين) قبيلة باليمن من مذحج. الأعلام. الزركلي، الأعلام: جـ ١،ص:٥٨

(٩) زيد بن أسلم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبدالله (٠٠٠-١٣٦هـ = ٠٠٠-٧٥٣م) فقيه مفسر، من أهل المدينة. وكان ثقة، كثير الحديث، له حلقه في المسجد النبوي. وله كتاب في (التفسير) رواه عنه ولده عبد الرحمن. الزركلي، الأعلام: جـ٣، ص:٥٦ .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن: جـ١/ ٢٥٠

(١١) المرجع السابق: جـ١/ ٢٥٠

(١٢) محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦-١٣٩٣هـ = ١٨٧٩-١٩٧٣م) رئيس المفتين المالكيين بتونس. وشيخ جامع الزيتونه وفروعه بتونس.. عين (عام١٩٣٢) شيخاً للإسلام مالكياً. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، . الزركلي، الأعلام: جـ٦، ص:١٧٤

(١٣) التحرير والتنوير: جـ٣ /٦١

وقال في موضع آخر" وقد ذكر الله الحكمة في مواضع عديدة من كتابه مرادا بها ما فيه صلاح النفوس، من النبوءة والهدى والإرشاد. وقد كانت الحكمة تطلق عند العرب على الأقوال التي فيها إيقاظ للنفس ووصاية بالخير، وإخبار بتجارب السعادة والشقاوة، وكليات جامعة لجماع الآداب" (١).

ويقول التهانوي: " الحِكمة بالكسر في الأصل هي إتقان الفعل والقول، وإحكامهما. وفي اصطلاح العلماء تطلق على معان منها: علم الحكمة ( وهو علم باحث عن أحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية) (٢)، ومنها معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وهو التكاليف الشرعية.... ويقرب منه ما ذكر أهل السلوك من أن الحكمة معرفة آفات النفس والشيطان والرياضيات..... ومنها هيئة للقوة العقلية العلمية، متوسطة بين الجربزة وهي هيئة تصدر بها الأفعال بالمكر والحيلة من غير اتصاف، وبين البلاهة وهي الحمق. والحكمة بهذا المعنى أحد أجزاء العدالة المقابلة للجور. .. ومنها الحجة القطعية المفيدة للاعتقاد دون الظن والإقناع الكامل... وكما تطلق الحكمة على البرهان، ومنها فائدة ومصلحة تترتب على الفعل من غير أن تكون باعثة للفعل على الفعل وتسمى بالغاية" (٣).

أما عبد المجيد قطامش فقد عرف الحكمة بأنها " تلك العبارة التجريدية التي تصيب المعنى الصحيح، وتُعبّر عن تجربة من تجارب الحياة، أو خبرة من خبراتها، ويكون هدفها عادة الموعظة والنصيحة" (٤).

وقد اختلف الباحثون في تحديد العلاقة بين المثل والحكمة فبعض العلماء اعتبروهما شيئا واحدا يرادف أحدهما الآخر، ومن هؤلاء الحكيم الترمذي(٥) الذي ذهب إلى أن الأمثال: " نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار.." (٦) وذهب الفارابي في تعريفه للمثل إلى أن المثل: " من أبلغ الحكمة" (٧)ويذكر زلهايم أن الأمثال إذا تفحصناها فإننا نلاحظ أن كلمة مثل لا يراد بها التعبير التصويري فحسب" إذ يوجد بين هذه الأمثال حكم تجريدية..... والمثل العربي قد يقابل في الألمانية: المثل، أو التعبير التمثيلي، أو الحكمة أو العبارة التقليدية" (٨).

أما عبد المجيد عابدين فقد عد المثل جزءا من الحكمة يقول:" إن كل مثل حكمة، وليست كل حكمة مثلا"(٩)ومنهم من رأى أن الأمثال أعم من الحكم، فالأمثال تشمل الأقوال الموجزة السائرة الممثل مضربها بموردها، والحكم السائرة، كالعسكري حين قال: " ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا" (١٠).

---

(١) التحرير والتنوير: جـ٣،ص: ٦٣

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون:جـ١،ص:٤٩ ( المقدمة)

(٣) المرجع السابق:جـ ١،ص: ٥٠٦-٥٠٧

( ٤) الأمثال العربية: ١٨

(٥) محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبدالله، الحكيم الترمذي(٠٠٠-نحو٣٢٠هـ = ٠٠٠-نحو٩٣٢م) باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل (ترمذ) نفي منها بسبب تصنيفه كتابا خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر. أما كتبه، فمنها (نوادر الأصول في أحاديث الرسول-ط) و (الفروق-خ) يفرق فيه بين المداراة والمداهنة، والمحاجّة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار والانتقام الخ، وهو فريد في بابه. الزركلي، الاعلام: جـ٦، ص:٢٧٢

(٦) الأمثال من الكتاب والسنة: المقدمة

(٧) ديوان الأدب: المقدمة

(٨) الأمثال العربية :٢٦

(٩) الأمثال في النثر العربي :٨

(١٠) الجمهرة: المقدمة

وهذا الاختلاف يعود إلى اتفاق كل من المثل والحكمة في كثير من الخصائص كالإيجاز المبين للفكرة المعبر عنها، وأن كلا منهما " وليد التجارب الفردية ويتحد مع الوعي الجماعي" (١). ولعل من عوامل توثيق الصلة بين المثل والحكمة هو أن" لكل منهما شكلا أدبيا مكتملا، لا يقبل الزيادة والنقصان، وكلاهما يستعين - على الأغلب - بالإيقاع الموسيقي للتأثير في النفوس وتهيئتها، وجعلها أكثر مطاوعة لما يرمي إليه، فيسخر السجع والجناس لهذا الغرض" (٢) هذا إضافة لاشتراكهما " في طابع التعليم والتوجيه والإرشاد" (٣) .

والحكمة وإن كانت تلتقي مع المثل في بعض الخصائص إلا أنها تختلف عنه في خصائص أخرى:

١- " أن المثل أساسه التشبيه ( تشبيه مضربه بمورده ) أما الحكمة فأساسها إصابة المعنى"(٤)

٢- " أن المثل يصدر عن جميع الناس، بمختلف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية، أما الحكمة فلا تصدر إلا عن حكيم أو فيلسوف"(٥).

٣- " أن الهدف من المثل الاحتجاج، ومن الحكمة التنبيه والوعظ والإرشاد" (٦).

٤- " الأمثال تربط حاضر التجربة بماضيها ( المضرب بالمورد ) فهي غير منفصلة عن الحوادث والمناسبات التي أوحت بها، ولا عمّن وقعت لهم تلك الحوادث، والمناسبات كقولهم ( رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ ) (٧) . أما الحِكم فلا ترجع إلى الماضي - وإن كانت حصيلة تجاربه لأنها تنطلق من تلك التجارب، وتعرض عن أصحابها وظروفها - سواء نُسبت تلك الحكم إلى أصحابها، أو لم تنسب لتكون قواعد عامة مجردة، كقول المتنبي:

شر البلاد مكان لا صديق به ... وشر ما يكسب الإنسان ما يَصِمُ. (٨)" (٩)

٥- أن الحكيم في صوغه لتجربته، يهتم بسبكها والعناية الأسلوبية المتعمدة بها لتلقى حكمته القبول في العقول، وبذلك كان هدف الحكمة هو النصح المباشر. " أما الأمثال فهي وإن أفادت التوجيه فإنه توجيه غير مباشر - في الأغلب - وغير مقصود لذاته، كما هو الحال في الحكم إذ كل ما يهدف إليه ضارب المثل تلخيص التجربة التي تعرّض لها، وهو بعد هذا لا يعلم إن كان الذي نطق به مثلا، أو سيكون كذلك، أو لا يكون" (١٠) .

٦- والحكمة ذات طابع تجريدي وفكر فلسفي، أما المثل فهو ذو طابع حسي تصويري، وهو أكثر اجتماعية وذيوعاً منها.

---

(١) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ١٠٧
(٢) انظر المرجع السابق: ١١٢
(٣) المرجع السابق: ١١٢
(٤) انظر: عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: ١٨
(٥) المرجع السابق: ١٩
(٦) المرجع السابق: ١٨
(٧) الميداني، مجمع الأمثال: جـ١، ص: ٣٧٨
(٨) ديوان المتنبي: جـ٤، ص: ١٤٦
(٩) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ١١٣
(١٠) المرجع السابق: ١١٣

هذا، وقد يلتقي المثل والحكمة إذا كانت الحكمة موجزة يمتزج فيها إصابة المعنى وروعة التشبيه،" فيتهيأ لها بذلك أن تسير بين الناس وتتداولها ألسنتهم وأقلامهم" (١)، يقول العسكري: " ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يُتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا" (٢).

فالحكمة نوعان: نوع لا يتهيأ له أن يفشو فلا يسمى مثلا، ومنها " الحكم الإنشائية التي تشتمل على أوامر ونواه يُقصد بها صلاح الدنيا والآخرة "(٣)، ونوع فيه الحكم تسير وتفشو فتصبح مثلا، وهو المسمى بـ" الحِكَمِ المثلية " (٤) وقد حفلت كتب الأمثال بكثير من هذا النوع كقولهم: " مقتل الرجل بين فكيه"(٥) و" أعذر من أنذر"(٦) وهذه الحِكَمُ تلامس أعماق الناس وهواجسهم، وتعبر عن حاجاتهم المشتركة، لذلك كتب لها أن تسير وتنتشر بين الناس فتكون مثلا.

وبهذا لا يمكن مزج المثل بالحكمة واعتبارهما شيئا واحدا كما لايمكن اعتبار الحكمة أعم من المثل، وقد ذهب حنا الفاخوري " إلى أن المثل أعمق من الحكمة وذلك لأن المثل يحوي معنى ظاهرا وآخر باطنا، فأما الظاهر هو الإشارة التاريخية إلى حادث معين كان سبب ظهوره وأما الباطن فهو الحكمة والإرشاد. أما الحكمة فهي لا تحوي إلا معنى واحدا ظاهرا هو النصح والإرشاد" (٧).

ولعل أقرب مذهب إلى الصحة في تحديد علاقة المثل بالحكمة، هو أن لكل من المثل والحكمة خصائصه التي ينفرد بها، إلا أن هناك نوعا من الحكم تتدرج تحت المثل وهي " الحكمة المثلية "، وقد سبق ذكر أسباب اقترابها من المثل، وبذلك يكون رأي العسكري السابق هو القول الفصل في تحديد نوع العلاقة بين المثل والحكمة كما أن هناك أمثالا تتدرج تحت الحكمة وهي الأمثال القرآنية لذلك تُسمى " بالأمثال الحكيمة"(٨) لقوله تعالى: ﴿ كتاب أحكمت آياته﴾ (٩) وقوله: ﴿ والقرآن الحكيم﴾ (١٠) فالأمثال القرآنية جزء من القرآن فلذلك يصدق عليها الوصف بالحكمة " فهي محكمة في ألفاظها ومعانيها، قاطعة في براهينها، متقنة القياس. وهي تهدي إلى الحكمة..... ومن تفكر في الأمثال القرآنية وتدبرها وفقهها وعمل بما دلت عليه فقد أوتي حظا من الحكمة "(١١) .

---

(١) عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: ١٩
(٢) الجمهرة: المقدمة
(٣) عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: ٢٠
(٤) محمد توفيق، الأمثال العربية: ٥٠
(٥) المثل لأكثم بن صَيفيّ، يقول: إنّ الإنسان إذا أطلق لسانه فيما لا ينبغي قتله. العسكري، جمهرة الأمثال: جـ ٢، ص: ١٨٨
(٦) العسكري، جمهرة الأمثال: جـ١، ص: ١٣٢
(٧) الحكم والأمثال:٩
(٨) محمد توفيق، الأمثال العربية: ٥٠
(٩) سورة هود الآية:١
(١٠) سورة يس الآية:٢
(١١) عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية جـ ١٣٤/١

## المبحث الثاني: المثل القرآني

### الأمثال في القرآن:

معنى المثل في القرآن يقارب معنى المثل في اللغة والاصطلاح، وهو إن افترق عنه في بعض الجوانب إلا أنه قريب الصلة منه، فالمثل في القرآن يأتي على معانٍ عدة منها:

**١ـ المثل بمعنى المِثل وهو النظير:**

" فالأصل في المثل أنه قائم على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما، أو لوجود أكثر من عنصر تشابه، وقد يُعبر به عن المماثلة التامة"(١). وقد ورد في القرآن الكريم أمثال كثيرة تندرج تحت هذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾ (٢)

" والتشبيه والتمثيل في الأمثال القرآنية قد يكون بسيطا وقد يكون مركبا، فالبسيط كتشبيه العلم بالنور، والجهل بالظلمات، والعالم بالبصير، والجاهل بالأعمى، فهذه تشبيهات بسيطة شبه فيها شيء بشيء آخر يماثله بوجه من الوجوه، أما التمثيل المركب، فهو التمثيل الذي يقدم فيه المثل على شكل لوحة يُنتزع فيها وجه الشبه من متعدد بين الممثل والممثل له، وهذا التمثيل إما أن يكون مشكلا من عناصر مفردة متلاقية كقوله تعالى: ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع حكيم ﴾ (٣) وإما أن يكون التمثيل على شكل وحدة مركبة متداخلة كقوله تعالى: ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ (٤) " (٥)

ورغم ورود المَثَل ( بفتحتين ) بمعنى المِثْل ( بكسر فسكون) فإن التقارب بين اللفظين راجع للأصل اللغوي الذي اشتُقا منه فقط، وهو الشبه، لأنه من خلال الاستعمال القرآني تبين أن المثل ( بفتحتين ) غير المِثل ( بكسر وسكون )، وإن اقترب اللفظان في بعض أجزاء معانيهما.

" فقد دخل المَثل ( بالفتحتين ) على المُشبه بينما يتعذر إدخال المثل ( بالكسر والسكون ) عليه، ودخل المَثَل ( بالتحريك ) على طرفي التشبيه والتمثيل، في حين يتعذر استخدام المِثل ( بالكسر والسكون ) مثل هذا الاستخدام ..... ولقد اقترن المَثَل ( بالتحريك ) [ في القرآن ] بالضرب وما يشتق منه... ولم يقترن المِثل ( بالكسر والسكون ) بشيء مما اشتق من الضرب" (٦).

---

(١) عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ص١٩
(٢) سورة هود، الآية:٢٤
(٣) سورة البقرة، الآية:٢٦١

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧

(٥) انظر: عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ص١٩ـ ٢٣

(٦) محمد الفياض، الأمثال في القرآن:١٤٦ـ ١٤٧

**٢ـ المثل بمعنى المِثال و النموذج:**

كثر ورود هذا المعنى للمثل ( بفتحتين ) في الاستعمال القرآني، فالله تعالى يضرب للمؤمنين أمثالا لنماذج مؤمنة صابرة ليقوى إيمانهم، كما يضرب للكفارين أمثالا ونماذج لكفار هلكوا قبلهم لينذرهم ويحذرهم.

ويندرج تحت هذا المعنى ـ المَثَـل بمعنى المِثال والنموذج ـ الأمثال القصصية، والأمثال المضروبة للحجاج والبرهان، فمن النوع الأول ـ الأمثال القصصية ـ :

ما ضُرب مثلا للذين كفروا بامرأة نوح وامرأة لوط، قال تعالى: ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ (١)

وما ضُرب مثلا للذين آمنوا، بامرأة فرعون قال تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾ (٢)

ومن النوع الثاني ما جاء في الشواهد القرآنية على استعمال المثل بمعنى النموذج الذي يقاس عليه في ( الحجاج والقياس) (٣) مِثل قوله تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٤)

وما جاء أيضا على " استعمال المثل بمعنى النموذج الذي يقاس عليه من سنن الله في خلقه قوله تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (٥) " (٦)

فالمثل في القرآن يُراد منه " ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع، أو عمل من الأعمال... ثم يأتي القياس المستند إلى مبدأ شمول الأحكام للمتماثلات.... فينتج أحكاما عامة تشمل سائر الأفراد المماثلة لما جاء في المثل. وضمن هذا الإطلاق نستطيع أن نفهم المراد من قول الله تعالى: ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ (٧) وقولـــــه تعالى: ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ﴾ (٨) فهذا التعميم الموجود في الآيات إنما ينطبق على ذكر النماذج لكل نوع ليقاس عليها سائر الأفراد المشابهة" (٩).

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠
(٢) سورة التحريم، الآية: ١١
(٣) عبد الجربوع الأمثال القرآنية: جـ١، ص: ٨٠ ـ ٨١ و عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ص٣٠
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٩
(٥) سورة البقرة الآية ٢١٤
(٦) عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ص٣٠ ـ٣١
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٨٩
(٨) سورة الزمر، الآية:٢٧
(٩) عبد الرحمن الميداني، امثال القرآن: ٢٤.

### ٣ـ المثل بمعنى الوصف ( الصفة ) :

تطلق كلمة مثل في القرآن ويراد منها وصف الشيء(١) وتقريب صورته بتمثيله بعبارات كلامية موحية تجسد المجرد الذهني وتوضحه، وقد فُسر المثل في آيات كثيرة بمعنى الوصف فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عُقبى الذين اتقوا وعُقبى الكافرين النار ﴾ (٢) يقول الطبري في تفسيرها: " صفة الجنة التي وعد المتقون " (٣).

و قوله تعالى: ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة﴾(٤)قال الشوكاني (٥) : " والإشارة بقوله ﴿ ذلك﴾ إلى ما تقدم من الصفات الجليلة...﴿ مثلهم في التوراة ﴾ أي وصفهم الذي وُصفوا به في التوراة" (٦).

وبتفسير كلمة ( مَثَل ) بمعنى الصفة " ينحل الإشكال الذي ألجأ العلماء إلى تأويل اجتماع أداتي تشبيه هما: ( الكاف )، و( مَثَل )" (٧) ـ لمن اعتبر المثل ( بفتحتين ) أداة تشبيه ـ كما في قوله تعالى: ﴿ فمثله كمثل الكلب ﴾ (٨) و قوله تعالى: ﴿ كمثل الذي استوقد نارا﴾(٩)وقوله تعالى: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت ﴾ (١٠) فيكون المعنى في الآية الأولى ( وصفهم كوصف الكلب ) وفي الآية الثانية ( وصفهم كوصف المستوقد ) وفي الآية الثالثة ( وصفهم كوصف العنكبوت ).

إذن هناك تداخل كبير بين معنى المثل ( بفتحتين ) ومعنى الوصف، فكلاهما يهدف إلى بيان وتوضيح المشبه، أو الممثل له، ويظهر هذا التداخل ـ بين معنى الوصف والمثل ـ جليا في بعض آيات القرآن كقوله تعالى: يخاطب رسوله محمد (ﷺ): ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ (١١) قال الطبري في تفسيرها: " يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك كيف مثلوا لك الأمثال وشبهوا لك الأشباه بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون"(١٢) وإنما سمى الله تعالى تلك الأوصاف التي وصفوا بها النبي (ﷺ) أمثالا " باعتبار أنهم مثلوه في أنفسهم، ثم وصفه كل منهم بما يوافق ما مثله به" (١٣).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: (مادة: مثل )

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٥

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩

(٤) جامع البيان:جـ٢٦، ص : ٤٩

(٥) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ( ت: ١٢٥٠هـ ) مفسر وفقيه وقاض باليمن ، من مؤلفاته: فتح القدير، إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر، والنشر في فوائد سورة العصر. ( مقدمة المحقق لتفسير فتح القدير: ١٢ـ ٣٣)

(٦) فتح القدير: جـ ٥، ص:٥٦

(٧) عبد الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ١ ،ص: ٥٥

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦

(٩) سورة البقرة، الآية: ١٧

(١٠) سورة العنكبوت، الآية: ٤١

(١١) سورة الإسراء، الآية:٤٨

(١٢) جامع البيان: جـ٨، ص:٨٨

(١٣) عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: ٥٩

وقد حدد البلخيّ (١) معاني ودلالات كلمة مثل في الاستعمال القرآني بأربعة وجوه نوجزها فنقول:

١. " الوجه الأول: مَثَل ( بفتحتين ) يعني شبها؛ كقوله: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ﴾ (٢)يعني الأشباه... وقوله تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا﴾ (٣)يعني وصف شبيها وقال: ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾ (٤)يعني شبههم.
٢. الوجه الثاني: مثل ( بفتحتين) يعني السير، كقوله: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ (٥)يعني سير مؤمني الأمم السابقة.
٣. الوجه الثالث: مثل يعني العبرة، كقوله تعالى: ﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ (٦)أي عبرة لمن بعدهم، وقوله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ﴾ (٧)يعني عبرة لبني إسرائيل. وقد يقصد بالمثل هنا ( الآية ) كما أشار إلى ذلك الطريحي "أي ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه حيث جعلناه آية، بأن خلقناه من غير سبب، كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة" (٨)
٤. الوجه الرابع: مثل يعني عذابا، كقوله تعالى : ﴿ وكلا ضربنا له الأمثال ﴾ (٩)وقوله تعالى يخاطب كفار مكة: ﴿ وضربنا لكم الأمثال ﴾ (١٠)يعني وصفنا لكم العذاب يعني عذاب الأمم الخالية." (١١).

والبلخي بإيراده المثل بمعنى العذاب يقصد عاقبة الأمر وليس المعنى المباشر لكلمة ( مثل )، فكلمة ( مثل ) قد يراد بها في هذه الآية الأشباه والنظائر، أو نماذج الأمم السابقة والعبرة بهم، وكنتيجة لكفرهم لكل هذه الأمثال كان العذاب للمشركين.

وقد ذهب الزمخشري، والرازي، والبيضاوي (١٢)والنيسابوري (١٣)والزركشي (١٤) إلى أن لفظ ( مَثَل ) في القرآن ليس مقصورا على هذه المعاني السابقة، وإنما هو لفظ مستعار

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن (٠٠٠-١٥٠هـ = ٠٠٠-٧٦٧م) من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصره، ودخل بغداد فحدث بها. توفي بالبصره. من كتبه (التفسير الكبير-خ) جزء منه، و (نوادر التفسير) و (الرد على القدريه) و (متشابه القرآن). الزركلي، الأعلام: جـ ٧، ص: ٢١٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣

(٣) سورة النحل:٧٥، سورة الزمر: ٢٩، سورة التحريم: ١٠

(٤) سورة الفتح: ٢٩

(٥) سورة البقرة، ٢١٤

(٦) سورة الزخرف: ٥٦

(٧) سورة الزخرف: ٥٩

(٨) الطريحي، مجمع البحرين: جـ٥/٤٦٩

(٩) سورة الفرقان: ٣٩

(١٠) سورة ابراهيم، الآية: ٤٥

(١١) انظر : الأشباه والنظائر: جـ١/ ٢٠٧-٢٠٨

(١٢) عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي ( ٠٠٠-٦٨٥هـ = ٠٠٠-١٢٨٦م) قاض، مفسر، علامه. ولد في المدينة البيضاء(بفارس- قرب شيراز) رحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل- ط) يعرف بتفسير البيضاوي، و (منهاج الوصل إلى علم الأصول- ط).الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ١١٠.

(١٣) عبدالله بن محمد بن أحمد الحسيني النيسابوري، جمال الدين، وينعت بالشريف (٧٠٦-٧٧٦هـ = ١٣٠٦-١٣٧٤م) عالم بالعربية وأصول الفقه ، حنفي. له (شرح المنار) في الأصول، و (شرح التسهيل) في النحو، و (شرح الشافيه-خ) في التصريف، و (شرح التلخيص) في البلاغة. الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ١٢٦.

(١٤) محمد بن بهادُر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله، بدر الدين ( ٧٤٥-٧٩٤هـ = ١٣٤٤-١٣٩٢م) عالم بفقه الشافعيه والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيره في عدة فنون، منها (الاجابه لإيراد ما استدركته عائشه على الصحابه- ط) و (لقطة العجلان- ط) في أصول الفقه، و (البرهان في علوم القرآن).الزركلي، الأعلام: جـ٦، ص: ٦٠.

لها ولغيرها، فالمثل مستعار للحال، أو الصفة، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة: " أما استعارته للحال، فكقوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾ (١) أي حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا، وأما استعارته للوصف، فكقوله تعالى: ﴿ مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ﴾ (٢) ..... وأما استعارته للقصة، فكقوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ (٣) أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبها" (٤).

وقد فرق الزركشي بين الوصف والحال، فالوصف" يُشعر ذكره بالأمور الثابتة الذاتية أو ما قاربها من جهة اللزوم للشيء وعدم الانفكاك عنه، وأما الحال فيطلق على ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتي له ولا لازم، فتغايرا. وإن أطلق أحدهما على الآخر فليس ذلك إطلاقا حقيقيا"(٥).

وقد يكون سبب هذا التوجه الاستعاري لدى المفسرين أنهم كانوا يفسرون كلمة ( مثل ) في سياق بعض آيات الأمثال ببعض دلالاتها، أو ببعض معانيها، ثم يفسرون في سياق آية أخرى ببعضها الآخر.
والمثل في الاستعمال القرآن قد استعير لكل معنى، أو وصف، أو قصة لم يُتعارف عليها من ذي قبل لغرابتها وندرتها، ولذلك قُرّبت المعاني، وجُسدت ماثلة أمام أعين مستمعيها، فتداولوها استئناسا بروعتها.

ولهذا فأمثال القرآن " لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، فهي ليست أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها كما في الأمثال المعروفة عند الناس وإنما ابتُدع المثل القرآني ابتداعا دون حذو احتذاه، وبلا مورد سبقه، فهو تعبير جديد ابتكره القرآن حتى عاد صيغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة" (٦) وكما قال الألوسي(٧): " وتفسيره [ المثل ] بالقول السائر الممثل مضربه بمورده، تردُّ عليه أمثال القرآن لأن الله تعالى ابتدأها، وليس لها مورد من قبل..... " (٨) كما أنه من الصعب الربط بينها وبين المعنى الاصطلاحي للمثل عند علماء البيان، فغالبية أمثال القرآن ليست استعارة تصريحية، ولم تفش، أو تنتشر على ألسن الناس كمضارب في مواقف معيّنة.

* * * * *

---

(١) سورة البقرة: ١٧
(٢) سورة الفتح:٢٩
(٣) سورة الرعد، ٣٥
(٤) الزركشي، البرهان: ١/ ٥٧٤
(٥) المرجع السابق
(٦) عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي: ٧٢
(٧) محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء(١٢١٧-١٢٧٠هـ = ١٨٠٢-١٨٥٤م) مفسر،محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. من كتبه (روح المعاني-ط) في التفسير، تسع مجلدات كبيرة، و (نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول-ط) .ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات. الزركلي، الأعلام للزركلي = جـ٧، ص: ١٧٦
(٨) روح المعاني: جـ ١٦٣/١

## ضرب المثل:

وردت غالبية أمثال القرآن مسبوقة بفعل الضرب، فما معنى ( الضرب )؟ وما علاقته بالمثل؟ وما سبب اقترانه بأمثال القرآن؟

ذكرت معاجم اللغة معاني عدة للفعل ( ضرب ) منها ما هو حقيقي ومنها ما هو مجازي أو استعاري، يقول ابن فارس: " الضاد والراء والباء أصل واحد، ثم يستعار ويحمل عليه" (١) فمادة ضرب معناها الأصلي هو إيقاع شيء على شيء " من ذلك ضربت ضربا، إذا أوقعت بغيرك ضربا..... ويستعار منه ويشبه به الضرب في الأرض تجارة وغيرها من السفر..... ويقولون إن الإسراع في السير أيضا ضربا..... والضّرب: الصيغة. يقال هذا من ضَربِ فلان أي صيغته؛ لأنه إذا صاغ شيئا فقد ضربه. والضّريب: المِثل..... ويقال للسجيّة والطبيعة الضريبة، كأن الإنسان قد ضرب عليها ضربا وصيغ صيغة.. .. ويقال للصّنف من الشيء الضّرْب، كأنه ضُرب على مثال ما سواه من ذلك الشيء..... ويقال أضرب فلان عن الأمر، إذا كفّ، وهو من الكفّ، كأنه أراد التبسط فيه ثم أضرب، أي أوقع بنفسه ضربا فكفها عما أرادت"(٢)

وأضاف ابن منظور بعض المعاني الاستعارية الأخرى التي استعمل فيها الضرب فقال: " الضارب المتحرك، والموج يضطرب أي يضرب بعضه بعضا..... ويقال فلان ضريب فلان أي نظيره، وضَريب الشيء مثله وشكله. ومعنى قوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا ﴾ (٣) ، أي اذكر لهم ومثّل لهم. ويقال: عندي من هذا الضرب شيء كثير أي من هذا المثال. وهذه أشياء على ضرب واحد أي على مثال..... والضّرب: الصفة. والضّرب: الصنف من الأشياء. وضرب الله مثلا أي وصف وبيّن، وقولهم: ضَرَبَ له المثل بكذا، إنما معناه بين له ضربا من

---

(١) مقاييس اللغة: مادة ( ض ر ب )
(٢) المرجع السابق.
(٣) سورة ياسين: ١٣

الأمثال أي صِنفا منها. وقد تكرر في الحديث ضَرب الأمثال، وهو اعتبار الشيء بغيره وتمثيله به" (١) ومن هذا يلاحظ التداخل والتمازج بين المعاني اللغوية ( للمثل ) والمعاني اللغوية ( للضرب ) ولعل هذا التداخل يرجع إلى كثرة ورودهما مقترنين مع بعضهما البعض.

وذكر الطريحي(٢) للضرب معاني عدة تدور حول معنى الصنف المِثل والشكل والوصف والبيان منها " والضرب: الصنف من الشيء. وضرب أي شيء: مثل أي شيء. وما أقل ضربك في دهرنا: أي مثلك. ولا كثر الله في المؤمنين ضربك: أي مثلك..... وضرب الشيء: مثله وشكله. والضرباء: الأمثال..... ﴿ وضرب لكم مثلا من أنفسكم ﴾ (٣) بمعنى أخذ لكم مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهو أنفسكم.... ﴿ وضرب لنا مثلا ﴾ (٤) أي وصف وبيّن، كذا نظائرهما.....)" (٥).

ومن خلال ما ذكرمن معاني الضرب في كتب اللغة يتبين ما يأتي:

١ـ المعنى الأصلي للضرب هو: إيقاع شيء على شيء.
٢ـ المعاني الأخرى التي استخدم فيها الضرب وهي أكثر من اثني عشر معنى كلها معان مجازية.
٣ـ أن الأصفهاني حاول أن يرد المعاني المجازية إلى أصلها الحقيقي وذلك بذكر التفاسير المختلفة للضرب مقرونا بما يناسبه (٦).
٤ـ أن الزمخشري قد عد الضرب مقترنا بالمثل من قبيل المجاز (٧).
٥ـ أن المعاني المستعملة لمادة ( ض ر ب ) سواء أكانت متقاربة أم متباعدة قد روعي فيها التقارب الدلالي والإيقاعي الحسي أو المعنوي.
٦ـ أن التداخل والتمازج يظهر واضحا بين المعاني اللغوية ( للمثل) والمعاني اللغوية( للضرب) وهذا التداخل راجع في طبيعته إلى كثرة ورودهما مقترنين في معظم الأحوال.

أما ضرب المثل في القرآن الكريم فقد حصره البلخي في ثلاثة معان هي الوصف والذكر والبيان، يقول:".....ضرب يعني: الوصف، ضرب مثلا يعني وصف مثلا

---

(١) لسان العرب: مادة ( ضرب )
(٢) فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الرمّاحي النجفي(٩٧٩-١٠٨٥هـ = ١٥٧١-١٦٧٤م) من علماء الإماميه. له (مجمع البحرين ومطلع النيرين- ط) في تفسير غريب القرآن والحديث، توفي في الرمّاحية ونقل إلى النجف. الزركلي، الأعلام : جـ ٥، ص: ١٣٨.
(٣) سورة الروم: ٢٨
(٤) سورة ياسين: ٧٨
(٥) مجمع البحرين: فصل الباء باب ما أوله ضاد جـ٢ص:١٠٤- ١٠٦
(٦) انظر المفردات : مادة ( ض ر ب )
(٧) انظر أساس البلاغة: ٤٤٣

فذلك قوله في النحل: ﴿ وضرب الله مثلا﴾ بمعنى وصف الله شبها ﴿ رجلين أحدهما أبكم ﴾ (١) وقال أيضا: ﴿ لا تضربوا لله الأمثال ﴾ (٢)يعني لا تصفوا لله الأشباه ﴿ وضرب الله مثلا قرية ﴾(٣) يعني وصف شبها. وضرب يعني: وصف، ومن ذكره، قال في البقرة: ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة﴾ (٤)يعني أن يصف فيذكر، وقال في إبراهيم: ﴿ ضرب الله مثلا ﴾(٥) يقول وصف الله مثلا، وقال في الزخرف: ﴿ ولما ضُرب ابن مريم مثلا﴾(٦)يقول، لما ذكر، وقال في الحشر: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ (٧)يعني نصفها فنذكرها. وضرب يعني: وصف وهو البيان، قال في إبراهيم: ﴿ وضربنا لكم الأمثال ﴾ (٨)يعني وصفنا لكم وبينا، وقال في الفرقان:﴿ وكلا ضربنا له الأمثال ﴾ (٩)يعني بينا ووصفنا، وقال تعالى في العنكبوت: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ (١٠)يعني نصفها فنبينها " (١١)

وقد فسر الزمخشري ضرب المثل في قوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا أصحب القرية ﴾ (١٣)بقوله" ومَثَل لهم مثلا، من قولهم: عندي من هذا الضرب كذا: أي من هذا المِثال وهذه الأشياء على ضرب واحد: أي على مثال واحد، والمعنى واضرب لهم مثلا، مثل أصحاب القرية، أي أذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية....." (١٤)

أما الرازي فيقول في تفسير علاقة الضرب بالمثل: " المسألة الأولى ما معنى قول القائل ضرب مثلا؟ وقوله تعالى ( واضرب ) مع أن الضرب في اللغة إما مساس جسم جسما بعنف، وإما السير إذا قرن به حرف ( في ) كقوله تعالى: ﴿ وإذا ضربتم في الأرض ﴾ (١٥) نقـــول: قو له ( ضُرب مثلا ) معناه مثل مثلا، وذلك لأن الضرب اســـم لنوع، يُقال هذه أشياء من ضَرب واحد، أي اجعل هذا وذاك من ضرب واحد" (١٦)

---

(١) سورة النحل: ٧٦
(٢) سورة النحل: ٧٤
(٣) سورة النحل: ١١٢
(٤) سورة البقرة: ٢٦
(٥) سورة إبراهيم: ٧٥
(٦) سورة الزخرف: ٥٧
(٧) سورة الحشر: ٢١
(٨) سورة إبراهيم: ٤٥
(٩) سورة الفرقان: ٣٩
(١٠) سورة العنكبوت: ٤٣
(١١) البلخي، الأشباه والنظائر في القرآن: ٢٢٧- ٢٢٨
(١٢) الكشاف: جـ ١/ ص: ١٤٢
(١٣) سورة ياسين: ١٣
(١٤) الكشاف : جـ٤، ص: ١٠
(١٥) سورة النساء: ١٠١
(١٦) التفسير الكبير: جـ ١٣، ص: ٤٥

وقد فُسر ضرب المثل بمعنى السيرورة يقول العسكري: " وضرب المثل جعله يسير في البلاد من قولك: ضرب في الأرض إذا سار فيها، ومنه سمي المضارب مضاربا" (١)وهذا المعنى مرتبط بأصل لغوي لمادة ( ض ر ب ) وهو الإسراع في السير لغرض الاتجار ولهذا يُعرّف المبرد المثل بأنه " قول سائر....." (٢)فالمثل أداة صالحة للسير والانتشار بين الناس، وقد جمع محمد الفياض معاني صيغة ( ضرب ) في كتب التفسير يقول: " ففي كتب التفسير وحدها بل في قسم منها ما يزيد على عشرة معان هي: التبيين، التمثيل، الجعل، الوصف، الوضع الاعتمال، الاتخاذ، الإيراد" (٣)

" وإذا كان المعنى اللغوي للضرب في الأصل حسي، وهو إيقاع شيء على شيء، ففي ضرب الأمثال إيقاع معنوي يُستعمل فيها الضرب بمعنى إيقاع حالة مورده وأصله على حالة مضربه الجديدة "(٣).

وهذا التفسير لمعنى الضرب يتناسب مع الأمثال السائرة المشبه مضربها بموردها، أو تلك المبنية على الاستعارة التمثيلية، أما الأمثال القائمة على التشبيه أو التي ذُكر فيها طرفا التشبيه كما جاء في الأمثال القرآنية فلا يمكن أن يُفسر فيها الضرب بهذا المعنى اللغوي ولا بمعنى السيرورة في الأرض والانتشار فكثير من الأمثال لم تُتداول، وأمثال القرآن كذلك قلما تُضرب ويُتمثل بها بين الناس لقوله تعالى: ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٤)كما أنها ليس لها مورد لأن الله ابتدأها، وبهذا لا يوجد فيها وقع مادي ولا معنوي بالمعنى السابق للإيقاع.

وأقرب معنى لغوي يناسب الضرب المقترن بأمثال القرآن هو الضرب بمعنى ( الصيغة ) يقول الجوهري:" والضرب: الصيغة" (٥)ويقول ابن فارس" والضّرب: الصيغة. يقال هذا من ضَربِ فلان، أي صيغته؛ لأنه إذا صاغ شيئا فقد ضربه" (٦)ويقول الأصفهاني: " وضرب المثل من ضرب الدراهم، وهو ذكر شيء يظهر أثره في غيره". (٧)

وربما يكون السبب الذي من أجله اقترن ( الضرب ) بالأمثال، هو جودة صياغتها، وكونها مسبوكة بأسلوب متقن موجز لا سبيل إلى التغيير أو الزيادة عليه، ولذلك فالأمثال لا تغير كسكة الدراهم التي تكون ثابتة لا تُغير رغم كثرة تداول الناس لها، وقد استعير لفظ الضرب لأمثال القرآن؛ لأن الناس تعارفوا على هذه اللفظة مرتبطة بالأمثال. يقول محمد الفياض: " وقد بدا لي أن عدم تغير الأمثال يمكن أن يكون هو الذي حدابهم إلى إطلاق الضرب على صياغتها، إذ من المعروف أن الأمثال وحدها المنصوص على حكايتها أو عدم تغيرها ، فكأنهم أنزلوها منزلة السجايا والطباع وخصوها بما خصوا به هذه، لصياغتها وعدم تغيرها عما صيغت عليه، وهم كانوا قد أطلقوا لفظ الضرب والضريبة، على الطبع والطبيعة ... وفي مقاييس اللغة: يُقال للسجية والطبيعة: ضريبة، كأن الإنسان قد ضرب عليها ضربا، وصيغ صياغة" (٨)

---

(١) جمهرة الأمثال: المقدمة
(٢) انظر: الميداني، مجمع الأمثال:المقدمة
(٣) الأمثال في القرآن: ٦٧
(٣) انظر المرجع السابق: ٧٣ـ ٧٥ نقلا عن أمين الخولي، محاضرات ألقاها على الطلبة.
(٤) سورة العنكبوت:٤٣
(٥) الصحاح: مادة ( ض ر ب )
(٦) مقاييس اللغة مادة:( ض ر ب )
(٧) المفردات: مادة ( ض ر ب ).
(٨) الأمثال في القرآن: ٧٥

وأمثال القرآن نماذج لتقريب الفكرة تعرض ما هو عقلي في صورة محسوسة ماثلة أمام السامع كأنها قوالب تصاغ فيها المعقولات في صورة حسية لتقريب الفهم، وبهذا تكون كقوالب الصياغة التي تنتج قطعا متشابهة كتشابه المعقولات بما تجسده عناصر المثل، وهذا المعنى لضرب الأمثال يقترب من الضرب اللغوي بمعنى ضرب الدراهم.

وقد تكون هناك علاقة بين الضرب والإيقاع الناجم عنه الذي يقرع الآذان فيهيج الانفعال في أعماق النفس، يقول الأمام محمد عبده(١) : " واختير لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به أذن السامع قرعا ينفذ أثره إلى قلبه وينتهي إلى أعماق نفسه" (٢)

ورغم تعدد المعاني اللغوية لكلمة ( ضرب )، وتداخلها بالمعاني اللغوية ( للمثل ) كالضرب بمعنى الوصف والتمثيل والمثال، يبقى للضرب المرتبط بالأمثال القرآنية خصوصية تميزه مـّما سواه من الضروب، فهو إضافة لقدرته على استيعاب المعاني السابقة كلها كالضرب بمعنى التثبيت والاعتماد والذكر والوصف والبيان والتمثيل، والوضع والانتزاع تبقى خصوصيته متمثلة بالضرب بمعنى حسن الصياغة وروعتها.

ولاقتران ( الضرب ) بأمثال القرآن أهمية كبيرة، فهو يضفي شكلا وأسلوبا بيانيا على المثل، ويوفر مناخا نفسيا للمتلقي تتهيأ به نفسه و ذهنه للوصول إلى غاية المثل " فالمناخ النفسي المتلبث، وجو الفكر المترصّد، يتهيآن بمجرد تلقي الضرب، نتيجة لهذه الصيغة في البيان، فكأنها أضافت شيئا جديدا على المثل "(٣) وبهذا تزداد قدرة المتلقي على الفهم، واستيعاب أغراض المثل، وقد عبر محمد البلاغي(٤) عن هذه الفكرة بقوله: " ولا يخفى أن في ضرب المثل فوائد كبيرة في التلقين لا تحصل بدونه" (٥) وبهذا يكون ( الضرب ) وسيلة تنقل السامع إلى أجواء المثل ليعيش فيها ويستخلص العبرة والفكرة منها، كما أن استعمال القرآن الكريم لصيغة ( الضرب ) التي تعارف عليها العرب في أمثالهم يُحيل إلى قضية إعجازه البياني، فرغم أنه خاطب العرب بأسلوب ما يعرفون ويتقنون من فنون القول والبيان العربي، والذي عُرفوا به وبرعوا فيه إلا أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله.



---

(١) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني (١٢٦٦-١٣٢٣هـ = ١٨٤٩-١٩٠٥م) مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر. تصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، أصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) له ( تفسير القرآن الكريم، المسممى تفسير المنار) لم يتمه وقد أتمه محمد رشيد رضا، و (رسالة التوحيد-ط) و (شرح نهج البلاغة-ط). الزركلي، الأعلام : جـ٦، ص: ٢٥٢.

(٢) تفسير المنار: جـ١/ ٢٣٦

(٣) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٩٣

(٤) محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس البلاغي النجفي الربعي(١٢٨٢- ١٣٥٢هـ = ١٨٦٤-١٩٣٣م) باحث إمامي. من علماء النجف في (العراق) من ( آل البلاغي) وهم أسرة نجفية كبيرة. له تصانيف، منها (الهدى إلى دين المصطفى-ط) ، و ( أنوار الهدى في إبطال بعض شبه الملحدين-ط) و (نصائح الهدى-ط) في الرد على البابية، و (آلاء الرحمن في تفسير القرآن-ط). وكان يجيد الفارسية، ويحسن الإنجليزية. وله مشاركة في حركة العراق الاستقلالية، وثورة عام ١٩٢٠م. الزركلي، الأعلام: جـ ٦، ص: ٧٤

(٥) آلاء الرحمن: جـ ٧٨/١

## أقسام المثل القرآني:

يُعَدّ الزركشي من أوائل من قسم الأمثال القرآنية إلى ظاهرة وكامنة يقول:" المثل القرآني قسمان: ظاهر وهو المصرح به، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه، وحكمه حكم الأمثال "(١).
وتبعه السيوطي في هذا التقسيم يقول:" أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرح به وكامن لا ذكر للمثل فيه" (٢) وأضاف إليهما نوعا ثالثا هو المثل المرسل.

وهذا التقسيم الذي ورد عند كل من الزركشي والسيوطي فيه بعض الإجمال الذي يحتاج إلى تفصيل وتحديد أكثر من ذلك فنقول:

## الأمثال القرآنية قسمان:

*ـ الأمثال القياسية المقصودة، وهي نوعان:

١. الأمثال القياسية الصريحة أو الظاهرة.
٢. الأمثال القياسية الكامنة.

* ـ الأمثال القرآنية غير المقصودة وهي نوعان أيضا:

١. الأمثال الكامنة غير المقصودة.
٢. الأمثال المرسلة غير المقصودة.

## الأمثال القياسية المقصودة

هذا القسم من الأمثال القرآنية يشمل نوعين:

**النوع الأول: المثل القياسي الصريح أو الظاهر في القرآن الكريم.**

وهو " ذلك السرد الوصفي أو القصصي، الذي يُقصد به توضيح معنىً ما عن طريق التشبيه والتمثيل، وهو ما يسميه علماء البلاغة ( التشبيه المركب ) أو( التمثيل )" (٣) .

ومن أمثلة السرد الوصفي قوله تعالى: ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم ﴾ (٤).
ومن أمثلة السرد القصصي قوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث، فقالوا إنا إليكم مرسلون... ....﴾ (٥).

---

(١) البرهان: جـ١/ ٥٧١.
(٢) الإتقان:جـ ٢/ ٢٥٥ـ٢٥٦
(٣) عبد المجيد قطامش، الامثال العربية: ١٣٥
(٤) سورة النور:٣٥
(٥) سورة يس: ١٣ـ ٢٨

وقد اختلف العلماء في تحديد آيات المثل الصريح في القرآن، فالزركشي يرى أن المثل الظاهر هو ما صرح القرآن الكريم بمثليته، وذلك بنصه على ذكر لفظ ( مثل ) صراحة في آية المثل ذاته، أما من أتوا بعده فقد اتسع عندهم مصطلح المثل الظاهر، أو ما اصطلحوا على تسميته بالمثل القياسي ليشمل آيات التمثيل التي ذكر فيها لفظ ( مثل ) صراحة وآيات التمثيل التي لا ذكر للفظ ( المثل ) فيها، ولكنها تحمل معاني قريبة من معاني الأمثال الظاهرة، أو القياسية فهي تُعد أمثالا بالقياس على آيات الأمثال الظاهرة، وممن نهج هذا النهج عبد المجيد عابدين(١) ومحمد الفياض (٢) و عبد المجيد قطامش (٣) و عبد الله الجربوع (٤).

وقد نص الفياض على هذا المنهج صراحة في كتابه يقول: " الأمثال الظاهرة أو المقصودة ينبغي أن لا تقتصر على ما صرح القرآن بمثليته، وإنما ينبغي أن تشمل الأمثال التي جاءت مشابهة لها، والتي لا تختلف عنها في غير افتقارها للفظ المثل..... " (٥)

**وهذا النوع من الأمثال القياسية يأتي على ضربين في القرآن الكريم:**

الضرب الأول:الأمثال التشبيهية والتمثيلية.

الضرب الثاني: الأمثال القصصية، أو الأنموذجية.

يقول أنيس المقدسي : "... وأمثال القرآن قسمان: قسم على سبيل التشبيه الظاهر، كقوله في سورة البقرة في المنافقين ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا.....﴾ (٦) .....ويجيء التمثيل الظاهر في القرآن على سبيل القصص.... " (٧)

---

(١) الأمثال في النثر العربي: ١٦٠

(٢) الأمثال في القرآن: ٢٢٦

(٣) الأمثال العربية: ١٣٥

(٤) الأمثال القرآنية:٩٥

(٥) الأمثال في القرآن: ٢٢٦

(٦) سورة البقرة:١٧

(٧) تطور الأساليب النثرية: ٥٨-٦٠

ويقول عبد الله الجربوع يقول: " والقياس في الأمثال يكون بطريقتين:

الطريقة الأولى هي : التشبيه ـ كقوله تعالى: ﴿ فمثله كمثل الكلب... ﴾ (١)وهذا النوع يقوم فيه المتكلم بإجراء القياس بتشبيه الفرع بالأصل وبيان وجه المشابهة، وغالبا ما يوجد فيه أداة من أدوات التشبيه.

الطريقة الثانية هي: إبراز النموذج ـ الذي يراد أن يُحتذى به ـ والشاهد والحجة، ليقاس عليها ويعمم حكمها لكل من تحقق فيه وصفها، كقوله تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ (٢)وهذا النوع من الأمثال يبرز فيه الأنموذج أو الشاهد أو الحجة أو القصة، ويترك للسامع تدبرها وإجراء القياس بإلحاق النظير بالحكم، أو الوصف العام المدلول عليه بالمثل وغالبا ما يرد لفظ (ضرب) في أمثلة هذا النوع، نحو: ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون﴾ (٣) ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾ (٤) " (٥) .

" وأمثال التشبيه والتمثيل هي عبارة عن وصف بياني يعتمد على التصوير التمثيلي ويتصل بالقياس التمثيلي، ويأتي مفصلا، ومطولا نسبيا، كما أنه يعتمد على ما ألفه الناس من حولهم من عناصر الطبيعة ليحقق غرض التمثيل من كشف المعاني وإدناء المتخيل من المشاهد، وتقرير الحقائق وترسيخ دعائمها في النفوس. " (٦)

وأمثال هذا النوع لا تقتصر على التشبيه التمثيلي، فقد تأتي " تشبيها بسيطا بغرض المقارنة والموازنة" (٧) كقوله تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ (٨) ، وقوله تعالى : ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون﴾ (٩) .

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٦
(٢) سورة التحريم: ١١
(٣) سورة الزمر: ٢٩
(٤) سورة يس: ١٣
(٥) عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: ٩٤/١
(٦) انظر: محمود السيد، التعبير اللغوي: ١٢٣ ـ ١٢٦
(٧) انظر: محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ٢٢٧
(٨) سورة آل عمران: ٥٩
(٩) سورة هود: ٢٤.

أما الأمثال القصصية فهي أمثال قياسية بأسلوب قصصي، وهي " عروض تمثيلية بأسلوب قصصي، ترد مبدوءة بلفظ ( المثل ) تنبيها على كون المضمون القصصي يحوي بين ثناياه أخبارا عجيبة ووقائع مثيرة ينبغي على القارئ أن يقف على بديع أسرارها ويستنبط جوهر أغراضها" (١) كقوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب..... ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون..... ﴾ (٣).

والأمثال القصصية وإن تضمنت أحداثا ووقائع وشخوصا فإن غرضها لا يعدو موضع العبرة لذلك لا يرد فيها ذكر الأسماء والزمان والمكان..... الخ، يقول محمد عبده: " القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار، لا لبيان التاريخ، ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين.... فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة، ولا تتجاوز مواطن الهداية " (٤).

" وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه لا يشترط في القصص القرآني أن تكون قصصا تاريخية وقعت أحداثها فعلا وبالكيفية التي رُويت بها، مادامت رويت لأجل العظة والاعتبار، وهذه هي الأمثال القصصية التمثيلية التي تروي أحداثا لم تقع ولكنها قابلة للحدوث في الحياة الإنسانية فهي تحمل صفة الواقعية وإمكانية الحدوث في أحداثها وإن لم تقع هي أصلا في الواقع ، وهي تُروى وتتسلسل بأسلوب منطقي يربط السبب بنتيجته، ويعرض الحدث ليقاس عليه أمثاله. "(٥)

ومن أمثلة هذا ما ذكره الزمخشري في معرض حديثه عن قوله تعالى: ﴿ ضرب الله مثلا

---

(١) محمود السيد، التعبير اللغوي: ٣٨٩

(٢) سورة الكهف: ٣٢

(٣) سورة يس: ١٣

(٤) تفسير المنار: جـ١، ص: ٣٩٩.

(٥) انظر محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ٢٣٠

قرية كانت آمنة..... ﴾ (١): "..... فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة، أو أن تكون من قرى الأولين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلا لمكة، إنذارا بمثل عاقبتها..... " (٢). وقال الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين.... ﴾ (٣): "... والمراد بالرجلين: إما رجلان مقدران على ما قيل، وضرب المثل لا يقتضي وجودهما، وهو المعول عليه " (٤).

و يمكن النظر إلى الأمثال القرآنية القصصية المصرحة من حيث الوقوع والإمكان من زاويتين تمثل كل منهما نوعا خاصا:

" النوع الأول: أنها تضرب بصور وقع لها مثل وأمثال ونظائر، والله سبحانه وتعالى ينبه إلى هذه الحال التي وقعت ليعتبر الناس بذلك ومن أمثلتها: ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين... ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها... ﴾ (٦).

النوع الثاني: أمثال ضربت بصورة ممكنة الوقوع متخيلة في الأذهان، وإن لم يقع لها نظير في العالم المرئي لنا، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم. . . ﴾ (٧) فالمشبه به صورة ممكنة الوقوع متخيلة لأنها لم تقع حقيقة بل هي في دائرة الإمكان، وقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها. . . ﴾ (٨) ففي العالم المرئي لنا لا نرى جنة موصوفة بهذا الوصف، وهو دوام أكلها وظلها، ولكننا من الممكن أن نتخيل وجودها بكل يسر وسهولة، وهذا النوع من الأمثال يحتوي

---

(١) سورة النحل: ١١٢

(٢) تفسير الكشاف: ٢/ ٢١٩

(٣) سورة الكهف: ٣٢

(٤) روح المعاني: ١٥/ ٢٧٣

(٥) سورة يس: ١٣- ١٤

(٦) سورة النحل: ١١٢

(٧) سورة البقرة: ١٧

(٨) سورة الرعد: ٣٥

على التخيل العام الذي يقود النفوس ببيانه وبديع معانيه إلى القبول والانقياد ولهذا فهو يعد من المصدقات والمسلمات التي تلقى القبول في العقول والنفوس."(١)

**النوع الثاني: المثل القياسي الكامن في القرآن الكريم.**

" هو ما لم يصرح فيه بلفظ ( المثل)، ولكنه أخذ صفة التمثيل واستوعب معناه، وحوى أبرز أغراض المثل القرآني، وتأصلت فيه القيم المثلى والمعاني الكلية، ويمتاز بالإيجاز ما خلا الأمثال الكامنة الغالب عليها الطابع القصصي" (٢) ، فهو يُعد من الأمثال القرآنية قياسا على الأمثال الظاهرة لتبلور القياس التمثيلي في مضمونه وإن لم يصرح فيه بلفظ التمثيل.

**وهذا النوع يحتوي على ضربين من الأمثال القرآنية:**

الضرب الأول - أمثال التشبيه والتمثيل والموازنة التي لم يصرح فيها بلفظ ( مثل) :

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ (٣) ، وقوله تعالى: ﴿ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ﴾ (٤) ، وقوله: ﴿ يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه إن الله تواب رحيم ﴾ (٥) ، وقوله تعالى: ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما

---

(١) انظر: منصور العبدلي، الأمثال في القرآن: ٥٠ - ٥٢

(٢) محمود السيد، التعبير اللغوي: ٤٤٧

(٣) سورة النور ٣٩

(٤) سورة الملك: ٢٢

(٥) سورة الحجرات: ١٢

دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (١) ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ﴾ (٢).

الضرب الثاني - الأمثال القصصية الكامنة: وهي أمثال قصصية لم يصرح فيها بلفظ المثل ولكنها تبلور فيها القياس التمثيلي، وهناك تقارب كبير بينها وبين الأمثال القصصية الظاهرة، من حيث العرض والمضمون والهدف، وما يتخللها من صور بيانية تمثيلية، مثال ذلك قصة إبراهيم الخليل مع النمروذ(٣)، قال تعالى: ﴿ ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ (٥).

ومما يمكن أن يستدل به على مثلية هذه الآيات التمثيلية - التي لم يصرح فيها بلفظ ( مثل ) - وعلى كمون معناها ما " أخرجه البخاري (٦)، عن ابن عباس، قال: قال عمر بن الخطاب يوما لأصحاب النبي ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت: ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب. تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ (٧) ؟ قالوا:الله أعلم. فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء، فقال: يا بـــن

---

(١) سورة الرعد: ١٤
(٢) سورة الأعراف: ٥٨
(٣) النمروذ بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة، وهو الذي حاج إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم .... ﴾ ( سورة البقرة: ٢٥٨) . ( القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: م:٢، ص: ٢١٦)
(٤) سورة البقرة: ٢٥٨
(٥) سورة نفسها: ٢٥٩
(٦) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ( ١٩٤هـ / ٨١٠م - ٢٥٦هـ / ٨٧٠م) حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ( ﷺ)، ولد في بخارى. صاحب ( الجامع الصحيح - ط ) المعروف بصحيح البخاري، و( التاريخ - ط ) أجزاء منه، و( الأدب المفرد ). الزركلي، الأعلام: جـ٦، ص: ٢٥٨
(٧) سورة البقرة: ٢٢٦

أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غني عمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله (١).

## الأمثال القرآنية غير المقصودة

هذا القسم من الأمثال القرآنية يشمل نوعين:

### النوع الأول: الأمثال الكامنة غير المقصودة

وهي الأمثال التي " لم يصرح القرآن بمثليتها " (٢) - أي لم يذكر فيه لفظ (مثل ) -" ولم تجر في اللغة جريان المثل الموجز، وإنما عُدت أمثلا لاشتمالها على معانٍ قريبة الشبه بمعاني أمثال عربية سائرة، فهي أمثال بمعناها لا بلفظها، ومن هنا سميت أمثالا كامنة" (٣).

والمثل الكامن غير المقصود يستنبطه الناس " بذائقتهم البلاغية، وحدسهم الفني " (٤) وبهذا تكون الأمثال الكامنة هي الأمثال التي استخرجها الناس من القرآن بحسب المفهوم الاصطلاحي للمثل الشائع عندهم، لا بالمفهوم القرآني للمثل.

وقد أورد السيوطي محاورة ذكرها الماوردي (٥) نقلا عن الحسين بن الفضل فيها مقابلة بين أمثال الناس، وما ورد في معانيها من كتاب تعالى، " قال الماوردي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم(٦) يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل(٧) فقلت: إنك تُخرج أمثال العرب والعجم من القرآن؛ فهل تجد في كتاب الله: ( خير الأمور أوساطها) (٨) ؟ قال : نعم، في أربعة مواضع: قوله تعالى : ﴿لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴾ (٩) ، وقوله تعالى: ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ (١٠) ، وقوله تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ (١١) ، وقوله تعالى: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك قواما﴾ (١٢). قلت: فهل تجد في كتاب الله: ﴿ من

---

(١) السيوطي،الإتقان: جـ٢/ ٢٥٦
(٢) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ٢١٢
(٣) انظر: عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: ١٤٧
(٤) محمد الصغير، الصورة الفنية: ١٣٢
(٥) علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي (٣٦٤-٤٥٠هـ = ٩٧٤-١٠٥٨م) أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. من كتبه (أدب الدنيا والدين- ط) و ( الأحكام السلطانية- ط) و (النكت والعيون-خ) ثلاث مجلدات، و (الأمثال والحكم-خ). الزركلي الأعلام: جـ ٤، ص:٣٢٧.
(٦) إبراهيم بن مضارب: لم أجده
(٧) الحسين بن الفضل بن عُمير البجلي(١٧٨-٢٨٢هـ = ٧٩٤-٨٩٥م) مفسر معمر، كان رأسا في معاني القرآن. أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، وأنزله واليها عبدالله بن طاهر، في دار اشتراها له (سنة٢١٧) فأقام فيها يعلم الناس٦٥سنة. الزركلي، الأعلام = جـ٢، ص:٢٥١
(٨) الميداني، مجمع الأمثال ٣١٣/١.
(٩) سورة البقرة ٦٨
(١٠) سورة الفرقان: ٦٧
(١١) سورة الإسراء: ٢٩
(١٢) سورة الإسراء: ١١٠

جهـل شيئا عاداه ﴾؟ قال: نعم ، في موضعين: ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ (١) ، ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ (٢).

قلت: فهل تجد في كتاب الله: ( احذر شر من أحسنت إليه )؟ قال: نعم: ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ (٣).....الخ" (٤) .

وقد عد السيوطي هذه المقارنة من قبيل الأمثال الكامنة من غير أن يُطلق الماوردي والحسين بن الفضل عليها هذه التسمية، فلم يقل أحد من قبله بكمونها ولذلك فهذه " العبارات القرآنية لا تدخل في باب الأمثال، فإن مجرد اشتمال العبارة على معنى ورد في مثل من الأمثال لا يكفي لإطلاق لفظ المثل على تلك العبارة، فالصيغة الموروثة ركن أساسي في المثل" (٥) وبهذا تكون الأمثال الكامنة هي أمثال لم يصرح القرآن بمثليتها ولهذا فهي ليست أمثلا قرآنية مقصودة وإنما أدخلت في أمثال القرآن وعُدت منها لأن مضمونها دل على معنى يُشبه مثلا من أمثال العرب المعروفة، كما أنها ليست أمثالا بالمفهوم الاصطلاحي للمثل، فالآيات التي قابل الحسين بن فضل بينها وبين أمثال الناس لا مورد لها ولا حادثة معينة ضُربت فيها، و لا شاعت واشتهرت على ألسنة الناس.

ولعل الثعالبي هو أقدم من أشار إليها في كتابيه ( خاص الخاص، والتمثيل والمحاضرة ) فكان يذكر فيهما أمثال العرب والعجم والخاصة والعامة ثم يورد ما جاء في معانيها من ألفاظ القرآن الكريم مما هو أبلغ منها وأجل للتمثّل به .

---

(١) سورة يونس:٣٩

(٢) سورة الأحقاف: ١١

(٣) سورة التوبة: ٧٤

(٤) الإتقان: جـ٢/٢٥٦

(٥) عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي: ١٣٦

وتبعه في هذا القيرواني(١) حيث أورد فصلا تحت عنوان ( أمثال العرب والعجم وما يماثلها من كتاب الله مما هو أجل منها وأعلى ) (٢) قارن فيه بين أمثال العرب والعجم وما يماثلها من كتاب الله تعالى " بهدف إظهار ما في كتاب الله تعالى من قيم وحكم " (٣) وإعجاز وجودة نظم وتأليف وقد بدأها بقول الإمام علي ﷺ : ( القتل أنفى للقتل) وفي القرآن ما يقاربها معنى في قوله تعالـــــى: ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ﴾ (٤).

كما تعرض لهذه الفكرة العسكري عندما تكلم عن بلاغة إيجاز القصر في المثل القرآني فقارن بين قول العرب: ( القتل أنفي للقتل ) وقوله تعالى: ﴿ ولكم في القصاص حياة﴾ فقال: " ويتبين فضل هذا الكلام إذا قرنته بما جاء عن العرب في معناه، وهو قولـــهم: ( القتل أنفى للقتل ) فصار لفظ القرآن فوق هذا القول، لزيادته عليه في الفائدة، وهو إبانة العدل لذكر القصاص، وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة، واستدعاء الرغبة والرهبة لحكم الله به، وإيجازه في العبارة فإن الذي هو نظير قولهم ( القتل أنفى للقتل ) إنما هو ﴿ القصاص حياة ﴾ وهذا أقل حروفا من ذاك، ولبعده من الكلفة بالتكرير، وهو قولهم: ( القتل أنفى للقتل ) ولفظ القرآن بريء من ذلك، وبحسن التأليف وشدة التلاؤم المدرك بالحس، لأن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة" (٥).

ولعل الذي أغراهم على البحث عن أمثالهم في القرآن قوله تعالى: ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ (٦) " ومهما يكن من شيء فإن المثل الكامن في القرآن ليس مثلا قرآنيا، بالمفهوم القرآني للمثل، ما دام القرآن لم يصرح بمثليته وليس في الأمثال التي صرح بمثليتها ما يمكن قياسه عليها" . (٧)ولهذا عد من الأمثال القرآنية الكامنة وغير المقصودة.

---

(١) إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري (٠٠٠-٤٥٣هـ = ٠٠٠-١٠٦١م) أديب نقاد. من أهل القيروان. نسبته إلى عمل الحصر له كتاب(زهر الآداب وثمر الألباب- ط) ومختصرة (نور الطرف ونور الظرف-خ). الزركلي، الأعلام = جـ١، ص: ٥٠ .

(٢) زهر الآداب: جـ١،ص:١١٥

(٣) محمد الصغير ، الصورة الفنية: ١٢٢

(٤) سورة البقرة: ١٧٩

(٥) كتاب الصناعتين:١٩٥، وانظر: المثل السائر ٣٢٠، وبديع القرآن: ١٩٧

(٦) سورة الإسراء: ٨

(٧) محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ٢١٢

**النوع الثاني: الأمثال القرآنية المرسلة غير المقصودة، أو الجارية مجرى المثل**

وهي ما سمي " بالحكم الجارية مجرى الأمثال " (١)، والأمثال القرآنية المرسلة هي تلك الآيات القرآنية التي تتضمن بعض القيم الدينية أو الأخلاقية المركّزة، والتي يتمثل بها الناس، في حياتهم اليومية، لما فيها من حكمة وإجمال. وقد أُدخلت هذه الآيات القرآنية ضمن أمثال القرآن لأن الحكمة إذا سارت بين الناس لصدقها وإيجازها صارت مثلا، ومن ثم جاز أن تُعد هذه الآيات الكريمة أو أجزاء الآيات - " التي تشتمل على بعض مسائل الدين أو مبادئ الأخلاق الكريمة بصورة مركزة أمثالا - لأن الناس تداولوها في شئونهم المختلفة في حياتهم اليومية، وهذه الآيات أو أجزاءها لم تكتسب صفة المثلية عند أول نزولها، ولكنها إنما اكتسبتها بعد أن سارت على الألسنة والأقلام في زمن متأخر" (٢).

" وقد تنبه الأدباء إلى فكرة إجراء بعض العبارات القرآنية مجرى الأمثال في الكلام العادي واستخدامها في التحاور والتخاطب ..... [ وعدوها ] نوعا من أنواع البلاغة وفنا من فنون البيان، فقاموا يلتقطون من أفواه الفصحاء والبلغاء ما يجري على ألسنتهم مجرى الأمثال من آيات القرآن الكريم وعباراته ويسجلونه في كتبهم" (٣) .

وقد أورد السيوطي أن " جعفر بن شمس الخلافة(٤) قد عقد في كتاب الآداب بابا في ألفاظ من القرآن، جارية مجرى المثل، وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل، وأورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ (٥)، ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾(٦) ﴿ لكل نبإ مستقر﴾ (٧). ﴿ الآن حصحص الحق ﴾ (٨). ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ (٩). ﴿ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ (١٠). ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ (١١) ﴿ كل

---

(١) توفيق بن عمر، حكم من القرآن: ١٥

(٢) عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية:١٣١

(٣) انظر: توفيق بن عمر، حكم من القرآن: ص٢٥

(٤) جعفر بن محمد (شمس الخلافة)، ابن مختار الأفضلي، أبو الفضل، الملقب مجد الملك (٥٤٣-٦٢٢هـ = ١١٤٨-١٢٢٥م) شاعر، من أهل مصر، نسبته إلى الأفضل (أمير الجيوش بمصر). له ( الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة- ط) و (ديوان الشعر) . الزركلي، الأعلام : جـ٢، ص:١٢٨

(٥) سورة النجم: ٥٨

(٦) سورة آل عمران: ٩٢

(٧) سورة الأنعام: ٦٧

(٨) سورة يوسف: ٥١

(٩) سورة البقرة: ٢١٦

(١٠) سورة فاطر: ٤٣

(١١) سورة الحشر: ١٤

حـــزب بما لديهم فرحون ) (١). ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (٢) . ﴿قل هل يستوي الخبيث والطيب﴾ (٣). ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (٤) " (٥)

وقد قسم توفيق بن عمر الحكم التي جرت مجرى الأمثال إلى نوعين:

" النوع الأول: جُمل مرسلة موجزة، تُعد من القواعد الكلية الجامعة، وضعت وضعا يفيد العموم في الاستعمال، أي: تستعمل في المعنى الأول نفسه الذي استعملت فيه. أمثلتها:

قوله تعالى: ﴿ وفوق كل ذي علم عليم﴾ (٦)تقال لمن يتباهى بعمله.

﴿ ومن يعمل سوءا يُجز به ﴾ (٧)تقال لمن يسيء إلى الآخرين فيُهدد بالجزاء والعقوبة.

﴿ لكل نبأٍ مستقر﴾ (٨)تقال في الخبر الذي لا يستقر على رواية.

﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ (٩) تقال لمن يريد أن ينفق من رديء ماله في سبيل الله.

النوع الثاني: جمل مخصوصة وردت في سياق خاص لا تفيد العموم في الاستعمال، ولكن يحسن استعمالها في معنى جديد غير المعنى الأصيل الذي وردت له، ولكنه يشبهه. ويُعد عند علماء العربية من أنواع البلاغة أمثلتها:

أن تقول لسائل أنهيت له جواب مسألته: ﴿ قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ (١٠)مع أن الأصل خطاب لاثنين لا لواحد.

أن تقول عن إخوة مسلمين ظاهرهم الاتفاق وباطنهم الاختلاف: ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ (١١) مع أن الآية في الأصل تصف اليهود.

---

(١) سورة الروم: ٣٢

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦

(٣) سورة المائدة: ١٠٠
(٤) سورة الحج: ٧٣
(٥) الإتقان: جـ٢/ ٢٥٧
(٦) سورة يوسف: ٧٦
(٧) سورة النساء ١٢٣
(٨) سورة الأنعام: ٧٦
(٩) سورة آل عمران:٩٢
(١٠) سورة يوسف: ٤١
(١١) سورة الحشر: ١٤

ومن ثم فالنوع الثاني يدخل في خانة التمثل بعبارات القرآن، وعلى هذا فثمة فرق آخر بين الأمثال القرآنية المقصودة وغير المقصودة، ففي الأول يستوفي القرآن أركان التشبيه، وفي التـمثل لا يكون التشبيه واردا في العبارة نفسها؛ إنما باستعمال المتكلم لها في موضوع آخر شبيه بالأصل، فيكون الموضوع الجديد مشبّها به، والحاصل من هذا التـمثـل هو ( الكناية ) في النوع الأول من الحكم التي جرت مجرى الأمثال، ( والاستعارة ) في النوع الثاني الذي لا يُقصد فيها معناها الحقيقي الأصلي." (١)

وهذه الألفاظ في حقيقة الأمر لا تعد من الأمثال " بالمفهوم القرآني للمثل "(٢) وإنما هي ألفاظ بها من القوة البلاغية ما يجعلها تسير مسرى المثل في الاستشهاد. وقد" اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن، وشيوعها في المسلمين، ولم تكن أمثالا في وقت نزوله". (٣)

ولو تأملنا هذه الأمثال غير المقصودة الكامن منها والمرسل لوجدنا أن بعضها أمثالا قرآنية موجزة سائرة، بألفاظها ومعانيها، وأن بعضها لا يمكن أن نعده أمثالا، " لأن مجرد اشتماله على معان قريبة الشبه بمعاني بعض الأمثال لا يكفي لإطلاق لفظ ( مثل ) عليها." (٤)

وخلاصة القول هو أن هذه الأمثال غير المقصودة لا تندرج تحت المثل القرآني، لأن المثل بالمفهوم القرآني له خصائصه المتمثلة في التمثيل المنتزع من متعدد، وتماسك البنية والرصف، فهو آية كاملة ليست مقتطعة ولا مبتورة، ولا يوجد لها مورد، وشرط السيرورة ليس مُشترطا فيها كما هو الحال في المثل الاصطلاحي.



(١) انظر: توفيق بن عمر، حكم من القرآن: ١٨
(٢) محمد الفياض، الأمثال القرآنية: ٢٣٨
(٣) عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي:١٣٦
(٤) انظر: عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: ١٣٥

## عدد الأمثال القرآنية:

اختلف الدارسون قديما وحديثا (١) في عدد الأمثال القياسية في القرآن، اختلافا يتراوح ما بين ثلاثين وسبعة وخمسين مثلا. ويمكن أن يكون هذا الاختلاف راجعا إلى واحد من هذه الأسباب الآتية :

١ـ أن بعض العلماء عد كل آية ورد فيها لفظ " مَثَـل " بالتحريك من الأمثال القرآنية القياسية، على الرغم من اتساع مدلول هذا اللفظ وتعدد استعمالاته في السياق الذي يرد فيه الأمر الذي يلزم الباحث بضرورة التأمل في المعنى السياقي للفظة حين يقوم بعملية الفرز والإحصاء للأمثال القرآنية.

فقد استعمل لفظ المثل في التشبيه المفرد البسيط، كقوله تعالى: ﴿ وحور عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ (٢) وقد ورد لمعان أخرى غير التشبيه كالصفة والحال والقصة، والعبرة والعظة كقوله تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ ولله المثل الأعلى في السموات والأرض ﴾ (٤) كما أن بعض الأمثال قد ورد في آيات ظاهر فيها التشبيه والتمثيل، وورد لفظ ( مَثَـل ) بالتحريك أيضا في آيات خفي فيها التشبيه والتمثيل كقوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ (٥).

٢ـ هناك آيات ورد فيها لفظ ( مثل ) بالتحريك ولكنها ليست أمثالا، وإنما هي آيات تحتوى على إشارات لأمثال ضربها الله لعباده، تنبيها على أهمية التفكر فيها، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (٦) أوآيات تشيد بضرورة الأمثال وأن الله لا يعذب أحدا قبل ورودها له كقوله تعالى: ﴿ وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ﴾(٧)، أو في سياق نهي عن ضرب الأمثال لله تعالى كقوله تعالى: ( فلا

---

(١) انظر ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين،جـ١/ ١٥٠، وعابدين، الأمثال في النثر العربي القديم،١٥٩، ومحمد الفياض، الأمثال في القرآن الكريم: ١٦٣، ومحمد الصغير الصورة الفنية في المثل القرآني،١٤٣

(٢) سورة الواقعة: ٢٢، ٢٣

(٣) سورة البقرة:٢١٤

(٤) سورة الروم : ٢٧

(٥) سورة الرعد: ٣٥ و سورة محمد: ١٥

(٦) سورة الكهف: ٥٤

(٧) سورة الفرقان: ٣٩

تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (١) .

٣- إدراج كل آيات القصص في الأمثال القرآنية إما لأن آيات القصص القرآني كلها أمثال كامنة لأنها أمثال ذات أسلوب قصصي ممزوج بالتمثيل البلاغي. فقد اعتبر محمد السيد آيات القصص القرآني من الأمثال القرآنية الكامنة (٢) كقوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن ءاتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأت بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٣). وهو أيضا ما انتهى إليه محمد الفياض حين قال : " إن جميع القصص القرآني يمكن أن تعد أمثالا قصصية قرآنية، لأنها جميعا بين تاريخية، وتمثيلية، وقد قصد منها العظة والعبرة، فلا تكاد تختلف عما نص القرآن الكريم على مثليته من قصص ". (٤)

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، قال أنا يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه. قال كم لبثت. قال لبثت يوما أو بعض يوم. قال بل لبثت مائة عام. فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه. وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس. وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾(٥). قال محمد عبده " ويحتمل أن تكون القصة من قبيل التمثيل والله أعلم " (٦) .

---

(١) سورة النحل:٧٤

(٢) التعبير اللغوي: ٤٤٧

(٣) سورة البقرة: ٢٥٨

(٤) محمد الفياض، الأمثال في القرآن الكريم: ٢٣٦

(٥ ) سورة البقرة: ٢٥٩

(٦) تفسير المنار: جـ٣، ص: ٥٢

٤ـ كما أن هناك عقبات تعترض طريق من يرغب في إحصاء الأمثال القرآنية، في الآيات التي ورد فيها ذكر لفظ ( مثل ) صراحة ففي قوله تعالى: في وصف حال المؤمنين والكافرين ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾ (١) يحتار الباحث في عدد التمثيلات المذكور أيعدها أربعة أمثال، أم مثلين، أم يُجملها في مثل واحد.
وبعض الأمثال تناولت تمثيل المشبه والمشبه به، كقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم والأخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ (٢) " فليس من اليسير القطع إذا ما كانت الآية قد تضمنت مثلين للمان المؤذي بنفقته، هما المرائي والصفوان، أو أنها تضمنت مثلين ـ أيضا ـ: أحدهما تمثيل المان بالمرائي والآخر تمثيل المرائي ـ نفسه ـ بالصفوان، أو أنها كانت قد تضمنت مثلا واحدا، وذلك بإلغاء أو تعليق المرائي اكتفاء بما مثل به، لعود الضمير ـ في قوله تعالى: ( فمثله) ـ عليه، فكأن المانّ، أو المانّ والمرائي قد مثلا بالصفوان. فمثل هذه العقبات يمكن أن تعترض طريق من يرغب في إحصاء الأمثال القرآنية، والإشارة إلى عددها، في الآيات التي تضمنت لفظ المثل ـ بالتحريك ـ صراحة "(٣) .

٥ـ كما أن الصعوبة في تحديد الأمثال القرآنية قد تكمن في " أن هناك آيات تعد من الأمثال القرآنية، وإن لم يرد فيها ذكر لفظ " مثل " صراحة" (٤) ، كقوله تعالى: ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ (٥) فيغفل عنها الباحث، ويصعب عليه تحديد مواضعها ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ (٦) يقول ابن القيم :" وهذا من أحسن القياس التمثيلي، فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه" (٧) و قوله تعالى: ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ (٨) فقد

---

(١) سورة هود: ٢٤
(٢) سورة البقرة: ٢٦٤
(٣) محمد الفياض: الأمثال في القرآن الكريم: ١٩٥
(٤) عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية: ١٣٨
(٥) سورة الرعد:١٤
(٦) سورة الحجرات: ١٢
(٧) إعلام الموقعين:جـ:١، ص: ١٤٦
(٨) سورة النور: ٣٩ـ ٤٠

" ذكر سبحانه للكافرين مثلين: مثلا بالسراب ومثلا بالظلمات المتراكمة وذلك لأن المعرضين عن الهدى والحق نوعان أحدهما من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه، والنوع الثاني أصحاب مثل الظلمات المتراكمة وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال"(١) .

وجود هذه الأسباب والصعوبات هي التي جعلت الباحثين يميلون إلى " القول بأن دلالة المثل في القرآن غير واضحة. كما أنها جعلت القدماء يتهيبون من تحديد عدد معين للأمثال القرآنية " (٢) لما فيه من صعوبة الجزم والتقول على القرآن، فالمثل قد يرد في آيات لا ذكر للفظ ( مَثَل ) فيها، وقد يذكر في آيات لا تدخل في إطار الأمثال القرآنية لامن ناحية البنية ولا من ناحية المعنى.

ومع ذلك فإن ابن القيم باجتهاد منه حدها ببضعة وأربعين مثلا، وهو في جمعه لمادة المثل القرآني جمع الأمثال القياسية التي صُرح فيها بلفظ ( مثل ) والتي لم يصرح فيها بلفظ المثل وقد أورد شذرات ولفتات تدل على أن ما احتوته الأمثال القياسية الكامنة من معان قد ورد وألمحت له الأمثال القياسية المصرحة وعلى الرغم من ذلك فقد جمع بين الطائفتين. (٣)

وقد علق محقق كتاب الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزية أن أمثال القرآن الكريم ثلاثة وأربعون مثلا وذلك نقلا عن كتاب المدهش لأبي الفرج الجوزي(٤) وهي: في البقرة ﴿ كمثل الذي استوقد نارا.. أو كصيب من السماء ﴾ * ﴿ أن يضرب الله مثلا ما بعوضة ﴾* ﴿ ومثل الذين كفروا ﴾* ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله )* ﴿ أيود أحدكم ﴾* ﴿ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان﴾. وفي آل عمران: ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار﴾* ﴿ مثل ما ينفقون ﴾* ﴿ إن مثل عيسى عند الله﴾في الأنعام: ﴿ كالذي استهوته الشياطين﴾*﴿ كمن مثله في الظلمات ). وفي الأعراف: ﴿ فمثله كمثل الكلب). وفي يونس: ﴿إنما مثل الحيوة الدنيا﴾.وفي هود: ﴿ مثل الفريقين ﴾ . وفي الرعد: ﴿إلا كباسط كفيه إلى الماء﴾ * ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ﴾* ﴿ مثل الجنة﴾. وفي إبراهيم: ﴿ مثل الذين كفروا بربهم ﴾ * ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا ﴾ * ﴿ مثل كلمة خبيثة﴾. وفي النحل: ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا﴾ * ﴿ وضرب الله مثلا رجلين﴾ * ﴿ وضرب الله مثلا قرية﴾. وفي الكهف: ﴿ واضرب لهم مثلا رجلين ﴾* ﴿واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا﴾. وفي الحج: ﴿ فكأنما خر من السماء ﴾* ﴿ ضرب مثل ﴾ . وفي النور: ﴿ مثل نوره ﴾* ﴿ أعمالهم

---

(١) إعلام الموقعين: جـ١/ ١٥٥ ـ ١٥٧

(٢) انظر: محمد الفياض، الأمثال في القرآن: ١٩٦

(٣) المرجع السابق: جـ١/ ١٩٠

(٤) عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨-٥٩٧هـ = ١١١٤-١٢٠١م) علامة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار- ط) و (الأذكياء وأخبارهم- ط) و(مناقب عمر بن عبد العزيز- ط) و (روح الأرواح- ط) و ( زاد المسير في علم التفسير ) و (المدهش- ط) في المواعظ وغرائب الأخبار. الأعلام للزركلي = جـ٣، ص:٣١٦ .

كسراب بقيعة ﴾ . وفي العنكبوت: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت﴾. وفي الروم: ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم﴾. وفي يس: ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ﴾ *﴿ وضرب لنا مثلا﴾. وفي الزمر: ﴿ ضرب الله مثلا رجلا﴾. وفي سورة محمد: ﴿ نظر المغشي عليه من الموت﴾* ﴿ مثل الجنة ﴾ وفي الفتح: ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾. وفي الحديد: ﴿ كمثل غيث ﴾ * وفي الحشر: ﴿ كمثل الذين من قبلهم﴾ * ﴿ كمثل الشيطان﴾. وفي الجمعة: ﴿ مثل الذين حملوا التوراة﴾. وفي التحريم:﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا ﴾*﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا﴾. (١)

وقد أحصى عبد المجيد عابدين الأمثال القرآنية بثلاثين مثلا قصرها على المثل القياسي الظاهر المصرح به. الذي يظهر فيه التمثيل المركب بأركانه كلها كقوله تعالى: ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ (٢)فوجه الشبه منتزع من أمور ثلاثة" الأول: حمل فيه مشقة وعناء، الثاني: محمول مخصوص هو أسفار العلوم والثالث : حامل هو الحمار الذي هو مثل في الجهل والبلادة. ثم لا يمكن اعتبار كل واحد من هذه الثلاثة مستقلا عن الآخر لتكون تشبيها بعد تشبيه أي متعدد، لأن الغرض المتقدم لا يتحقق إلا بامتزاجهما مع بعض"(٣). وبهذا يكون قد أخرج التشبيه البسيط كقوله تعالى: ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾ (٥) وما ورد تشبيها في صورة سؤال مجمل كقوله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ (٦) .

وما ذهب إليه عبد المجيد عابدين في إحصائه لا يختلف مع عدد الأمثال القرآنية عند ابن القيم الجوزية ذلك لأن الخلاف بينهما في المنهج لا في تحديد آي المثل القرآني، فابن القيم حين حصر عدد الأمثال القرآنية ببضعة وأربعين كان قد جمع الأمثال الظاهرة والكامنة التي لم يرد فيها لفظ مثل صراحة في حين قصرها عابدين على الأمثال القياسية الظاهرة التي ورد فيها لفظ المثل صراحة .

---

(١) مقدمة المحقق سعيد الخطيب لكتاب ابن قيم الجوزية ،الأمثال في القرآن الكريم:٥٧-٥٨.
(٢) سورة الجمعة: ٥
(٣) الأمثال في النثر العربي : ص١٥٩ــ ١٦٠
(٤) سورة الواقعة: ٢٢، ٢٣
(٥) سورة هود:٢٤
(٦) سورة الحجرات :١٢

وقد أنكر محمد الفياض على عبد المجيد عابدين إدخاله للمثل الوارد في قوله تعالى:﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (١) على أنه تمثيل مركب، في الوقت الذي استبعد من أمثاله قوله تعالى: ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا. أفلا تذكرون﴾ (٢) على اعتبار أنه تشبيه مفرد بسيط.

ومحمد الفياض حصر الأمثال القرآنية فكان عددها أربعة وأربعين مثلا مستبعدا منها الآيات التي تشير إلى ضرب المثل في القرآن وفضله، والأمثال التي ضربها الكافرون وعدها القرآن أمثالا في معرض حديثه عنها، وعلى الرغم من تحرزه في إحصائه للأمثال القرآنية فإنه أدخل بعض الآيات التي لا دخل لها في بنية المثل القرآني كقوله تعالى: ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾(٣) كما أنه في إحصائه خلط بين الأمثال الظاهرة والكامنة .

أما السبحاني (٤) فقد عدها سبعة وخمسين مثلا جمع فيها الأمثال القرآنية الظاهرة والكامنة والآيات التي ورد فيها لفظ مثل - بالتحريك - في سياق استفهام، أو في سياق إشارة لأمثال سبق ذكرها وبيان فضل التفكر فيها(٥)، وبهذا يكون قد أدخل في جمعه للأمثال آيات كثيرة لا تدخل في معنى المثل القرآني وبنيته من ذلك قوله تعالى: ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين. فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ (٦) ، وقوله: ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ (٧).



---

(١) سورة آل عمران:٥٩

(٢) سورة هود: ٢٤

(٣) سورة البقرة: ٢١٤

(٤) جعفر السبحاني: باحث معاصر، من النجف، مهتم بعلوم القرآن.

(٥) الأمثال في القرآن الكريم: ٤٤- ٥٣

(٦) سورة الزخرف: ٥٥-٥٦

(٧) سورة إبراهيم: ٤٥

## منهج جمع الأمثال القرآنية وترتيبها:

اتبعتُ في جمع الأمثال القرآنية المنهج الآتي:

١. جمعتُ الأمثال التي ورد فيها لفظ ( مَثَـلْ ) - بالفتح - بشرط اشتمالها على قياس أوتمثيل، وبهذا بلغ عدد الأمثال التي أحصيتها ستـة وثلاثيـن مثلا قرآنيا ظاهرا.

٢. استبعدت الآيات التي ورد فيها لفظ ( مَثَـلْ ) - بفتحتين - بمعنى الصفة أو الحال فقط من دون تمثيل، كقوله تعالى: ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴾ (١) ، وقوله تعالى: ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ (٢) وقوله: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ (٣) .

والآيات التي ورد فيها لفظ ( مَثَـلْ ) - بفتحتين - في سياق الإشادة بالأمثال القرآنية والامتنان بضربها للناس، كقوله تعالى: ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾(٤)، أو الآيات التي ورد فيها لفظ ( مثل ) إشارة إلى الأمثال القرآنية التي سبق ضربها في القرآن والتي تُبين أن الله لا يعذب أحدا قبل ورودها عليه كقوله تعالى: ﴿ وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا﴾ (٥) وقوله: ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿ وأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ﴾ (٧).

---

(١) سورة النحل: ٦٠

(٢) سورة الأعراف: ١٧٧

(٣) سورة الروم : ٢٧

(٤) سورة الكهف: ٥٤

(٥) سورة الفرقان: ٣٩

(٦) سورة إبراهيم: ٤٥

(٧) سورة الزخرف: ٨

٣. اخترت من القصص القرآني، ما بُدئ بلفظ ( مثل ) - بفتحتين - أو بـ ( ضرب مثل ) كقوله تعالى : ( وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً..... ) (١) ، وقوله تعالى : ( وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ.... ) (٢) .

وقد استعنت على ذلك بفهرس القرآن الكريم، ورتبت الآيات المكية بحسب تسلسلها في القرآن والآيات المدنية كذلك، وبتفسير ( فتح القدير ) و ( الجامع لأحكام القرآن الكريم ) إذ هما يحددان الآيات المكية والمدنية في فاتحة تفسيرهما لكل سورة، وبهذا عرفت إن كانت آيات الأمثال في السورة المدنية مثلا مكية أو مدنية.

٤. في أغلب الأمثال جعلت المثل مرتبطا بالسورة، من حيث كونها مكية أو مدنية، وذلك لكونه جزءا منها، إلا إذا كان قد استثني من حكم السورة بعض الآيات فيها.

٥. رتبتُ أمثال السورة الواحدة بحسب ورودها في السورة نفسها.

---

(١) سورة الكهف: ٣٢- ٤٤

(٢) سورة يس: ١٣- ٣٠

اختلف العلماء في كون سورة الحج من السور المكية أو المدنية " فذهب ابن عباس إلى أنها مكية سوى ثلاث آيات ﴿ هذان خصمان .....﴾ (١) إلى تمام الآيات الثلاث فإنها نزلت بالمدينة..... وأخرج ابن مردويه(٢) عن ابن عباس... وأنها مدنية..... وقيل: إنها مكية إلا ﴿هذان خصمان . .﴾ الآيات. وقيل : إلا عشر آيات. وقيل: مدنية إلا أربع آيات: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ﴾ إلى ﴿ عقيم ﴾ (٣) ..... وقيل كلها مدنية ..... وقيل : هي مختلطة، فيها مدني ومكي، وهو قول الجمهور، انتهى " (٤) .

ورغم اختلافهم في مكان نزولها فإنني جعلتها ضمن السور المدنية تبعا لما جاء في فهارس المصاحف. وأدرجت قوله تعالى:﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (٥) ضمن الآيات المكية لوجود خصائص الآيات المكية فيها رغم كثرة الأسانيد التي تدل على مدنيتها.



---

(١) سورة الحج: ١٩-٢١

(٢) ابن مردويه: (٣٢٣-٤١٠هـ = ٩٣٥-١٠١٩م) أحمد بن موسى الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له ابن مردوية الكبير: حافظ مؤرخ مفسر، من أهل اصبهان، له كتاب (التاريخ) وكتاب في (تفسير القرآن) . الأعلام للزركلي = الجزء الأول، صفحة ٢٦١

(٣) السورة الحج: ٢٥- ٥٥

(٤) الإتقان: جـ ١/ ٢٦

(٥) سورة الحج: ٧٣

آيات المثل القرآني:

١. ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة البقرة : ١٧-١٨/ مدنية)

٢. ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة البقرة : ١٩-٢٠/ مدنية)

٣. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ أن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ، الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة البقرة : ٢٦-٢٧/ مدنية)

٤. ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة : ١٧١/ مدنية)

٥. ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة البقرة : ٢٦١/ مدنية)

٦. ﴿ يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ

فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة : ٢٦٤/ مدنية)

٧. ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة البقرة : ٢٦٥/ مدنية)

٨. ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة آل عمران: ٥٩/ مدنية)

٩. ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١١٧/ مدنية)

١٠. ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام :١٢٢/ مكية)

١١. ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٥- ١٧٦/ مكية)

١٢. ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة يونس: ٢٤/ مكية)

١٣. ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة هود: ٢٤/ مكية)

١٤. ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (سورة الرعد: ٣٥/ مدنية)

١٥. ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ (سورة إبراهيم: ١٨/ مكية)

١٦. ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٤- ٢٥ / مكية)

١٧. ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٦ / مكية)

١٨. ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة النحل: ٧٥/ مكية)

١٩. ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة النحل: ٧٦/ مكية)

٢٠. ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (سورة النحل: ١١٢/ مكية)

٢١. ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً، وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـذِهِ أَبَداً، وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً، لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً، وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً، فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً، وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً، وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً، هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾ (سورة الكهف: ٣٢-٤٤/ مكية)

٢٢. ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾ (سورة الكهف: ٤٥/ مكية)

٢٣. ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (سورة الحج: ٧٣/ مدنية)

٢٤. ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٣٥/مدنية)

٢٥. ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت:٤١ /مكية)

٢٦. ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الروم:٢٨ /مكية)

٢٧. ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ، إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ، قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَـنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ، قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ، وَمَا عَلَيْنَآ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ، قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالُواْ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ، وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ، وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونَ، إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ، إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ، قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ، وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ، إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ، يحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة يس: ١٣-٣٠ /مكية)

٢٨. ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (سورة يس: ٧٨ / مكية)

٢٩. ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: ٢٩ /مكية)

٣٠. ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ (سورة محمد: ١٥/ مدنية )

٣١. ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (سورة الفتح: ٢٩ / مدنية)

٣٢. ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة الحديد: ٢٠/مدنية)

٣٣. ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الحشر: ١٥-١٦/ مدنية)

٣٤. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الحشر: ٢١/ مدنية)

٣٥. ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الجمعة: ٥/ مدنية)

٣٦. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (سورة التحريم: ١٠/مدنية)

٣٧. ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَت فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَمَرْيَمَ ابْنَت عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (سورة التحريم: ١١-١٢/مدنية)

٣٨. ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(سورة المدثر: ٣١/ مكية ).

## موضوعات الأمثال القرآنية:

يعتني القرآن الكريم بالنفس البشرية في جميع جوانبها، فلا يهتم بجانب دون آخر، لأنه منهاج شامل لجميع الشئون العقدية والعبادية والتشريعية والأخلاقية.

" والأمثال القرآنية جزء من القرآن الكريم ولهذا فهي لا تقتصر على جانب واحد من الجوانب التي عالجها القرآن الكريم، ونظمها..... وإنما تتناول جوانب العقيدة والعبادة والتشريع والأخلاق بنسب تتفاوت بين تلك الجوانب، حسب تقدير الله تعالى" (١).

والأمثال القرآنية تقوم على أساس التصور العقدي وتتصل كلها بالإيمان بالله تعالى وحده وتنزيهه سبحانه والإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته، لذلك كانت موضوعاتها مترابطة متمازجة يكمل بعضها بعضا. ومع وجود هذا الترابط والتمازج فإن القدماء كالترمذي، وابن القيم الجوزية وغيرهما لم يحددوا الموضوعات التي تندرج تحتها الأمثال القرآنية، ذلك لأنهم كانوا متأثرين بمنهج المفسرين، فكانوا يذكرون موضوع كل مثل عند الحديث عنه، ثم يقومون بشرحه و تفسيره، ولم يهتموا بالتبويب ولا بالتصنيف الموضوعي للأمثال، فتجمعت لديهم موضوعات للأمثال القرآنية تتفق وعدد الأمثال القرآنية التي أحصوها .

أما الباحثون المحدَثون فقد حاولوا تصنيف الأمثال القرآنية على حسب موضوعاتها، وقد بذل أمين الخولي جهدا مشكورا في تصنيف الأمثال، والربط بينها بحسب ما تناولته من موضوعات. فأشار إلى الأمثال التي تناولت:
الحياة الدنيا، والعمل الطيب وعكسه، وصفات الله، والمؤمنين والكافرين وأحوالهم، واليهود وعدم انتفاعهم بالتوراة، والمنافقين، وتمثيل الجنة. (٢)

أما عبد المجيد عابدين فقد قسم الأمثال إلى طائفتين:
" الأولى تناولت السلوك الإنساني إزاء رسالة الله، والثانية تناولت ملكوت الله" (٣).

---

(١) عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن: ١٥٧

(٢) أمين الخولي، محاضرات في الأمثال في القرآن الكريم ـ مخطوط، نقلا عن محمد الفياض، الأمثال في القرآن الكريم ص: ٢٤٧

(٣) الأمثال في النثر العربي :١٦٢

وقد اعترض عليه محمد الفياض بأن لفظة ملكوت غامضة وليست دقيقة، ثم إن السلوك الإنساني جزء من ملكوت الله الذي يدبر الله أمره، كما أن أمثال القرآن عالجت موضوعات يصعب نسبتها إلى أي من هذين القسمين( الملكوت والسلوك الإنساني) " فمن أمثال القرآن ما تناولت المقارنة والموازنة بين الله جل شأنه والأصنام التي عبدها الجاهلون من دونه تعالى، فقال تعالى: ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ (١) ". (٢)

ولهذا فإنه قسم الأمثال القرآنية تقسيما تندرج تحته أبرز الأمثال القرآنية " من وحدانية الله، وبطلان الشرك، وضعف الشركاء وعجزهم، وقصور نظر المشركين، وسخف معتقداتهم، والمنافقين والكافرين، والكتابيين، والمؤمنين، والحق الذي جاء به القرآن وهدايته، وأباطيل المبطلين، والمقارنة بين المهتدين والضالين، والحياة الدنيا ومتعها والآخرة وما فيها من جنان ونيران، والمسئولية الفردية، وأن الإنسان مجزي بعمله لا ينتفع بإيمان غيره مع كفره، ولا يتضرر بكفر غيره عند إيمانه، والحث على الإنفاق، وما ينبغي أن يكون عليه، وما يبطل ثوابه." (٣)

وقد بذل محمد الصغير جهدا مشكورا في تصنيف الأمثال حسب موضوعات متجانسة يكمل بعضها بعضا فقسمها إلى مجالات: (٤)

الأول: الإنسان وقضايا الكفر والإيمان كقوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا...﴾ (٥)

---

(١) سورة الروم: ٢٨

(٢) الأمثال في القرآن :٢٤٤

(٣) المرجع السابق: ٢٥٨.

(٤) الصورة الفنية : ٢٨٩ وما بعدها

(٥) سورة البقرة: ١٧-١٨

وقوله : ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا...﴾ (١) .

الثاني: الحياة الدنيا كقوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا.. ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء. .....﴾ (٣).

الثالث: البر والإنفاق كقوله تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ..... ﴾ (٤) .

الرابع: قصص الغابرين كقوله تعالى: ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ...﴾ (٥) قوله: ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا .....﴾ (٦).

الخامس: القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل .....﴾ (٧) .

السادس: العالم الآخر كقوله تعالى: ﴿ مثل الجنة .....﴾ (٨)وقوله: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار .... ﴾ (٩) . وقد استفدت من تقسيمه هذا لموضوعات الأمثال.

أما الشريف العبدلي فقد قسم الأمثال القرآنية إلى قسمين:

القسم الأول: أمثال تتعلق بالهدي الحق ومنهجه وأهدافه في الدنيا والآخرة.

القسم الثاني: أمثال تتعلق بالصوارف عن الهدي الحق.

ويبدو أن عدم الاتفاق على تقسيم موضوعي موحّد للأمثال القرآنية يعود إلى:

- أن موضوعات الأمثال - رغم تعددها - كلها مترابطة يكمل بعضها بعضا، فموضوعات العقيدة ترتبط بموضوعات العبادة، ويمتزج التأصيل الأخلاقي بالبناء التشريعي وتترابط قضايا العقيدة بالأخلاق والتشريع بالعبادة في وحدة منتظمة متناسقة. والبنية التركيبية

---

(١) سورة النحل : ٧٥

(٢) سورة الكهف: ٤٥

(٣) سورة يونس: ٢٤

(٤) سورة البقرة: ٢٦١

(٥ ) سورة يس: ١٣ــ٣٠

(٦) سورة الأعراف١٧٥- ١٧٧

(٧) سورة الحشر: ٢١،

(٨) سورة محمد:١٥

( ٩) سورة المدثر: ٣١

للمثل القرآني وإن اختلفت صياغة ونظما فإن هدفها الأساسي هو" تثبيت القناعة العقلية البرهانية لدى المؤمنين، وحثهم على الاستجابة وحملهم على الطاعة والعمل، وتفنيد مزاعم المشركين، وإبطال دعواهم، وإلزامهم بالحجة والبرهان، وتوضيح الحق ورفع منارته ودحض الباطل، وكشف شبهاته" (١).

- كما أن التمثيلات التصويرية في الأمثال القرآنية ترتبط بالموضوعات العقدية و القصصية، فتشكل بنية متماسكة معنويا يكمل بعضها بعضا، ويتمم المعنى الأول منها المعنى التالي له.



---

(١) عبد المجيد البيانوني، ضرب الأمثال في القرآن: ص: ١٥٨

## الأمثال القرآنية حسب موضوعاتها:

### ـ قسمت الأمثال القرآنية على حسب موضوعاتها على النحو الآتي:

**الموضوع الأول: قضية العقيدة**
**الناس أمام قضية العقيدة في القرآن ثلاثة أصناف من الناس:**
**أ ـ المؤمنون:**

**قال تعالى:**
**﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (١)

**﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾** (٢)

**ب : الكافرون.**
**قال تعالى:**
**﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾** (٣)

**﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾** (٤)

**﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾** (٥)

**﴿ يأيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾** (٦)

**﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾**(٧)

---

(١) سورة النور: ٣٥
(٢) سورة الفتح: ٢٩
(٣) سورة البقرة: ٢٦
(٤) سورة البقرة: ١٧١
(٥) سورة إبراهيم: ١٨
(٦) سورة الحج: ٧٣
(٧) سورة العنكبوت: ٤١

﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢)

جـ : المنافقون.

قال تعالى:
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (٣)

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٤)

د: الموازنة بين المؤمنين وغيرهم:

﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٥)

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦)

﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾ (٧)

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (٨)

﴿ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٩)

---

(١) سورة الروم:٢٨
(٢) سورة الجمعة: ٥
(٣) سورة البقرة: ١٧-١٨
(٤) سورة البقرة:١٩- ٢٠
(٥) سورة الأنعام: ١٢٢
(٦) سورة هود: ٢٤
(٧) سورة الرعد: ١٧
(٨) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦
(٩) سورة النحل: ٧٥

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههَّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١)

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

## الموضوع الثاني: العالم الآخر

قال تعالى:

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾(٣)

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤)

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ (٥)

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(٦)

## الموضوع الثالث:الحياة الدنيا.

قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة النحل: ٧٦
(٢) سورة: الزمر: ٢٩
(٣) سورة الرعد: ٣٥
(٤) سورة يس ٧٩
(٥) سورة محمد: ١٥
(٦ ) سورة المدثر: ٣١
(٧) سورة يونس: ٢٤

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (١)

﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٢)

## الموضوع الرابع: القرآن الكريم

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ (٣)

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤)

## الموضوع الخامس: الإنفاق

قال تعالى:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥)

﴿ يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦)

---

(١) سورة الكهف: ٤٥

(٢) سورة الحديد: ٢٠

(٣) سورة الروم: ٥٨

(٤) سورة الحشر: ٢١

(٥) سورة البقرة: ٢٦١

(٦) سورة القرة: ٢٦٤

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١)

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢)

<u>الموضوع السادس : قصص وعبر</u>

قال تعالى:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾(٣)

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (٤)

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـذِهِ أَبَداً * وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٥

( ٢) سورة آل عمران: ١١٧

(٣) سورة الأعراف: ١٧٥- ١٧٧

( ٤) سورة النحل: ١١٢

فأصبَحَ يُقلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً * وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾(١)

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ * قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَـنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَآ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُواْ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونَ * إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ يحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(٢)

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(٣)



---

(١) سورة الكهف: ٣٢- ٤٥

(٢) سورة يس: ١٣- ٣٠

(٣) سورة التحريم: ١٠- ١٢

# الفصل الثاني

# المعاني المعجمية ودلالاتها في المثل القرآني

## المعاني المعجمية لألفاظ الأمثال القرآنية:

الألفاظ المعجمية المكونة للمثل القرآني جزء من هيكله الأساسي " والألفاظ في صياغتها الانفرادية تنقل الصورة الذهنية للشيء من خارجه، وبضمها إلى غيرها تشكل النص وتشارك مشاركة فعالة في تكوين المثل بدلالتها على الصورة الذهنية حيث تنقل اللفظة تلك الصورة من جانبين مهمين: في دلالته الذاتية، وفي صلتها بالنفس الإنسانية "(١) " وعلى هذا الأساس تدرس الألفاظ باعتبارها أبنية لغوية مستقلة من ناحية، وباعتبارها ترجمة لفظية لصورة ذهنية من ناحية أخرى" (٢) .

وقد أبرز الجرجاني (٣) في نظرية النظم، ما للفظ من مكانة وقيمة في تأدية المعاني والتأثير في النفس - مع أنه ليس من أتباع اللفظ ولا من أنصاره - يقول محمد الصغير في ذلك: " فالنظم لا يكون إلا بتلاؤم الحروف، وتلاؤم الحروف إنما يحدث في اللفظ خاصة لا في الجملة، ومن ثم يتساوق اللفظ مع الجملة بمعناها وإعرابها فيكون النظم ..... وقد خلص الجرجاني إلي أن قيمة اللفظ مضموما إلى ماعداه من النص، وهذا ما سماه بالنظم وحسن التأليف، وهو ينشأ من ضم اللفظ إلى المعنى والربط بالعلاقة القائمة بينهما. فالمعنى لا يراه بليغا ولا تاما إلا إذا اختير له اللفظ الذي هو به أخص فأكسبه نُبلا وأظهر فيه مزية"(٤).

وقد أشار في تضاعيف عرضه لنظرية النظم إلى مكانة اللفظ الفنية في بيان المعنى، وعاد بمزية الكلام في بعض النصوص إلى اللفظ بالذات وبين أهميته فقال: " وجملة الأمر أن ههنا كلاما حسنه اللفظ دون النظم" (٥)كما أشار في موضع آخر إلى قيمة انتقاء اللفظ واختياره في أداء المعنى جليا بينا يقول:" اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخصّ وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى. ومأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل" (٦) .

---

(١) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٢٤٥

(٢) جابر عصفور، الصورة الفنية: ٧٠

(٣) عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر (٠٠٠-٤٧١هـ = ٠٠٠-١٠٧٨م) واضع أصول البلاغه. كان من أئمة اللغه. من أهل جرجان(بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق. من كتبه ( أسرار البلاغة- ط) و (دلائل الأعجاز- ط) و (الجمل-خ) في النحو، و (المغني) في شرح الايضاح، و (العمدة) في تصريف الأفعال.الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ٤٨

(٤) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٢٤٥

(٥) الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٢

(٦) الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ١١٧

ودراسة المعاني المعجمية للمثل القرآني، وفق نظرية الحقول الدلالية، تـُشكل نظرة جديدة لدراسة المعاني المعجمية في القرآن الكريم، بحيث ترتبط اللفظة بسياقها وترتبط بالألفاظ المحيطة بها وفق نسق دلالي مزدوج الدلالة، والروابط بين المداخل المعجمية.

ونظرية الحقول الدلالية " من النظريات التي أرست قواعد منهج لغوي في مسار الدراسة الدلالية، والتي كان هدفها تصنيف المداخل المعجمية في أنساق بنيوية وفق علائق دلالية مشتركة " (١).

ولهذه النظرية جذور قديمة عند اللغويين العرب عندما صنفوا معاجم الموضوعات كمعجم المخصص لابن سيده.

والحقل الدلالي " هو مجموعة من المفاهيم تنبني على علائق لسانية مشتركة، ويمكن لها أن تكون بنية من بنى النظام اللساني " (٢)

ومن جملة المبادئ التي ترتكز عليها نظرية الحقول الدلالية " لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين. لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة. استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي " (٣)

الألفاظ داخل الحقل المعجمي ترتبط بعلاقات مختلفة تحكم نسقها " وهذه العلاقات لا تخرج - في أي حقل من الحقول - عما يأتي:

- الترادف
- الاشتمال أو التضمين
- علاقة الجزء بالكل
- التضاد
- التنافر " (٤)

---

(١) نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة: ٣٦٥

(٢) المرجع السابق : ٣٧٢

(٣) المرجع السابق : ٣٧٣

(٤) المرجع السابق : ٣٨٨

وتنقسم الأمثال القرآنية حسب موضوعاتها إلى أقسام عدة وتندرج تحت كل موضوع من موضوعاتها معانٍ معجمية متعددة تتكامل مع سياقها لإخراج معنًى واحد متكامل.

هذا وقد تشترك دلالاتها المعجمية في معان جزئية دقيقة، لتشكل أصلا دلاليا واحدا، تنخرط فيه مختلف المعاني الجزئية، وهذا يُظهر قدرة الألفاظ على الإبداع وأثرها في تكامل بناء المثل وتناسق صياغته.

وفي دراسة المعاني المعجمية لألفاظ الأمثال القرآنية سأتبع منهج تقسيم المثل القرآني على حسب موضوعاته، ثم دراسة اللفظة المعجمية في معجمي مقاييس اللغة لابن فارس، ولسان العرب لابن منظور، وذلك لاهتمامهما بالمعنى المعجمي لأصل اللفظ وجذره الثلاثي، ومن ثم ربط الألفاظ المعجمية بروابط لغوية رفيعة وذلك على حسب نوع العلاقات التي تجمع بين أواصر الألفاظ وتجعلها مندرجة تحت حقول لغوية محددة، وأخيرا ربط الألفاظ بسياق الآيات الواردة فيها، وذلك لكيلا ينفصل اللفظ عن سياقه، فينبتر النظم السابك للنص.

وبهذا فإن المعاني المعجمية للألفاظ تندرج تحت عائلات لغوية، أو ما يُسمى بالحقول اللغوية التي تشترك أفرادها في معانٍ جزئية رابطة لصلتها بباقي الألفاظ المنخرطة معها. وهذا يُبرز قيمة اللفظ ودلالته المعجمية في النظم القرآني، فألفاظ الأمثال وإن اشتركت في معانٍ متقاربة عدة إلا أنها تختلف في معانٍ دقيقة كان لهذا الاختلاف أثره الدلالي في السياق الواردة فيه، بحيث لو أُبدِلت الكلمات في سياقاتها بعضها ببعض لتبدل المعنى وخفت

تأثيره وجفّ عمقه، ولزال رونقه بذلك، وهذا يُذكرنا بقول الخطابي (١) في معرض حديثه عن الإعجاز القرآني: " إنّ عمود البلاغة، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب... والأمر فيها .. بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها" (٢) .

* **********

الموضوع الأول : قضية العقيدة

حديث القرآن عن الإنسان يشمل ثلاث طبقات:

أولا: المؤمنون:

قال تعالى:﴿ مَّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (٣)

يبدأ المثل بذكر قائد المؤمنين محمد (ﷺ) " وهذه حقيقة لا تقبل الجدل ولا تحتم إطالة الوقوف عليها، فتحولت الآية إلى صفات صحابته " (٤) الخلقية ( أشداء على الكفار رحماء بينهم ) والتعبدية ( تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ) التي صاغها النبي ( ﷺ) على نهج الشريعة والدين الإسلامي، وقد امتدح المثل صحابة الرسول ( ﷺ) وذكر مثلهم الحسي

---

(١) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ( ت: ٣١٩هـ - ٣٨٨هـ ) محدّث وخطيب ولغوي من أهل بُسْت، من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر. من كتبه ( معالم السّنن ) في شرح سنن أبي داود، و( بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في بيان إعجاز القرآن ) . الزركلي، الأعلام: جـ٤، ص: ١٢٢

(٢) ضمن ثلاث سائل في بيان إعجاز القرآن: ٢٩

(٣) سورة الفتح: ٢٩

(٤) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٢٩٣

الملموس في التوراة ( سيماهم في وجوههم ) فعلامات الصلاح بارزة في ملامحهم كما ذكر مثلهم في الإنجيل فهم في تكاملهم وتكافلهم كالزرع القوي المتشابك، وخُتم المثل بالتكريم والجزاء، وذلك بصيغة الوعد الصادق ( مغفرة وأجرا عظيما ) وما أروعها من بشارة تبتهج لها النفوس.

وفي الموضوع نفسه يبين تعالى أثر نوره وهديه في قلوب المؤمنين، يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١) يقول الطبري" ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به فقال: مَثَلُ نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدّقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين، مثل مِشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكَوّة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها. وإنما جعل ذلك العمود مِشكاة، لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكَوّة التي في الحائط التي لا تنفذ. ثم قال: فِيها مِصْباحٌ وهو السراج وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات.." (٢)

**********

<u>الحقول المعجمية في مثلى المؤمنين:</u>

حقل الإنارة: ( نور، مشكاة، مصباح، كوكب، يوقد، زيتها، يضيء، نار، دري ).

حقل القوة: ( أشداء، آزره، استغلظ، سوقه، استوى).

حقل الطاعة ورضى الله: ( ركعا، سجدا، رضوان، فضلا، الصالحات، مغفرة، أجر ).

<u>الثنائيات المتقاربة في المعنى:</u>

( مصباح ونور ونار): يرتبطان بمعنى معجمي هو انتشار النور " الصاد والباء والحاء أصل واحد مطرد، وهو لون من الألوان قالوا أصله الحُمرة . قالوا : سُمي الصبح صبحا لحمرته كما سُمّي المصباح مصباحا لحمرته.. والصباح نور النهار، وهذا هو الأصل، والمصابيح الأقداح التي يُصبح بها" (٣) .

---

(١) سورة النور: ٣٥

(٢) جامع البيان: جـ١٢، ص: ١٥٥

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( صبح )

( نور ودري ): يرتبطان بمعنى معجمي هو قلة الثبات والاضطراب" النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة وقلة ثبات. منه النور والنار، وسُمّيت بذلك من طريق الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطربا سريع الحركة" (١) و" الدال والراء في المضاعف يدل على أصلين: أحدهما تولد شيء عن شيء، والثاني اضطراب في الشيء. فالأول الدَّرُّ دَرُّ اللبن. الدِّرّة دِرّة السحاب: صبـّه..والدُّرُّ: كبار اللؤلؤ، سمي بذلك لاضطراب يُرى فيه لصفائه، كأنه ماء يضطرب.. " (٢) .

( سيماهم وأثر ) : يرتبطان بمعنى العلامة الدالة.

( أشداء وآزره ): يربطهما معنى القوة " أزر : أزَر به الشيءُ: أحاط ... أزَرْت فلاناً آزُرُهُ أزْرا قوّيته، وآزَرْتُه عاونته، والعامة تقول: وازَرْتُه. .." (٣).

( سيماهم ويبتغون ): يرتبطان بمعنى معجمي هو طلب الشيء، لأن " جذر السين والواو والميم أصل يدل على طلب الشيء.. " (٤) و" والباء والغين والياء أصلان: أحدهما طلب الشيء ... " (٥) .

( الكفار والزرع ومغفرة ) : يرتبطان بمعنى معجمي هو الستر و التغطية .

( شطأه ودري ): يرتبطان بمعنى معجمي هو تولد شيء من شيء، " الشين والطاء والهمزة فيه كلمتان: إحداهما الشّطْء شَطءُ النّبات، وهو ما خرج من حول الأصل" (٦) و" الدال والراء في المضاعف يدل على أصلين: أحدهما تولد شيء عن شيء " (٧) .

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة (ن و ر )

(٢) المرجع السابق: مادة( در )

(٣) المرجع السابق: مادة : أزر)

(٤) المرجع السابق: مادة (سوم )

(٥ المرجع السابق: مادة (بغي )

(٦) المرجع السابق : مادة (شطأ )

(٧) المرجع السابق: مادة ( در)

## ثانيا: الكافرون

كثيرة هي الأمثال القرآنية المندرجة تحت موضوع الكافرين، وهي تبدأ بقوله تعـالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾(١) وفي هذا المثل يبرز موقف الكفار من الأمثال التي ضربها الله تعالى في القرآن الكريم، وبخاصة عند التمثيل بالبعوض والذباب، وإعراضهم واستكبارهم على الأمثال.

ويأتي مثل آخر يشبه حالهم مع داعيهم إلى الإيمان بالراعي الذي ينعق بالغنم، فهو يصيح بها وهي لاتسمع إلا دعاء ونداء، ولا تفقه شيئا مما يقول تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) و هذا المثل يُـهوِّن حال الكافرين ويحقرهم لما كانوا عليه من صد عن الدين الإسلامي، واتباعهم لملة آبائهم في عبادة الأصنام " فهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار" (٣) ويقول ابن عطية: " وقد شبه الكفار في الصم والبكم والعمي بمن لا حاسة له لما لم ينتفعوا بحواسهم، ولا صرفوها في إدراك ما ينبغي..ولما تقرر من فقدهم لهذه الحواس قضى بأنهم لا يعقلون " (٤) و ضُرب مثلٌ آخر للكافرين مستنبطا من واقع ما يألفونه ويعيشونه ويرفضونه على أنفسهم، بأن يُساوى بينهم وبين عبيدهم، يقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٥) يقول الطبري في معناه " مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم، هل لكم مما ملكت أيمانكم يقول: من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالك جميعكم "(٦).

---

(١) سورة البقرة: ٢٦

(٢) سورة البقرة :١٧١

(٣) الزمخشري، الكشاف: جـ١، ص: ٨٣

(٤) المحرر الوجيز: جـ١، ص: ١٥٥

(٥) سورة الروم:٢٨

(٦) جامع البيان: جـ١٦، ص: ١٧٦

كما تبين الأمثال القرآنية عاقبة أعمال الكافرين، فهي زائلة لا تُغني عنهم من الله شيئا، ولا ترحمهم من عذاب النار، فتشبهها برماد عصفت به الريح فبددته وأزالته كلية، وهذا الرماد كأعمالهم لن يبقى منها شيء يوم القيامة، ستضمحل وتزول، يقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ (١).

وتكشف أمثال الكافرين عن جحودهم، ووهم عبادتهم، وإشراكهم بالله واتخاذهم الأنداد الذين لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، يقول تعالى: ﴿ يأيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٢) والمعنى " ضربوا لي مثلا فاسمعوا قولهم، بمعنى أن الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره، فكأنه قال: جعلوا لي شبها في عبادتي فاسمعوا خبر هذا الشبه" (٣) ويقول تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(٤).

ويخصص القرآن مثلا لليهود للتشنيع بحالهم، وذلك لجهلهم بما في التوراة وعدم تطبيقهم لما جاء فيها، فيصفهم بالحمار الذي يحمل كتبا لا يفقه منها ولا ينتفع بها شيئا، ولا يجني من حملها سوى التعب والمعاناة. يقول تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥) كما خصص مثلا للمسيحيين، لإقناعهم بعدم بنوة عيسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٦).

**********

---

(١) سورة إبراهيم: ١٨

(٢) سورة الحج: ٧٣

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: جـ ١٢، ص: ٩٦

(٤) سورة العنكبوت:٤١

(٥) سورة الجمعة: ٥

(٦) سورة آل عمران: ٥٩

**الحقول المعجمية في أمثال الكافرين:**

**الحقل الأول: حقل القوة والقدرة ( يخلق، عاصف، اتخذت، ملكت، دعاء، الطالب، يقدرون كسبوا) .**

**الحقل الثاني: العجز والضعف ( أوهن، عنكبوت، الحمار، الذباب، بعوضة، صم، بكم، عمي تخافونهم، رماد، ضلال، الفاسقين، المطلوب، ضعف، يسلب ).**

**الثنائيات المتقاربة في المعنى:**

**( ملكت ويقدرون ): القدرة والملك.**

**( أولياء وشركاء ): الاشتراك والمقارنة.**

**( اشتدت وعاصف) : الشدة والقوة.**

**( الضلال والفسوق ): الخروج عن الطاعة.**

**الثنائيات المتضادة:**

**( أوهن وملكت ): ضعف / وقوة. يقول ابن منظور: " الوَهْن : الضَّعف في العمل والأمر" (١) .**

**( الضلال وأسفار ) ظلمة وجهل / نور ومعرفة وهداية. " السين والفاء والراء أصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء. من ذلك السّفر، سمي بذلك لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم ... والسّفْر: الكتابة، وسمي بذلك لأن الكتابة تسفر عما يُحتاج إليه من الشيء المكتوب" (٢) .**

**********

---

(١) لسان العرب: مادة ( وهن )

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( سفر )

## ثالثا: المنافقون

ظهر النفاق في المدينة المنورة بعد أن قويت شوكة المسلمين هناك، وأصبحت لهم قوة مهابة، وكلمة مسموعة، فاضطر أصحاب النفوس الضعيفة إلى مجاراة الأمور، والتظاهر بدخولهم في الإسلام، فاكتفوا بالتستر باسم الدين عن مضمونه، دون اهتداء، أو انتفاع عقائدي بالنور الإلهي، فنـُزع عنهم نور الإيمان، فهم صم بكم عمي عن الحق ، منغمسون في ظلمات حالكة فشبههم الله بالمستوقد للنار الذي لم يستفد من نورها، وبقي يتخبط في دياجير الظلام، حتى انطمست عليه طرق الهدى وسبل الرشاد، يقول تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (١) يقول ابن كثير(٢) في تفسيره: " وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد التبصيرة إلى العمى، بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لا يُبصر ولا يهتدي وهو مع هذا أصم لا يسمع أبكم لا ينطق أعمى لو كان ضياء لما أبصر فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع، والله أعلم"(٣)

ثم يصورهم المثل في مشهد آخر فظيع غني بالظلمات المتراكمة، ظلمة الغمام وظلمة الليل وظلمة المناخ، ليعكس حيرتهم وتخبطهم وضلالهم، يقول تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٤) وفيه يقول القرطبي: " وشبّه الله تعالى في هذه الآية أحوال المنافقين بما في الصَّيِّب من الظلمات والرعد والبرق والصواعق. فالظلمات مَثَلٌ لما يعتقدونه من الكفر والرعد والبرق مَثَلٌ لما يُخَوَّفون به. وقيل: مَثَّل الله تعالى القرآن بالصَّيِّب لما فيه من الإشكال عليهم، والعمى هو الظلمات؛ وما فيه من الوعيد والزجر هو الرعد، وما فيه من النور والحجج

---

(١) سورة البقرة: ١٧-١٨

(٢) عماد الدين،أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ( ٧٠٠هـ - ٧٧٤هـ )، فقيه شافعي ومفسر ، سمع من الآمدي وابن عساكر، وأخذ عن ابن تيمية، من كتبه: تفسير القرآن العظيم . محمد الذهبي: التفسير والمفسرون: جـ١، ص: ١٧٣

(٣) تفسير القرآن العظيم: جـ١، ص: ٥

(٤) سورة البقرة:١٩- ٢٠

الباهرة التي تكاد أحياناً أن تَبْهَرهم هو البرق. والصواعـق مَثَلٌ لما في القرآن من الدعاء إلى القتال في العاجل والوعيد في الآجل. وقيل: الصواعق تكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة وغيرهما"(١)

**********

الحقول المعجمية لأمثال المنافقين:

أولا: حقل الإنارة( استوقد، نار، أضاءت، نورهم، أبصار، برق)

ثانيا: حقل الظلام ( ظلمات، صواعق، صيب، رعد، الموت، أظلم، الكافرون).

ثالثا: حقل الخروج والهلاك ( ذهب، تركهم، لايرجعون، موت، محيط، صم بكم عمي، الصواعق، يخطف ).

الثنائيات المتقاربة:

( ضوء ونور )، ( ذهب وترك )، ( أضاء وبرق) ، ( نور ورعد ) يرتبطان بمعنى الحركة وعدم الثبات والاضطراب، ( رعد وصواعق): يرتبطان بمعنى الاضطراب وشدة الحركة، ( قدير وصيب ) يرتبطان بمعنى الصواب والقدرة وحسن التقدير. يقول ابن فارس في ( صيب ) " الصاد والواو والباء أصل صحيح يدل على نزول شيء واستقراره قراره. من ذلك الصّواب في القول والفعل، كأنه أمر نازل مستقر قراره. وهو خلاف الخطأ. ومنه الصّوْب، وهو نزول المطر... ويقال الصّيّب السحاب ذو الصَّوب " (٢)

الثنائيات المتضادة:

( نور وظلمات )، ( استوقد وذهب )، ( عمي ويبصرون )، ( ذهب ويرجعون )، ( يخطف ويرجع )، ( مشوا وأقاموا ).

**********

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: جـ١، ص: ٢٠٦

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة (صوب )

رابعا: الموازنة بين المؤمنين وغيرهم

كثيرة هي الأمثال التي وضحت البون الشاسع بين الإيمان والكفر، أو الحق والباطل عن طريق الموازنة والمقاربة بين كلا الفريقين، فكما أن الظلمة والنور لا يستويان فكذلك المؤمن المهتدي والكافر الضال، شبههم الله " بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به بين الناس مستضيئا به، فيميز بعضهم من بعض، ويفصل بين أحوالهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص" (١) يقول تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

كما ضُرب مثل آخر يصور " حقيقة الإيمان ومعتنقه، وحقيقة الكفر ومقترنه بكلمتين طيبة وخبيثة، مثلهما بشجرتين من جنسهما، فجعل مثل المؤمن في إيمانه كالشجرة الطيبة لا ينقطع ثمرها ولا يتلاشى بهاؤها، فهي ثابتة تتحدى الرياح... ومثل الكافر في عناده مصورا بالشجرة الخبيثة المتزلزلة الواهنة التي لم يكتب لها بقاء، ولم يثبت لها قرار، فما هي إلا لمحة وتزول، فلا جذور راسخة ولا تربة زكية، ولا عطاء ونماء" (٣) أما الكافر فهو كالشجرة الخبيثة التي لا يثبت لها قرار فلا عطاء ونماء ولا خير فيها، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (٤).

" وبعد هذا التلوين الغني في التشخيص لحقيقة الكفر والإيمان، يقيم الله المؤمن مكان الحر الطليق والكافر مكان العبد المملوك... ويميل القرآن إلى التعبير الرمزي عن حقيقتي الكفر والإيمان" (٥) يقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (٦) " يقول تعالى ذكره: وشبَّه لكم شَبها أيها الناس للكافر من عبيده، والمؤمن به منهم. فأما مثل الكافر: فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرا، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة

---

(١) الزمخشري، الكشاف: جـ ١، ص: ٣٠٨

(٢) سورة الأنعام: ١٢٢

(٣) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٣٠٩-٣١٠

(٤) سورة إبراهيم: ٢٤- ٢٦

(٥) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٣١٠-٣١١

(٦) سورة النحل: ٧٥

خذلان الله عليه، كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فينفقه. وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله وينفق في سبيله ماله كالحرّ الذي آتاه الله مالاً فهو ينفق منه سرًّا وجهرا يقول: بعلم من الناس وغير علم. هَلْ يَسْتَوُونَ يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئا ولا يقدر عليه، وهذا الحرّ الذي قد رزقه الله رزقا حسنا فهو ينفق كما وَصَف؟ فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره والمؤمن العامل بطاعته " (١).

ويتوسع المثل في هذا المعنى يقول تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢) " فهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لنفسه وللوثنَ، فالأبكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى" (٣) " فكيف والحالة هذه يتساوى الصنم وهو العاجز الواهن بالله وهو القادر الخالق البائ المصور، إذن لا يستويان مثلا، وبهذا البعد الرمزي حجهم في الاستدلال على بطلان عبادتهم " (٤)

ويعود المثل لهذه النقطة الحساسة في مجال الموازنة بين عبادة المشركين وعبادة الموحدين، في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) " والمعنى : اضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء أخلاقهم سيئة، فكل واحد منهم يدعيه وهم يتجاذبونه في مهماتهم المختلفة، فإذا عرضت له هو حاجة لا يعاونونه عليها فهو متحير في أمره، لا يدري على أيهم يعتمد في حاجته وأيهم يرضي بخدمته، وفي رجل آخر قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الإخلاص وذلك السيد يعاونه في حاجته فأي العبدين أحسن" (٦).

**********

---

(١) الطبري، جامع البيان : جـ ١٤، ص: ٩٩

(٢) سورة النحل: ٧٦

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: جـ١٠، ص: ١٤٩

(٤) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٣١١

(٥) سورة الزمر: ٢٩

(٦) الجمل، الفتوحات الإلهية: جـ٣، ص: ٥٩٩

**الحقول المعجمية في أمثال الموازنة:**

**الحقل الأول: حقل النعمة وفضل الله ( أحييناه، نور، حلية، متاع، ماء، السمع، البصر رزق العدل، صراط، مستقيم، سلما، طيبة، أكلها ).**

**الحقل الثاني: حقل العجز والفساد( زبد، الباطل، جفاء، أبكم، كلّ، متشاكسون، خبيثة،اجتثت ).**

**الثنائيات المتقاربة في المعنى:**

**( السماء ورابيا ) يربطهما معنى العلو، ( حلية ومتاع )، ( أكلها ورزقناه ) يربطهما معنى الرزق والمال، ( قرار وثابت ) يربطهما معنى الاستقرار .**

**الثنائيات المتضادة:**

**( ميتا وأحييناه)، ( نور وظلمات )، ( كلمة طيبة وكلمة خبيثة )، ( شجرة طيبة وشجرة خبيثة) ( أعمى وأصم )، ( ثابت واجتثت )، ( الأصم والسميع )، ( سرا وجهرا)، (مولاه ومملوكا ).**

**********

**الموضوع الثاني: العالم الآخر**

**تطرق المثل القرآني إلى موضوع اليوم الآخر، فصور بعث القبور، وجنة المتقين، ونار الكافرين وما عليها من الموكلين بها، وهذه أمور تهم الإنسان لجهله بها فجسدتها الأمثال القرآنية ليقف الإنسان على حقيقتها.**

**ويبدأ المثل بالحديث عن النشأة الثانية وبعث الموتى للحساب يوم القيامة يقول تعالى :﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي**

أنشَـأهَآ أوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُل خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) وقد نزل في اعتراض المشركين على الرسول ( ﷺ) في أمر البعث، فرد المثل عليهم، وأبطل احتجاجاتهم بمبدأ الخلق الأول، وألزمهم الحجة، لأن من قدر على النشأة الأولى، فهو قادر على النشأة الثانية.

والأمثال التي تصف جنة المؤمنين كثيرة، يقول تعالى:﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾(٢) ، وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾(٣) وبهذا توغل المثل في ذكر لذات الجنة الحسية من ماء ولبن وخمر وعسل مصفى، وعقّب ذلك بذكر اللذة المعنوية الكبرى ( وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ) .

وأما الكافرون، ففي نار حامية، يقول تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(٤).

**********

---

(١) سورة يس:٧٨

(٢) سورة الرعد: ٣٥

(٣) سورة محمد: ١٥

(٤) سورة المدثر: ٣١

**الحقول اللغوية في أمثال اليوم الآخر:**

**حقل الخلق والبعث: ( رميم، يحيي، أنشأها، يخلق، خلاق، جعل ) فمن معاني ( الرميم ) المعجمية، لم الشيء وإصلاحه، و( جعل ) يأتي بمعنى الخلق، و( الإنشاء ) هو ابتداء الخلق و( الخلق ) ابتداء، الخلق على مثال لم يُسبق إليه. (١)**

**حقل النعيم: ( جنة، ثمرات، أنهار، أكلها، دائم، ماء، لبن، خمر، لذة، عسل، مصفى، مغفرة) .**

**حقل الشقاء: ( النار، حميم، قطّع، فتنة، مرض ).**

**الثنائيات المترادفة:**

**( ظلها، مغفرة): يشتركان في الستر والتغطية " الظاء واللام أصل واحد يدل على ستر شيء لشيء، وهو الذي يُسمى الظل" (٢) و" الغين والفاء والراء عُظْم بابه السِّتْر فالغَفْر: السّتر. والغفران والغفْرُ بمعنى..يقال غَفَر الله ذنبه غَفْرا ومغفرة وغُفْرانا.." (٣).**

**( خلق، أنشأها ): يشتركان في الابتداء والابتداع.**

**( آسن، يتغير ): يشتركان في التحول والتغير.**

**( الثمرات، الأكل ): يشتركان في طلع الثمر والرزق.**

**الثنائيات الضدية:**

**( يرتاب و يستيقن )،( يحيي و يميت )، ( يضل ويهدي ).**

**********

---

(١) ابن فارس، مادة( رم) ، و( جعل )، و( نشأ )، و( خلق )

(٢) المرجع السابق: مادة( ظل )

(٣) المرجع السابق: مادة ( غفر )

## الموضوع الثالث: الحياة الدنيا

تحدثت الأمثال القرآنية عن الحياة الدنيا، وزينتها واغترار الإنسان بها، ومن ثم ذهاب نضارتها وتحولها إلى الفناء والزوال، والحديث عنها شمل ثلاثة أمثال، يقول تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (٢)

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٣)

وهذه الأمثال الثلاثة تصور سرعة فناء الدنيا وتزهد في الركون إليها، وترغب في الحياة الآخرة الباقية، وألفاظ هذه الأمثال متقاربة ومتشاكلة ترتكز على التعبير بالنبات الذي يُعقد عليه الأمل، فيصاب بآفة، فتجف جذوره ويصفر عطاؤه، فيصبح هشيما متطايرا في مهب الريح.

### الحقول اللغوية في المثل :

حقل الدمار: ( الحطام، والهشيم، ويهيج، ومصفرا) .
حقل الزينة والزهو: ( زينتها، يُعجب، زخرفها) ،( الغرور، تفاخر، تكاثر )، ( لعب، ولهو ومتاع ).

---

( ١) سورة يونس: ٢٤
(٢) سورة الكهف: ٤٥
(٣) سورة الحديد: ٢٠

**الثنائيات المتقاربة:**

بين كلمتي ( الكفّار، والمغفرة ) معنى معجمي رابط هو السّتر والخفاء " فالـغَـفْـر: السّتر.. والمِغفارة: خرقة يضعها المدّهن على هامته، ففيها معنى التغطية. والغين والفاء والراء عُـظم بابه الســـتر" (١) و" الكاف والفاء والراء أصل واحد يدل على معنى واحد هو الســـتر والتغطية، ويقال للمزارع كافر، لأنه يـــُـغطي الحبّ بتراب الأرض" (٢) .

و( زخرفها، وازينت ) يشتركان في الحسن والجمال، فالزخرف الزينة والذهب وكمال حسن الشيء، والزّينة اسم جامع لكل شيء يـُتزين به(٣). وقال الفيروز آبادي: " الزخرف بالضم الذهب وكمال حسن الشيء .... ومن القول حسنه ومن الأرض ألوان نباتها"(٤).

و ( مقتدرا، وتغن ) يربطهما خيط الغنى والاقتدار" يقولون رجل ذو قدرة ومقدرة، أي يسار. ومعناه أنه يبلغ بيساره وغنائه من الأمور المبلغ الذي يوافق إرادته(٥) ." والعين والنون والحرف المعتل يدل على الكفاية .. .. والغنى في المال، يقال غني يـَغنَـى غِنـَـى " (٦) .

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة (غفر)

(٢) المرجع السابق: مادة ( كفر)

(٣) المرجع السابق: مادة ( زخرف ) ، ( زين ) .

(٤) القاموس المحيط، مادة ( زخرف )

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( قدر )

(٦) المرجع السابق: مادة ( غني )

و( لهو ومتاع ): يجتمعان في معنى التلذذ والمتعة .

و ( يعجب، وتفاخر ): يشتركان في معنى التّكبر.

و( تذروه ، ويهيج ): يربطهما معنى التّفرق" فالهاء والياء والجيم أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ثوران الشيء " (١)"والذال والراء والحرف المعتل بمعنى الشيء يتساقط متفراقا "(٢).

كما يرتبط ( يهيج، ومصفرا، وهشيما): بمعنى معجمي هو اليبس والاصفرار في النبات، " فالهاء والياء والجيم أصلان صحيحان أحدهما يدل على يُبس النبات، يقال: هاج البقل، إذا اصفرّ ليبيبس، وأرض هائجة، يبس بقلها" (٣)" والهشيم من النبات اليابس المتكسر" (٤) " والصاد والفاء والراء، الصّفرة في اللون، والصّفار، نبت يقال أنه يبيس البُهْمَى" (٥) .

و( تذروه ، ويهيج ): يربطهما معنى التّفرق " فالهاء والياء والجيم أصلان صحيحان أحدهما يدل على ثوران الشيء "(٦)." والذال والراء والحرف المعتل بمعنى الشيء يتساقط متفراقا. " (٧).

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة:: مادة ( هيج )

(٢) المرجع السابق : مادة ( ذرو )
(٣) المرجع السابق: مادة ( هيج )

(٤) المرجع السابق : مادة ( هشم )

(٥) المرجع السابق : مادة ( صفر )

(٦) المرجع السابق: مادة ( هيج )
(٧) المرجع السابق: مادة ( ذرو )

كما يرتبط ( يهيج، ومصفرا، وهشيما ) بمعنى معجمي هو اليبس والاصفرار في النبات، فـ " الهاء والياء والجيم أصلان صحيحان أحدهما يدل على يُبس النبات، يقال: هاج البقل، إذا اصفرّ ليبيبس، وأرض هائجة، يبس بقلها"." والهشيم من النبات اليابس المتكسر" "والصاد والفاء والراء، الصّفرة في اللون، والصّفار، نبت يقال أنه يبيس البُهْمَى" .

## الموضوع الرابع : القرآن الكريم

" حديث المثل عن القرآن الكريم ذو اتجاهين:

الاتجاه الأول : يُعنى بالإشارة إلى الأمثال التي ضربها القرآن للناس في كل موقف ومناسبة ومع ذلك كان موقف الناس منها متأرجحا بين الجحود والعناد" (١) وبين المجادلة على غير هدًى إلا ما رحم الله. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ (٢) ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ (٣) ، ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (٥) .

وهذه الآيات تعتبر إشارات لأمثال قرآنية سابقة، وحديث عما ضربه القرآن من أمثال، أكثر من كونها أمثالا.

والاتجاه الثاني: " يُعنى بالأمثال التي ضُربت للقرآن بالتأكيد على عظمة كلام الله وقوة تأثيره في نفوس المؤمنين، الذين تهتز أعماقهم وتخشع حواسهم عند سماعه" (٦) قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٧) وهذا المثل يبين عظمة وجلال القرآن، فلو أنزل على الجبال الشامخة لتصدعت واستجابت، فكيف بالإنسان!! فالمثل إذا دعوة لتقوى الله واستحضار جلاله وعظمته... والتفكر في هذا القرآن العظيم وتدبره.

### الحقول اللغوية في المثل:

حقل التأثر بعظمة القرآن: ( خاشعا، خوف، متصدعا ) .

---

(١) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٣٤٩
(٢) سورة الروم: ٥٨
(٣) سورة الإسراء: ٨٩
(٤) سورة الزمر : ٢٧
(٥) سورة الكهف: ٥٤
(٦) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٣٤٩
(٧) سورة الحشر: ٢١

وهناك تقارب بين كلمتي ( خاشعا ومتصدعا ) فمن معاني الخشوع اللغوية انكسار البصر" الخاء والشين والعين أصل واحد، يدل على التطامن، يقال: خشع إذا تطامن وطأطأ رأسه ... والخشوع يكون في الصوت والبصر"(١) ومتصدعا، فيه معنى الانكسار والانفراج " الصاد والدال والعين، أصل يدل على انفراج" (٢) .

وهناك ثنائية متضادة بين ( خاشعا، وخوف ) فالخشوع لا يكون إلا بتطامن وأمن، أما الخوف فنقيضهما .

**********

الموضوع الخامس: البر والإنفاق

حث الله تعالى المؤمنين على الإنفاق في شتى وجوه الخير، ومنها الإنفاق في سبيل الله، " يقول تعالى:﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) وقيل المراد به الإنفاق في الجهاد لأنه الذي يُضاعف هذه الأضعاف، وأما الإنفاق في غيره فلا يضاعف كذلك وإنما تُجزى الحسنة بعشر أمثالها" (٤) .

وفي هذا المثل بشرى للمؤمنين بمضاعفة الأجر والثواب تجسدت في صورة تمثيلية تقريبية منبثقة من بيئة الزرع، لتقريب الحقائق إلى المستمعين، فكأن المنفق مزارع والصدقة بذرة تتضاعف إنتاجيتها بفضل الله وعطائه، وصدق نية المتصدقين، وابتغائهم مرضاة الله.

وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من إبطال الصدقة بالمن والأذى، فضرب لذلك مثلين" فمثله أولا بمن ينفق ماله رئاء الناس، وهو مع ذلك كافر لا يؤمن بالله واليوم الآخر لأن بطلان أجر نفقة هذا المرائي الكافر أظهر من بطلان أجر صدقة من يتبعها بالمن والأذى، ثم مثله ثانيا بالصفوان الذي وقع عليه تراب وغبار، ثم أصابه المطر القوي، فيزيل ذلك الغبار

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة(خشع )

(٢) المرجع السابق: مادة ( صدع )

(٣) سورة البقرة: ٢٦١

(٤) الآلوسي ، روح المعاني:٢٣، جـ٣

عنه " (١) يقول تعالى:﴿ يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)ويؤكد هذا بمثل آخر إذ شَبَّهَ أعمالهم بريح باردة أصابت زرع قوم أملوا ريعه، فأهلكته الريح الصر، فكذلك فِعْلُ الله بنفقة الكافر وصدقته ، ففي يوم القيامة يحبط كل عمل رجاه ويخيب. يقول تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣) " وقد توالت الأمثال في موضوع الإنفاق لبيان شدة عناية الإسلام به، وأهميته في تكامل المجتمع وتعاونه" ذلك أن قوام الأمة دوران أموالها بينها، وإن من أكبر مقاصد الشريعة الانتفاع بالثروة العامة بين أفراد الأمة على وجوه جامعة بين رعْي المنفعة العامة ورعْي الوجدان الخاص" (٤).

ثم يبين المثل نوعا آخر من الإنفاق، وهو الإنفاق في الصدقات ووجوه الخير ابتغاء لمرضات الله، وإخلاصا لوجهه الكريم، وهو يمثل حال المنفقين بحال جنة بربوة عالية طيبة الأجواء كثيرة الأمطار، تُؤتي أكلها كل حين مضاعفا أضعافا كثيرة جزاء لإخلاص منفقها وصدق نيته لله، يقول تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٥) .

وقد جاء هذا المثل معطوفا على مثل الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى والرياء أمام الناس، لزيادة بيان ووضوح الفرق والتناقض الكبير بين إنفاق الفريقين، ولتأكيد الثناء على المنفقين بإخلاص لله وحده. ولو أنعمنا النظر لوجدنا أن هذا المثل هو صفحة موازية لصورة الإنفاق الأولى - الإنفاق في سبيل الله - وصفحة مقابلة لصفحة الإنفاق الثانية - المبطلة بالمن والأذى والرياء - فهذه الصدقات التي تُنفق ابتغاء لمرضات الله " كالجنة، لا كحفنة من تراب؛ وإذا كانت حفنة التراب هناك على وجه الصفوان، فالجنة هنا فوق الربوة، وهذا هو

---

(١) الرازي، التفسير الكبير: جـ٧ ص:٤٤

(٢) سورة البقرة: ٢٦٤

(٣) سورة آل عمران: ١١٧

(٤) ابن عاشور ، المرجع السابق جـ٣،ص: ٤٤

(٥) سورة البقرة: ٢٦٥

الوابل مشتركا بين الحالتين، ولكنه في الحالة الأولى يمحو ويمحق، وفي الحالة الثانية يُربي ويُخْصب. وفي الحالة الأولى يصيب الصفوان، فيكشف عن وجه كالح كالأذى، وفي الحالة الثانية يصيب الجنة، فيمتزج بالتربة ويخرج ( أكْلا ) . ولو أن هذا الوابل لم يصبها، فإن فيها من الخصب والاستعداد للإنبات، ما يجعل القليل من المطر يهزها ويحييها! ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل﴾" (١).

**********

الحقول اللغوية في أمثال الإنفاق:

الحقل الأول: حقل الستر والخفاء (٢).

( ينفقون، ظلموا، جنة، الكافر، سنابل ).

الحقل الثاني: حقل الامتداد والاسترسال.
( سبيل، سبع، سنابل، يضاعف، واسع، وابل، ضعفين، أنبتت، ربوة ).
الحقل الثالث: الانقطاع والزوال.
( منٍّ، أهلكته، ينفقون، تبطلوا، صلدا، صفوان، صر ).
الحقل الرابع : الخروج.
( ينفقون، سنابل، رئاء، تبطلوا، أنبتت ). يقول ابن فارس " النون والفاء والقاف....الأصل في الباب واحد، وهو الخروج " ويقول: " السين والباء واللام أصل واحد.... يقال أسبَلَ الزّرع إذا خرج سنبله... وسَبَلُ الزّرع وسُنْبُله سواء" (٣) والرياء إظهار وإخراج للخير بغرض مدح الناس.

الثنائيات المتقاربة في المعنى:

( الجنة، سنابل ) يشتركان في معنى معجمي هو الستر والخفاء.

( كسبوا، حرث ) يشتركان في معنى معجمي هو الكسب والاسترزاق" الحاء والراء والثاء أصلان متفاوتان: أحدهما الجمع والكسب ..." (٤)

( يضاعف، ربا ) يشتركان في معنى معجمي هو الزيادة والنمو.

( صلدا، صفوان ) يشتركان في معنى معجمي هو الصلابة.

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني: ٤٠

(٢) سيأتي توضيحه في التعليق العام على المعاني المعجمية.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( نفق ) و( سبل ).

(٤) المرجع السابق: مادة ( حرث )

( سنابل، سبيل ) يشتركان في معنى معجمي هو امتداد الشيء " والممتد طولا السبيل، وهو الطريق سمي ذلك لامتداده.. وسمي السُنبل سنبلا لامتداده..." (١).

( نفق، ظلموا ) يشتركان في معنى معجمي هو النقص " ونفق ماله ودرهمه وطعامه نَفْقا ونَفاقا ونَفِقَ، كلاهما: نقص وقلّ، وقيل فني وذهب" (٢)

( نفق، الجنة، الكافرون ) يشتركان في معنى معجمي هو الزراعة والستر والتغطية" النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حُصِّل الكلام فيهما تقاربا....."(٣) و" الحديقة ذات الشجر والنخل من الاجتنان، وهو السَّتْر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها"(٤) و" وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه. وإنما سُمي الكافر كافرا لأن الكفر غطى قلبه كله، الكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، وكل ما ستر شيئا، فقد كَفَره وكَفَّره . والكافر : الزرَّاع لستره البذر التراب..."(٥)

<u>الثنائيات المتضادة:</u>

( رياء ونفق)، ( رياء وجنة)، ( رياء والكافرون )، ( رياء وسنابل )= خفاء وظهور.

( وابل وطل) = نقص وزيادة.

( نفق ويضاعف )= نقص وزيادة.

( نفق وربوة )= نقص وزيادة.

( ربوة وظلموا )= زيادة ونقص.

**********

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( سبل )

(٢) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( نفق )

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( نفق )

(٤) ابن منظور، لسان العرب: مادة (جنن )

(٥) المرجع السابق: مادة ( كفر )

## الموضوع السادس: قصص وعبر

شملت الأمثال القصصية نموذجا للرجل الكافر، كالمنسلخ عن آيات ربه في قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾(١) وقد " نزلت في بلعم بن باعوراء(٢)، ويقال ناعم، من بني إسرائيل على زمن موسى عليه السلام، وقد آتاه الله العلم والفضل والمنة ولكنه عصى الله واتبع هواه، ولم يتبع موسى ومات ضالا عاصيا، وقيل نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي (٣) ، وكان قد قرأ كتاب الله وعلم أن الله مرسل رسولا ، فلما أرسل الله سيدنا محمد ( ﷺ) حسده وكفر به " (٤).

وشملت نموذجا للمرأة الكافرة ( امرأة نوح وامرأة لوط ) ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ (٥) وللمرأة المؤمنة ﴿ امرأة فرعون ومريم ابنة عمران﴾ ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٥- ١٧٧

(٢) هو بلعم بن باعور، من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام ، قيل إنه بُعث إلى ملكِ مدين ليدعوه إلى الإيمان ، فأعطاه وأقطعه فاتبع دينه وترك دين موسى، فغضب الله عليه ( القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: م٤،ص: ٢٢٨)

(٣) أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي الداني ( ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م - ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م ) ، عالم ، أديب، حكيم ولد بالأندلس. له من الكتب حديقة الآداب، ديوان شعر ، الوجيز في علم الهيئة ( عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب: جـ٣، ص: ٣)

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن:جـ٤، ص: ٢٢٩

(٥) سورة التحريم :١٠

وَنَجِنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (١)

ونموذجا للشخصين ( الكافر والمؤمن ) الكافر صاحب الجنتين مع صاحبه المؤمن: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً * وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾(٢) وهو مثل مضروب لعاقبة الاستعلاء والاستكبار بكثرة الأموال والأولاد، وهو مضروب لكفار مكة حين رفضوا الجلوس في مجلس عند رسول الله ( ﷺ) لأن فيه فقراء، واستعلوا وتفاخروا بكثرة أموالهم وجموعهم. وقيل نزلت في أخوين من أهل مكة أحدهما مؤمن والآخر كافر، وقيل هي قصة رجلين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر...الخ.

وكان الثالث حديث جماعة أصحاب القرية المكذبين المعاندين، وجماعة المرسلين المبشرين المنذرين قال تعال:﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ * قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَـنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَآ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ

---

(١) سورة التحريم: ١١-١٢

(٢) سورة الكهف: ٣٢- ٤٤

أَلِيمٌ * قَالُواْ طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَإِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونَ * إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(١)

كما أوردت الأمثال قصة للمجتمع المعاند المعرض عن رسالة الله، الكافر بأنعمه وكيف أنه أُبدل بالأمن والرزق جوعا وخوفا، قال تعالى:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (٢)

فشملت الأمثال القصصية طبقات المجتمع بعناصره وأقسامه، فكانت " تسلية وترويحا ثم تأديبا وتهذيبا، ثم تفكيرا وتدبرا، ثم اتعاظا واعتبارا. وتلك مرتبة التقوى والتقوى أسمى مراتب العبادة" (٣)

## دلالة المعاني المعجمية ( الحقول المعجمية ):

كباقي الأمثال القرآنية امتزجت في الأمثال القصصية معاني الهداية والضلال والنعمة والعقاب، والصلاح والفساد، فبرزت بذلك ثنائيات ضدية متباينة من حيث المعنى المعجمي لها، كما ظهرت ثنائيات مترادفة ترتبط ببعضها بخيط المعنى المعجمي الرفيع من جهة وتتمايز عن بعضها من جهة المعنى السياقي لها، فكان اللفظ صورة مزدوجة لوجه ظاهري ( معجمي )، ووجه باطني( تركيبي سياقي ).

---

(١) سورة يس: ١٣- ٣٠

(٢) سورة النحل: ١١٢

(٣) محمود زهران، قصص من القرآن: ٥٥

**الحقول المعجمية :**

**الحقل الأول ( حقل الضلال وفساد الأمر ):**

**( الغاوين ، هواه، ظالم، كفر، أشرك، خانتاهما، مسرفون، يستهزئون، كذبوهما، ضلال ).**

**الحقل الثاني: العقاب والانتقام .**

**( غورا، صعيدا، زلقا، حسبانا، خاوية، هشيما، تذروه، نار، عذاب ، أليم، صيحة، خامدون، حسرة، الجوع، الخوف، أحيط ).**

**الحقل الثالث: الهداية والصلاح.**

**( آمن، مهتدون، أحصنت، صدقت، قانتين )**

**الحقل الرابع: النعمة والجزاء.**

**( مكرمين، مطمئنة، أنعم، رزقها، رغدا، جنة، ثمر، غفر، أكلها، مالا، ولدا )**

**كما نستطيع في المثل الأول ـ قصة الذي انسلخ فكان كالكلب ـ حصر حقلين معنويين يرتبطان ارتباطا قويا بالمعنى المعجمي والمعنى السياقي وهما:**

**الحقل الأول: الخروج وترك الشيء**

**( تتركه، هواه، انسلخ، يلهث، الغاوين، اتل، رفعناه ) ففي ( هواه) معنى "الخروج والخلو والسقوط" (١) ، وكذلك ( انسلخ ) خرج من جلده، ونزع، و( يلهث ) إخراج اللسان و ( الغاوين ) الخارجين عن الحق، و ( اتل ) " تلوت الرجل تركته وخذلته" (٢) ، و( نبأ ) " خروج الخبر وانتقاله من مكان إلى آخر" (٣) ، و( يلهث ) خروج اللسان.**

**الحقل الثاني: التثبت**

**( الكلب، أخلد، يتفكرون ).**

**( اقصص ) من " التثبت في تتبع الأثر الباقي "(٤) ، و( الكلب ) وما في معناه المعجمي من معنى " التشبث والجذب" (٥)، و " الخاء واللام والدال أصل واحد يدل على الثبات والملازمة ... يقال أخلد إلى الأرض: إذا لصق بها " (٦) و( يتفكرون ) بمعنى "التثبت في الأمر بترديده في القلب وإعمال العقل فيه" (٧) .**

---

(١) ابن فاس، مقاييس اللغة : مادة ( هوى)
(٢) المرجع السابق: مادة ( تلو)
(٣) المرجع السابق: مادة ( نبأ )
(٤) المرجع السابق: مادة (قص )
(٥) المرجع السابق: مادة ( كلب )
(٦) المرجع السابق: مادة ( خلد )
(٧) المرجع السابق: مادة ( فكر )

**الثنائيات المتقاربة:**

وقد أظهرت هذه الثنائيات التناسق والتناسب المعنوي بين الألفاظ المكونة للمثل ومزية انتقائها من بين ألفاظ أخر تؤدي ظاهرا المعنى ذاته.

ترتبط كلمتا:

( هواه ، خاوية ) بمعنًى معجمي هو السقوط والخلو" الهاء والواو والياء: أصل واحد يدل على علو وسقوط، والهاء والواو والياء: أصل صحيح يدل على خلوّ وسقوط. أصله الهواء بين السماء والأرض، سمّي لخلوه. قالوا: وكل خالٍ هواء... ويقال هوى الشيء يهوي : سقط .. وأما الهوى: هوى النفس، فمن المعنيين جميعا، لأنه خالٍ من كل خير، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي" (١) و" الخاء والواو والياء أصل واحد يدل على الخلو والسقوط، يقال خوت الدار تخوي" (٢) .

( حسرة، مبين ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو الانكشاف والوضوح.

( ظالم، ظلام ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو مجاوزة الحد" والظُّلْمُ يُقالُ في مُجَاوَزَةِ الحَقِّ الذي يَجْرِي مَجْرَى نُقْطَةِ الدَّائِرَةِ، وَيُقالُ فيما يَكْثُرُ وفيما يقِلُ مِنَ التَّجَاوُزِ ولهذا يُسْتَعْمَلُ في الذَّنْبِ الكَبِيرِ وفي الذَّنْبِ الصَّغِيرِ" (٣)

( حففناهما، أحيط ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو الإحاطة بالشيء. " الحاء والفاء ثلاثة أصول: الأول... وحف القوم بفلان إذا أطافوا به، ومن ذلك حِفاف كل شيء جانباه" (٤) و " يقال أحيط فلان إذا دنا هلاكه، فهو مُحاطٌ به (٥) .

( مبين، أقصا ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو البعد." الباء والياء والنون أصل واحد، وهو بُـعْـدُ الشيء وانكشافه... وبان الشيءُ وأبانَ إذا اتّـضح وانكشف" (٦) " القاف والصاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على بُـعدٍ وإبعاد. من ذلك القَـصَـى: البُـعْد" (٧)

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( هوي )

(٢) المرجع السابق: ماد (خوى )

(٣) الأصفهاني، المفردات : مادة ( ظلم )

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة(حفّ )

( ٥) المرجع السابق: مادة ( حوط )

(٦) المرجع السابق: مادة ( ب ي ن )

(٧) المرجع السابق: مادة ( ق ص و )

( أحيط، أحصنت ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو الحفظ " يقال أحيط فلان إذا دني هلاكه " (١)

و" الحاء والصاد والنون أصل واحد منقاس، وهو الحفظ والحياطة والحرز" (٢)

( قانتون، مهتدون ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو الهداية وطاعة الله.

( يحاوره، منقلبا) ترتبطان بمعنًى معجمي هو الرجوع، ورد الشيء من جهة إلى جهة أخرى .

" الحاء والواو والراء ثلاثة أصول : أحدها لون، والآخر الرجوع والثالث أن يدور الشيء دورا... فالأول : شدة بياض العين في شدة سوادها..وأما الرجوع، فيقال حار، إذا رجع.

والحَوْر: مصدر حار حورا رجع" (٣)

( لباس، اختلط ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو المخالطة والمداخلة.

( اتبع، اقصص ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو تتبع الشيء. " التاء والباء والعين أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التّلوّ والقَفو" (٤) .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( أحيط )

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة : مادة ( حصن )

(٣) المرجع السابق: مادة حور

(٤) المرجع السابق: مادة ( تبع )

و" القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبّع الشيء، من ذلك قولهم: أقصصت الأثر، إذا تتبّعته... ومن الباب القصّة والقصص، كل ذلك يُتتبّع فيذكر" (١) .

( أكلها، ثمر ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو حمل الشجر، والرزق والمال. " أكلت الطعام أكلا ومأكولا والأُكلة المرة الواحدة حتى يشبع، والأُكلة : اسم للقمة.. والأَكلة والأُكلة اللقمة واللقمة يُعنى بهما جميعا المأكول..والأُكل : الرّزق . وإنه لعظيم الأُكل في الدنيا أي عظيم الرزق..والأُكْل: الحظ من الدنيا كأنه يؤكل، والأُكل: الثمر..والأُكل ثمر النخيل والشجر...وأُكُل الشجر : جناها " ابن منظور، لسان العرب: مادة ( أكل ) و" الثَّمر : حمل الشجر، وأنواع المال والولد. والثمر: أنواع المال، وجمع الثَّمر ثمار، وثُمُرٌ جمع الجمع وقد يجوز أن يكون الثُّمُرُ جمع ثَمَرة كخَشَبَة وخُشُب وأن لا يكون جمع ثمار لأن باب خَشَبَة وخُشُبٍ أكثر من باب رهان ورُهُن، قال ابن سيده: أعني أن جمع الجمع قليل في كلامهم وحكى سيبويه (٢) في الثَّمَر ثَمُرَةً، وجمعها ثَمُرٌ.... والثُّمُرُ: الذهب والفضة... وما كان في القرآن من ثُمُرٍ فهو مال وما كان من ثَمَر فهو من الثِّمار...والثَّمر المال المثمر " (٣) .

( الغاوين، ظالم، مسرفون ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو مجاوزة الحق" الغين والواو والحرف المعتل بعدهما أصلان: أحدهما يدل على خلاف الرّشد وإظلام الأمر والانهماك في الباطل...وهو مشتق من الغياية، وهي الغبرة والظلمة تغشيان كأن ذا الغيّ قد غشيه ما لا يرى معه سبيل حقّ والآخر يدل على فساد في شيء"(٤) و" الظُّلْمُ يُقالُ في مُجَاوَزَةِ الحَقِّ الذي يَجْرِي مَجْرَى نُقْطَةِ الدَّائِرَةِ، وَيُقالُ فيما يَكْثُرُ وفيما يقِلُ مِنَ التَّجَاوُزِ ولهذا يُسْتَعْمَلُ في الذَّنْبِ الكَبِيرِ وفي الذَّنْبِ الصَّغِيرِ" (٥) " والسين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد ... تقول في الأمر سَرَف أي مجاوزة القدر " (٦).

---

(١) المرجع السابق: مادة ( قصص )

(٢) عمرو بن عثمان بن قمبر، أبو بشر الحارثي بالولاء ( ١٤٨هـ / ٧٦٥م - ١٨٠هـ / ٧٩٦م ) اشتهر بلقبه سيبويه الذي يعني رائحة التفاح. إمام البصريين في النحو، تعلم على الخليل بن أحمد الفراهيدي فبرع في النحو. كتب ( الكتاب ) الذي قيل إنه قرآن النحو. الزركلي، الأعلام: جـ٥، ص: ٨١

(٣) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( ثمر )

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( غوى)

(٥) الأصفهاني، المفردات : مادة ( ظلم )

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( سرف )

( تبيد، أحيط ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو الهلاك. " الباء والياء والدال أصل واحد، وهو أن يودِيَ الشيء، يقال باد الشيء بيدا وبُيُودا، إذا أودى" (١) و" يقال أحيط فلان إذا دني هلاكه " (٢)

( منقلبا، رددت ) ترتبطان بمعنًى معجمي هو الرجوع.

ثانيا: الثنائيات المتضادة

أبرزت الثنائيات الضدية، معاني الأمثال وأظهرتها جلية واضحة، كما كان للتضاد أثر في تحقيق الانسجام، والترابط المعنوي بسبب تلك المفارقات اللغوية، ومثالها:

( النار والجنة )، ( ضلال ومهتدون )، ( غور وصعيد )، ( أحصنت وضلال / حفظ وضياع) ( صدّقت وتكذبون )، ( عززنا وهشيم )، ( أشرك وأحدا )، ( آمنة وخانتاهما)، (رفعناه وأخلد) ( تحمل وتتركه )، ( انسلخ ولباس )، ( أكثر وأقل )، ( آتت وتظلم ).

**********

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة( بيد )

(٢) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( أحيط )

## التعليق العام على المعاني المعجمية للأمثال القرآنية:

وبعد هذا التحليل المعجمي لألفاظ الأمثال القرآنية نجد أن معجم الطبيعة قد سيطر على ألفاظ الأمثال ومعانيها المعجمية، فتمثل معجم الطبيعة في:
( البرق، الرعد، الضوء، النور، الشجر، الثمر، الأنهار، الماء، المطر، التراب، الصفوان، الليل النهار، العواصف، الصواعق، الحبة، السنابل، الربوة، السماء، الأرض، الزرع، شطأه كوكب النبات، سوقه ( ساق النبات )، سيل، غيث، صيب، ظل، لبن، عسل، خمر، وابل زيد ذباب حمار، عنكبوت، بعوض، ريح ، أنعام، زرع، ... ) وقد سيطر معجم الطبيعة على الأمثال القرآنية، لأنها تعد من أهم عناصر البيان القرآني في الدلالة على عموم هذا الخطاب الرباني لجميع الناس، وإنسانيته الشاملة لكل طور، وحقبة حضارية، واستمرار أثره وخلوده " طريقة القرآن ومنهجه في مخاطبة الناس، ودعوتهم وإرشادهم ترتكز على دعامتين هما: الطبيعة الذاتية ـ الإنسان ـ والطبيعة الخارجية أي الكون" (١) .

وغالبا ما يختار الله تعالى لعباده محسوسات من عناصر إنسانية كونية عامة من أرض وزروع، وطبيعة، وذلك لتمثيل المعاني العقلية المجردة، بمحسوسات بين أيديهم مدركة للجميع، ولأن هناك صلة قوية وحقيقة خفية بين النفس البشرية والتربة الأرضية" هي حقيقة الأصل الواحد "(٢) الطين، والماء، وقوة الحياة، وطاقة النمو، والتطور، والتي تنتهي في نهاية المطاف إلى الموت لكلا الطرفين على حد سواء.

وبهذا تقترب المعاني الذهنية من الصور الواقعية، والأمور بعواقبها، بصور واقعية مشاهدة لدى جميع الناس، معروفة ملموسة بأيدي جميع العباد، ولهذا يحدث التأثير الوجداني في النفس الإنسانية.

والبعد اللغوي في الأمثال القرآنية مبني على انتقاء الألفاظ أكثر ملاصقة وتجسيما للمعاني، والتي ترتبط ببعضها بمعان رفيعة تشد النص إلى بعضه في حقول مبنية على روابـــط

---

(١) عدنان زرزور، علوم القرآن: ٦٠٣

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٣١٠

وعلاقات المعنى اللغوي ، مثال ذلك:

الجذر( ن ف ق ) يظهر فيه التناسق اللغوي بين ألفاظ الأمثال القرآنية، ذلك أن له أهمية كبيرة في ربط المعاني اللغوية الواردة في هذه الأمثال وشدها لبعضها، " فالنون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه ومتى حُـصّـل الكلام فيهما تقاربا ..." (١) وهو يتبط بـ ( الإنفاق ) الذي هو إنفاق لصدقات السر وإخفاء الإنفاق عن أعين الناس، وفيه معنى ذهاب الأموال في أوجه الخير والصدقات ويرتبط بـ ( المنافق ) الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وهو المعبر عنه بقوله - ينفق رئاء الناس - و( النّفاق ) يأتي بمعنى الرياء، وهو إظهار غير ما في الباطن، ففيه ستر للباطن والمشترك بينهما الستر والتغطية، وهو أمر واجب في الصدقة وشرط من شروط إخلاصها. والنّـفاق والرياء فيهما معنى انقطاع الأجر، وذهاب الحسنات، وبهذا يلتحمان مع الجذر ( ن ف ق )، كما يلتقي الجذر ( ن ف ق ) مع لفظ ( السنابل ) في معني الستر" وأسبل الزرع بمعنى سنبل وإذا صار فيه السنبل، أي استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر بالإسبال" (١) ويشترك مع لفظ ( الكافرون ) لما فيه من معنى التغطية والستر" الكاف والفاء والراء يدل على معنى واحد وهو السّتر والتغطية " (٢)

والجذر ( ن ف ق ) الأصل فيه الخروج، يقول ابن فارس: " النون والفاء والقاف ..... الأصل في الباب واحد، وهو الخروج... " وهو يلتقي مع ( الإنفاق ) في معنى خروج الصدقات في سبيل الله، ويلتقي مع ( النفاق ) الذي هو خروج من الإيمان " النّـافقاء: موضع يرققه الجربوع من جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق، أي خرج. ومنه اشتقاق النّـفاق، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء. ويمكن أن الأصل في هذا الباب واحد، وهو الخروج" (٣) ويلتقي مع ( الرياء) الذي فيه إظهار وإخراج للخير بغرض مدح الناس، وثنائهم وفيه معنى الخروج من الإيمان، إذ هو نوع من أنواع الشرك، ويلتقي مع لفظ ( الفاسقين ) لما فيه من معنى الخروج، يقول ابن منظور: " الفسوق الخروج عن الدين..والعرب تقول إذا خرجت الرَّطبة من قشرها . قد فسقت الرَّطبة من قشرها، وكأن الفأرة إذا سُميت فُـوَيْسقة لخروجها من جُـحْرها على الناس. والفِـسْق: الخروج عن الأمر"(٤) .

ولو نظرنا للجذر (س ب ل ) لوجدنا تناسقا لغويا بين ( سنابل ) " السين والباء واللام أصل واحد يدل على إرسال شيء من علو إلى أسفل، وعلى امتداد شيء " (٥)، و ( سبيل ) " ...الممتد طـولا السبيل، وهـو الطـريق سمـي ذلك لامـتداده.." (٦)

---

( ١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( نفق ).

(١) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( سنبل )

(٢) المرجع السابق: مادة ( كفر )

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( نفق )

(٤) لسان العرب: مادة ( فسق ).

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( سبل )

(٦) المرجع السابق: مادة ( سبل )

و( سبع ) إذ كان يستعمل عند العرب للدلالة على الأعداد الحسابية الكبيرة، و( يضاعفه ) فهم يلتقون في معنى الامتداد والاسترسال والزيادة الممتدة المفتوحة، وبين ( سنابل ) و( وابل ) إذ إن السبل: المطر الجود (١) ، و( الوابل ): المطر الغزير (٢) .

والثنائيات المتقاربة والمتضادة المتنافرة تؤدي بمفارقاتها إلى الغرض الخاص بالتقابل المعنوي الذي يبين، ويبرز الفرق بين حالي المؤمنين والكافرين، والحق والباطل، والإيمان والنفاق.
ولعل أبرز الحقول اللغوية المسيطرة على ألفاظ الأمثال القرآنية كانت بين مفارقات هي:

الحقل الأول: النعيم والثواب/ الشقاء والعذاب.

النعيم والثواب: جنة، أنهار، أكلها، وابل، طل، رضوان، مغفرة، الأموال، الأولاد، ظل، ماء متاع، زينة، تغن، الأنعام، زخرفها، مكرمين، أعناب، نخيل، شطأه، زرع.

الشقاء والعذاب: نار، حميم، صر، فتنة، مرض، هشيم، تذوه، حطام، مصفر، عذاب، شديد أليم، حصيد، خامدون، صيحة، يهيج، زلق، غور، أحيط، حسرة، حسبانا، صلد، صواعق عاصف.

الحقل الثاني: القدرة والقوة / والعجز والضعف.

القدرة: خلق، أنشأ، جعل، قدير، يحيي، سواك، فجرنا، قادر، خلاق.
القوة: استغلظ، أشداء، آزره، عاصف، ملكت، متصدع، صلد، صفوان، وابل، حسبان، برق رعد، عززنا، ثابت، صر، ضعفين، تكاثر، صلدا.
العجز والضعف: أوهن، عنكبوت، ذباب، الأبكم، الأصم، السميع، رماد، يسلب، صفوان، جفاء كلّ ،اجتثت، كلب، يلهث، حطام، خامدون، حصيد، ميت، زبد، ضعف، بعوض، هشيم، رميم.

الحقل الثالث: البيان والوضوح/ والستر والخفاء.

الستروالخفاء: مغفرة، ظلها، ينفقون، ظلموا، جنة، رئاء، سنابل،ليل، الضلال،ظلمات، عمي صم، صر،الغاوين، حفظناهما، أحصنت.
البيان والوضوح: نور، مصباح، كوكب، دريّ، يضيء، برق، أسفار، مبين، يهدي، جهر سيماهم، نهار، سميع، بصير.

---

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( سبل )
(٢) المرجع السابق: مادة ( وبل )

يوجد تناسق عجيب بين ألفاظ الحقول المعجمية المترادفة والمشتركة في مدلول مادي واحد وعلاقاتها بالسياق الذي ترد فيه، إذ إن لكل لفظة من ألفاظ المعجم ظلالا معنوية وانعكاسات خاصة تميزها عن باقي مترادفاتها، ومن هنا نجد القرآن الكريم يتوخى في تعبيره ألفاظا معجمية تتفق ظلالها المعنوية، ودلالاتها مع البنية الظاهرة والعميقة للسياق الواردة فيه.

ففي حقل المطر تتوارد ألفاظ عديدة للدلالة عليه، كـ( ماء من السماء، والصيب والطل، والوابل، والغيث ) ويبقى لكل لفظ لونه الفارق المميز له في نسيج هذا الحقل، فالغيث يراد به المطر الخاص بالخير، الكثير المنافع، والذي يغاث الناس به (١) وقد يراد به النبات والكلأ (٢) ، أما الصيب فهو يستعمل للمطر الذي يوجه في جهة مصوبة، ويطلق على السحاب أيضا، يقال سحاب ذو صوب، والصّوب: نزول المطر(٣) ، والوابل، هو المطر الشديد، الضخم القطر (٤) والطل هو الندى، أو المطر الخفيف، أو هو أرسخ المطر مع دوامه. وكلا من هذه المترادفات قد استعمل في سياقه المناسب، فحقق إصابة المعنى على صعيد البنية الظاهرة والعميقة لمعنى سياقه، فالغيث استعمل في سياقه بمعنى المطر الذي أغاث أرضا في شدة الحاجة إليه بخير كثير، ومنافع جمة، وذلك لبيان أثر المطر فيها، وقد يراد به النبات الذي أعجب الكفار نموه، واخضراره، إلا أنه سريعا ما هاج مصفرا.

والصيب قد يراد به المطر الموجه والمصوب لطمس أبصار المنافقين، وقد " يراد به السحاب ذو الصوب أي السحاب الأسود الممطر"(٦) وكلاهما يعزز معاني الظلمة والظلام.

---

(١) انظر الثعالبي، فقه اللغة: ١٢٣

(٢) انظر:الرازي، مختار الصحاح: مادة غيث، وابن سيده، المخصص: جـ٢، ص: ١١٢

(٣) انظر:الرازي، مختار الصحاح: مادة صوب، وابن سيده، المخصص: جـ٢، ص: ١١٧

(٤) ابن سيده، المخصص:جـ٢،ص: ١١٤

(٥) ابن فارس، مقاييس اللغة: مادة ( صوب )

والوابل هو " المطر الشديد الضخم القطر" (١) ، وانتقي لفظه للدلالة على شدة هذا النوع من المطر الذي يكشف التراب عن الصفوان، ويؤتي من الجنة ذات ربوة ضعفيها، أما الطل فقد استعمل في سياقه لما يحمله من معان فارقة عن معنى المطر، إذ إن " الطل هو الندى أو هو أرسخ المطر مع دوامه"(٢)، وهذا ينسجم والمعنى الباطن لسياق الآية إذ إنه يدل على ثبات واستمرار أجر نفقات المؤمنين.

والكلمات وإن تقاربت في حقول لغوية ودلالية إلا أن هناك تمايزا بينها، فكلمة ( الفاسقون ) وإن كانت تدرج في حقل الخروج، كـ ( الإنفاق والنفاق واللهث والانسلاخ )، إلا أن الفسوق يختلف ويتمايز معناه المعجمي الدقيق عن معنى الحقل المندرج فيه، فالفسق في معناه المعجمي " خروج مكروه ومنه يقال للفأرة الفويسقة لأنها تخرج من جحرها للإفساد وقيل فسق الرطبة إذا خرجت من قشرها، لأن ذلك فساد لها ومنه سُمي الخروج عن طاعة الله بكبيرة فسقا، ومن الخروج مذموم ومحمود والفرق بينهما بين" (٣)

ورغم تقارب المعنى المعجمي للنفاق والرياء في معنى الخروج تحت الجذر الاشتقاقي ( نفق ) فإن العسكري يرى أنه ليس هناك تقاربا بين الرياء والنفاق في شيء، فالرياء هو " جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله تعالى والنفاق:" إظهار الإيمان مع إسرار الكفر وسمي ذلك مما يفعله اليربوع وهو أن يجعل بجحره بابا ظاهرا، وبابا باطنا يخرج منه إذا طلب الطالب، ولا يقع هذا الاسم على من يظهر شيئا ويخفي غيره إلا الكفر والإيمان.. وإن استعمل أحدهما في موضع الآخر فعلى التشبيه " (٤) ، وإن كان ما ذهب إليه العسكري صحيحا إلا أن الرياء أيضا إظهار شيء حسن وإخفاء باطن مظلم قبيح، فهو يقترب في معناه المعجمي من النفاق والإنفاق وهو الخروج.

كما أن هناك تناسقا لغويا في الفواصل المُـعَقبَـة والتي تقوي الألفاظ بدلالاتها اللغوية المساندة للمعاني المعجمية السابقة عليها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ والله محيط بالكافرين﴾ في مثل المنافقين ﴿ أو كصيب من السماء .. ﴾ فهو قفل متناسق وظلمات الليل وظلمة السماء الماطرة والرعد المخيف والصواعق، ذلك أن في لفظ ( محيط ) معنى لظلمات الهلاك والموت السابقة، وفي لفظ ( الكافرين ) خفاء وستر وظلمات ودياجير دامسة، وبذلك تعززت الألفاظ

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( وبل )

(٢) ابن سيدة، الخصائص: جـ٢، ص: ١٢٤

(٣) العسكري، الفروق في اللغة: ٢٢٥

(٤) المرجع السابق: ٢٢٣

المكونة للمثل بالمعنى اللغوي الكامن في فقلها، وفي قوله تعالى: ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ فقل مناسب لمثل الحياة الدنيا ﴿ واضرب لهم مثلا الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ لبيان قدرة الله وملكه لِـكُـنَـهِ الأشياء ومآلها، وزوالها.

**********

# الفصل الثالث

# التراكيب النحوية ودلالاتها

المبحث الأول: قضية العقيدة.

المبحث الثاني: العالم الآخر.

المبحث الثالث: الحياة الدنيا.

المبحث الرابع: القرآن الكريم.

المبحث الخامس: الإنفاق.

المبحث السادس: القصص القرآني.

## المبحث الأول: العقيدة

### أولا: المؤمنون.

قال تعالى:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشداء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (٢)

**********

المثل الأول: التراكيب النحوية ودلالاتها

تنوعت جمل المثل بين الاسمية ( الله نور السموات، مثل نوره كمشكاة، فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري...، نور على نور، والله بكل شيء عليم)، والجمل الفعلية ( يوقد، يكاد زيتها، يضيء، تمسسه.. ، يهدي.. ، يضرب.. ).

كما تنوعت في مواقعها بين ما لها محل من الإعراب:

- خبرية في الحال أو في الأصل: ﴿ كأنها كوكب دري ... ﴾، ﴿ يوقد ..﴾ ، ﴿ يضيء﴾ .
- وصفية: ﴿ فيها مصباح ﴾ نعت لمشكاة.

﴿المصباح في زجاجة ﴾ نعت لمصباح.

﴿الزجاجة كأنها..﴾ نعت لزجاجة، أو اعتراضية بين المبتدأ وخبره الثاني.

﴿ يكاد زيتها .. ﴾ نعت لشجرة، أو في محل نصب حال، لأن الشجرة نكرة غير محضة، لأنها وصفت.

- وحالية:﴿ لم تمسسه نار.. ﴾ حال من فاعل يضيء، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي: لو لم تمسسه نار يكاد يضيء. (٣)

وجمل أخرى لا محل لها من الإعراب، ابتدائية ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾، واستئنافية ﴿ نور على نور ﴾ و ﴿ يهدي الله .. ﴾ و ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾، واستئنافية بيانية ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾، وصلة الموصول من ﴿يشاء..... ﴾.

---

(١) سورة النور: ٣٥

(٢) سورة الفتح: ٢٩

(٣) محمود صافي، الجدول: م٩، جـ١٨ ، ص: ٢٣٤

وأشباه الجمل جاءت كلها جار ومجرور بعضها مستقر مثل :
( كمشكاة ) خبر المبتدأ، ( فيها ) خبر مقدم للمبتدأ ( مصباح )، وبعضها لغو مثل ( في زجاجة) خبر المبتدأ ( المصباح ).

**********

تقوم بنية هذا المثل على مركبات متماسكة، ذات وحدات معنوية مستقلة من جهة ومتصلة بسياق النص من جهة أخرى، وهذه المركبات تشكل فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية، التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك الدلالي، وتسهم الروابط النحوية - حروف الجر، والعطف، والروابط الإحالية كالضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة - في تحقيق هذا الارتباط والتماسك، إضافة للوسائط المعنوية الناتجة عن التركيب النظمي في سياق المثل.

وتتكون أنساق المثل البنيوية من بداية، ومجال ووسط، ونهاية، وهي أنساق يمكن التوقف عند أي وحدة منها، وفصلها عن غيرها، ولكنها لا يمكن أن يفهم بعضها معزولا عن بعضها الآخر.

وتُشكّل جملة ﴿الله نور السموات والأرض ﴾ ابتداء لا محل لها من الإعراب ، يُفتتح بها المثل، وهي مطلَقة جامعة لمعاني المثل، ومركزة أضواء النور المطلق بين المسند إليه ( الله ) والمسند ( نور ) . وقد احتاج إجمالها إلى تفصيل وبيان لماهية هذا النور، ودرجات إضاءته وسطوعه، ومدى تنويره، ووسائل إيقاده، فتوالت الجمل متدافعة تبين المعنى وتوضحه بقوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة ﴾ " وهي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا " (١).

وقد كان البيان بجمل اسمية - ﴿ مثل نوره كمشكاة، فيها مصباح، المصباح في زجاجة... ﴾ - أردفت بعد الجملة الابتدائية، دلالة على ثبوت واستمرار هذا النور، وأزليته واتساع إنارته.

ولمراعاة الترتيب الذهني في تصوير هيئة نور الله الذي يهدي به عباده الصالحين اتّبع التدرج الدقيق القائم على النعت بالجمل الاسمية، وذلك للتفخيم، وإبراز عظيم الإثارة والاتقاد، ورفع لمكانة النور والمشكاة التي مُثّل بها بالتفسير إثر الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، وإثبات ما بعدها لها بطريقة الإخبار، بالجمل الاسمية الدالة على الثبوت والتحقق

---

(١) محمود صافي، الجدول: م٩، جـ١٨ ، ص: ٢٣٤

في استمرار هذه الأنوار. ( فيها مصباح، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري ) وهذه الجمل كلها صفات، فالأولى نعت لـ( المشكاة ) والثانية لـ ( المصباح ) والثالثة لـ ( الزجاجة ) أو جملة - الزجاجة كأنها كوكب دري - جملة اعتراضية بين خبري المصباح وهما ( في زجاجة)، وجملة ( يوقد.. ) جيء بها لتأكيد معنى السطوع، والشفافية في الخبر الأول ( في زجاجة ) .

وفي مجيء المسند الثاني للمصباح ( يوقد ) تتبعا لدقة المعنى واستقصاء لجميع درجات الإنارة ومصادرها.

وفي الفعل ( يُوقد ) قراءات أشهرها ثلاث:

" الأولى: قرأ ابن كثير(١) وأبو عمرو(٢) ( تَوقَّدَ ) بزنة ( تفعّل ) فعلا ماضيا فاعله يعود على المصباح، ولا يعود على كوكب لفساد المعنى، وجملة ( توقد ) صفة، أو حال لمصباح لكونه نكرة غير محضة اكتسب نوعا من التعريف عن طريق الوصف.

الثانية: قرأ الأخوان (٣) ( تُوقَدُ ) بضم التاء وفتح القاف مضارع على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة، وإسناد الفعل إليها على سبيل المبالغة والمجاز.

الثالثة: قرأ الجمهور ( يُوقَدُ )، بضم الياء وفتح القاف، مضارع مبني للمجهول"(٤) .

والقراءة الثالثة هي الأرجح لعود الضمير على المصباح، لأنه هو الذي توقد ذبالته، وهي التي تحتاج إلى إيقاد بعكس الكوكب، فهو متقد بنفسه ومشع بذاته، وأما الزجاجة فلا تحتاج إلى إيقاد، ومكتفية بشفافيتها وانعكاس أضواء المصباح عليها. وصيغة المضارع المبني للمجهول أفادت التعظيم والإبهام في تحديد نوع الإيقاد، ونوع مصدر الإشعاع لهذا النور المطلق العام وأفادت استمرار الإنارة والاتقاد الذاتي من دون حاجة لفاعل يحدث الإيقاد والإضاءة، وهذا ما دل عليه الاستغناء عن حذف نائب الفاعل في هذه الصياغة إذ لا حاجة لوجوده والإيقاد ذاتي المصدر.

وقد سبق تشبيه الزجاجة بالكوكب الدري، وهذا يغني عن إيقادها، بعود الفعل ( يوقد ) عليها فهي مشعة بشفافية زجاجها الذي شبه بالكوكب المتوهج المنسوب إلى ( الدّر) لصفائه

---

(١) أبو معبد عبد الله بن كثير بن المطلب الداري المكي ( ٤٥هـ ٦٦٥م/ ١٢٠هـ - ٧٣٨م ) أحد القراء السبعة، قرأ على عبد الله بن السائب صاحب رسول الله ( ﷺ ) وكان فاضلا عالما زاهدا مشتهرا بعلم النحو واللغة. الزركلي، الأعلام: - ٤، ص: ٢٥٥، و غاية النهاية: جـ١، ص: ٤٤٣.

(٢) أبو عمرو بن العلاء.

(٣) الأخوان: حمزة والكسائي. حمزة: أبو عمارة حمزة بن حبيب، كان عالما فاضلا مجيدا للقراءة مشهورا بالزهد ، (ت: ١٥٦هـ ) . غاية النهاية :جـ ١، ص: ٢٦١) الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، أعلم الكوفيين في زمانه في النحو والعربية، (ت: ١٨٩هـ ) . غاية النهاية: جـ١، ص: ٥٣٥.

(٤) انظر: الأزهري، معاني القرآءات: جـ٢ ص: ٢٠٨

وظهور إشراقه، وهذا المعنى متوافق مع " قراءة الجمهور الذين قرءوا بضم الدال وتشديد الياء من غير همز( دُرّيّ ) نسبة للدر اللؤلؤي المتوهج بياضا، وتلألؤا لشفافيته ونقاء بياضه أما قراءة حمزة وعاصم (١) فهي بضم الدال وياء بعدها همزة ( درّيءٌ) بمعنى ( الدرء ) وهو الدفع، أي يدفع ضوءها خفاء الظلام ، وفيه دلالة على شدة الإضاءة وتدافع الأضواء" (٢) والقراءة الأولى أرجح لاحتمالها وجهين من التصريف والتأويل، أحدهما أن يكون أصلها الهمز كقراءة حمزة إلا أنه أبدل من الهمزة ياء وأدغم، وبذلك تحتمل معنى الدرء/ الدفع ومعنى النسبة إلى الدر المتلألئ.

ومع بداية الاتقاد تتابعت الجمل الفعلية( يكاد، يضيء، يمسسه ) لتأكيد استمرار السطوع والاتقاد، ولتجسيده أمام الناظر لتنتشر الأنوار من بين البنى اللفظية التي راعت الترتيب الذهني في تصوير درجات الإنارة ومستوياتها.

وتتراكم التوابع لاستقصاء صفات الشجرة مصدر الإيقاد والإنارة فجاء الأول بالوصف: مباركة، والثاني بالبدل، أو البيان: زيتونة (٣) والثالث بالوصف أو الحال﴿ لا شرقية ولا غربية ﴾ وقد أدخل النفي على كلا الوصفين " لإفادة الاتصاف بنفي كل وصف، وعُطف على كل وصف ضده لإرادة الاتصاف بوصف وسط بين الوضعين المنفيين " (٤) وتكرار لام النفي في الوصف الثالث هنا واجب لأنها داخلة على مفرد وقع صفة أو حالا (٥).

وجاء الوصف الرابع جملة فعلية ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ ويجوز أن تكون أيضا في محل نصب حال من ( شجرة ) لأنها وصفت بالصفات السابقة فأصبحت نكرة مختصة.

ومجئ هذا الوصف جملة، فتح باب الجمل على مصراعيه، فاستوعب العامل الرئيس ( يكاد ) جملا صغرى بين متونه فرّعت المعنى، وأسبغت عليه دقة ووضوحا وصولا للحقيقة المؤكدة لمصدر هذا الاتقاد، وهو أنه ( يضيء ) وهذه الجملة خبر ( يكاد ) ، وأكد هذا المسند ووضح بجملة ( ولو لم تمسسه نار ) التي في محل نصب حال من فاعل يضيء، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي: لو لم تمسسه نار يكاد يضيء، ودخول ( لو ) على الجملة ينبه إلى أنه حال غير محققة، و( لو ) التي لامتناع الشرط وامتناع السبب دلت على كون الجواب مقررا على كل حال من غير تعرّض لسبب باعث، و( لم ) التي تفيد النفي والقلب أكدت معنى المسند ( يضيء ) فهو زيت يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلا، لصفائه وإنارته .

---

(١) عاصم بن أبي النجود، مولى بن حذيفة بن مالك بن نصر أبو بكر. كان أحد القراء السبعة، والمشار إليه في القراءات، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وأخذ عنه أبو بكر ابن عياش (ت: ١٢٧هـ ) .ابن خلكان، وفيات الأعيان:جـ ٣، ص: ٩

(٢) انظر ابن خالويه، الحجة : ٢٦٢

(٣) في إعراب ( زيتونة ) قولان: أشهرهما " أنها بدل من( شجرة ) . والثاني: أنها عطف بيان وهذا مذهب الكوفيين " ( السمين الحلبي، الدر المصون جـ ٥، ص: ٢٢٠) " الذين يجوزون عطف البيان في النكرات، وأما البصريون فلا يجيزونه إلا في المعارف " ( الألوسي ، روح المعاني: جـ١٨، ص: ١٦٧ )

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: م ٥، جـ١٨، ص: ٢٤٠

(٥) انظر : ابن هشام، مغني اللبيب: جـ١، ص: ٤٧٣

و( لو ) في هذا المثل " لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له إجمالا بإدخالها على أبعدها منه، والواو الداخلة عليها لعطف الجملة المذكورة على جملة محذوفة مقابلة لها.... ومجوع الجملتين في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب أو المنفي، وتقدير الآية الكريمة، يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أي يضيء كائنا على كل حال من وجود شرط الإضاءة وعدمه، وحذفت الجملة الأولى حسبما هو مطرد في الباب ثقة بدلالة الثانية عليها دلالة واضحة وقال الزمخشري: الواو للحال ومقتضاه أن ( لو ) مع ما بعدها حال فالتقدير والحال لو كان أو لو لم يكن كذا أي مفروضا ثبوته أو انتفاؤه، لكن الزمخشري يقدر ولو كان الحال كذا. وتعقب ذلك بأن أدوات الشرط لا تصلح للحالية لأنها تقتضي عدم التحقق والحال يقتضي خلافه. والتزم لذلك أنه انسلخ عنها الشرطية وإنها مؤولة بالحال كما أن الحال تكون في معنى الشرط نحو لأفعلنه كائنا ما كان أي إن كان هذا أو غيره ولذا لا تحتاج إلى الجزاء أصلا، وإنما قدر الحال بعد لو على ما قيل: إشارة إلى أنه قصد إلى جعل الجملة حالا قبل دخول الشرط المنافي له ثم دخلت ( لو ) تنبيها على أنها حال غير محققة" (١)

وجملة ﴿ نور على نور﴾ جملة اسمية، أي هو أو ذلك نور، وهي لامحل لها استئنافية مؤكدة لمضمون ما سبق(٢) أو عطف بيان ، تضم بين أعطافها جملة ظرفية ( على نور ) متعلقة بمحذوف صفة مؤكدة لما أفاده التنكير في المسند السابق من الفخامة، والتعظيم لهذه الإضاءة التي بلغت حد المضاعفة في الإنارة والاتقاد، فالتنكير والإطلاق وعدم التحديد لدرجة النور وماهيته في قوله ﴿ نور على نور ﴾ فيه دلالة على الشمول والاحتواء لجميع الأنوار بمختلف درجات سطوعها وإضاءتها، إذ إن الإطلاق وعدم التحديد الموجود في النكرة يدل على الشمول والعموم المطلق غير المحدد أو المقيد.

وينتهي معنى النور والاتقاد باستئناف معنى آخر منقطع عن السابق في ثلاث جمل مستأنفة:﴿ يهدي الله لنوره من شاء﴾ ، ﴿ويضرب الله الأمثال للناس﴾، ﴿والله بكل شيء عليم﴾ وهذه الجمل جاءت لبيان سبب عدم اهتداء كثير من الناس بالنور الذي أنزله الله وهو القرآن وشريعة الإسلام، فالله جل وعلا إذا لم يشأ هداية أحد من خلقه، جبله على العناد والكفر والله يضرب الأمثال لهداية الناس ولا يهتدي بها إلا من جبل قلبه على الخير .

وقد يكون قوله : ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ) وقوله: ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس ﴾

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ١٨، ص: ١٦٩

(٢) محمود صافي، الجدول: م٩، جـ١٨ ، ص: ٢٣٤

اعتراض لتوضيح وبيان المعنى السابق، والتذكير بأهمية المثل وضربه للناس وبيان لما فيه من سُبُل الرشاد والهداية لكافة الناس وبهذا تكون جملة ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ تذييل لمضمون الجملتين قبلها، وفيها تأكيد لمعناهما" أي لا يعزب عن علمه شيء. ومن ذلك علم من هو قابل للهدى، ومن هو مُصِرٌّ على غيه" (١) وذكر الألوسي أن هذه الآية جيء بها" لوعد من تدبر الأمثال ووعيد من لم يكترث بها " (٢)

وقد كان لحروف الجر دور في تتميم معنى متعلقها، وتفريع المعنى وتوضيحه وبيانه بجمل ظرفية تتمم معنى الجملة العام، كقوله ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ فقد كان لحرف الجر ( اللام ) دور في ربط العامل بمفعوله لتوضيح المعنى وتتميم نقص العامل، كما كان للموصول (من ) دور في تولد الجمل وربطها وتفتيق المعنى بجملة الصلة التي وضحت الإبهام في الموصول، وأرجعت الهداية إلى مشيئة الله العالم بفطرة الناس وما جبلت نفوسهم عليه .
ولحرف الجر اللام في قوله ( للناس ) دور في ربط أركان الجملة وتعدية الفعل تعدية تقديرية معنوية للمفعول المعنوي ( للناس ) وتتميم معنى العامل بشق معنى فرعي يُخصص معنى الجملة، ويتممه في أن الأمثال ضربت للناس، وفي إطلاق لفظ ( الناس ) معرفا بأل الجنسية دلالة على نفع الأمثال لكافة الناس دون غيرهم من سائر المخلوقات، وإشارة إلى ما امتاز به الإنسان من قدرة على فهم البيان وتعقله في تصور الأمور وتجسيدها بصورة مشاهدة، للعبرة والعظة، كما أن فيها إشادة بمكانة الإنسان، وعناية الله جل وعز بهدايته وإرشاده إلى الخير.

ويتمحور مثل النور حول بنية ظاهرية، وأخرى عميقة متماثلة، هي النور بمختلف أنواعه ومصادره ودرجاته، ليشمل أقصى درجات التنوير وينور نسق المثل كله في بناه المختلفة، فنرى البنية الظاهرة تدور في فلك ألفاظ النور المتمثلة في ( نور، نوره، مشكاة مصباح، كوكب دري، يوقد، زيتها، يضيء، نار، نور على نور، يهدي الله لنوره ) فكلها بنى لفظية تجسد وتستقصي كمال الإضاءة والتنوير لنور الإيمان في قلب المؤمن، وهذه البنية تطفوا على بنية عميقة ترتكز بدورها على ثنائيات ضدية هي ( النور/ الظلمة ) ( الله / الظاهرة العباد) - ( الإخلاص/ النفاق ) - ( الثواب/ العذاب ) - ( الهدى/ الضلال ) - ( الإيمان / الكفر ) - ( العلم/ الجهل ). وبعض هذه العناصر كلفظ الجلالة والنور والعباد يظهر واضحا جليا في البنية أما بعض ﴾ ويضرب الله الأمثال للناس ﴿، ﴾ الله نور السموات والأرض ... ﴿السطحية للمثل العناصر كالضلال والظلمة والعلم والجهل والكفر والإيمان فتبقى مستترة وراء

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير م:٥، جـ:١٨،ص: ٢٤٤
(٢) روح المعاني: جـ١٨،ص: ١٧٣

العبارات، كنص مضمر تنعكس ظلاله المعنوية على المعنى الكلي المستنبط من خلال السياق العام للمثل.

والتمثيل بكيفية معلومة من الطبيعة مدركة بالبصر لدى جميع الناس على اختلاف الأزمنة والأمكنة، تجعل العقل الإنساني يدرك عظيم أثرها الذي ينتقل إلى القلب، فيخالطه ويترسخ فيه فيصبح عقيدة.

فالمؤمن الخالص الإيمان بالله الموقن أشد اليقين به ينور الله قلبه بدلائله التي يقذفها في قلبه والدلائل تسمى نورا، كما سمى الله تعالى كتابه نورا ﴿ وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾ (١) وسمى نبيه نورا فقال: ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ (٢) .

ويذكرنا هذا المثل بأمثال النفاق في سورة البقرة وكيف أن الله سلب المنافقين نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، وهذا ما يقوي دليل وجود البنية الضدية العميقة، المستترة في سياق مثل النور، فإذا كانت الأنوار توضح دلائل الهداية الظاهرة التي يهدي بها الله من يشاء فإنها أيضا تظهر الثنائيات الضدية المتوارية عن الأعين والأسماع، فتلمس آثار ظلالها منعكسة مفهومة في الأذهان والقلوب. ومن هنا تتضح ظلال القسم المظلم، الكافر والمنافق الذي لم يخلص في إيمانه ويقينه بالله. فهناك قسم ضال عاص، جحد بالله وعصاه، والله محيط بهم يؤتي علمه وفضله من يشاء على حسب نية الإنسان وخلوص إيمانه.

كما نجد في هذا المثل الثنائيات المترادفة التي تبدأ بالإشارة المباشرة للفظ النور ثم تبدأ بالتراكم ( من خلال الترادف) الذي يوسع الأضواء والأنوار من خلال نسج لغوي متعدد الدلالات، يتسع ويمتد من طبقة إلى أخرى، فمن جملة اسمية ( الله نور السموات والأرض) توالدت وتراكمت الجمل الاسمية ( مثل نوره كمشكاة)، ( فيها مصباح )، ( المصباح في زجاجة )، ( الزجاجة كأنها كوكب دري )، ( نور على نور )، ( والله بكل شيء عليم ) الدالة على ثبوت الأنوار واستمرار اتقادها وقوة سطوعها.

" وظاهر قوله في ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ يقتضي أن يكون الله جل وعز في ذاته نورا وهذا تجسيد للذات المقدسة فالنور كما هو معلوم كيفية أو عرض يدرك بالبصر، فلا يصح تشبيه الله به، على حين قوله: ( مثل نوره ) يقتضي أنه ليس في ذاته نورا وبهذا يكون بينهما تناقض، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وجعل الظلمات والنور﴾ (٣) فماهية النور مجعولة لله فيستحيل أن يكون الله نورا، ولكن المراد هناك لازم المعنى وهو أن نوره سبحانه وتعالى مما

---

(١) سورة النساء: ١٧٤

(٢) سورة المائدة: ١٥

(٣) سورة الأنعام : ١

تحار فيه العقول ولا تدرك كنهه الألباب، وإذ ذاك فلا بد من التأويـــل، فيكون تشبيها لتقريب المعنى للعقل، أي به تعالى وبقدرته أنارت أضواء السموات والأرض، واستقامت أمورها فظهور الموجودات حصل به كما حصل بالضوء جميع المبصرات، والنور سبب في الهداية فلما شاركت الهداية النور في هذا المعنى صح إطلاق اسم النور على الهداية وهو كقوله تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ (١) " (٢) أو يكون " على حذف مضاف أي ذو نور السموات والمراد بالنور عدله ويؤيد هذا قوله ( مثل نوره) وأضاف النور لهذين الظرفين [ السموات والأرض ]إما دلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تُضيء له السموات والأرض وإما لإرادة أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به ويجوز أن يبالغ في العبارة على سبيل المدح كقولهم: فلان شمس البلاد وقمرها..ويجوز أن يكون المصدر واقعا موقع اسم الفاعل أي مُنَوِّر السموات " (٣) . ويؤكد هذا التقدير قراءة أمير المؤمنين(٤) وزيد بن علي (٥) وأبي جعفر(٦) ( نَوَّرَ ) فعلا ماضيا وفاعله ضمير البارئ تعالى و( السموات ) مفعوله.

ويرى ابن عاشور أن جعل هذه الجملة ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ من باب ﴿ واسأل القرية ﴾ (٧) المجاز الإسنادي أبلغ من تقدير المضاف المحذوف إذ " فيه إيهام أن السموات والأرض قابلة لهذا النور كما أن القرية نفسها تشهد بما يُسأل منها، وذلك أبلغ في الدلالة على الإحاطة بالمقصود وألطف دلالة " (٨)

وفي إضافة ( نور ) إلى ( السموات والأرض ) دلالة على شمول وسعة إشراق النور للعالم بأوسعه والكون بأرجائه " فهو من إطلاق الجزء على الكل، فهو نور العالم كله" (٩) أما ضمير الغيبة في ( مثل نوره ) ففيه دلالات عديدة، فبدلا من ذكر المسند - على اختلاف تقديراته - جاء الضمير الذي فتح آفاقا واسعة للتأويل وتعدد المعنى، وذلك من خلال ما يعود إليه فقد قيل: إنه عائد على الله عز وجل، أي: مثل هداه في قلب المؤمن، أو على المؤمن أي: مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة، أو أنه عائد على النبي (ﷺ)، فجاء السياق مليئا بالمعاني المختلفة مما زاد من ثراء التأويلات. وفي استعمال الضمير هنا يظهر جليا ميل

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧
(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير: جـ ٢٣، ص: ١٩٥
(٣) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٥، ص: ٢١٩

(٤) عمر بن الخطاب (ت:٢٣هـ).
(٥) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولد عام تسعة وسبعين، وتوفي عام اثنين وعرين ومائة قارئ وعالم ثقة. كانت إقامته بالكوفة، وقد قتل بها. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٣٣٣ - ٣٣٦.
(٦) أبو جعفر، يزيد بن القعقاع المخزومي، القاريء أحد القراء العشرة، وتابعي مشهور. مدني ، قرأ القرآن على مولاه عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي و قد اختلف في تاريخ وفاته فقال محمد بن المثنى العنزي (ت: ١٢٧هـ ) وقال آخر سنة ثمان وعشرين وقال خليفة سنة اثنتين وثلاثين وقيل سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة ثلاث وثلاثين عن ينف وتسعين سنة محمد الذهبي، معرفة القراء الكبار : جـ١، ص: ٧٢ -٧٦
(٧) سورة يوسف: ٨٢ ، في الآية مجاز مرسل، إذ المراد وسأل أهل القرية، علاقته محلية ، وقد اعتبر ابن هشام هذه الآية من قبيل تقدير المضاف المحذوف ، على تقدير: واسأل أهل القرية (مغني اللبيب: جـ١، ص: ٦٠٤) وبذلك تخرج لطائف الإسناد المجازي من الآية .
(٨) التحرير والتنوير: م:٥، جـ١٨،ص: ٣٢٢
(٩) الألوسي، روح المعاني: جـ١٨، ص: ١٦٥

اللغة إلى الإيجاز والتركيز في الجمل والتعبيرات، وهو إيجاز ثري بالتأويلات والمعاني الممكنة التي من الممكن أن تستخرج من اللفظ، وضمير الغيبة في قوله ﴿ مثل نوره ﴾.

وقد رجح الطبري عود الضمير على الله عز وجل حيث يقول: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلوب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فآمنوا به، وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين، مثل مشكاة" (١) ، ويتفق ابن القيم مع الطبري فيقول: " والصحيح أنه يعود على الله سبحانه وتعالى. والمعنى مثل نور الله سبحانه وتعالى في قلب عبده. وأعظم عباده نصيبا من هذا النور رسوله (ﷺ) " (٢)ويرى أيضا أن إعادة الضمير على المؤمن صحيح فيقول: " وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه. ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل" (٣)

ورأى ابن الأثير أن في قوله ﴿ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ دلالة على أن هذا المثل ضربه الله للنبي (ﷺ)" وذلك لأن قلب النبي (ﷺ) وما ألقي فيه من النور، وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة؛ التي هي كأنها كوكب لصفائها، وإضاءتها، وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية، فإنها عبارة عن ذات النبي (ﷺ) لأنه من أرض الحجاز، التي لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب " (٤) .

وقوله في وصف المشكاة ﴿ فيها مصباح ﴾ اختلاف " فيجوز أن يكون الجار وحده هو الوصف و( مصباح ) مرتفع به فاعلا، ويجوز أن تكون الجملة من قوله: ﴿ فيها مصباح ﴾ صفة لـ ﴿ مشكاة ﴾ " (٥) والوجه الأول أولى للوصف بالمفرد، وعلى الرغم من هذا فأن للتقديم دلالة لطيفة لأن وجود المصباح في عمق المشكاة، واستقراره داخل قرارها جعله جزءا من مكوناتها السابقة دائم الاتقاد فيها، وليس موجودا بشكل مؤقت طارئ، بل هو مستقر بذاته في أعماقها كالفطرة السليمة المكنونة في صدر المؤمن على رأي من أول المثل بقلب المؤمن وهذا العمق المستقر في المشكاة والأنوار المنبعثة منها، يتوافق وما ذكره الكرخي(٦)

---

(١) جامع البيان: جـ٩، ص: ٣٢٥

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية: ٧، نقلا عن عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ٢، ص:٣٠٥

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٤) المثل السائر، جـ٢، ص ٢٨٠

(٥) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٥، ص: ٢٢٠

(٦) محمد بن محمد الكرخي إمام عالم فاضل، صنف التفسير قد يعرف بتفسير الكرخي في ستة أسفار ضخام وسماه مجمع البحرين ومطلع البدرين وهو من أجل التفاسير. (ت: ٧٣١هـ) . الأدنروي، طبقات المفسرين : جـ ١، ص : ٢٧١

في بيانه لمعاني هذه الآية حين قال: " وَمثّلَ الله نوره، أي معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس، مع أن نورها أتم؛ لأن المقصود تمثيل النور في القلب والقلب في الصدر، والصدر في البدن بالمصباح، والمصباح في الزجاجة ، والزجاجة في القنديل " (١) كما أن في تقديم ( المصباح ) في قولـــه: ﴿ المصباح في زجاجة ﴾ بيانا لأهميته في الإنارة وعرف بأل العهدية للإحالة والربط بين الجمل الاسمية المتتالية، كما أن في التقديم إشارة إلى وقوع المصباح في عمق الزجاجة التي تحميه وتحمي أضواءه من تلاعب الرياح، فهو نور ثابت بها.

وفي مَـثَـل النور نلحظ فنا بليغا هو تشابه الأطراف وإعادة الألفاظ الواقعة في آخر الجمل ( مصباح/ المصباح )، ( زجاجة/ الزجاجة)، ( شجرة / زيتونة ) وذلك لتأكيد المعنى والتنبيه عليه، وإضافة معاني التفخيم والتعظيم له، كما أن في تعريف المصباح والزجاجة معنى الشمول والعموم لجميع أنواع الإنارة والمصابيح ولمعان الزجاج، هذا بالإضافة إلى ما في المثل من تدرج دقيق واستقصاء شامل لأنواع الأنوار والأضواء، كما أن في إعادة ( المصباح والزجاجة ) معرفين إثر ورودهما نكرتين والإخبار عنهما بما بعدهما، وإظهارهما في مقام الإضمار تفخيما لشأنهما ورفعا لمكانتهما بالتفسير إثر الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، وفي هذا تأكيد على عظيم دورهما في الإضاءة والإنارة.

وفي حذف نائب الفاعل، والمضاف المقدر في قوله ﴿ يوقد من شجرة مباركة ﴾ حيث التقدير، يوقد النور من زيت شجرة، إشاعة لجو من الإبهام والغموض والرهبة لعظيم الإنارة وقوة الاتقاد وسرعة الاشتعال، كما أنه أكسب المعنى فخامة وجلالا ووقعا شديدا في النفس وجعل التأويلات تتوالد وتتكاثر فيها، فمنهم من قال " بأن أدوات العلم والفهم والتعقل عديدة يوقد القلب بها، ومنهم من قال إنها دلائل الإيمان التي يبثها الله في قلب المؤمن، ومنهم من أرجعه إلى القرآن" (٢).

---

(١) نقلا عن محيي الدين درويش، إعراب القرآن : جـ ١٨، ص: ٢٨١ ، وهو لم يذكر المصدر في كتابه.

(٢) انظر: الرازي، التفسير الكبير: جـ٢٣، ص: ١٩٥ الألوسي، روح المعاني: جـ١٨، ص: ١٦٥

وفي حذف جواب الشرط في قوله ﴿ ولو لم تمسسه نار ﴾ دلالة على قابلية استمرار الإضاءة والاتقاد، فالزيت يضيء بقدرة الله ونوره، وسلامة فطرة عباد الله الصالحين وعلى تأويل من قال بأن المقصود هو النبي (ﷺ) تكون الفطرة المقصودة هي فطرة النبي الصافية المنيرة. هذا وقد أشاع الحذف التحقق في الوقوع ، وفيه نوع من الغلو المقبول بالفعل ( يكاد ) إذ كان له أثر في تقريب الصورة للعقل، وملامستها للخيال، فهو مستقصٍ لجميع الأحوال مشتعل مضيء في جميع الأزمنة والأحوال.

ولتنكير( النور ) في قوله تعالى: ﴿ نور على نور ﴾ " ضرب من الفخامة والمبالغة لا أرشق ولا أجمل منه، فليس هو نورا واحدا معينا، أو غير معين فوق نور آخر مثله، وليس هو مجموع نورين اثنين فقط، بل هو عبارة عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين" (١) وقال السدي : " نور النار والزيت حين اجتمعا أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكن واحد منهما إلا بصاحبه " (٢) وقيل المراد بالنورين " نورا العلم الواصل للقلب من هداية الكتاب والسنة، وهو يقابل نور الزيت. ونور الإيمان الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، وهو يقابل نور شعلة المصباح" (٣) وقال ابن القيم:" والنور على النور، نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فيضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نورا على نور"(٤).

وقد أُظهِرَ لفظ ( نوره ) في قوله ﴿ يهدي الله لنوره ﴾ في مقام الإضمار " ليزداد تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية الناشئة من إضافته إلى ضميره عز وجل" (٥).

وفي قوله تعالى: ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس ﴾ تلميح وتعريض بعظيم دور المثل في الإرشاد والهداية لأنه" إبراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لأوابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل جل وعلا نوره المراد به ما يشمل القرآن، أو القرآن المبين فقط بنور المشكاة وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار ... للإيذان باختلاف ما أسند إليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الأمثال الذي هو من قبيل الهداية لعامة الناس كما يفصح عنه تعليق الأولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة" (٦) .

**********

(١) محيي الدين درويش، إعراب القرآن: جـ٥، ص: ٢٨٢
(٢) نقلا عن ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: جـ٣، ص: ٢٩١
(٣) عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية : جـ ٢، ص: ٣٠٦
(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية :٨، نقلا عن عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ٢، ص:٣٠٢
(٥) الألوسي، روح المعاني: جـ١٨، ص: ١٧٣
(٦) المرجع السابق: جـ١٨، ص: ١٧٣

المثل الثاني:

المثل الثاني المضروب للمؤمنين هو قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أشداء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (١)

وهذا المثل يبدأ باستئناف بياني ﴿ محمد رسول الله﴾ لبيان معنى الآية السابقة عليه ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾ (٢) ، ثم أردف هذا الاستئناف باستئناف آخر ﴿والذين معه أشداء على الكفار... ﴾ لمدح أصحاب الرسول (ﷺ) وذكر صفاتهم ومناقبهم. وقد جيء بالاسم الموصول في بدايات المثل، لينفتح المجال واسعا، لتوالي الجمل وتوالدها في وصف حال صحابة رسول الله (ﷺ) الذين استحقوا التكريم والرضوان، فجملة ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... ﴾ عبارة عن جملة كبرى تكوّن محورا مركزيا للمسند إليه، والضمائر العائدة عليه، فـ ( الذين ) مبتدأ و( أشداء ) خبره الأول ورحماء خبر ثان ، وجملة: ( تراهم ... ) في محل رفع خبر ثالث.

وجملة ﴿ يبتغون ... ﴾ في محل رفع خبر رابع.

وجملة ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ في محل رفع خبر خامس.

وبهذا شكل الاسم الموصول ( الذين ) وسيطا لغويا، ربط جملة الاستئناف البياني ﴿ محمد رسول الله ﴾ بباقي جمل المثل التي قصد بها تكريم أصحاب الرسول (ﷺ) والمؤمنين التابعين لهم جميعا. هذا ويجوز اعتبار جملة ( تراهم...)، وجملة ( يبتغون.. )، وجملة ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾ جملا مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ذلك أن لكل حال من أحوالهم استـــقلاله

---

(١) سورة الفتح: ٢٩

(٢) السورة نفسها : ٢٨

الخاص " في تصوير لقطة من حالات هذه الجماعة المختارة، حالات سلوكهم الظاهري وتجسّد مشاعرهم الباطنة ..... فاللقطة الأولى تبين حالتهم مع الكفار ومع المؤمنين ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾، والثانية تصور عبادتهم ﴿ تراهم ركعا سجدا ﴾ والثالثة تصور قلوبهم وما يشغلها وتجسد آمالهم بقوله: ﴿ يبتغون فضلا من الله ﴾ والرابعة تصور أثر العبادة الظاهر عليهم ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾" (١) .

ولكل لقطة جملة مستقلة في معناها مستقلة عن السابقة واللاحقة بها، إلا أن بينها تكاملا، فجملة ( يبتغون ) جواب سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود، كأنه قيل: ماذا يريدون بذلك؟ فقيل: يبتغون فضلا من الله، وبذلك تكون جملة ( يبتغون ) مستأنفة بيانا أو خبرا رابعا، أو حالا ثالثة من مفعول ( تراهم ) أو من المستتر في ( ركعا سجدا ). وبالرابط النحوي - العطف بالواو - تشابكت اللقطات وتداخلت لتقدم صورة واضحة، للخطوط العريضة في حياة صحابة رسول الله (ﷺ).

وتنتهي اللقطات المضيئة أو " الصور المضيئة " (٢) بجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ لبيان أن ما وصفوا به من صفات وملامح سابقة ليست لقطات مستحدثة مؤقتة، وإنما هي ثابتة ذكرت في التوراة والإنجيل. وقد عُبر عن خلود هذه الأوصاف ودوامها وثبوتها لصحابة رسول الله (ﷺ) بالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ ( ذلك ) والخبر ﴿ مثلهم في التوراة ﴾ وعطف عليها بجملة اسمية أخرى ﴿ ومثلهم في الإنجيل ﴾، هذا في حال الوصل - وصل مثلهم في التوراة بمثلهم في الإنجيل - أما في حال الفصل بينهما والوقف على ﴿ مثلهم في التوراة ﴾ تكون جملة ﴿ ومثلهم في الإنجيل ﴾ جملة

---

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ٦، ص: ٣٣٣١

(٢) المرجع السابق: جـ٦، ص: ٣٣٣١

ابتدائية لا محل لها من الإعراب، وتكون جملة( كزرع ) في محل رفع خبر لـ ( مثلهم الثاني ) أما في الوصل فتكون جملة ( كزرع ) لا محل لها استئناف بياني على تقدير ( هم كزرع ) ومما يؤكد هذا قول الزمخشري: " يجوز أن يكون ( ذلك ) إشارة مبهمة أوضحت بقوله:﴿ كزرع﴾ " (١)

وقد كان للروابط الإحالية المتمثلة بضمير الغيبة في قوله ( تراهم، يبتغون، سيماهم في وجوههم ) واسم الإشارة ( ذلك ) والاسم الموصول ( الذين ) دور في ربط جمل النص وشد بناه اللفظية، فكانوا كوسائط لغوية ربطت بين أواصر الجمل وشدت معنى السياق، فجاء مثلا متكاملا مترابط النسيج، محكم الفتل.

وجملة التمثيل الاستئنافية ( كزرع ) كانت نواة لجمل فعلية متتالية أوضحت معنى المسند بجمل معطوفة على بعضها، وهي صفات للزرع، الجملة الأولى: ( أخرج شطأه ) وهي في محل جر نعت لزرع، والجملة الثانية: ( آزره ... ) في محل جر معطوفة على جملة ( أخرج) والجملة الثالثة: ( استغلظ ....) في محل جر معطوفة على جملة ( آزره )، والجملة الرابعة: (استوى.. ) في محل جر معطوفة على جملة ( استغلظ ). وفي هذا الترابط إيحاء بالتدرج الدقيق لنمو هذا الزرع واستوائه. وقد استخدمت الجمل الماضية في وصف الزرع، واستخدم العطف بالفاء لتسريع عرض مشاهد نمو الزرع وصولا إلى الاستواء والاكتمال في النمو. والزمن الماضي المُعبر به هنا يناسب سياق الجمل الاستئنافية السابقة التي ألمحت إلى قدم وصفهم بهذه الصفات، وثبوتها في التوراة والإنجيل قبل أن ياتي محمد (ﷺ) وصحابته.

والزرع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره ( يعجب الزراع ) وبذلك تكون جملة ( يعجب .. ) في محل نصب حال من فاعل ( استوى )، أي معجبا لهم.
وجملة ﴿ ليغيظ..... ﴾" علة لما يعرب عنها الكلام من إيجاده تعالى لهم على الوجه الذي تضمنه التمثل" (٢)، والجملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي (أن ) المضمرة والمصدر المؤول ( أن يغيظ... ) في محل جر باللام متعلق بفعل محذوف تقديره قوّاهم الله، أو شبهوا بذلك، أو جعلهم بهذه الصفات، أو متعلق بـ ( وعد ) الآتي. (٣)

وينتهي المثل بجمل لا محل لها من الإعراب ﴿ وعد الله... ﴾ المستأنفة، وجملة ( آمنوا)

---

(١) الكشاف:جـ٤، ص: ٣٤٩

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٦، ص: ١٢٧

(٣) انظر: محمود صافي، الجدول: جـ٢٦، ص: ٩٠

صلة الموصول، وجملة ( عملوا ) المعطوفة على الصلة، ليكون بشرى وتكريما فوق التكريم السابق بذكر صفاتهم، وفيه وعد بالمغفرة والأجر العظيم، جيء بصيغة عامة لجميع المؤمنين ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ﴾ وليكون محفزا لاقتفاء أثر هذا النموذج السابق، كنور مضيء تحاول الأجيال اتباعه لتحقيق معنى الإيمان في أعلى درجاته.

**********

يجوز في قوله: ﴿ محمد رسول الله ﴾ وجهان في حال الوقف .

الوجه الأول: أن يكون ( محمد ) خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو محمد، يعود هذا الضمير المحذوف على ( رسوله ) في الآية قبلها ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى...﴾ (١). وهذا المعنى هو الأظهر هنا إذ ليس المقصود إفادة أن محمد رسول الله، وإنما المقصود بيان رسول الله من هو بعد أن أجريت الأخبارعليه، من قوله ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ (٢) إلى قوله: ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ (٣) " فيكون السامع كالمشتاق إلى بيان المتحدث عنه بهذه الأخبار، فيقال له: محمد رسول الله، أي هو محمد رسول الله، وهذا من العناية والاهتمام بذكر مناقبه (ﷺ) فتعتبر الجملة المحذوف مبتدؤها مستأنفة استئنافا بيانيا" (٤). و( رسول ) بيان أو نعت أو بدل (٥)، ويرى الألوسي أن هذا هو الوجه الأرجح وتؤيده قراءة ابن عامر(٦) في روايته ( رسولَ ) بالنصب على المدح(٧).

الوجه الثاني: ( محمد ) مبتدأ، و( رسول ) خبره، ( والذين معه ) مبتدأ، و( أشداء ) خبر.

ووجهان كذلك في حالة الوصل:

الوجه الأول: ( محمد ) مبتدأ، و( رسول الله ) بدل أو بيان أو نعت. ( والذين معه ) عطف على ( محمد)، والخبر عنهم ( أشداء على الكفار ).

الوجه الثاني: ( محمد ) مبتدأ، ( رسول الله ) خبر، ( والذين معه ) مجرور عطف على لفظ الجلالة. أي ورسول الذين آمنوا معه، لأنه لما أرسل إليهم أضيف إليهم. فهو رسول الله بمعنى

---

(١) سورة الفتح: ٢٨

(٢) السورة نفسها: ٢٧

(٣) السورة نفسها: ٢٨

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير:جـ٢٦،ص: ٢٠٣

(٥) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٦، ص: ١٦٦

(٦) أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي، من قراء دمشق،أحد القراء (ت: ١١٨هـ ) اشتهر بالفضل والعلم والزهد. كان من التابعين وقد لقي جماعة من الصحابة. غاية النهاية:جـ١، ص: ٤٢٣.

(٧) انظر: روح المعاني: جـ٢٦،ص: ١٢٣

أن الله أرسله، ورسول أمته بمعنى أنه مرسل إليهم، ويكون ( أشداء ) حينئذ خبر مبتدأ مضمر. أي هم أشداء. (١)

ويجوز في قوله: ﴿ والذين معه ﴾ أن يكون ( الذين ) مبتدأ، و( أشداء ) خبر عنه وما بعده إخبار. والمقصود الثناء على أصحاب الرسول (ﷺ).
ويجوز أن يكون ( والذين معه ) عطفا على ( رسوله ) من قوله ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ..﴾ (٢) ، والتقدير: وأرسل الذين معه، "أي: أصحابه على أن المراد بالإرسال ما يشمل الإذن لهم بواسطة الرسول (ﷺ) " (٣) .
وقرأ الحسن (٤) ( أشداءَ . رحماءَ) بنصبهما فقيل مقطوع على المدح، أي امدح، وقيل على الحال من الضمير في ( معه )، والعامل فيهما العامل في ( معه ) فيكون الخبر على هذا الوجه جملة ( تراهم ). (٥) وقيل: إن ( الذين ) منصوب على الاشتغال، وجملة تراهم تفسيرية .

و( ذلك ) في قوله: ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ إشارة إلى ما تقدمهم من وصف بأنهم أشداء رحماء، وسيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق وهو مبتدأ خبره ( مثلهم )، ( في التوراة ) حال من ( مثلهم ) والعامل فيه معنى الإشارة، أو يكون خبر المبتدأ (ذلك ) جملة ( مثلهم في التوراة ) المكونة من مبتدأ ثان ( مثلهم ) وخبره ( في التوراة). والوجه الأول أولى لأن الوصف بالمفرد ( مثلهم ) أولى من الوصف بالجمل.

وقوله ﴿ ومثلهم في الإنجيل ﴾ يجوز فيه وجهان:
أحدهما: " أنه مبتدأ وخبره ( كزرع ) و ( في الإنجيل ) حال من الضمير في ( مثلهم ) فيوقف على قوله: ( في التوراة ) فهما مثلان الأول ذكر في التوراة بأن سيماهم في وجوههم، والثاني جاء في الإنجيل بوصفهم بالزرع النامي القوي، وإليه ذهب ابن عباس، وجملة ﴿ ومثلهم في الإنجيل ﴾ ابتدائية لا محل لها من الإعراب .
والثاني: أنه معطوف على مثلهم الأول. فيكون مثلا واحدا في الكتابين، ويوقف حينئذ على ( في الإنجيل)، وإليه نحا مجاهد والفراء (٦) " . (٧) فيكون قوله على هذا ( كزرع ) فيه أوجه أحدها: أنه خبر مبتدأ مضمر. أي مثلهم كزرع. فسر بها المثل المذكور، الثاني: " أنه حال من الضمير في مثلهم" (٨). أي مماثلين زرعا هذه صفته، الثالث: أنها نعت لمصدر محذوف أي تمثيلا كزرع ، وهو بعيد (٩).

---

(١) انظر الرازي، التفسير الكبير:جـ١٤،ص: ٩٣، والسمين الحلبي،الدر المصون:جـ٦،ص: ١٦٦
(٢) سورة الفتح: ٢٨
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٦، ص: ٢٠٥
(٤ الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد(ت: ١١٠هـ ) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء القرّاء، والفقهاء الفصحاء، قرأ القرآن على حطان الرقاشي عن أبي موسى روى القراءة عنه يونس بن عبيد وأبو عمرو بن العلاء. ولد بالمدينة، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب، وله ( كتاب في فضائل مكة-خ) بالأزهرية. توفي بالبصرة. الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ٢٢٦، و محمد الذهبي، معرفة القراء ، جـ١، ص٦٥
(٥) انظر : الألوسي، روح المعاني: جـ٢٦،ص: ١٢٣، والنحاس، إعراب القرآن: جـ٣، ص: ١٩٦، وابن جني، المحتسب: جـ ٢، ص: ٣٧٦
(٦) أبو زياد يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي الكوفي مولى بني أسد (ت: ٢٠٧هـ ) كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب أخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي. له كتاب ( المعاني ) و ( المصادر في القرآن ) و ( الجمع والتثنية في القرآن ). ابن خلكان، وفيات الأعيان : جـ ٦، ص: ١٧٦.
(٧) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٦،ص:١٦٦
(٨) محمود صافي، الجدول: م:١٢،جـ٢٦،ص: ٨٩
(٩) انظر: العكبري، التبيان: جـ٢،ص:٣٦٨

وفي قوله ( ليغيظ ) أوجه :

" أحدهما: أن يتعلق بـ ( وَعَدَ )، لأن الكفار إذا سمعوا بعز المؤمنين في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة غاظهم ذلك.

الثاني: أن يتعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع في نموه وقوته. أي شبههم الله بذلك ليغيظ.

الثالث: أن يتعلق بما دل عليه قوله: ﴿ أشداء على الكفار..﴾ إلى آخره من الصفات التي وصف بها صحابة رسول الله (ﷺ) أي جعلهم بهذه الصفات ليغيظ " (١).

واعتبر ابن هشام (٢) ( من ) في قوله: ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم .. ﴾ للتبيين لا للتبعيض، لأنهم كلهم مغفور لهم (٣)فهي لبيان الجنس والعموم، ومنهم من أجراها على أصلها كالرازي، فجعلها للتبعيض على معنى ليغيظ الكفار والذين آمنوا من الكفار لهم الأجر العظيم (٤) ، وكما فعل الطبري حين أعاد الضمير ( منهم ) على معنى الشطء لا على لفظه، يقول: " منهم أي، من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام إلى يوم القيامة " (٥) وهو معنى حسن إلا أنه بعيد.

**********

الاسم الموصول فتح مجال الوصف واسعا للصحابة رضوان الله عليهم في قوله: ﴿ والذين معه ﴾ فجاءت أحوالهم متتالية، كما أن في الظرف المنصوب ( معه ) المتعلق بمحذوف صلة الذين، وصف لحالهم بطريقة مضمرة، فـ ( معه ) أفادت المصاحبة الكاملة بالطاعة والتأييد والنصرة، وهذا ما يؤكده ضمير الغيبة المتصل، فبينهما تلاحم وتبعية وارتباط.

وفي وصفهم بالرحمة في قوله ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ بعد وصفهم بالشدة تكميل واحتراس " فإنه لو اكتفي بالوصف الأول لربما توهم أن مفهوم القيد غير معتبر فيتوهم الفظاظة مطلقا، فدفع بإرداف الوصف الثاني" (٦) وفي الجمع بين هاتين الخلتين المتضادتين الشدة والرحمة، إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد.

---

(١) انظر: المسين الحلبي، الدر المصون: جـ ٦، ص: ١٦٧

(٢) عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام: من أئمة العربية. مولده ووفاته بمصر. (٧٠٨-٧٦١هـ = ١٣٠٩-١٣٦٠م) قال ابن خلدون: مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه. من تصانيفه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- ط ) و (عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب) مجلدان، و (شذور الذهب- ط ) و (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- ط) و (نزهة الطرف في علم الصرف). الزركلي، الأعلام = جـ٤، ص:١٤٧.

(٣) انظر: مغني اللبيب: جـ١، ص: ٦١٠

(٤) التفسير الكبير:جـ١٤،ص:٩٤

(٥) جامع البيان: جـ٢٦،ص: ١٢٠

(٦) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٦، ص: ١٢٣

وفي تعليق الظرف ( بين ) ( برحماء ) " تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعا" (١) فهم كالجسد الواحد، " والخطاب في ( تراهم ) لغير معين بل هو لكل من تتأتى رؤيته إياهم" (٢) وفيه تجسيد لهم، وتأكيد لفعل الرؤية وتحقق وقوعه، كما أن فيه شد لانتباه السامع، وتثبيت الزمن والحدث في الركوع والسجود إشارة إلى دوام عبادتهم " والتعبير يوحي كأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم "(٣) " وإيثار صيغة المضارع في قوله ( تراهم) للدلالة على تكرر ذلك منهم" (٤)، " أي كلما شئت أن تراهم رأيتهم في وضع عبادة وسجود وركوع، وهذا ثناء عليهم، وإيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه" (٥) .

وفي إضافة الأثر إلى السجود في قوله: ﴿ من أثر السجود﴾ إشارة إلى أثر السجود في وجه المؤمن لكثرة السجود والعبادة. " وقد اختير لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية المطلقة لله في أكمل صورها"(٦) و( من أثر السجود ﴾ متعلق بحال من ضمير الاستقرار الذي هو الخبر، أو متعلق بالخبر ( في وجوههم ).

واستخدم اسم الإشارة ( ذلك ) " إشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل" (٧) ، وفي اختيار اسم الإشارة (ذلك ) دلالة على ميل اللغة للإيجاز، فبإشارة واحدة تترتب جميع المعاني السابقة لما فيه من إحالة خفية جامعة للمعنى. أما تكرار لفظ ( مثلهم ) وإظهاره في مقام الإضمار فذلك " للتأكيد على غرابة حالهم وزيادة تقريرها" (٨) وتأكيدها في الأذهان.

" وقد استعير الفعل ( أخرج ) لمعنى تفرع الفراخ من الحبة، لمشابهة التفرع بالخروج ومشابهة الأصل المتفرع بالخروج، ومشابهة الأصل المتفرع عنه بالذي يخرج شيئا من مكانه" (٩) مما أكسب الأحداث سرعة في المرور والتجسد.

وقد خُص الزراع بالذكر في قوله ﴿ يعجب الزراع ﴾ لأن الزرع إنْ أعجب الزراع وهم يعرفون عيوب الزرع، فهو أحرى أن يعجب غيرهم ، والمراد بالزراع الله تعالى ورسوله الكريم "، فهو مثل مضروب لبدء الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، وظاهره أن الزرع هو النبي (ﷺ) والشطء أصحابه، فيكون مثلا له عليه السلام وأصحابه" (١٠) .
وقد يكون في المعنى تورية فقد يكون الزراع هم الكفار الذين صرح بلفظهم بعد لفظ الزراع لما يخفونه ويكفرونه من نعم الله ودلائله عليهم.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٦،ص: ٢٠٥
(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ٦،ص: ٣٣٣٢
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٦،ص: ٢٠٥
(٥) انظر: المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ٦،ص: ٣٣٣٢
(٧) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٦، ص: ١٢٦.
(٨) المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ٢٦، ص: ٢٠٨
(١٠) انظر: المرجع السابق :جـ٢٦، ص: ٢٠٩

ويجوز في قوله ( آزره ) أن يعود الضمير المرفوع على الزرع والمنصوب على الشطء، بمعنى أن الأصل رعى فراخه حتى قويت واشتدت ساقها، فهو زرع نام قوي، يخرج فرخه من قوته وخصوبته. ويجوز أن يكون الضمير المرفوع في آزره للشطء، والضمير المنصوب للزرع، أي، آزر الشطء الزرع، وقوى الفراخ عود الأم بتكاثره وتكاثفه، فالفراخ لا تضعف العود بل تقويه.

وتأخير ( مِنْ ) بعد قوله: ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ دلالة على أن عمل الصالحات لا ينفك عنهم، وفيه تأكيد أهمية العمل الصالح في نيل رضوان الله، فقدم الأهم على المهم لتوجيه الانتباه.

وفي التعبيرعن الأجر بالفضل في قوله: ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ دليل على أن القرآن ينتقي اللفظة الدقيقة، للتعبير عن المعنى الراقي البديع، فقال: ﴿ يبتغون فضلا﴾ ولم يقل ( أجرا ) لأن الأجرة لا تستحق إلا على العمل الموافق للطلب من المالك، وفي طلب الفضل اعتراف من المؤمن بالتقصير، وتبسيط لعمل الإنسان مقابل فيض عطاء المنان.

**********

ومثل رسول الله (ﷺ) وصحابته في سورة الفتح كمثل النور السابق، يتمحور حول معاني النور، والهداية والصلاح ﴿ رحماء، ركعا سجدا، سيماهم ﴾ فتشع أنوار الهداية من بناه اللفظية كما أشعت الأنوار من ألفاظ مَثَل النور سابقا.

هذا، والبنية العميقة للمثل قائمة على ثنائيات ضدية تماثل بنية مَثَل النور في ثنائياتها، وهي: ( الله، العباد ) . ( الهداية ، الضلال ). ( الإيمان، الكفر). ( المؤمنون الكافرون ). ( النور، الظلمة ). ( الثواب، العقاب ).

وبعض عناصر هذه الثنائيات يظهر واضحا جليا كـ ( الله، العباد ) في قوله ﴿ رسول الله ﴾ ﴿ والذين آمنوا معه ﴾، ﴿ وعد الله ﴾. وثنائية ( الإيمان، الكفر) كقوله: ﴿ الذين آمنوا ﴾ ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾. أما باقي عناصر الثنائيات ( كالعذاب، والضلال، والظلمة ) فتبقى مضمرة يكشف عنها سياق المثل الذي يتميز بوجود نسق سياقي مضمر، مقابل للنص الظاهر.

فهذا المثل إن نظر إليه من زاوية رسول الله (ﷺ) وأصحابه كان تزكية وتكريما لهم، وإن نظر إليه من زاوية أخرى مضمرة لنسق مستتر المعنى خلف السياق النوري الظاهر هذا، اتضحت ظلال الفريق الثاني، ظلال الكفر والضلال، وهذا الجزء المضمر من الثنائيات دلّت عليه بنى لفظية عدة كقوله: ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ وقوله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ فهذا جزاء المؤمنين، وأما الكافرون فعقابهم بقي

مضمرا خلف النص الظاهر، وقد ألمح إليه بإيماءات معنوية شفافة، تصل إلى القلب قبل أن تلمحها العين الباصرة، لتكاثف أنوار البنية اللفظية الظاهرة.

هذا والمثلان يشتركان في التركيز على القوة والانتشار والاستمرار لطاقة النور ونمو الزرع وتكاثره، وهما عنصران مستمدان من الطبيعة ووحيها المألوف في كل زمان ومكان ويعبران عن قوة المؤمنين وتكاتفهم وتلاحمهم وتكاثرهم وقوتهم.

ويرتبط مثل رسول الله وصحابته بمثل النور حيث ذكر في هذا المثل صفات المؤمنين الذين أشير إليهم في مثل النور بقوله: ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء﴾ فعددت صفات من هداهم الله بنوره ﴿ رحماء، أشداء، ركعا سجدا، يبتغون فضلا من الله ﴾ وجاء فيه تكريم لهم وإشادة بخلقهم وأحوالهم وفيه بشرى لهم بالمغفرة والرضوان، فهو" التكريم الإلهي لهذه الجماعة السعيدة" (١)

كما أن بين المَثَلَين تشابها في طريقة التشبيه التي تعتمد على الاستقصاء وتتبع تفاصيل صورة المشبه به في تدرج ودقة تتمثل في قوله: ( كزرع. فاستغلظ. فاستوى ..) وفي مثل النور ﴿ كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد.. ﴾ وهذا التدرج فيه انتقال من البسيط إلى الأقوى ومن الضعيف إلى الأشد القوي.

ومثل الرسول (ﷺ) وصحابته مترتب على مثل النور، أو هو نتيجة ظاهرية لنور الله السابق ذكره في المثل الأول فهم ﴿ ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ﴾ ولذلك كانت النتيجة أن استحقوا المغفرة والرضوان والفوز بالنعيم الدائم.

والأنوار تشع من ألفاظ مثل رسول الله(ﷺ ) وصحابته كما كانت تشع من البُنى اللفظية في مثل النور، فقوله: ﴿ تراهم ركعا سجدا ﴾ فيه إشارة لاستجابتهم لأنوار الهدى واتباعها، فكانت حياتهم عبادة مستمرة عُبر عنها بفعل الركود والسجود، كما أن ملامحهم تشع نورا، فسيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والضياء والشفافية، إذ إن نور الله ينعكس على وجه وملامح المؤمنين نتيجة خضوعهم، وتذللهم وخشوعهم الدائم له سبحانه " فتتوارى ملامح الخيلاء والكبرياء ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلا" (٢)، كما تشع الأنوار من الوعد بالجزاء ﴿ مغفرة من الله ورضوانا ﴾ الذي عبر عنه بالنكرات تعظيما وتكريما لهذا الجزاء، فهو عطاء إلهي مطلق بلا حدود.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ٦، ص: ٣٣٣٢

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها

فيا لها من أنوار فرحة تراقصت معها سرائر نفوس " العائدين من الحديبية، وقد نزلت هذه السورة وقرئت عليهم" (١) ويا لها من بشرى تضيء لها القلوب والأزمان، ويا لها من دعوة محفزة إلى العمل الصالح، والالتحاق بالركب السالف الفائز، إنها أنوار اتحد بها المثلان فعمت المؤمنين وغشيتهم منذ نزولها واستمرت تتدافع أضواؤها متجاوزة أسوار الزمن مؤثرة في النفوس، متحدة مع قوة المثل البيانية ذات الأثر النفسي العظيم.



---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ٦، ص: ٣٣٣٣

## ثانيا: أمثال الكافرين

لموضوع الكافرين في القرآن ثمانية أمثال، اخترت منها ثلاثة أمثال جامعة للمعاني التصويرية لحال الكافرين، شاملة لحالهم في إعراضهم عن رسل الله ودعوته، وفي ضياع أعمالهم وفسادها وحبوطها بسبب كفرهم، وفي عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم، فكانت أمثالا شاملة موجزة للمحاور الرئيسة لأمثال الكافرين في القرآن. والأمثال الثلاثة هي:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾(١)

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ (٢)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

**********

### المثل الأول للكافرين:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾

### التراكيب النحوية ودلالاتها:

سيطرت الجمل التي لا محل لها من الإعراب على المثل الأول من أمثال الكفار في سورةالبقرة فجملة: ( مثل الذين كفروا ) لا محل لها استئنافية، أو ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها في قوله:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (٤)بطريقة تصويرية موضحة ومجسدة للمعاني السابقة(٥).

وجملة: ( كفروا ) لا محل لها صلة الموصول ( الذين )

وجملة: ( ينعق ) لا محل لها صلة الموصول ( الذي )

وجملة: ( لا يسمع ) لا محل لها صلة الموصول الحرفي ( ما )

---

( ١) سورة البقرة: ١٧١

(٢) سورة إبراهيم: ١٨

(٣) سورة العنكبوت: ٤١

(٤) سورة البقرة: ١٧٠

(٥) أبو السعود، تفسير أبي السعود: جـ١، ص: ١٩٠

والجمل : ( صم، بكم، عمي ) لا محل لها استئنافية.
وجملة: ( فهم لا يبصرون ) لا محل لها معطوفة على الاستئنافية الأخيرة.

كما سيطر الجار والمجرور على أشباه الجمل:
( كمثل ): جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ.
( بما ) من قوله ( بما لا يسمع ... ) ( الباء ) حرف جر ( ما ) اسم موصول في محل جر متعلق بـ ( ينعق ).

**********

تعددت الأقوال في تفسير هذا المثل وذلك لكون السياق الواردة فيه الألفاظ مليئا بالمعاني، وغنيا بالتأويلات، التي تؤدي على الرغم من اختلافها معنى واحدا، هو ضلال الكافرين وعدم تفهمهم وتعقلهم، فهم كالبهائم يعبدون ما لا ينفعهم ولا يضرهم.
وامتاز هذا المثل بأبعاد رباعية، فكل زاوية منه تكشف عن معنى تصويري يجسد حال الكافرين وداعيهم وأصنامهم وضلالهم وتخبطهم وعدم تعقلهم.

كما أن الأفعال الواردة في هذا المثل ( ينعق، يسمع، يعقلون ) والموصولات ( الذين، الذي، ما ) كانت ذات قدرة فائقة على التكيف والتلون بألوان التأويل، وبديع المعاني المستقاة من السياق، فكان سياقا منتجا خصبا، يحتمل التقدير والحذف ويحتمل الإضافة والتضمين ويتسع ليحتوي المعاني جميعها ويتمم وصف حال الكافرين.

والأقوال عديدة في ضرب هذا المثل وأشهرها أربعة:
القول الأول: *المَثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق* " والتقدير: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه لا ينتفع من نعيقه بشيء، غير أنه في عناء وكذلك الكافر ليس له من دعاء آلهته إلا العناء "(١)، ويكون ( مثل) مبتدأ، و( كمثل ) خبره وليس في الكلام حذف.

وقد ضعّف الزمخشري هذا الوجه لأن قوله ﴿ بما لا يسمع إلا داء ونداء ﴾ لا يتناسب كوصف للصنم إذ إنه لا يسمع مطلقا يقول:"إلا أن قوله: ( إلا دعاء ونداء ) لا يساعد عليه لأن الصنم لا يسمع شيئا "(٢)، وقد رد أبو حيان (٣) عليه بأن " التشبيه وقع في مطلق الدعاء

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٤٣٧
(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ١، ص: ٢٤٠
(٣) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبو حيان(٦٥٤-٧٤٥هـ = ١٢٥٦-١٣٤٤م) من كبار العلماء بالعربية و التفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، من كتبه (البحر المحيط- ط) في تفسير القرآن، ثماني مجلدات و (النهر- ط) اختصر به البحر المحيط ، و (ارتشاف الضرب من لسان العرب-خ).الزركلي، الأعلام: جـ٧، ص: ١٥٢

لا في خصوصيات المدعوّ، فشبه الكافر في دعائه الصنم بالناعق بالبهيمة لا في خصوصيات المنعوق به" (١)

ويجوز أن يكون الناعق هنا ليس الناعق بالبهائم" وإنما المراد به الصائح في جوف الجبل فيجيبه الصّدى، فالمعنى : بما لا يسمع منه الناعق إلا دعاء نفسه ونداءها، فعلى هذا القول يكون فاعل ( يسمع ) ضميرا عائدا على الذي ينعق [ الكافر ] ويكون العائد على ( ما ) الرابط للصلة بالموصول محذوفا لفهم المعنى، تقديره: بما لا يسمع منه، وليس فيه شرط جواز الحذف فإنه جُرّ بحرف غير ما جُرّ به الموصول، وأيضا قد اختلف متعلقاهما، إلا أنه قد ورد ذلك في كلامهم أما على القول الأول فيكون فاعل ( يسمع ) ضميرا يعود على ( ما ) الموصولة" (٢) ، وهو المنعوق به غير العاقل ( الصنم ).

القول الثاني: *المثل مضروب بتشبيه الكافر بالمنعوق به* " فهو على حذف قيد في الأول وحذف مضاف في الثاني، والتقدير : ومثل الذين كفروا في دعائهم إلى الله تعالى وعدم سماعهم إياه كمثل بهائم الذي ينعق" . (٣) أو أن يراد بالذي ينعق ( الذي يُنَعَقُ به ) ويكون هذا على القلب (٤) وهو قليل، بمعنى : ومثل الذين كفروا في عدم فهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي غير الصوت. (٥)

القول الثالث: *المثل مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق بغنمه* فهو على حذف مضاف من الأول، " والتقدير : مثل داعي الذين كفروا كمثل الناعق بغنمه، في كون الكافر لا يفهم مما يخاطب به داعيه إلا دَويّ الصوت دون إلقاء فكر وذهن، كالبهيمة" (٦) ، فتكون ( ما ) مرادا بها العاقل تجوزا، لأن الكفار في حكم الذي لا يعقل.

القول الرابع: *المثل مضروب بتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوق به*، وهو على حذف مضاف من الأول ( داعيهم ) وقد أثبت نظيره في الثاني، وحذف مضاف من الثاني ( المنعوق به ) وقد أثبت نظيره في الأول. والتقدير: " مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق

---

(١) البحر المحيط: م: ١، ص: ٦٥٦

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون : جـ١، ص: ٤٣٨

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها

(٤) القلب مثل : دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي. إلا أن القلب لا يقع على الصحيح إلا في ضرورة أو ندرة.

(٥) أبو حيان، البحر المحيط: م:١، ص: ٦٥٦، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٤٣٨

(٦) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٤٣٨

والمنعوق به، وقد اختار هذا الوجه سيبويه " (١)، ورغم كثرة الحذف في هذا التقدير فيه " حذف معطوفين إذ التقدير الصناعي: ومثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الذي ينعق والمنعوق به " (٢)فإن المعنى مكتمل لوروده في سياق مليء بالمعاني الإيحائية، فهو إيجاز إعجاز يتعامل مع عقول وقلوب السامعين، ويغني قليل لفظه عن كثيره، لتفاعل القلوب معه. وهو من بديع الكلام إذ العرب تستحسن كثرة الحذف حين يقابلها غنًى في المعنى.

والوجه الأخير ـ القول الرابع ـ هو الأولى ، وهو على حذف مضاف من الأول والثاني على تقدير: ومثل داعي الذين كفروا كمثل غنم الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء.. ، وهو على التشبيه التمثيلي إذ إن في تقابل الأطراف بين عناصر التشبيه خلاف وصعوبة في عود الضمير المستتر في الفعل ( ينعق ) على الرسول ( ﷺ)، وأدب البيان رفيع في القرآن فجاء المثل بصورتين منفصلتين عن بعضهما مستمدتين من الواقع. الكفار في صدهم دعوة الله واتباعهم آباءهم وأهواءهم وإعراضهم عن رسله، ودعاة الحق كصورة البهائم التي لا تفقه الكلام ولا تعي منه شيئا. وعلى هذا يكون قوله ( لا يسمع إلا دعاء ونداء ) كناية عن عدم الفهم والاستجابة فتناسبت الصورتان في الكشف والبيان، وتجسيد المعاني الذهنية وتصوير وتوضيح حال الكافرين وضلالهم وإعراضهم وعدم تعقلهم.

ونخلص مما تقدم إلى أن ( مثل الذين ) مبتدأ، و ( كمثل الذي ) خبره " والكاف للتشبيه، شبه الصفة بالصفة، أي صفتهم كصفة الذي ينعق " (٣)، والمثل على تقدير مضاف محذوف، من الأول، أي: مثل داعي الذين، أو من الثاني، أي: كمثل بهائم الذي، أو على حذفين، وهو رأي سيبويه، الذي قدّر حذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت في الأول، أو من غير حذف كما في القول الأول.

**********

ذكر الله تعالى في آية سابقة للمثل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (٤) أن الكفار إذا أُمروا باتباع ما أنزل الله أعرضوا عن ذلك ورجعوا إلى ما ألفوه من اتباع الباطل الذي نشئوا عليه

---

(١) سيبويه، الكتاب: ١/ ٢١٢ ـ السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٤٣٨

(٢) أبو حيان، البحر المحيط: م:١، ص: ٦٥٧

(٣) المرجع السابق: م: ١، ص: ٦٥٨

(٤) سورة البقرة: ١٧٠

ووجدوا عليه آباءهم، ولم يتدبروا ما يقال لهم، وصموا عن سماع الحق، وخرسوا عن النطق به، وعموا عن إبصار النور النبوي الساطع، وقد ذكِر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية مصورا حالة الكفار محقرا لهم إذ هم كالبهائم التي لا تعقل .

وقد حذف من قوله ( مثل الذين كفروا ) المضاف لدلالة ( مثل ) عليه " ووضع الموصول [ الذين كفروا ] موضع الضمير الراجع إلى ما ترجع إليه الضمائر السابقة [ في قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (١)] لذمهم بما في حيز الصلة وللإشعار بعلة ما أثبت لهم من الحكم " (٢)

وسُمّي حالهم ( مثلا ) لغرابته، فهم في إخلادهم إلى ما هم عليه من الضلالة وفي انهماكهم في تقليد آبائهم، كالبهائم التي لا تعي من صوت راعيها إلا الدعاء والنداء " وحذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ( ما ) عليه فإنها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل أي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما ألقي إليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه إلا جرس النغمة ودوى الصوت " (٣)

وإنما عُطِف المثل بالواو ( ومثل الذين كفروا ..... ) ولم يُفصل عما سبقه من كلام كما فُصِل في قوله ( مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ) (٤) " لأنه أريد هنا جعل هذه الصفة مستقلة لهم في تلقي دعوة الإسلام، ولو لم يعطفه لما صح ذلك" (٥) فبعد قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾(٦) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (٧) عقب ذلك بتمثيل لحال الكافرين تجسيدا واستحضارا وبيانا لسوء حالهم وتماديهم في الضلالة والجهل.

والموصولان ( الذين ، الذي ) فتقا السياق لتتوالد الجمل وتتكاثر، وفتحا المجال واسعا للوصف ( ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء.... ) .

---

(١) سورة البقرة: ١٧٠
(٢) أبو السعود، تفسير أبي السعود: جـ١، ص: ١٩٠
(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
(٤) سورة البقرة : ١٧
(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ٢، ص: ١٢٠
(٦) سورة البقرة: ١٦٥
(٧) سورة البقرة: ١٧٠

وقولـه ( لا يـسمع إلا دعـاء ونـداء) " اسـتثناء مفـرّغ لأن قبلـه فعل مبنـي لـم يأخذ مفعوله " (١) وفيه إيجاز، أي لا يسمع إلا دعاء ونداء دون إدراك المعاني والأغراض والدعاء للقريب بمعنى طلب الفعل، والنداء للبعيد بمعنى إجابة الصوت بدلالة العطف على المغايرة بين اللفظين (٢).

كمـا أن فـي القـصر تخصيـصا بنفـي الـتفهم والتعقـل عـن الكـافرين، وتخـصيص سـماعهم بـالمظهر الخـارجي للـصوت وهـو الـدعاء والنـداء فقـط، وفـي القـصر شـدة وزجـر وغضب من الله على عصاته الكافرين.

وفي الجملة الاسمية ( صم بكم عمي ) المتعددة الأخبار إشارة إلى ثبات حالهم على هذا الوضع السيئ واستمرارهم في الغي والضلال. وقد أكد معنى ضلال الكافرين وانطماسهم وإعراضهم عن الهدى واستمرارهم في الغي والضلال بمؤكدات هي:

حذف المبتدأ ( هم ) وتنكير الخبر، وتعدده ( صم بكم عمي ) وصيغة (فُـعْـلٌ ) صفة مشبهة جمع أصم وأبكم وأعمى ، والصفة المشبهة فيها إشارة إلى دوام الصفة واستمرارها وثباتها في الموصوف، وفيها تأكيد ضلال الكفار وإعراضهم عن دين الله . كما أن عطف الجملتين الاسميتين على بعضهما له دلالة الثبوت والاستمرار على هذا الوصف وهذا الحال، والفاء السببية، والنفي في قوله ( لا يعقلون ) كانت مؤكدات رتبت حال الكافرين على وصف منطقي متراتب مجسد لسوء الضلال البعيد.

وفي قوله ( صم بكم عمي ) نُفيت قوًى وحواس ثلاث مهمة في اكتساب العلم والتعقل" فهم لا يعقلون شيئا لأن طريق التعقل هو التدبر في مبادي الأمور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك إنما يُحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يُؤخذ منه العلوم، فإذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم أبواب التعقل وطرق الفهم بالكلية" (٣) " وليس المراد انتفاء العقل الغريزي باعتبار انتفاء ثمرته ـ كما قيل ـ لعدم صحة ترتبه بالفاء على ما قبله" (٤)



---

(١) أبو حيان، البحر المحيط: م:١، ص: ٦٥٨

(٢) انظر : أبوحيان، البحر المحيط: م:١، ص: ٦٥٨، والألوسي، روح المعاني: جـ١، ص: ٤٤٠

(٣) أبو السعود، تفسير أبي السعود: جـ١، ص: ١٩٠

(٤) الألوسي،روح المعاني: جـ٢، ص: ٤١

**المثل الثاني للكافرين:**

**﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾** (١)

**التراكيب النحوية ودلالاتها :**

**كثُرت الجمل التي لا محل لها من الإعراب في جمل المثل الثاني من أمثال الكفار في سورة إبراهيم فجملة: ( مثل الذين .... ) لا محل لها استئنافية.**

**وجملة : ( كفروا... ) لا محل لها صلة الموصول ( الذين ).**

**وجملة : ( أعمالهم كرماد ) فيها وجوه:**

**الأول: استئناف بياني لا محل لها من الإعراب "على تقدير سؤال سائل يقول : كيف مثلهم ؟ فقيل أعمالهم كرماد "** (٢) **، أو تفسيرية للمثل ويكون ( أعمالهم ) مبتدأ و( كرماد ) خبره.**

**الثاني: خبر المبتدأ ( مثل ) أي، صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد و( كرماد ) خبر لمبتدأ محذوف ( هي كرماد ).**

**الثالث: ( أعمالهم ) بدل من ( مَثَل )، و( كرماد ) خبر المبتدأ ( مَثَل ).** (٣)

**وجملة: ( لا يقدرون ) لا محل لها استئناف بياني آخر.**

**وجملة: ( كسبوا.... ) لا محل لها صلة الموصول ( ما )**

**وجملة: ( ذلك... الضلال... ) لا محل لها استئنافية .**

**أما جملة : ( اشتدت به الريح ) فهي في محل جر نعت لرماد .** (٤)

**والجار والمجرور ( بربهم ) متعلق بكفروا ، و( كرماد ) جار ومجرور خبر المبتدأ ( أعمالهم ) أو هو في محل رفع خبر المبتدأ ( مثل ) وأعمالهم بدل من ( مثل ) أو هو خبر لمبتدأ محذوف على تقدير ( هي كرماد ).** (٥)

**والجار والمجرور ( في يوم ) متعلق بـ ( اشتدت ). و( مما ): جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من ( شيء ). و( على شيء ) متعلق بـ ( لا يقدرون).** (٦)

---

(١) سورة إبراهيم : ١٨

(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ٢، ص: ٥١٣

(٣) انظر: العكبري، التبيان: م:٢، ص: ٣٨

(٤) محمود صافي ، الجدول: م:٧، جـ١٣، ص: ١٤٢

(٥) العكبري، التبيان: م:٢، ص: ٣٨

(٦) انظر: العكبري، التبيان: م:٢، ص: ٣٨، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٥٨، ومحمود صافي، الجدول: م: ٧، جـ ١٣، ص: ١٤٢

وقوله : ( مثل الذين كفروا ) فيه وجوه:

أحدهما - وهو مذهب سيبويه: أن ( مثل ) مبتدأ محذوف الخبر(١) ، " تقديره: مثل الذين كفروا بربهم فيما يُتلى عليكم، أو فيما يُقصّ عليكم... أعمالهم كرماد اشتدت به الريح" (٢) وتكون الجملة من قوله ( أعمالهم كرماد ) مستأنفة استئنافا بيانيا.

الثاني: أن( مَثَل ) مبتدأ، خبره الجملة الاسمية ( أعمالهم كرماد ) وقد رجحه ابن عطية (٣) يقول: " وهذا عندي أرجح الأقوال، وكأنك قلت: المتحصل مثالا في النفس للذين كفروا، هذه الجملة المذكورة ( أعمالهم كرماد ) " (٤). وقد رد هذا الوجه أبو حيان بقوله: " وهو لا يجوز، لأن الجملة الواقعة خبرا عن المبتدأ الذي هو ( مَثَل ) عارية من رابط يعود على المثل، وليست نفس المبتدأ في المعنى، فلا تحتاج إلى رابط" (٥) ، وقد رد السمين الحلبي(٦) ما فنده أستاذه بقوله:" بل الجملة نفس المبتدأ، فإن نفس مثلهم هو نفس أعمالهم كرماد في أن كلا منهما لا يفيد شيئا، ولا يبقى له أثر " (٧) وهو قول راجح صحيح.

الثالث: " أن ( مَثَل ) مزيدة، أي الذين كفروا أعمالهم كرماد، فـ ( الذين ) مبتدأ و(أعمالهم ) مبتدأ ثانٍ، و( كرماد ) خبره، وهو قول خاطئ إذ لا لفظ مزيد في القرآن الكريم كما أن" زيادة الأسماء ممنوعة " (٨) ، فلا يُؤخذ بهذا الرأي .

الرابع: " أن ( مَثَلُ ) مبتدأ و(أعمالهم ) بدل منه على تقدير: مثل أعمالهم، و( كرماد ) الخبر، وهو بدل كل من كل على حذف مضاف" (٩) .

الخامس: " أن ( مَثَلُ ) مبتدأ، و( أعمالهم ) بدل منه بدل اشتمال، و( كرماد ) الخبر كقول الزباء(١٠): [ الرجز ] " (١١)

---

(١) الكتاب: جـ١، ص: ١٤٣

(٢) انظر الزمخشري، الكشاف: جـ٢، ص: ٥١٣، وابن عطية، المحرر الوجيز:م: ٣، ص: ٣٣١، و السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٥٨

(٣) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد (٤٨١-٥٤٢هـ = ١٠٨٨-١١٤٨م) مفسر، فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. من مؤلفاته (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز-خ) في عشر مجلدات .الزركلي الأعلام : جـ٣ ،ص: ٢٨٢

(٤) المحرر الوجيز: م:٣، ص: ٣٣١

(٥) أبو حيان، البحر المحيط::٥، ص: ٤٠٥

(٦) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي (٠٠٠-٧٥٦هـ = ٠٠٠-١٣٥٥م) مفسر، عالم بالعربية والقرآآت. شافعي، من أهل حلب. استقر واشتهر في القاهرة. من كتبه (تفسير القرآن) عشرون جزءاً، و (القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز-خ) الجزء الأول منه، و ( الدر المصون-خ) في إعراب القرآن، مجلدان ضخمان. الزركلي، الأعلام =جـ١، ص:٢٧٤.

(٧) الدر المصون: جـ٤، ص: ٢٥٨، وانظر: البقاعي، نظم الدرر: جـ ١٠، ص: ٤٠١

(٨) أبو حيان، البحر المحيط: م: ٥، ص: ٤٥، و السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٥٨

(٩) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ ٢، ص: ٥١٤، والعكبري، التبيان: جـ٢، ص: ٣٨

(١٠) الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان أذينة بن السميدع ( ... ـ ٣٥٨ ق. هـ / ٢٨٥م ) صاحبة تدمر، وملكة الشام والجزيرة. الزركلي، الأعلام: جـ ٣، ص/ ٤١.

(١١) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٥٨

مَـا لِـلْجِمَـالِ مَـشْـيُـهَـا وَئِـيْـدَا أَجَـنْدَلاً يَحْـمِـلْنَ أَمْ حَـــــــــدِيدَا (١)

على أن (مَـشْـيُـهَـا) يجوز أن تكون مجرورة (مَـشْـيِـهَـا) وهي في حالة الرفع بدل من الضمير الخبر المستكن ( للجبال )، وهي في حالة الجار والمجرور بدل من ( للجمال ).

ويقول العكبري(٢) ، حين ذكر وجه البدل" ولو كان في غير القرآن لجاز إبدال ( أعمالهم ) من ( الذين كفروا ) وهو بدل اشتمال " (٣) ، ويفسر رأيه السمين الحلبي بقوله " يعني أنه كان يقرأ ( أعمالهم ) مجرورة لكنه لم يقرأ به" (٤).

وفي قوله: ( عاصِفٍ ) أوجه:

أحدها: " أنه على تقدير: عاصفٍ ريحُه، أو عاصف الريح، ثم حذف الريح، وجعلت الصفة لليوم مجازا، ومسوغ الحذف هو تقدم ذكرها" (٥).

الثاني: " أنه على النسب، أي: في يوم ذي عُصُوفٍ " (٦) .

الثالث: " أنه خفض على الجوار، أي: كان الأصل أن يتبع العاصف الريح في الإعراب فيقال: اشتدت به الريح العاصف في يوم، فلما وقع بعد اليوم أعرب إعرابه، كقولهم: ( حُجْرُ ضَبّ خَـرِبٍ ) ، وفي جعل هذا من باب الخفض على الجوار نظر، لأن من شرطه أن يكون بحيث لو جعل صفة، لما قُطع عن إعرابه ليصحّ، كالمثال المذكور، وهنا لو جعلته صفة لـ ( الريح ) لم يصح، لتخالفهما تعريفا وتنكيرا في هذا التركيب الخاص " (٧).

" وقرأ الحسن، وابن أبي إسحاق بإضافة ( يوم ) لـ ( عاصف )، ( في يومِ عاصفٍ ) وهي على حذف الموصوف، أي: في يوم ريح عاصف، فحُذف، لفهم المعنى الدال على ذلك ويجوز أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى صفته عند من يرى ذلك، نحو ( البقلةُ الحَمقَاءِ )" (٨).

**********

---

(١) ابن هشام، المغني، جـ٢، ص: ٣٢٦

(٢) عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محب الدين (٥٣٨-٦١٦هـ = ١١٤٣-١٢١٩م)عالم بالأدب واللغة و الفرائض والحساب. أصله من عكبرا (بليدة على دجلة) ومولده ووفاته ببغداد. من كتبه (شرح ديوان المتنبي-ط) و (اللباب في علل البناء والإعراب-خ) و (شرح اللمع لابن جني) و (التبيان في إعراب القرآن-ط) ويسمى (إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن).الزركلي، الأعلام: جـ٤، ص: ٨٠

(٣) العكبري، التبيان: م: ٢، ص: ١٤٢

(٤) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٤، ص: ٢٥٨

(٥) الزمخشري، الكشاف: جـ٢، ص: ٥١٤، أبو حيان، البحر المحيط: م: ٥، ص: ٤٠٥، السمين الحلبي، والرد المصون:جـ٤،ص: ٢٥٩

(٦) العكبري، التبيان: م: ٢، ص: ٣٨، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ٤،ص: ٢٥٨

(٧) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م: ٥، ص: ٤٥، و السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٥٩

(٨) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: م: ٣، ص: ٣٣١، أبو حيان، البحر المحيط: م: ٥، ص: ٤٥

والمثل الثاني من أمثال الكافرين مضروب لتمثيل حال عجيبة، هي حال أعمال الكافرين الخيّرة في الدنيا - من صلة الرحم، ورفادة الحجيج، وإغاثة الملهوف، وإكرام الضيف..الخ - والتي لم ينتفعوا بها في وقت الحاجة إليها في الدار الآخرة، لفسادها وتلاشيها وذهابها هباءً منثورا، لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به، ولانتفاء كونها لوجهه الكريم، فلم تكن نابعة من إخلاص لله ولا لطاعته، وإنما كانت من طبائعهم، أو قربة لأصنامهم فحبطت بكفرهم، وشُبّهت هذه المعاني المجردة من التلاشي، وحبوط العمل " بالرماد الذي تذروه الرياح، وتفرقه بشدتها حتى لا يبقى له أثر، ولا يجتمع منه شيء" (١) .

وقد استعير المثل هنا للصفة التي فيها غرابة (٢)، أو الحال العجيبة. يقول ابن عاشور : " والمثل: الحالة العجيبة، أي حال الذين كفروا العجيبة أن أعمالهم كرماد ... الخ. فالمعنى: حال أعمالهم، بقرينة الجملة المُخبر عنها لأنه مهما أطلق ( مَثَلُ كذا ) إلا والمراد حال خاصة من أحواله يفسرها الكلام، فهو من الإيجاز الملتزم في الكلام" (٣) ، وقد اختير التشبيه بالرماد لما فيه من اضمحلال وكثرة تطاير وزوال بعد تجمع وكثرة، ولأنه أثر لأفضل الأعمال وأشيعها، وهو قرى الضيف حتى أن كثرة الرماد صارت كناية عن الكرم.

وفي إضافة الموصول ( الذين كفروا ) إلى ( مَثَلُ ) إشارات عديدة، أغنت السياق وجعلته مليئا زاخرا بالمعاني، فالصلة فتحت المجال واسعا للوصف، وتخصيص الموصوف ( الكافرين ) وإبرازهم، كما أنها احتوت معنى ( أعمالهم ) وجعلت الجملة الأولى ( مثل الذين كفروا بربهم ) محكمة المعنى تامة مما سوّغ مجيء جملة أخرى مستأنفة. وكان لهذا الاستئناف أهميته إذ صُدّر بما هو مناط التركيز والتصوير ( أعمالهم ) وفي هذا إبراز وتسليط للضوء الذهني على فساد أعمال الكافرين وعدم جدواها.

وفي اختيار الفعل ( اشتدت ) دلالات كثيرة على قوة عصف الريح وشدتها، وذلك من تفشي حرف الشين وانفتاح التاء، وقلقلة الدال المشددة، مما أشاع هيجان ريح عاصف في

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز: م: ٣، ص: ٣٣١

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ ٢، ص: ٥١٤

(٣) التحرير والتنوير: جـ١٣، ص: ٢١٢

النص قبل ورود لفظ ( الريح ). وقد جاء لفظ ( الريح ) مفردا كعادة القرآن الكريم في استخدام الريح مفردة في سياق الوعيد والعذاب. وتعريف الريح كان له دلالة على شمول اليوم العاصف لجميع أنواع الرياح العاصفة، بمختلف أنواعها ودرجاتها.

ولتقديم الجار والمجرور ( به ) على الفاعل ( الريح ) إشارة إلى شدة الريح، وعظم عصفها لهذا الرماد وبعثرتها له، وتخصيص لقوة هذه الريح وتركيز لها في بعثرة هذا الرماد فكأنها ريح عاصفة موجهة خصيصا لهذا الرماد المجتمع، فكان وطؤها عليه شديدا مركزا.

وفي تقديم الجار والمجرور ( في يوم ) على وصف الريح ( عاصف ) مجاز عقلي للدلالة على طول مدة عصف الريح وهبوبها، كما أن فيه تهويل، فكأن اليوم هو العاصف وليس ما فيه من ريح.

وفي جملة ( لا يقدرون مما كسبوا على شيء ) بيان للتشبيه السابق، أي ذهبت أعمالهم سدى فلا ينتفعون بها يوم القيامة، والفعل المضارع ( لا يقدرون ) الذي سُلّط عليه النفي، له دلالة على استمرار ودوام حبوط عمل الكافرين، وعجزهم عن الانتفاع بخير عملهم في الدنيا.

وقد قُدّمت الصلة وموصولها ( مما كسبوا ) على متعلق الفعل ( على شيء ) " لأن الأمر هنا مُتَمَحّضٌ للأعمال" (١)، فهذا المثل مخصص لتجسيد ضياع ثواب عمل الكافرين وحبوط عملهم، فقُدّم ( مما كسبوا ) لأن المقام مقام عمل وأجر، وقدّم الأهم في السياق لإبرازه.
كما أن تأخير قوله ( على شيء ) فيه تأكيد وتقرير للنفي السابق عليه (لا يقدرون مما كسبوا ) فكل أعمالهم ذهبت هباءً منثورا.

وينتهي المثل بتذييل جامع لخلاصة حالهم، وهي أنها بعيدة عن طريق النجاة ، ونيل الثواب، فهم في أقصى الضلال، وقد وصف الضلال بالبعد " لفوات استدراكه بالموت " (٢) فيوم القيامة لا ينفعهم إيمانهم ولا استغفارهم، ويحكم الله بينهم.

---

(١) البقاعي، نظم الدرر : جـ ١٠، ص: ٤٠١

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: م: ٧، ص: ١١٢

واسم الإشارة ( ذلك ) الذي بدأت به الجملة الاستئنافية، شكل رابطا إحاليا بباقي جمل المثل، بمعنى : أن ما دل عليه التمثيل السابق دلالة واضحة في تجسيده المعاني من صورتها الذهنية المجردة إلى ما شُوهد من تطاير، ورماد، وتلاشٍ هو أمر شديد البُعد عن طريق الصواب والثواب، ولذلك استخدمت اللام في ( ذلك ) للدلالة على البعد و( الكاف ) للخطاب وتنبيه السامعين، كما كان لضمير الفصل ( هو ) معنى التخصيص والتشنيع والازدراء وكلها - ذلك، وهو - روابط إحالية، مؤكدة لإيجاز اللغة، ذلك الإيجاز المركز الموحي المولّد للمعاني في سياقها المليء الزاخر.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

***المثل الثالث للكافرين:***

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (١)

**التراكيب النحوية ودلالاتها:**

تنوعت مواقع جمل المثل، فبعضها له محل من الإعراب، نحو:

( إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ) في موضع الحال من فاعل ( اتخذت ) المستتر الراجع إلى ( العنكبوت ) " ويجوز أن تكون في موضع الحال من مفعوله بناء على جواز مجيء الحال من النكرة، وعلى الوجهين وضع المظهر موضع الضمير الراجع إلى ذي الحال، والجملة من تتمة الوصف" (٢) ويمكن اعتبار جملة ( وإن أوهن .....) جملة اعتراضية مبينة لوجه الشبه (٣).

وجملة : ( يعلمون ) في محل نصب خبر كان، ومتعلق ( يعلمون) لا يجوز أن يكون من جنس قوله ( وإن أوهن البيوت ... ) لأن كل أحد يعلم ذلك، وإنما متعلقه مقدر من جنس ما يدل عليه السياق أي، لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه وما اتخذوا الأصنام آلهة (٤)

وجمل لا محل لها من الإعراب:
جملة: ( مثل الذين ... ) لا محل لها استئنافية .
وجملة: ( اتخذوا ... ) لا محل لها صلة الموصول ( الذين ).

---

(١) سورة العنكبوت : ٤١

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٠، ص: ١٦٠

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ٢٠، ص: ٣٥٣

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ ٣، ص: ٤٥٨، وأبو حيان، البحر المحيط: م: ٧، ص: ١٤٨- ١٤٩، والسمين الحلبي، الدر المصون :جـ ٥، ص: ٣٦٦.

وجملة: ( اتخذت..... ) فيها وجوه :

فإن وقِف على ( كمثل العنكبوت ) كانت جملة ( اتخذت ):

استئنافا بيانيا، لا محل لها من الإعراب، ويجوز أن تكون " حالا من ( العنكبوت ) بتقدير قد أو بدونها، أو صفة لها ، لأن ( أل ) فيها للجنس" (١)

" أو تكون جملة ( اتخذت ) صلة لموصول محذوف وقع صفة ( للعنكبوت ) أي، التي اتخذت وعليه لا يوقف على العنكبوت." (٢).

وجملة ( لو كانوا .... ) لا محل لها شرطية .... وجواب الشرط محذوف تقديره، ما عبدوا الأصنام.

وتنوعت مواقع الجار المجرور:

( من دون الله ) متعلق بمحذوف مفعول به ثان عامله اتخذوا .

( كمثل ) متعلق بخبر المبتدأ ( مثل الذين )(٣)

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في آية سبقت المثل ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤) ذكر الله تعالى عذابه للأمم التي كفرت وكذبت دعوته، وكيف أنها هلكت بالحاصب، أو الصيحة، أو الخسف، أو الغرق، فما أغنت عنهم أصنامهم شيئا لما جاءهم عذاب الله.

وعُقّبت الآية بمثل يجسد حال الكافرين في كل زمان في اغترارهم وكيف أنهم يعتمدون في عبادتهم على أوهن الأشياء وأحقرها، فحالهم كحال العنكبوت المُتخذة بيتا لا يقيها حرا ولا بردا، ولا يوفر لها سُكنًى ولا أمانا .

وكعادة آي القرآن الكريم يسلم آخرها إلى مطلع الجملة التالية بعدها، فبعد قوله ( وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) (٥) بدأت آية المثل بجملة مستأنفة، متضمنة

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ٢٠، ص: ١٦٠

(٢) انظر: المرجع السابق : الصفحة نفسها.

(٣) محمود صافي، الجدول: م: ١٠، جـ ٢٠، ص: ١٢٩

(٤) سورة العنكبوت: ٤٠

(٥) سورة الكهف: ٤٠

أعظم أنواع ظلمهم لأنفسهم، وهو الكفر، وفيها إشارة إلى قبيح حال الكافرين الذين اغتروا واتخذوا أولياء غير الله.

ومن هنا نلمس الترابط الذهني والاتصال الداخلي بين آي القرآن الكريم، " فطرف الآية الأولى يلامس رأس الآية الثانية، ولذلك كانت معاطف الكلام لينة سلسة" (١)، والجمل المستأنفة وإن هي انفصلت لفظا فهي مرتبطة بالسياق معنى وفكرا، تتداخل وتتنامى، ويلتحم بعضها ببعض.

والاسم الموصول ( الذين ) فتح المجال واسعا للوصف وبيان حال الكافرين وساعد على توالي الجمل ودقة الوصف. والمراد بالاسم الموصول هنا، جميع الكافرين الذين اتخذوا من دون الله أولياء باختلاف أوثانهم ومعبوداتهم، ويجوز أن يراد به جميع من اتخذ غيره تعالى ـ متكلا ومعتمدا آلهة ـ أو نصيرا، أو وليا تابعا، ولهذا عدل إلى لفظ ( أولياء ) بدلا من آلهة، لأنه أشمل لجميع درجات الإشراك والكفر.

و( العنكبوت ) " معروف . ونونه أصليه، والواو والتاء مزيدتان، بدليل قولهم في الجمع: عناكِب، وعُنيكِب. ويُذكر ويؤنث... وهذا مطرد في أسماء الأجناس، وتذكر وتؤنث " (٢) واللام في ( العنكبوت ) للجنس، فهو لفظ شامل دال على الجمع والعموم، فمراد بها الجنس (٣) لمناسبة الموصول ( الذين )، وكذلك ( بيتا ) أفرد لأن المراد به الجنس، وعلى هذا تكون التاء في ( العنكبوت ) زائدة.

وذكر الألوسي أن ( العنكبوت ) " مراد بها هنا الواحدة المؤنثة للإشارة إلى الضعف والخور وسرعة الزوال، ولذلك أنث الفعل ( اتخذت ) " (٤) وعلى هذا تكون التاء في ( العنكبوت ) للتأنيث. والوجه الأول أولى، فالسياق يناسب العموم، كما أن الفعل ( اتخذت ) يتناسب ومعنى العموم لا الإفراد، فجمع غير العاقل يجوز أن يُؤنث معه الفعل ويُذكر.

وجملة ( اتخذت بيتا ) جملة واقعة صفة، أو حالا للعنكبوت، وهي كالقيد للتشبيه، فجعل الأولياء كنسج العنكبوت لضعف حاله وعدم صلوح الاعتماد عليه، والفعل ( اتخذت ) فيه إشارة إلى أن العنكبوت بجهدها بنت، واجتهدت، وصنعت بيتا، وكذلك الكفار صنعوا أوثانهم بأنفسهم بأيديهم ومالهم وأتعبوا أنفسهم في اتّباع أولياء لا يُغنوا عنهم من الله شيئا ضعف الطالب والمطلوب.

---

(١) محمد ابو موسى، دلالات التراكيب: ٣٤٢
(٢) السمين الحلبي، الدر المصون : جـ ٥، ص: ٣٦٦
(٣) انظر: المرجع السابق، والألوسي، روح المعاني: جـ٢٠،ص: ١٦٠
(٤) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ٢٠، ص: ١٦٢

كما أن في صيغة الفعل ( اتخذت ) دلالة على افتعال شيء غير موجود إيهاما وضياعا من عند أنفسهم، فكما أن العنكبوت ظنت ببيتها القوة والاعتماد، وإذا به لا يقيها حرا ولا بردا ولا يوفر لها أمنا ولا سكنـًى، فكذلك حال الكافرين افتعلوا آلهة من حجر جامد واغتروا بها وإذا بها لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ورغم ذلك هم يعلقون عليها الأماني ( لو كانوا يعلمون ).

والتذييل بقوله ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ فيه تأكيد وتقرير لوجه الشبه الذي عُـرِّض به في الجمل السابقة وأكد المعنى بمؤكدات أربعة: إنّ المشددة، وصيغة ( التفضيل المضافة للمعرفة / أوهن البيوت) للدلالة على عظم ضعف الأوثان، وتجاوزهم حد الضعف والهوان، كما أن اختيار لفظ ( الوهن ) الشامل لمعاني العجز، والضعف، والاستسلام والهوان. ولام الجنس في ( البيوت ، العنكبوت ) واللام المزحلقة في ( لبيت ) أكدت المفارقة وعجز ووهن بيت العنكبوت، كما أن ورود هذه الجملة ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ على هذا النسق اللفظي التركيبي جعلها جملة جارية مجرى المثل في إيجازها وتصويرها ودلالتها المركزة المستمدة من الواقع المعيش، وفيها قوة تأثيرية على وجدان وعقل سامعها فتجعل المعنى مبنيا على منطق عقلي مترتب على قاعدة معروفة مسلم بها، فيتثبت المعنى ويستقر في النفس. كما أن في تكرار لفظ ما حقه الإضمار كـ ( بيت ، عنكبوت ) تأكيد وإبراز لمعنى العجز والضعف والاضمحلال، هذا إضافة إلى اسمية الجملة.

وينتهي التمثيل بتذييل ( لو كانوا يعلمون ) متضمن معنى الشرط، وقد حذف جوابه لدلالة السياق عليه على تقدير، لو كانوا يعلمون وهن الأوثان لما اتخذوها أولياء من دون الله تعالى، وفيه تجهيل لهم لما اتخذوه من أوثان، يقول الألوسي: " ثم زادهم جل وعلا تجهيلا أنهم لا يعلمون هذا الجهل البين الذي لا يخفى على من له أدنى مُسْكَـة (١) " (٢)

كما أن حذف جواب ( لو ) فتح آفاق المثل للتدبر والتفكر، يراجع الذهن فيه الضمير الذاتي، وتتحسس فيه النفس ملامح الضياع والانطماس في ظلمات الجهل، ويظهر فيه جهل الكافرين وإعراضهم عن رُسُل الله ودعوته، كما يظهر فيه اضمحلال آلهتهم وضياع جهودهم في اعتكافهم على طاعتها، وبذلك استوعب هذا التذييل المفتوح مراد المثلين السابقين. مثلهم في إعراضهم عن دعوة الرسول ( ﷺ ) ﴿ مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع...﴾ (٣)

---

(١) المُسْكَـة: العقل والرأي
(٢) روح المعاني: جـ٢٠، ص: ١٦٠
(٣) سورة البقرة: ١٧١

ومثل أعمالهم﴿... كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ... ﴾(١) بطريقة إيحائية موجزة، ذات فجوات تسمح للذهن بالربط، وبناء أنسجة تجريدية مجسدة لحال الكافرين مقبحة لسوء عملهم وجهلهم ومنفرة من حالهم، حاثة على الإيمان بالله وما جاءت به رسله.

❁ ❁ ❁ ❁

وهكذا تدرجت الأمثال الثلاثة في عرض حال الكافرين، فالمثل الأول يشبه حالهم مطلقا في إعراضهم عن دعوة الله بالبهائم التي لاتفقه، ثم خصص المثل الثاني لتشبيه أعمالهم التي لم ينتفعوا بها وحبطت بكفرهم، المثل الثالث خصص لتشبيه وتصوير حال آلهتهم التي لا تملك لهم نفعا ولا ضرا.

هذا، وتسير الأمثال الثلاثة على نسق تركيبي واحد متشابه البنى اللفظية في المطلع:

( المثل الأول ): مثل الذين كفروا

( المثل الثاني): مثل الذين كفروا بربهم

( المثل الثالث): مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء.

وهي ترتكز على صيغة ( مثل ) المكونة من الجملة الاسمية، والاسم الموصول ( الذين ) الذي يصل الاسم بالفعل ويفتح باب الوصف واسعا، والمخصوص بالتمثيل ( الذين كفروا ) أو ( الذين اتخذوا من دون الله أولياء ) ليكون التعبير أشمل وأكثر استيعابا لأنواع الكفر.

ويلي المطلع بنية التمثيل التي تجسد حال المشركين وتتكون من جار ومجرور ( كمثل / كرماد/ كمثل ) في محل رفع خبر المبتدأ ( مثل الذين ) والمشبه به ( راعٍ وغنمه/ رماد تذروه الريح/ وعنكبوت ونسجها ) المستمد من البيئة الطبيعة، والذي به اكتسب المثل طابعا إنسانيا عاما، مألوفا في كل زمان ومكان.

تليه جملة فعلية ( ينعق، اشتدت، اتخذت ) لتجسيد المشبه به، وبث الحركة في مشاهد التمثيل، يليها جمل معترضة، توجز مضمون المثل وتؤكده ( صم بكم عمي، لا يقدرون على شيء مما كسبوا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ) وتركز معناه وتقرره، وترسخ أثره في العقل والوجدان.

وتنتهي الأمثال الثلاثة بتذييل، غرضه تقبيح حال الكافرين، وتجهيلهم ( فهم لا يعقلون/ ذلك هو الضلال البعيد / لو كانوا يعلمون ) والتنفير من ضلالهم، وتحقير جهلهم.

---

(١) سورة إبراهيم: ١٨

وبهذا تُعرض النفوس المؤمنة، وتنفر من حالهم السيء، ويعود إلى الله ويتفكر ويتوب إليه من كان له قلب يعقل به، ولذلك عطف على هذا المثل قوله تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾(١) وقد خُصّ العالمون هنا، لأنهم المتفهمون المتعقلون المتدبرون في بديع أمثال القرآن، ومبتكراته التشبيهية التي تقوم على تأليف المتباينين، وتمييز أحدهما من الآخر، يقول الزمخشري: " لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المتحجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام" (٢).



---

(١) سورة العنكبوت: ٤٣

(٢) الكشاف: جـ٣، ص: ٤٥

ثالثا : المنـــافقـــون.

قال تعالى:
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللَّـهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّـهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)

مثلان متتاليان لتصوير حال المنافقين، وسبر أغوار نفوسهم، وصراعاتهم الداخلية في صورة مجسدة، ماثلة متحركة أمام الأعين.

وهذا التصوير ضرورة لكشف الخطوط النفسية الملتوية المعقدة التي تتسم بها نفوس المنافقين في المدينة، و كشف أمرهم ليفتضح حالهم، فيحترس المؤمنون منهم، ولهذا " لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان، ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبيّ..وقد استعير المثل... للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، وكأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا" (٢).

ونظرا لخطورة قضية المنافقين كان لهذه الإطالة في تمثيلهم إيحاءاتها الخاصة فهي" توحي بضخامة الدور الذي يقوم به المنافقون في المدينة لإيذاء الجماعة المسلمة ومدى التعب والقلق والاضطراب الذي كانوا يحدثونه، كما توحي بضخامة الدور الذي يمكن أن يقوم به المنافقون في كل وقت داخل الصف المسلم، ومدى الحاجة للكشف عن ألاعيبهم ودسهم اللئيم" (٣) .

التراكيب النحوية ودلالاتها:
جملة: ﴿ مثلهم كمثل الذي.. ﴾ لا محل لها استئنافية.
وجملة: ﴿ ذهب الله.... ﴾لا محل لها جواب شرط غير جازم.
وفي جملة ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ وجهان:
الأول: وهو الظاهر، أن هذه الجملة جواب( لما)لا محل لها من الإعراب، جواب شرط غير جازم.

---

(١) سورة البقرة: ١٧-٢٠

(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ١، ص: ١٠٩

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٤٥

الثاني: وهو رأي الزمخشري، أنها جملة مستأنفة استئنافا بيانيا جواب سؤال مقدر كأنه قيل : ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ أو بدل من جملة التمثيل ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾ على سبيل البيان، وجواب ( لما ) محذوف" وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدّال عليه، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله ( خمدت ) فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار" (١) وقد رد رأيه أبو حيان بوجهين:

أحدهما: أن هذه التقديرات التي قدرها لا ضرورة لها وهي" مما يُحمّل اللفظ ما لا يحتمله... ولا ينبغي أن يفسر كلام الله بغير ما يحتمله ولا يزاد عليه " (٢)

والثاني: أن جعله ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان لا يصح " لأن البدل لا يكون في الجمل، إلا إن كانت الجملة فعلية تبدل من جملة فعلية ... وأما أن تبدل جملة فعلية من جملة اسمية فلا أعلم أحدا أجاز ذلك" (٣)

وجملة: ﴿ تركهم.... ﴾ لا محل لها معطوفة على جملة جواب الشرط.

وجملة: ﴿ لا يبصرون ﴾ في محل نصب حال من ضمير النصب في تركهم، أو يجوز أن تكون الجملة هي المفعول الثاني لفعل ترك، فيتعلق الجار والمجرور ( في ظلمات ) حينئذ بالفعل ( ترك).

وجملة : ﴿ صم ﴾ لا محل لها استئنافية على تقدير: هم صم .

وجملة: ﴿ هم لا يرجعون ﴾ لا محل لها معطوفة على الاستئنافية وترتبط معها برابط السببية.

وجملة : ﴿ فيه ظلمات ﴾ في محل جر نعت ثان لـ ﴿صيب﴾ ويجوز أن تكون في محل نصب حال لأن النكرة هنا وصفت، ولكن العامل في الحال هو الابتداء.(٤)

وجملة: ﴿ يجعلون... ﴾ لا محل لها استئنافية بيانية، أو" في محل جر صفة لذوي المحذوف كأنه قيل جاعلين، وأجاز بعضهم أن تكون في موضع نصب على الحال من الضمير الذي هو الهاء في ( فيه)، والراجع على ذوي الحال محذوف نابت الألف واللام عنه والتقدير من صواعقه "(٥)

وجملة : ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ لا محل لها استئنافية أو اعتراضية، واقعة بين جملة ( يجعلون أصابعهم ) وجملة ( يكاد البرق ) إذ هما كالشيء الواحد لأنهما من قصة واحدة فوقع مابينهما اعتراضا.

---

(١) الكشاف: جـ١، ص: ١١٠

(٢) البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٣

(٣) المرجع السابق، جـ١، ص: ٢١٣، و انظر: السيوطي، همع الهوامع: جـ٢، ص: ١٢٨ وفي حاشية البحر المحيط: " والبدل على نية تكرار العامل والجملة الأولى لا موضع لها من الإعراب لأنها لم تقع موقع المفرد فلا يمكن أن تكون الثانية على نية تكرار العامل، إذ لا عامل في الأولى فتكرر في الثانية، فبطلت جهة البدل فيها" جـ١، ص: ٢١٣

(٤) انظر: محمود صافي: جـ١، ص: ٤٦

(٥ ) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢٢٣

وجملة: ﴿ يكاد البرق.. ﴾ لا محل لها استئنافية بيانية" ويحتمل أن تكون في موضع جر صفة لذوي المحذوفة، والتقدير: كائد البرق يخطف أبصارهم " (١) .

وجملة: ﴿ مشوا.. ﴾ لا محل لها جواب شرط غير جازم، أو أنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

وجملة: ﴿ قاموا..﴾ لا محل لها جواب شرط غير جازم.

وجملة : ﴿ شاء الله ﴾ لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.

وجملة: ﴿ ذهب... ﴾ لا محل لها جواب شرط غير جازم.

وجملة:﴿ إن الله... قدير ﴾لا محل لها استئنافية تعليلية(٢).

ومن الإعراب السابق يتضح أن بنية المثل الأول تنبثق بأكملها من الجملة الاستئنافية الأولى ﴿ مثلهم كمثل ﴾ ومن ثم تتراتب باقي الجمل متولدة منها، فتنبثق جملة الصلة التي تمد أطرافها، فتنبجس منها بتعاقب وتراخ جملة الشرط بفعليها ﴿أضاءت ﴾ فعل الشرط و﴿ ذهب ﴾ جوابه، الذي عطفت عليه جملة ﴿ وتركهم في ظلمات ﴾ والذي تفرعت منها جملة الحال أو المفعول الثاني ﴿ لا يبصرون ﴾ .

وبهذا تفرعت جمل عديدة استوعبت بناء المثل الأول، وامتد أثرها إلى المثل الثاني بواسطة أداة العطف ( أو ) التي عطفت المثل الثاني على الأول مما جعله فرعا متولدا متمما للجملة الأم.

وجملة ﴿ يجعلون ) و ﴿ يكاد ﴾ استئناف بياني، فـ ﴿يجعلون﴾ " مسوقة للإجابة عن سؤال مقدر، كأنه قيل: فكيف حالهم مع ذلك الرعد؟ فقيل: يجعلون. وجملة ﴿ يكاد ﴾ جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فكيف حالهم مع ذلك البرق؟ "(٣).

وقد وقعت بين جملتي أحداث المثل ﴿ يجعلون ﴾ و ﴿ يكاد ﴾ جملة معترضة ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ للتهويل، وتتميم المعنى، وتنبيههم على أن جعل الأصابع في الآذان لا يمنع عنهم عذاب الله، فقد أحاط الموت والهلاك بهم، وهي جملة اسمية أفادت ثبوت وقوع العذاب على الكافرين، بعدها توالت الجمل الشرطية المعطوفة بالواو ﴿ كلما أضاء لهم مشوا ﴾ و ﴿ إذا أظلم عليهم قاموا ﴾ و﴿ لو شاء الله لذهب ﴾.

و ذيل المثل بجملة استئنافية ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ وهي " كالتعليل للشرطية والتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على إذهاب ما ذكر لأن القادر على الكل قادر على البعض" (٤).

---

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢٢٧

(٢) انظر: محمود صافي: جـ١، ص: ٤٩

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ ١،ص: ١٠٩، والألوسي، روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٨

(٤) الألوسي، روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٨

وقد أظهر فيها لفظ الجلالة وحقه الإضمار لتكون الجمل مستقلة، تنتشر كالمثل السائر لإيجازها وقوة معناها، فكان لإظهار ما حقه الإضمار غرض بلاغي ومعنوي جليل.

هذا، وتتلاقى أطراف المثل عند مفاصله، ومقاطعه التي يستأنف عندها بالواو، أو بدونها ونرى الجمل يسلم بعضها إلى بعض، فجملة ﴿ لا يبصرون ﴾ وهي طرف الجملة الأولى تلامس رأس المقطع الأول الذي يليها ﴿ صم بكم عمي ﴾ ملامسة معنوية مؤنسة لمقاطع الاستئناف مما يجعل بنية المثل نسيجا محكما تتداخل خيوطه بانسيابية وامتزاج.

وفي المثل الثاني طرف الجملة الأولى المستأنفة ﴿ رعد وبرق ﴾ يلامس رأس الجملة المستأنفة الثانية ﴿ يجعلون ﴾ ويمتزج معها امتزاجا معنويا، فالرعد والبرق هما سبب لجعل الأصابع في الآذان، مما يجعل الاستئناف متوقعّا في النفس، و ﴿ حذر الموت ﴾ طرف يلامس استئنافا جديدا هو ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ فالموت يتناسب مع معنى الإحاطة والإهلاك والزوال.

و﴿ لذهب ﴾ جواب للشرط ﴿ ولو شاء الله ﴾ وهو طرف يتناسب مع الجملة المستأنفة بعده ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ لأن القادر على البعض قادر على الكل.

وتتعدد أشباه الجمل في المثل فقوله : ﴿ كمثل ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر " وأجاز العكبري وابن عطية أن تكون الكاف اسما هي الخبر وهذا مذهب الأخفش(١) ، الذي يجيز أن تكون الكاف اسما مطلقا" (٢)، وقوله :﴿ كصيب ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره مثلهم وفي الكلام حذف مضاف، أي مثلهم كأصحاب صيب، ويجوز أن تكون الكاف اسما بمعنى ( مثل ) فهي في محل رفع، إما معطوفة على الكاف في ( كمثل ) أو خبرا لمبتدأ محذوف.

وفي قوله: ﴿ من السماء ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت لـ ﴿ صيب ﴾، و ﴿ في آذانهم﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ يجعلون ﴾ بتضمينه معنى يضعون و ﴿ من الصواعق﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ يجعلون﴾ و ( من ) تعليلية، والجار والمجرور في موضع المفعول لأجله و ﴿ في ظلمات ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول به ثان لـ ﴿ ترك ﴾.

---

(١) سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري، أبو الحسن(٠٠٠-٢١٥هـ = ٠٠٠-٨٣٠م) المعروف بالأخفش الأوسط: نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ، سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه. وصنف كتبا، منها (تفسير معاني القرآن-خ) و (شرح أبيات المعاني-خ).الزركلي، الأعلام: جـ ٣، ص: ١٠١

(٢) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون : جـ١، ص: ١٤٠، ومحمود صافي، الجدول: جـ١، ص: ٤٣

وقد ذكر العكبري في ( الذي ) من قوله ﴿ كمثل الذي استوقد نارا ﴾ وجوها:

" الأول: ( الذي ) مفرد في اللفظ، والمعنى على الجمع ولذلك روعي لفظه في ( استوقد / حوله ) وروعي معناه في قوله : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ فأعاد الضمير جمعا.

الثاني: ( الذي ) المراد به الجنس، مِثْل ( من ، ما ) فيعود الضمير إليه تارة بلفظ المفرد وتارة بلفظ الجمع.

الثالث: أراد بـ ( الذي ) هنا، ( الذين ) فحذفت النون لطول الكلام بالصلة فخفف بالحذف " (١) .

وقد خطأه أبو حيان لإفراده ضمير ( استوقد) في الصلة يقول: " ولا يجوز الإفراد للضمير لأن المحذوف كالملفوظ " (٢) ولأنه لو كان من باب ما حذفت منه النون لوجب مطابقة الضمير جمعا كما في قوله تعالى: ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ (٣)

وقول الأشهب بن رميلة (٤) :

وإنّ الذي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِماؤُهُمُ هُمُ القومُ كلّ القومِ يا أمّ خالدِ (٥)

الرابع: " ( الذي ) مفردٌ لفظا وإن كان في المعنى نعتا لما تحته أفراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي استوقد نارا كأحد التأويلين في قوله: وإن الذي حانت بفلج دماؤهمُ

ولا يُحمل على المفرد لفظا ومعنى بجمع الضمير في دمائهم " (٦) وقد اختاره أبو حيان.

الخامس: ( الذي ) " وقع وصفا لشيء يُفهم الجمع، ثم حُذف ذلك الموصوف للدلالة عليه والتقدير: مثلهم كمثل الفريق الذي استوقد أو الجمع الذي استوقد، ويكون قد رُوعي الوصف مرة، فعاد الضمير عليه مفردا في قوله: ( استوقد ) و( حوله )، والموصوف أخرى فعاد الضمير عليه مجموعا في قوله: ( بنورهم ، تركهم ) " (٧) ، وقد رجحه السمين الحلبي.(٨)

---

(١) انظر: العكبري، التبيان: جـ١، ص: ٣٦

(٢) انظر: البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٠

(٣) سورة التوبة: ٦٩

(٤) الأشهب بن ثور بن أبي حارثة الدرامي التميمي ( بعد ٨٦هـ / بعد ٧٠٥م ) شاعر نجدي، ولد في الجاهلية، وأسلم، نسبته إلى أمه رميلة . الزركلي الأعلام: جـ١، ص: ٣٣٣

(٥) البيت في كتاب ابن هشام، مغني اللبيب: جـ١، ص: ٣٨٤، والشاهد فيه: ( إن الذي ) حيث حذف النون من ( الذين ) للتخفيف، والكلام على الجمع .

(٦) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ١، ص: ١٢٩

(٧) أبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٠

(٨) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١،ص: ١٢٩

السادس: وهو رأي الرازي، الذي رجح أن يكون ( الذي ) مفردا لفظا ومعنى لأن " المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد، وإنما شُبِّهت قصتهم بقصة المستوقد" (١) ، وهذا هو الرأي الأوضح والأرجح، والأصوب والأوجز الذي يبتعد عن التأويل .

وفي ( لما ) وجهان: الأول: " لما ههنا اسم، وهي ظرف زمان [ بمعنى حين ] (٢)وكذا في كل موضع وقع بعدها الماضي ، وكان لها جواب. والعامل فيها جوابها، مثل: إذا " (٣)

الثاني: ( لما ) حرف وجوب لوجوب وهذا مذهب سيبويه(٤) ، وقد رجحه السمين الحلبي، ورد على قول العكبري بأن ( لما ) " أجيبت بـ ( ما ) النافية وإذا الفجائية، قال تعالى : ﴿ فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا ﴾ (٥) وقال تعالى : ﴿ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (٦) وما النافية وإذا الفجائية لا يعمل ما بعدهما فيما قبلهما فانتفى أن تكون ظرفا" (٧)

و( أضاء ) في قوله: ﴿ أضاءت ما حوله ﴾ يجوز أن يكون " لازما أو متعديا" (٨)
يقال: أضاءت النار بنفسها وأضاءت غيرها.
فالأول: " أن يكون متعديا وفاعله ضمير النار المستتر، و ( ما ) مفعول به، وهي موصولة و( حوله ) ظرف ومخفوض به، صلة لها، ولا يتصرف، ويجوز أن تكون ( ما ) نكرة موصوفة، و( حوله ) صفتها. " (٩)

والثاني: أن يكون لازما، و ( ما ) زائدة هي الفاعل إما موصولة أو نكرة موصوفة " وأنث فعله لتأوليه بمؤنث كالأمكنة والجهات أو الفاعل ضمير النار و( ما ) زائدة " (١٠). ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن السميفع (١١) وابن أبي عبلة (١٢) ( فلما ضاءت) ثلاثيا (١٣) وأجاز العكبري أن تكون( ما) ظرفا بمعنى الذي أو نكرة موصوفة، والتقدير: فلما أضاءت النار المكان الذي حوله أو مكانا حوله، يقول العكبري: " ضاءت النار وأضاءت بمعنى، فعلى هذا يكون (ما ) ظرفا. وفي ( ما ) ثلاثة أوجه الأول : هي بمعنى الذي. والثاني: هي نكرة موصوفة أي: مكانا حوله والثالث: هي زائدة. (١٤) وقد فسر السمين الحلبي اعتبار العكبري ( ما ) زائدة بعد حكمه عليها بأنها ظرفية بقوله : " وإنما أراد: في (ما) هذه من حيث الجملة ثلاثة أوجه " (١٥) .

---

(١) التفسير الكبير: جـ١، ص: ٦٨
(٢) رأي ابن السراج والفارسي، وابن جني، انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: جـ١، ص: ٥٣٧
(٣) العكبري، التبيان: جـ١، ص: ٣٦
(٤) انظر:سيبويه، الكتاب: ٢٣٤/٤ . و ابن هشام، مغني اللبيب: جـ١، ص: ٥٣٧
(٥) سورة فاطر: ٤٢
(٦) سورة العنكبوت: ٦٥
(٧) الدر المصون: جـ١، ص: ١٣١
(٨) المرجع السابق : الصفحة نفسها
(٩) المرجع السابق : الصفحة نفسها
(١٠) الألوسي، روح المعاني: جـ١، ص: ١٦٥
(١١) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن السميفع اليماني، قرأ على أبي حيوة شريح بن يزيد ( غاية النهاية: جـ ٢،ص: ١٦١)
(١٢) ابن أبي عبلة، شمر بن يقظان بن عامر العقيلي، أبو إسماعيل ، ثقة تابعي، أخذ القراءة عن أم الدرداء،وهو أحد الأشراف والعلماء الدمشقيين. روى عن أبي أمامه ووائلة بن الأسفع وخلق كثير. (توفي سنة :١٥١هـ ) انظر: الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص: ٢١٣.و غاية النهاية: جـ ١، ص: ١٩.
(١٣) انظر ابن خلكان، الحجة:٧٢ ، وأبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٢
(١٤ ) التبيان: جـ١، ص: ٣٧١٠
(١٥) الدر المصون: جـ١، ص: ١٣٢

وقد عقب الألوسي على حكم العكبري على ( ما ) بأنها ظرفية بقوله : " و لا يجب التصريح بفي حينئذ كما توهم لأن الحق أن ما الموصولة أو الموصوفة إذا جُعلت ظرفا فالمراد بها الأمكنة التي تحيط بالمستوقد - وهي الجهات الست - وهي مما ينصب على الظرفية قياسا مطردا فكذا ما عبر به عنها، وأولى الوجوه أن تكون ﴿ أضاءت ﴾ متعدية و( ما ) موصولة إذ لا حاجة حينئذ إلى الحمل على المعنى، ولا ارتكاب ما قل استعماله لا سيما زيادة (ما ) هنا حتى ذكروا أنها لم تسمع هنا " (١)

وفي قوله : ﴿ وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾: " تركهم ههنا يتعدى إلى مفعولين، لأن المعنى صيرهم، وليس المراد به الترك الذي هو الإهمال، فعلى هذا يجوز أن يكون المفعول الثاني ﴿ في ظلمات ﴾ فلا يتعلق الجار بمحذوف، ويكون ﴿ لا يبصرون ﴾ حالا. ويجوز أن يكون ﴿لا يبصرون ﴾هو المفعول الثاني، و﴿ في ظلمات ﴾ ظرف يتعلق يتركهم أو بـ ﴿ يبصرون ﴾ . ويجوز أن يكون حالا من الضمير في ﴿ يبصرون ﴾ أو من المفعول الأول" (٢). ورد عليه السمين الحلبي بأنه " لا يجوز أن يكون ﴿ في ظلمات ﴾ حالا، و﴿لا يبصرون ﴾ هو المفعول الثاني لأن المفعول الثاني خبر في الأصل، والخبر لا يؤتى به للتأكيد، وأنت إذا جعلت ﴿ في ظلمات ﴾ حالا فُهِمَ منه عدم الإبصار، فلم يُفد قولك بعد ذلك ﴿ لا يبصرون ﴾ إلا التأكيد ، لكن التأكيد ليس من شأن الأخبار، بل من شأن الأحوال لأنها فضلات" (٣)

وفي قوله ﴿ صم بكم عمي ﴾ : " الجمهور على رفعها على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي: هم صم بكم عمي، ويجيء فيه الخلاف المشهور في تعدد الخبر، فمن أجاز ذلك حمل الآية عليه من غير تأول، ومن منع ذلك قال: هذه الأخبار وإن تعددت لفظا فهي متحدة معنى، لأن المعنى: هم غير قائلين للحق بسبب عماهم وبكمهم وصممهم، أو يقدر لكل خبر مبتدأ تقديره: هم صم ، هم بكم ، هم عمي، والمعنى على أنهم جامعون لهذه الأوصاف الثلاثة، ولولا ذلك لجاز أن تكون هذه الآية من باب ما تعدد فيه الخبر لتعدد المبتدأ" (٤) وقرأ عبد الله بن مسعود(٥) وحفصة أم المؤمنين(٦) ( صما بكما عميا ) بالنصب، وذكروا في نصبه وجوها:
أحدهما: " أن يكون مفعولا ثانيا لترك، ويكون في ظلمات متعلقا بتركهم، أو في موضع الحال و﴿لا يبصرون﴾ حال.

---

(١) روح المعاني: جـ١، ص: ١٦٥

(٢) العكبري، التبيان: جـ١،ص: ٣٧

(٣) الدر المصون: جـ١، ص: ١٣٣

(٤) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ١٣٤

(٥) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن ( ٣٢هـ - ٦٥٣م ) من أكابر الصحابة عقلا وفضلا، وقربا من رسول الله (ﷺ ) من أهل مكة، له ٨٤٨ حديثا. انظر: الأعلام: جـ٤، ص: ١٣٧

(٦) حفصة بن عمر الخطاب ( ١٨ق م / ٦٠٤م - ٤٥هـ / ٦٦٥م ) صحابية جليلة صالحة، من أزواج الرسول ( ﷺ) ولدت بمكة. روى لها البخاري ومسلم في الصحيحين (٦٠ ) حديثا. الزركلي، الأعلام: جـ٢، ص: ٢٩٢- ٢٩٣

الثاني: أن يكون منصوبا على الحال من المفعول في تركهم على أن تكون لا تتعدى إلى مفعولين، أو تكون تعدت إليهما وقد أخذتهما.

الثالث: أن يكون منصوبا بفعل محذوف تقديره أعني.

الرابع: أن يكون منصوبا على الحال من الضمير في يبصرون، وفي ذلك نظر.

الخامس: أن يكون منصوبا على الذم صما بكما، تقديره: أذمّ صما بكما.

وفي الوجوه الأربعة السابقة لا يتعين أن تكون الأوصاف الثلاثة من أوصاف المنافقين إذ هي متعلقة في العمل بما قبلها، وما قبلها الظاهر أنه من أوصاف المستوقدين إلا إنْ جعل الكلام في حال المستوقد قد تم عند قوله ﴿ فلما أضاءت ما حوله ﴾ ، وكان الضمير في نورهم يعود على المنافقين فإذ ذاك تكون الأوصاف الثلاثة لهم، وأما في الوجه الخامس فيظهر أنها من أوصاف المنافقين لأنها حالة الرفع من أوصافهم، ألا ترى أن التقدير هم صم أي المنافقون فكذلك في النصب.." (١)

وفي قوله ﴿ لا يرجعون ﴾ قولان، فـ ( رجع ) يكون قاصرا ومتعديا باعتبارين:
" فإذا كان بمعنى ( عاد ) كان لازما، أي، لا ينتهون عن باطلهم، أو لا يرجعون إلى الحق. وإذا كان بمعنى ( أعاد ) كان متعديا، ومفعوله محذوف، تقديره : فهم لا يردّون جوابا " (٢) أي لا يرجعون جوابا.

وفي ( أو ) في قوله ﴿ أو كصيب﴾ خمسة أقوال:
الأول: أنها للتفصيل بمعنى أن الناظرين في حال هؤلاء منهم من يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته، ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب هذه صفته.(٣)
الثاني: أنها للإبهام، أي: إن الله أبهم على عباده تشبيههم بهؤلاء أو بهؤلاء.

الثالث: أنها للشك، بمعنى أن الناظر يشك في تشبيههم.

الرابع: أنها للإباحة" وهي الواقعة بعد الطلب، وقبل ما يجوز فيه الجمع" (٤)

الخامس: أنها للتخيير" وهي الواقعة بعد طلب وقَبْل ما يمتنع فيه الجمع" (٥) أي: أبيح للناس أن يشبهوهم بكذا أو بكذا، وخُيروا في ذلك.

ويرى الكوفيون أنها تأتي بمعنى ( الواو ) يقول في هذا ابن هشام: " الجمع المطلق كالواو، قاله الكوفيون... واحتجوا بقول توبة(٦) [ الطويل]:
وَقَدْ زعَمَتْ ليلى بأنِّيَ فَاجِرٌ لِنَفسِيْ تُقَاهَا أو عَلَيْها فُجُوْرُها" (٧).

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط: جـ١،ص: ٢١٧

(٢) العكبري، التبيان: جـ ١، ص: ٣٧، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ١٣٤

(٣) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون:جـ١، ص: ١٣٥

(٤) ابن هشام ، مغني اللبيب: جـ ١، ص: ١٣٢

(٥) المرجع السابق: جـ ١، ص: ١٣٢

(٦) توبة بن الحمير بن حزم بن كعب العقيلي العامري ( ٨٥هـ - ٧٤م) شاعر من العشاق المشهورين، كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها، فرده أبوها، وزوجها غيره، فانطلق يقول الشعر مشببا بها، قتله بنو عوف، له ديوان. الزركلي، الأعلام: جـ٢، ص: ٨٩

(٧) البيت ذكره ابن هشام، في كتاب مغني اللبيب. والشاهد : ( لنفسي تقاها أو عليها ) حيث أفادت ( أو ) معنى واو العطف فليس فيها تخيير. انظر: مغني اللبيب: جـ ١، ص: ١٣٢

وأجاز سيبويه مجيء ( أو ) للإضراب كـ ( بل ) وذلك بشرطين: الأول: أن يتقدمها نفي أو نهي، والثاني: إعادة العامل (١) ولعل هذه العوامل كلها متوافرة في المثل الثاني مما يقوي احتمال كونها للإضراب.

وقد ذكر العكبري أن أكثر البصريين لا يجيزون أن تحمل ( أو ) على الواو، ولا على ( بل ). (٢)

والأظهر أنها للتفصيل، ويؤيد هذا ما قاله الزمخشري: " ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف، وإيضاحا غب إيضاح" (٣)مما يؤكد أن ( أو ) للتفصيل ويقول الرازي: " ( أو ) أصلها تساوي شيئين فصاعدا في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك" (٤)

وزاد أبو حيان وجها نقله عن السهيلي (٥) وعقب على من اعتبر ( أو ) هنا بمعنى الشك بقوله :" وقال السهيلي: ( أو ) للدلالة على أحد الشيئين من غير تعيين، ولذلك وقعت في الخبر المشكوك فيه من حيث إن الشك تردد بين أمرين من غير ترجيح، لا أنها وضعت للشك فقد تكون في الخبر ولا شك إذا أبهمت على المخاطب" (٦)

والكاف في قوله: ﴿ كصيب ﴾ في موضع رفع عطفا على الكاف في قوله :﴿ كمثل الذي ﴾ (٧) ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، تقديره: أو مثلهم كمثل صيب. وفي الكلام حذف تقديره: أو كأصحاب صيب، وإلى هذا المحذوف يرجع الضمير من قوله: ﴿ يجعلون ﴾ . والمعنى على ذلك، لأن تشبيه المنافقين بقوم أصابهم مطر فيه ظلمة ورعد وبرق لا بنفس المطر" (٨)

وقوله ﴿من السماء ﴾ يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون متعلقا بـ ( صيب ) لأنه يعمل عمل الفعل، التقدير : كمطر يصوب من السماء،و( من ) لابتداء الغاية.

والثاني: أن يكون في محل جر صفة لصيب، فيتعلق بمحذوف، وتكون ( من ) للتبعيض، ولا بد من تقدير مضاف: كصيّبٍ كائن من أمطار السماء (٩)

---

(١) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: جـ ١، ص:١٣٧

(٢) انظر: التبيان: جـ١، ص: ٣٨

(٣) الكشاف: جـ ١، ص: ١١٣

(٤) التفسير الكبير: جـ١، ص ٧١

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، أبو زيد الأندلسي المالقي، مولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. عالم بالنحو واللغة والتفسير، حافظ لأنساب والسير. أهم مؤلفاته: الروض الأنف، ونتائج الفكر، وشرح الجمل، والإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين. انظر: الأعلام: جـ ٣، ص: ٣١٣

(٦) السهيلي، نتائج الفكر في النحو: ٢٥٣ - البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٨

(٧) سورة البقرة : ١٧

(٨) التبيان: جـ١، ص: ٣٨

(٩) انظر: السمين الحلبي: الدر المصون : جـ١، ص: ١٣٦

و( من ) في قوله ﴿من الصواعق ﴾ " تعليلية تغني غناء اللام في المفعول لـه" (١) ، و ﴿ حذر الموت ﴾ ، فيه وجهان :

أظهرهما: أنه مفعول من أجله ناصبه ﴿ يجعلون ﴾ ولا يضر تعدد المفعول لأجله ، لأن الفعل يُعلّل بعلل.

والثاني : أنه منصوب على المصدر وعامله محذوف تقديره: يحذرون حذرا مثل حذر الموت... وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وفاعله محذوف .... " (٢).

وقد جعل ابن عقيل (٣) ﴿ من الصواعق ﴾ متعلقا بـ ﴿ حذر الموت﴾ وفي ذلك تقديم معمول المصدر ﴿ من الصواعق ﴾ على عامله( حذر )، ولعل الذي حمله على ذلك أنه لو علقه بـ ﴿ يجعلون ﴾ لكان في موضع المفعول لأجله، ويلزم على ذلك تعدد المفعول لأجله من غير عطف، وذلك ممتنع عند النحاة، وقد استدرك ابن هشام هذا الاعتراض إذ لا ما نع من كون﴿من الصواعق ﴾ مفعولا لأجله أول لأنه تعليل للجعل مطلقا، والثاني ﴿ حذر الموت ﴾ تعليل له مقيد بالأول، والمطلق والمقيد متغايران، فالمعلل متعدد في المعنى وإن اتحد في اللفظ (٤) .

و " ( كلما ) في قوله : ﴿ كلما أضاء لهم ﴾ كل ظرف اكتسب الظرفية من ( ما ) ، وكذلك كل موضع كانت كلما فيه لها جواب، و( ما ) مصدرية ظرفية والزمان محذوف، أي كل وقت إضاءة، وقيل ( ما ) نكرة موصوفة، ومعناها الوقت، والعائد محذوف، أي كل وقت أضاء لهم فيه، والعامل في ( كل ) جوابها [ مشوا] " (٥) .

والفعل ( أضاء ) إما متعد أو لا زم، فإن كان متعديا فالمفعول محذوف،أي طريقا والضمير في ( فيه ) يعود عليه " ويحتمل أن يعود على البرق، أي مشوا في نوره ومطرح لمعانه" (٦) أما إن كان لازما فالضمير يعود على البرق فقط " أي كلما لمع البرق مشوا في نوره، ويؤيد هذا قراءة ابن أبي عبلة ( كلما ضاء ) ثلاثيا " (٧) و( فيه ) متعلق ( بمشوا ) و( في ) إما على بابها، وإما بمعنى الباء، ولا بد من حذف على القولين، أي مشوا في ضوئه أو بضوئه (٨) ، أو " هي للتعليل والمعنى مشوا لأجل الإضاءة " (٩) .

**********

---

(١) الألوسي، روح المعاني جـ١، ص: ١٧٤

(٢ ) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ١، ص: ١٣٨

(٣) عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت: ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م ) كان عالما بالنحو والعربية، ، ولد وتوفي بالقاهرة، من مؤلفاته: ( شرح ابن عقيل ) على ألفية ابن مالك، و ( المساعد ) شرح التسهيل . انظر: الزركلي، لأعلام: جـ٤، ص: ٩٦.

(٤) انظر: ابن هشام ، مغني اللبيب: جـ٢، ص" ٢٧١

(٥) العكبري، التبيان: جـ١، ص: ٤٠

(٦) أبو حيان، البحر المحيط: جـ١ ،ص: ٣٢٨

(٧) الزمخشري، الكشاف: جـ١، ص: ١١٩، وأبو حيان، البحر المحيط: جـ١ ،ص: ٢٢٨، وانظر الألوسي: جـ١، ص: ١٧٦

(٨) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون:جـ١، ص: ١٤٢

(٩) روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٦

إن بنيـة المثلـين تقـوم علـى ثنائيـات ضـدية( الله/ الإنـسان )،( النـور/ الظلمـة ) ( الهداية/ الضلال)، ( الجزاء/ العقاب )، ( الإيمان/ الكفر)، وبعض هذه الثنائيات ظاهرة في البنيـة الظـاهرة للمثـل وبعضها الآخـر اسـتتر خلـف سـياق الـنص، وبقيـت ظلالـه المعنويـة وانعكاساته تشير إليه، فالمثلان لم يُـصرّحا بتذبذب المنـافقين وارتداد قلوبهم عن الإسلام وكيف أنهم تعرفوا على تعاليم الإسلام، ومع ذلك استحبوا الضلال على الهدى، فعاشوا في قلق نفسي وخوف وفزع، وإنما عَـبرا عن هذه المعاني بثنائية النور والظلمات.

فثنائية ( النور/ الظلمات ) هي الثنائية الأساسية التي ارتكز المثلان عليها، وقد كان للنور ذروة الإضاءة والتنوير ﴿ أضاءت ما حوله ﴾ وكان للظلمات ذروة الطمس والتخويف ﴿ في ظلمات لا يبصرون ﴾ ففي تنكير النـار في قولـه ﴿ استوقد نـارا ﴾ إشـارة إلـى عظم هذه النـار وقـوة إشراقها الذي عُبر عنه بقوله: ﴿ أضاءت ما حولـه ﴾ أمـا الظلمـات ففي تنكيرها وجمعها جمع السلامة دلالـة علـى تراكم الظلمـات وشدة إظلامهـا، وتنوعها فهـي ظلمـة الغمـام وظلمـة الليل والمطر وظلمة هول الصواعق والرعد.

وهذه الثنائيات اللفظية الظاهرة في البنيـة السطحية بين النـور والظلمـات، تناظرهـا ثنائيات في البنية العميقة للنص، وقد كشف النظم عنها وأشار إليها ( فالهداية والضلال ) ثنائية تكونت في عمق النص، فالهداية أشير إليها بقولـه ﴿ استوقد نـارا ﴾ و﴿ أضاءت مـا حولـه﴾ وفي تنكير النـار والتعبير عن تنويرها بالضوء دلالـة علـى عظم النـار التـي كـانوا مستنيرين بها والتي إن أعقبها إظلام كان ذلك أشد وطأة على نفوس أصحابها الذين اعتادوا الإنـارة والإبصار في ضوئها والاطمئنـان بهـا " وهذا علـى مذهب قولهم: للباطل صولة ثم يضمحل (١) " (٢)، ثم اختفت هذه الأنوار وذُهب بها وبقيت ظلمات مطبقة عُبر بها عن الضلال والقلق والتأرجح الذي اتسمت بـه نفوس المنـافقين، فجملـة ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ يتضح من خلال التأمل في تركيبها وكيفية نظمها وانتقاء ألفاظها، ضياع المنافقين وعصيانهم وغضب الله عليهم بأن طمسهم وأعمى بصرهم وبصيرتهم، واختير الفعل ( ذهب )، والفاعل ( الله )، والباء الدالة على المصاحبة ومجرورها( النور ) وإضافة الضمير ( هم ) إليه إشارات يكشف السياق

---

(١) ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني جـ٢، ص: ٢٣٧، بصيغة ( لِلباطِلِ جَوْلَةٌ ثُمَّ يَضْمَحِلُّ)

(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ ١، ص: ١١١

بها ثنائياته المستترة وراء عباراته الظاهرة" والفرق بين أذهبه وذهب به، أن معنى أذهبه : أزاله وجعله ذاهبا. ويقال: ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه... والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه" (١) واختير ﴿ نورهم ﴾" لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة. فلو قيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يُسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا" (٢). " وأشار سبحانه بنفي النور وإذهابه إلى نفي الضوء وإزالته، لأنه أصله وبنفي الأصل ينتفي الفرع"(٣) ، " وإضافة النور إليهم من باب الإضافة بأدنى ملابسة إذ إضافته إلى النار هو الحقيقة لكن لما كانوا ينتفعون به صح إضافته إليهم "(٤).

وصيغة ﴿ ذهب الله بنورهم ... ﴾ تشير إلى أن الله لم يحرمهم نور هدايته فقط وإنما ذهب وأعرض هو عنهم كذلك جزاء إعراضهم عن النور والإيمان، فلو قيل أذهب الله نورهم لفهم ذهاب النور عنهم فقط وبقى الله برحمته ونوره معهم ولكن النظم أوضح أن الله ذهب عنهم بنوره ورحمته وحجب عنهم أنوار الدنيا وأنوار الهداية، فبقوا في ظلام دامس ذلك أنهم استحبوا العمى على الهدى بعدما استوضحوا الأمر وتبينوه، وقد عَبّر عن هذا المعنى قوله ﴿ وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ حيث عطف على قوله ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ فأكد وقرر انتفاء النور بالكلية عنهم. (٥)

" والباء في ( بنورهم ) للتعدية وهي عند الجمهور وسيبويه ترادف الهمزة فكلاهما للتعدية بلا فرق، فلا يُجمع بينهما، وقرأ اليماني (٦) ( أذهب الله نورهم ) وهذا يدل على مرادفة الباء للهمزة، ونسبة الإذهاب إلى الله حقيقة إذ هو فاعل الأشياء كلها... "(٧)، وقد تنبه الألوسي لمزية التعدية بالباء بقوله: " وفي الآية لطف لا ينكر" (٨) ذلك أن الهمزة والباء وإن اشتركا في معنى التعدية إلا أن للباء معاني مختصة بها وهي " الإزالة والمصاحبة والإلصاق" (٩) فتخيرت بناء على ذلك الباء هنا وعُدّي بها بدلا من الهمزة.

وفي تنكير الظلمات وجمعها جمع السلامة دلالة على تراكم وتعدد أنواع الظلمات الدامسة عليهم، وربما كانت ظلمة واحدة لكنها لشدتها استعير لها صيغة الجمع مبالغة، والظلمة لا ترد في القرآن إلا مجموعة بعكس النور، وذلك راجع إلى أن النفس تستكثر الظلمة وتضيق بها ذرعا، فكانت صيغة الجمع ترسم الانعكاسات النفسية لما لا تطيقه النفس الإنسانية فتستكثره.

---

(١) الزمخشري، الكشاف: جـ١، ص: ١١١
(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٣) انظر: روح المعاني:جـ١، ص: ١٦٦
(٤) أبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٥
(٥) انظر : الزمخشري، الكشاف: جـ١،ص: ١١١ وأبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٤والألوسي، روح المعاني:جـ١، ص: ١٦٦
(٦) ابن السميفع .
(٧) انظر : أبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٤
(٨) روح المعاني:جـ١، ص: ١٦٦
(٩) المرجع السابق: الصفحة نفسها

وفي قوله ﴿ لا يبصرون ﴾ تجسيد لظلمتهم وتفظيع لحالهم تم تفصيله بأخبار متتالية بقوله ﴿ صم بكم عمي ﴾، وهذه جملة اسمية ذات أخبار متتالية تؤكد ثبوت وصفهم وحالهم الغريبة التي وصفهم الله بها وهي مكونة من " إضمار مبتدأ تقديره هم صم، وهي أخبار متباينة في اللفظ والدلالة الوضعية لكنها في موضع خبر واحد يؤول معناها كلها إلى عدم قبولهم الحق" (١)

وفي تنكير ( صيب، وظلمات، ورعد، وبرق ) تعظيم وتهويل لشدة طمس وتراكم هذه الظلمات المطبقة المتنوعة. يقول الرازي في الصيب: " ومنه صوب رأسه إذا خفضه" (٢)

وقد أشار الزمخشري إلى المعنى الذي أفاده ذكر ( من السماء ) رغم أن الصيب لا يكون إلا من السماء، وقد وردت السماء هنا معرفة بـ ( ال ) التي تفيد الاستغراق وذلك لنفي " أن يتصوب من سماء، أي من أفق واحد بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من آفاقها سماء ..... والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء... وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء" (٣) .

كما تنبه الألوسي إلى أن في ذكر "( السماء ) تهويل ووعيد ، وفيه إشارة إلى أن ما يؤذيهم عذاب يصب من فوق رؤوسهم وذلك أبلغ وأعظم وأرهب في الإيذاء " (٤) إذ إن الرأس هو الذي يحكم الإنسان بكل تصرفاته ومجرى الحياة فيه، لما فيه من أعصاب دقيقة تحكم جسم الإنسان بأكمله، فإذا تعطل فيه جزء تداعى له سائر الجسد.

وقد أفرد ( الرعد والبرق) مع أن الظلمات والصواعق ذكرت مجموعة، وذلك لأنهما مصدران في الأصل " فروعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع" (٥) " وفي إفرادهما تزداد المبالغة" فلو جمعا لدلا على تعدد الأنواع كما في المعطوف عليه، ولو جمع الرعد وتعدد لما كان السحاب متراكما مطبقا دامسا، كما لو جمع البرق لدل على كثرة إضاءته، وبذلك تزول الظلمة ويخف إطباقها والمراد عكس ذلك فأفردا" والأصل في المصدر أن لا يُجمع على أنه لو جمعا لدل ظاهرا على تعدد الأنواع كما في المعطوف عليه، وكل من الرعد والبرق نوع واحد... فلو تعدد لم يكن السحاب مطبقا فتزول شدة ظلمته وكذا البرق لو كثر لمعانه لم تطبق الظلمة " (٦) وأشار الألوسي إلى أن " النور لما لم يجمع في آية من القرآن لم يجمع البرق إذ ليس هو بالبعيد عنه كما يرشد إليه ﴿ كلما أضاء لهم ﴾ والرعد مصاحب له فانعكست أشعته عليه" . (٧)

كما أن في ذكر مطلق الأصابع في قوله ﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾ دليل على شدة الدهشة والحيرة، وقد حدد الألوسي وجوه الحيرة والخوف والدهشة والقلق" أحدها: نسبة

---

(١) أبو حيان ، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢١٦
(٢) التفسير الكبير: جـ١، ص: ٧٠
(٣) الكشاف: جـ١، ص: ١٧٦
(٤) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ١، ص: ١٧١
(٥) المرجع السابق: جـ١، ١٧٢
(٦) الزمخشري، الكشاف: جـ١، ص: ١١٧
(٧) انظر: روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٢

الجعل إلى كل الأصابع، وهو منسوب إلى بعضها وهو الأنامل، وثانيها من حيث الإبهام في الأصابع والمعهود السبابة فكأنهم من فرط دهشتهم يدخلون أي إصبع كان ولا يسلكون المسلك المعهود، وثالثها في ذكر الجعل موضع الإدخال فإن جعل شيء في شيء أدل على إحاطة الثاني بالأول من إدخاله فيه" (١) .

والجار والمجرور ﴿ بالكافرين ﴾ المتعلق ﴿ بمحيط ﴾ فيه تصريح بذكر المنافقين، ووصف لهم بالكفر مبالغة في وصف حالهم وما كفروه من نعمة الإيمان التي صرفوا قلوبهم عنها، وقد وضع الكافرون موضع الضمير" وعُبر به إشعارا باستحقاق ذوي الصيب ذلك العذاب لكفرهم"(٢) .

كما أن ﴿ يخطف ﴾ خبر الفعل ﴿ يكاد ﴾ أفاد شدة قرب وقوع فعل الخطف إلا أنه لم يصبهم ليبقى الخوف والترقب والقلق محيطا بهم، وهذا قلق نفسي رهيب يجسد حالة القلق والاهتزاز العقدي في نفوس المنافقين. " وقد قرأ مجاهد وعلي بن الحسين (٣) ويحي بن وثاب (٤) ( يخطِف ) بكسر الطاء والفتح أفصح. وعن ابن مسعود ( يختطف ) وعن الحسن ( يخطف ) بفتح الياء والخاء وأصله يختطف فأدغم التاء في الطاء. وعن عاصم وقتادة والحسن(٥) أيضا ( يخطف ) بفتح الياء وكسر الخاء والطاء المشددة. وعن الحسن أيضا والأعمش(٦) ( يخطف ) بكسر الثلاثة والتشديد. وعن زيد(٧) ( يخطف ) بضم الياء وفتح الخاء وكسر الطاء المشددة وهو تكثير مبالغة لا تعدية،وكسر الطاء في الماضي لغة قريش، وهي اللغة الجيدة" (٨) .

وفي استخدام الشرط المقطوع بوقوعه ( إذا ) دلالة على تحقق وقوع الإظلام عليهم ﴿ وإذا أظلم عليهم .....﴾ واستمرارهم في الظلمات، وأفادت ( كلما ) " التكرار" (٩) لتكرر فعل المشي مع ندرة وقوع كل إضاءة، فهم في ترقب وتوجس وتحسب وعدم استقرار، يقول الزمخشري:" وإنما صدرت الجملة الأولى بـ ( كلما )، والثانية بـ ( إذا ) لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأتيه، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، وليس كذلك التوقف والحبس" (١٠) .

---

(١) روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٣

(٢) المرجع السابق: جـ١، ص: ١٧٥

(٣) ( زين العابدين ) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت: ٩٤هـ - ٧١٢م ) . الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ٢٧٧.

(٤) يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي القارئ، روى عن ابن عباس وابن عمر وآخرين (ت:١٣٠هـ). معرفة القراء: جـ١، ص: ٥١.

(٥) الحسن البصري ( أبوسعيد ) .

(٦) سليمان بن مهران الأسدي، أبو محمد (ت: ١٤٨هـ - ٧٦٥م ) تابعي مشهور. أصله من بلاد الري، منشأه ووفاته في الكوفة. كان رأسا في العلم النافع العمل الصالح. أخذ القراءة عرضا عن إبراهيم النخعي وزر بن حبيش وزيد بن وهب وعاصم بن أبي النجود انظر: الزركلي، الأعلام: جـ٣، ص: ١٣٥، غاية النهاية جـ١، ص: ٣١٣٥.

(٧) زيد بن علي العجلي.

(٨) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٥

(٩) الزمخشري، الكشاف: جـ١، ص: ١١٩، وأبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٣٢٨

(١٠) الكشاف: جـ١، ص: ١١٩

وفي قوله: ﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾ وقوله:﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ حذف مفعول ﴿ لا يرجعون ﴾ ومفعول المشيئة، وحذف المفعول تكثر لطائفه وتدق أسراره وكأن المزايا فيه أخلب وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب، كما يقول عبد القاهر. (١)

وإيراد الفعل المتعدي من غير مفعول في قوله ﴿ لا يبصرون ﴾ الغرض منه إثبات معنى الفعل للفاعل، وحصره عليهم دون الاهتمام بأي شيء وراء ذلك، فقوله ﴿ لا يبصرون ﴾ غرضه إثبات انطماس أنفسهم وأعينهم عن كل حق وصواب، وعن كل نور وسبيل، وفيه تصوير لظلمات أنفسهم وأغوارهم ، فلو ذكر المفعول ( الطريق، السبيل، ما حوله ) لأوهم ذلك أن الظلمات مقصورة على العوالم الخارجية لهم، والمعنى أشمل وأعم من ذلك فهم في ظلمات داخلية وخارجية، ظلمات معقولة ومحسوسة، ولهذا لم يذكر المفعول لأن الغرض هو إثبات عدم إبصارهم عامة، فكأن الفعل ﴿ لا يبصرون ﴾ غير متعدٍ أصلا إذ إنه حمل بين متونه معنى المفعول وما يزيد على ذكره، مما أبعد النظر والحس عن تقدير المفعول فكأنه كالمذكور، ولو أخذ على أصله وعُدي لنقص الغرض وتغير المعنى. وقال الألوسي: "﴿ لا يبصرون ﴾ منزل منزلة اللازم - لطرح المفعول - نسيا منسيا، ولعدم القصد إلى مفعول دون مفعول، فيفيد العموم" (٢)

" وأصل ( أظلم ) ألا يتعدى " (٣) ، " والمشهور استعمال ( أظلم ) لازما، نحو( أظلم الليل )" (٤) وذكر الأزهري أن كل واحد من أوصاف الظلم يكون لازما ومتعديا(٥) إلا أن قراءة يزيد بن قطيب(٦) والضحاك(٧) ( وإذا أُظْلِمَ ) مبنيا للمفعول جعلت الزمخشري يجعلها دليلا على أن ( أظلم ) متعدٍ بنفسه للمفعول، فلذلك جاز أن يبنى للمجهول، (٨) وخرجه أبو حيان على " أن يكون أظلم غير متعد بنفسه لمفعول لكنه يتعدى بحرف الجر ألا ترى كيف تعدى ( أظلم ) إلى المجرور بعلى، فعلى هذا يكون الذي قام مقام الفاعل أو حذف هو الجار والمجرور فيكون في موضع رفع وكان الأصل ( وإذا أظلم عليهم ) ثم حذف فقام الجار والمجرور مقامه، نحو ( غضب زيد على عمرو) ، ثم تحذف زيدا وتبني الفعل للمفعول فتقول ( غضب على عمر ) فليس يكون التقدير إذ ذاك ( إذا أظلم الله الليل ) فحذف لفظ الجلالة وأقيم ضمير الليل مقام الفاعل " (٩) .

---

(١) دلائل الإعجاز: ١١٧

(٢) روح المعاني: جـ١، ص: ١٦٨

(٣) أبو حيان، البحر المحيط: جـ ١، ص: ٢٢٨

(٤) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ١٢٩

(٥) انظر: التهذيب: مادة ( ظلم ) ، والألوسي، روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٧.

(٦) يزيد بن قطيب الشامي، له اختيار في القراءة، روى عن أبي بحرية وعبد الله بن قيس. غاية النهاية: جـ ٢، ص: ٣٨٢

(٧) الضحاك: أو القاسم الضحاك بن مزاحم (٠٠٠/ت:١٠٥هـ ) تابعي مفسر وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى عن أبي هريرة وابن عباس . غاية النهاية جـ١، ص: ٣٣٧.

(٨) انظر: الكشاف: جـ١، ص: ١١٩

(٩) أبو حيان، البحر المحيط: جـ١، ص: ٢٢٩

أما حذف مفعول ( شاء ) فهو مقصود، ولكنه حذف من اللفظ لدليل عليه، يقول الألوسي: " ومفعول شاء هنا محذوف وكثيرا ما يحذف مفعولها إذا وقعت في حيز الشرط ولم يكن مستغربا، والمعنى لو أراد الله إذهاب سمعهم بقصف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب، ولتقدم ما يدل على التقييد من ( يجعلون، ويكاد ) قوى دلالة السياق عليه وأخرجه من الغرابة " (١)

أما الزمخشري فقد أرجع حذف مفعول ( شاء ) لدلالة الجواب عليه ( لذهب ... ) (٢) يقول محمد أبو موسى : " وقد يقصد بالحذف إبهام المعنى لتوضيحه بما يرد بعد المحذوف وبناء الكلام على الإيضاح بعد الإبهام من المزايا البلاغية في صياغة العبارة وأمسها بطبائع النفوس فقد فطر الله الناس على التعلق بما يجهلون مما يلوح لهم منه طرق من العلم والانكشاف" (٣)، وقد أشار إلى هذا المعنى عبد القاهر في ذكره لبيت البحتري (٤) :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم  كرما ولم تهدم مآثر خال(٥)

يقول:" فليس يخفى أنك لو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، صرت إلى كلام غث وإلى شيء يمجه السمع وتعافه النفس، وذلك أن في البيان إذا ورد بعد الإبهام وبعد التحريك له أبدا لطفا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدم ما يحرك وأنت إذا قلت: لو شئت أن ههنا شيئا تقتضي مشيئة له أن يكون، فإذا قلت: لم تفسد سماحة حاتم، عرف ذلك الشيء " (٦)

وقرأ ابن أبي عبلة ﴿ لأذهب الله بأسماعهم﴾ " وهي محمولة على زيادة الباء لتأكيد التعدية أو على أن ( أذهب ) لازم بمعنى ذهب، إذ الجمع بين أداتي تعدية لا يجوز" (٧) .



---

(١) روح المعاني: جـ١، ص: ١٧٦

(٢) الكشاف: جـ١، ص: ١١٩

(٣) خصائص التراكيب: ٣٤٩

(٤) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري، (٢٨٤هـ - ٨٩٨م ) شاعر كبير كان مع المتنبي وأبي تمام أشعر زمانهم. ولد بمنبج ( بين حلب والفرات ) وتوفي فيها. له ديوان شعر و ( ديوان الحماسة ) مختارات من أشعار استحسنها. انظر: الزركلي، الأعلام: جـ٨،ص: ١٢١.

(٥) البيت في ديوان البحتري.

(٦) دلائل الإعجاز: ١١٨

(٧) الألوسي، روح المعاني: جـ ١، ص: ١٧

## رابعا: الموازنة بين المؤمنين وغيرهم

ورد في موضوع الموازنة بين المؤمنين والكافرين، سبعة أمثال، اخترت منها ثلاثة أمثال هي:

الأول: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (١)

الثاني: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٢)

الثالث: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

وقد اخترت هذه الأمثال الثلاثة لارتباطها ببعضها، وتكاملها، وتشابهها في البنية اللفظية والتركيبية. فهي تصور وتقارن بين حال المشركين في عبادتهم للأولياء والأنداد، وحال المؤمنين الموحدين بالله وحده، وهي تدور في فلك واحد هو التوحيد ومحاولة الإقناع بالمنطق التصويري الوجداني ليتبين البون الشاسع بين حال الفريقين من الضلالة والهداية، والضعف والقوة، والعجز والكفاية.

### التراكيب النحوية ودلالاتها في المثل الأول:

تنوعت جمل المثل بين جمل اسمية ( الحمد لله، فهو ينفق منه، أكثرهم لا يعلمون ) وجمل فعلية ( ضرب الله مثلا، لا يقدر على شيء، رزقناه )، كما تنوعت الجمل في مواقعها فبعضها له محل من الإعراب:

جمل خبرية: ( ينفق .... ) في محل رفع خبر المبتدأ ( هو )، ( لا يعلمون ) في محل رفع خبر المبتدأ ( أكثرهم ).

أو جمل وصفية ( لا يقدر على شيء ) في محل نصب نعت ثان لـ ( عبدا ) أو في محل نصب حال من ( عبدا ) لأنه وصف.

---

(١) سورة النحل: ٧٥
(٢) سورة النحل: ٧٦
(٣) سورة الزمر: ٢٩
(٤) انظر : محمود صافي، الجدول: م: ٧، جـ ١٤، ص: ٢٩٧-٢٩٩

وبعضها جمل لا محل لها من الإعراب:

استئنافية كجملة : ( ضرب الله...)، ( الحمد لله ... )، ( أكثرهم لا يعلمون ). واستئنافية بيانية: ( هل يستوون)، وصلة الموصول الحرفي ( من ): ( رزقناه ... ).

كما تنوعت متعلقات الجار والمجرور فيهما :
( على شيء ): متعلق بـ ( يقدر ) .
و" ( منا ) من قوله ( ومن رزقناه منا .. ): متعلق بالفعل ( رزقناه ) على حذف مضاف أي( من عندنا ). و( منه ) من قوله ( فهو ينفق منه ) متعلق ( بينفق ) (١)
( لله ): جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر.

وفي قوله: ( ومن رزقناه ) يجوز في ( من ) أن تكون موصولة، وأن تكون موصوفة ورجّح الزمخشري كونها موصوفة، فقال: " كأنه قيل: وحرا رزقناه، ليطابق ( عبدا ) " (٢) " ومحلها النصب عطفا على ( عبدا )" (٣)، وأبو حيان يرى أن الظاهر هو كون ( من ) موصولة أي: و الذي رزقناه، " ودلت الصلة وما عطفت عليه على أنه يراد به الحر " (٤).

وقوله ( سرا وجهرا ) يجوز أن يكون :
" منصوبا على المصدر، أي: إنفاق سرٍ وجهرٍ ، ويجوز أن يكون حالا .

وقد جمع الضمير في الفعل ( يستوون ) رغم أن ما تقدمه اثنان ( عبدا/ ومن رزقناه ) وذلك لأن:
١ـ المراد جنس العبيد والأحرار المدلول عليهما بـ ( عبدا، من رزقناه ) " (٥) .

٢ـ اعتبارا بمعنى الموصول الحرفي ( من ) فإن معناها جمع، رُوعي بعد أنْ روعي لفظها في ( رزقناه ) بالإفراد " فيصير إذ ذاك جمع الضمير لانتظام العبد المملوك والأغنياء في الجمع وكأنه قيل: عبدا مملوكا، والملاك المرزوقون المنفقون " (٦).

**********

في آية سبقت المثل نهى الله تعالى عباده عن أن يتخذوا أندادا وآلهة دون الله كما زجرهم أن يشبهوا الله بخلقه ويشبهوا الخلق بربهم، فقال تعالى: ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾(٧) وضرب المثل يرد في هذا السياق بمعنى الإشراك بالله، وقد جُعل المشرك هنا بمنزلة ضارب المثل، لأنه يُشبه ذات الله عز وجل بذات مخلوقة، يقول الألوسي: " فكأنه

---

(١) محمود صافي، الجدول: م: ٧،جـ١٤،ص: ٢٩٨
(٢) الكشاف: جـ٢، ص: ٥١٨
(٣) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٤، ص: ٣٤٩
(٤) البحر المحيط: م:٥، ص: ٥٠٣
(٥) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٣٤٩
(٦) البحر المحيط:م:٥،ص: ٥٠٣
(٧) سورة لنحل: ٧٤

قيل: ولا تشركوا بالله سبحانه، وعُدل عنه إلى المنزل دلالة على التعميم في النهي عن التشبيه وصفا وذاتا" (١).

ثم علل تعالى النهي السابق، وذلك لأن ضرب المثل إنما " يُستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفي عنه" (٢)، والله تعالى هو العلام وهم لا يعلمون شيئا، ولذلك علّمهم الله تعالى كيف تُضرب الأمثال فقال تعالى: ( ضرب الله مثلا عبدا ... ) (٣) وذلك ليكشف لهم فساد ما ضربوه مثلا واتخذوه وليا من دون الله.

**********

وبدأ المثل باستئناف بياني ناشئ عن قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٤) فشبه حال أصنامهم في العجز بحال مملوك لا يقدر على تصرف في نفسه ولا يملك مالا، وشبه شأنه تعالى في رزقه إياهم بحال الغني المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره.

و( عبدا ) بدل من ( مثلا ) وتفسير لما أبهم فيه، وفي هذا شرف البلاغة وقمة التأثير في النفس، فبعد الإبهام والتنكير السابق تأنس النفس وتبتهج بهذا البيان والإيضاح، وقد وُصِف العبد بـ ( مملوكا ) و ( لا يقدر على شيء ) لتخصيص العبد بأنه مملوك لأن العبودية تشمل الأحرار أيضا، فالخلق جميعهم عبيد لله، فكان لفظ ( مملوكا ) تمييزا له عن الحر. وعُطف على هذا الوصف وصف آخر هو ( لا يقدر على شيء ) تأكيدا وتتميما للوصف السابق، ووصف المملوك بعدم القدرة على التصرف في شيء " لأن المملوك قد يكون له تصرف وقدرة كالمأذون له والمكاتب" (٥)، يقول ابن عاشور: " وجملة ( لا يقدر على شيء ) صفة ( عبدا ) أي عاجزا عن كل ما يقدر عليه الناس كأن يكون أعمى وأبكم وأصم، بحيث يكون أقل العبيد فائدة" (٦) وبهذا يكون هذا المثل إيجازا لتفصيل يتبعه.

و( من) في قوله ( ومن رزقناه ) نكرة موصوفة أو موصولة، والأول أظهر " ليطابق ( عبدا ) فإنه نكرة موصوفة بمعنى حرا رزقناه .. " (٧) وفي هذه الجملة التفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حال المشبّهَين، واختلاف ملكهما ورزقهما : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

---

(١) روح المعاني: جـ١٤، ص: ١٩٤

(٢) المرجع السابق: الصفحة ذاتها.
(٣) سورة النحل: ٧٥
(٤) السورة نفسها: ٧٤
(٥) أبو حيان ، البحر المحيط: م: ٥، ص: ٥٠٣
(٦) التحرير والتنوير: جـ١٤، ص: ٢٢٤
(٧) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ٢، ص: ٥٨٠

مَـا لاَ يَمْلِـكُ لَهُـمْ رِزْقـاً مِّـنَ الـسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَـيْئاً وَلاَ يَـسْتَطِيعُونَ ﴾ (١) ، يقـول أبوالسعود (٢) : " والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق" (٣).

وفي الضمير المتصل ( نا ) في قوله ( رزقناه ، منا ) تعظيم لأمر الرزق الذي رزق به الحرّ كما أن في تكرار لفظ ( الرزق ) ( رزقناه منا رزقا حسنا ) تأكيد على سعة وطيب وحُسن هذا الرزق، فهو حلال طيب، كثير متنامٍ.

والفاء في قوله﴿ فهو ينفق منه سرا وجهرا ﴾ لترتيب الإنفاق على الرزق، وللإشارة إلى تقوى العبد وحُسن تصرفه في مال الله الذي أعطاه " وجُعلت جملة ( فهو ينفق منه ) متفرعة على التي قبلها دون أن تُجعل صفة للرزق للدلالة على أن مضمون كلتا الجملتين مقصود لذاته كمالٌ في موصوفه، فكونه صاحب رزق حسن كمال، وكونه يتصرف في رزقه بالإعطاء كمال آخر، وكلاهما بضد نقائض المملوك الذي لا يقدر على شيء من الإنفاق ولا ما ينفق منه" (٤).

كما أن في إيثار التعبير بالجملة الاسمية ( فهو ينفق ) بدلا من التعبير بالجملة الفعلية ( ومن رزقناه منا رزقا حسنا فأنفق ) دلالة على ثبات الإنفاق في نفس الحر المالك المنفق. وفي الخبر المضارع ( ينفق ) دلالة على التجدد والتكرر، يقول أبو السعود :" وإيثار فاعلية النظم الكريم من الجملة الاسمية، الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجددي" (٥)، كما أن فيه إبراز لقدرة هذا الحرّ ( فهو ) وتأكيد لذاته في التصرف، فأفعاله ( ينفق ) صادرة من نفسه، لذلك قدم ( فهو ) عليها لأنه مصدرها وصاحب القرار فيها بعكس العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء.

و( سرا وجهرا ) " حالان من ضمير ( ينفق ) وهما مصدران مؤولان بالصفة، أي مُسرا وجاهرا بإنفاقه" (٦)، وفيهما طباق لإبراز المعنى السابق، وللدلالة على عموم إنفاقه في كل الأوقات وشمول إنفاقه للمحتاجين والمتعففين، وفي تقديم ( سرا ) على ( جهرا ) بيان لفضل الإنفاق بصدقة السر وشرفها، كما أن في هذين الحالين " كناية عن استقلال التصرّف وعدم الوقاية من مانع إياه عن الإنفاق" (٧).

---

(١) سورة النحل: ٧٤
(٢) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ( ٨٩٣هـ - ٩٨٢هـ ) فقيه تركي، كاتب وشاعر ، اشتهر بفتاويه، أهم آثاره ( إرشاد العقل السليم على مزايا الكتاب الكريم ) المعروف بتفسير أبي السعود. محمد الذهبي، التفسير والمفسرون: جـ١، ص: ٢٤٥
(٣) تفسر أبي السعود: م:٣، جـ٥، ص: ١٢٨
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٤، ص: ٢٢٥
(٥) تفسير أبي السعود: م: ٣، جـ ٥، ص: ١٢٩
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١٤، ص: ٢٢٥
(٧) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

وضمير العظمة ( نا ) في قوله تعالى ( رزقناه منا ) له دلالة على عظم الرزق وسعته ولبيان أن المعطي هو الله والرازق هو الله، وما ينفقه الأحرار وما يملكونه هو ملكه، وهو واهبهم إياه، ولذلك عُدِل عن الطرف الثاني للمقارنة، فلم تُذكر مواصفات الرجل الثاني ( حرا مالكا لماله ) لأن الخلق كلهم عبيد الله، والمال مال الله يهبه لمن يشاء.

وبعد هذين الحالين المتباينين أشد التباين، يأتي الاستفهام الإنكاري ( هل يستوون ) وضمير الجمع لجنس العبيد والأحرار، والمعنى: هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بما ذكر من صفات؟
وهنا تمتزج ذات القارئ لتشارك النص منطقه الوجداني، وجدليته المقنعة، لتنطق الفطرة البشرية - التي عرفت ظلم العبودية ورفضته، وسعت نحو الحرية والعدالة منذ وجد الإنسان على هذه الأرض - بـ ( لا لا يستويان مثلا ) .
وحيث لم يستو الفريقان، وهما سيان في البشرية والمخلوقية لله تعالى، فكيف يستوي مالك الملك بالمخلوقين والأصنام الذين اتخذهم الكفار أندادا من دون الله .

ولذلك كانت جملة ( الحمد لله ) مخصصة قاصرة الحمد والشكر لله، لأنه هو المنعم والمعطي ولا أحد يستحق الحمد غيره، ويرى ابن عطية أن هذه الجملة حمد على ظهور المحجة وقوة الحُجّة، يقول : " ( الحمد لله ) شكر على بيان الأمر بهذا المثال، وعلى إذعان الخصم له، وهكذا كما تقول لمن أذعن لك في حجة وسلم ما تبني أنت عليه قولك الله أكبر على هذا يكون كذا وكذا، فلما قال هنا ( هل يستوون )؟ فكأن الخصم قال له لا، فقال: الحمد لله ظهرت الحجة" (١).

وقد تكون جملة ( الحمد لله ) خطابا للمؤمنين يأمرهم بأن يحمدوا الله على أن رزقهم الإسلام وميزهم بقدرته وتأييده على أولئك الكفار العاجزين عن نفع أنفسهم. وجملة ( الحمد لله ) اسمية معترضة بين الاستفهام المفيد للنفي وبين الإضراب بـ ( بل ) الانتقالية، للبيان وإثبات أن الحمد والشكر لا يكون إلا لله دائما وأبدا.

وبذلك يكون المثل موازنة بين عبادة الله وعبادة الأصنام، أو هو موازنة بين المؤمنين والكافرين. وينتهي المثل بتذييل ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ " وبل هنا إضراب للانتقال"(٢) من الاستدلال عليهم إلى تجهيلهم في عقيدتهم، وفي الآية ذم لأكثرهم صراحة بالجهل، وذم لأقلهم بالتعريض بصفة المكابرة والعناد مع علمهم بالحق. وقد حذف مفعول العلم للقصر والاختصار لقصر الجهل عليهم ولقصد تعميم جهلهم بكل شيء بطريقة موجزة موحية، يذهب فيها الذهن كل مذهب، ليشمل كل أنواع الجهل.

---

(١) المحرر الوجيز: م: ٣، ص: ٤١٠

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٤،ص: ٢٢٥

**المثل الثاني:**

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١)

**التراكيب النحوية ودلالاتها في المثل الثاني:**

تشيع الجمل التي لا محل لها من الإعراب في هذا المثل، مثل:
( أحدهما أبكم ... ) لا محل لها استئناف بياني " أو هي نعت لرجلين في محل نصب، والرابط الضمير العائد (هما )" (٢)
( يوجهه ... ) لا محل لها تعليلية.
(لا يأت بخير ... ) لا محل لها جواب الشرط غير مقترنة بالفاء.
(هل يستوي ... ) لا محل لها استئناف بياني.
( يأمر بالعدل ... ) لا محل لها صلة الموصول ( من ).
( هو على صراط ... ) لا محل لها معطوفة على جملة الصلة.

أما أشباه الجمل فقد تنوعت متعلقاتها:
( على مولاه ) متعلق بـ ( كل ) وعلامة الجر الكسرة المقدرة على الألف(٣) منع من ظهورها التعذر.
( بخير ) متعلق بـ ( يأت )
( بالعدل ) متعلق بـ ( يأمر ).

" وفي قوله ( يُوجِّهْهُ ) قرأ الجمهور بكسر الجيم وضم الثانية، على إضمار الفاعل بمعنى : أينما يوجه المولى عبده لا يأت بخير، وقرأ ابن مسعود ومجاهد ( يُوجِّهْ ) بهاء واحدة ساكنة للجزم، والفاعل ضمير مستتر يعود على مولاه، وضمير المفعول محذوف لدلالة المعنى عليه، فيكون الفعل ( يوجه) متعد تقديره كقراءة العامة، ويجوز أن يكون ضمير الفاعل عائداً على الأبكم ، ويكون ( يُتوجِّه ) لازما بمعنى تَوَجَّهه، يقال: وَجَّه وتَوَجَّه بمعنى. وقرأ علقمة(٤) وطلحة (٥) ( يُوجِّهُ ) بهاء واحدة مضمومة وتُخرج القراءة على وجوه:

١- أن ( أينما ) ليست هنا شرطية، والمراد أينما هو يوجه، وقد حذف منه ضمير المفعول به فيكون حذف الياء في آخر ( يأتِ ) للتخفيف. ويُعرب ( يوجهُ ): خبر مبتدأ مضمر، أينما هو يوجهُ ، وهو يعود على مولاه، والمفعول به محذوف أيضا ( العبد ).

---

(١) سورة النحل: ٧٦
(٢) محمود صافي، الجدول: م:٧، جـ١٤، ص:٣٠٠
(٣) المرجع السابق:٢٩٩
(٤) ابن عبدالله بن مالك أبو شبل النخعي الفقيه خال إبراهيم النخعي، ولد في حياة النبي ﷺ قرأ القرآن على ابن مسعود وسمع من عمر وعلي وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم وطائفة . قرأ عليه يحيى بن وثاب وعبيد بن نضيلة وأبو إسحاق وغيرهم وتفقه به إبراهيم والشعبي.توفي سنة اثنتين وستين. محمد الذهبي، معرفة القراء : جـ١، ص٥١-٥٢
(٥) ابن جعفر الشاهد أبو القاسم البغدادي، المقرئ ، قرأ على ابن مجاهد واستملى عليه ولذلك يقال له غلام ابن مجاهد وقرأ على نصر بن القاسم الفرائضي عن قراءته على محمد بن غالب صاحب شجاع البلخي. وصنف كتابا في أخبار القضاة وبقراءته سمع أبو مسلم الكاتب كتاب السبعة من ابن مجاهد في سنة عشرين وثلاث مئة. محمد الذهبي، معرفة القراء: جـ١، ص٣٤٤

٢ـ أن تكون لا م الفعل ( يوجّهُ ) حذفت تخفيفا لأجل التضعيف والهاء الموجودة هي ( هاء الضمير ) الدالة على العبد الأبكم.
٣ـ ( أينما ) مهملة حملا على ( إذا ) فهي حرف شرط غير جازم، وحذفت الياء من ( لا يأت ) تخفيفا أو جزما على التوهم، ويكون ( يوجِّهُ ) لازما بمعنى ( يتوجَّهُ ). وقرأ ابن مسعود أيضا (تُـوَجِّـهْهُ ) كالعامة، إلا أنها بتاء الخطاب، وفيه التفات " (١) .

**********

عطف على المثل الأول مثل ثانٍ على وجه أظهر وأوضح للبيان والتأكيد، وبدأ المثل الثاني بأسلوب مبهم كالأول ( ضرب الله مثلا ) وهو أسلوب جاذب للنفوس، شاد للعقول فُسّر بقوله تعالى ﴿ رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء... ﴾ والجملة استئناف بياني لما أجمل والبكم هو " الخرس المقارن للخلقة ويلزمه الصم " (٢)، وقد ترجم البكم بقوله ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ فهو عاجز عن إقامة مصالح نفسه أو غيره، عجزه مطلق، وأكد سوء حاله هذا بالجملة الاسمية ﴿ وهو كَـلٌ على مولاه ﴾ أي ثقيل وعبءٌ على مولاه، ووُضّح هذا الثقل بجملة الشرط ﴿ أينما يوجهه لا يأت بخير ﴾ فهو ثقيل لا فائدة تُـرجى منه عاجز ضعيف، لا يملك حاجة نفسه، يقول الزمخشري في وصف هذا الرجل الأبكم: " ثقيل على من يعوله، حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لا ينفع، ولم يأت بنجح، هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس، نفّـاع ذو كفايات مع رشد وديانة، فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم، على سيرة صالحة ودين قويم " (٣) .

وقد حُذفت من المقارنة صفات الرجل الآخر، وهو النطق، والقدرة، والكفاية وذلك لدلالة السياق في قوله ﴿ أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ... ﴾ على ما حذف، كما أن في الاستفهام الإنكاري ﴿هل يستوي هو ... ﴾ دليل على حذف المقابل أيضا، واستعيض عن تلك الصفات المضمرة بقوله ﴿ ومن يأمر بالعدل ... ﴾ للمبالغة في بيان فضل الرجل الآخر، يقول ابن عاشور:" وقد قُـرن ذكر الرجلين ابتداءً بإبهام ثم فُـصّل في آخر الكلام مع ذكر عدم التسوية بينهما بأسلوب من نظم الكلام بديع الإيجاز، إذ حذف من صدر التمثيل ذكر الرجل الثاني للاقتصار على ذكره في استنتاج عدم التسوية تفننا في المخالفة بين أسلوب هذا التمثيل وأسلوب سابقه، ومِثْـل هذا التفنن من مقاصد البلغاء كراهية للتكرير لأن تكرير الأسلوب بمنزلة تكرير الألفاظ" (٤).

---

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م: ٥، ص: ٥٠٤، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٣٥٠.
(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ١٤، ص: ١٩٦
(٣) الكشاف: جـ ٢، ص: ٥٨٢
(٤) التحرير والتنوير: جـ١٤، ص: ٢٢٧

واستُخدم الموصول الحرفي ( من ) ليساعد على الوصف بتوالي الأفعال، وقد تكون ( من ) هنا نكرة موصوفة بمعنى: ومن هو منطيق، فهو ذو رأي رشيد ينفع به نفسه وينفع به الناس بحثهم على العدل النابع من فطرته القويمة، واختير ( العدل ) لكونه جامعا لمجامع الفضائل.

وجملة ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾ جملة اسمية دالة على ثبوت الخير في نفس الرجل الثاني وتأصلها فيه، يقول الألوسي:" أي لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي، فالجملة حالية مبينة لكماله في نفسه" (٢).

ومقابلة الصفات الأربع في الرجل الأول ﴿ أبكم، لا يقدر على شيء، وهو كل على مولاه، أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ بهذين الوصفين في الرجل الثاني ( يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم ) لأنهما" كمال ما يقابلهما ونهايته فاختير آخر صفات الكمال المستدعية لما ذكر وأزيد حيث جُعل هاديا مهديا، وتغيير الأسلوب حيث لم يقل: والآخر يأمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين الفريقين" (٣).

فيكون الغرض من التمثيل نفي المساواة بينه جل جلاله وبين ما يُشرك به، أو هو تمثيل لنفي المساواة بين المؤمن( من يأمر بالعدل ) والكافر ( الأبكم ) ، والواقع أن السياق كانت له دلالات متعددة ومعانٍ كثيرة استوعبت الغرضين وألمحت إليهما، فكان السياق مليئا موحيا زاخرا بالمعاني الظاهرة والعميقة المستترة خلف الجمل.

وطرفا التشبيه في كل مثل لم يتساويا وذلك لغرض المبالغة وبيان فضل الثاني ( الله /المؤمن ) على الطرف الأول من التشبيه ( الصنم / الكافر ) فبنيت المفارقة على ما فُهم من السياق، وزيد عليه بأوصاف محمودة للطرف الثاني مشعرة بما أضمر من محاسنه.

**********

---

(١) روح المعاني، جـ١٤، ص: ١٩٧

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ١٤، ص: ١٩٧

**المثل الثالث :**

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

**التراكيب النحوية ودلالاتها:**

سيطرت الجمل التي لا محل لها من الإعراب على هذا المثل، فبعضها استئنافية ( ضرب الله مثلا..) ، ( أكثرهم لا يعلمون )، وبعضها مستأنفة استئنافا بيانيا: ( يستويان .. ) ، وبعضها اعتراضية: ( الحمد لله ).

كما تنوعت مواقع أشباه الجمل:

( فيه ): متعلق بخبر مقدم للمبتدأ ( شركاء ).

( لرجل ): متعلق بـ ( سلما ).

( لله ): متعلق بخبر المبتدأ ( الحمد ).

وفي نصب ( رجلا ) ثلاثة أوجه:

الأول: أنه مفعول أول أخّرَ عن المفعول الثاني ( مثلا ) للتشويق إليه، وليتصل بما هو تتمته التي هي العمدة في التمثيل. (٢)

الثاني: أنه بدل كل من كل، من المفعول ( مثلا ). (٣)

الثالث: أنه منصوب على إسقاط الخافض، أي مثلا لرجل.

وفي قوله ( فيه شركاء ) وجهان:

الأول: ( فيه ) خبر مقدم للمبتدأ ( شركاء)، والجملة الاسمية ( فيه شركاء ) في محل نصب صفة لـ ( رجل ) والرابط هو الهاء. وهو الأولى، لأن النكرة وإن وصفت يحسن تقديم خبرها لما فيه من نكت معنوية كتخصيص ذات العبد وإبرازها، وتسليط إيذاء الشركاء عليها، فكأن أذاهم مسلطا على أعماقه، ولذلك هو الوجه الراجح.

---

(١) سورة الزمر: ٢٩

(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ ٤، ص: ١٢٨

(٣) الألوسي، روح المعاني: جـ٢٣، ص: ٢٦٢

الثاني: ( فيه ) في موضع الصفة لـ ( رجل )، و( شركاء ) مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف، وقد رجح السمين الحلبي هذا الوجه لقربه من المفرد. (١)

" وقوله ( سلما ) قرأه مجاهد وقتادة وأبوعمرو ( سالما ) بالألف وكسر اللام، فهو اسم فاعل من الفعل ( سَلِمَ ) أي، خالصا له من الشركة. وقرأ الجمهور ( سَلَماً ) بفتح السين واللام، وقرأ ابن جبير(٢) بكسر السين وسكون اللام ( سِلْمَاً ) وقرئ ( سَلْماً ) بفتح السين وسكون اللام، وهذه مصادر وصف بها على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف، أي: ذا سلم." (٣) وقرئ ( ورجلٌ سالمٌ ) برفعهما وفيه وجهان:

أحدهما: " أن يكون ( رجل ) مبتدأ والخبر ومحذوف تقديره: وهناك رجلٌ سالمٌ لرجل." (٤) فجعل الخبر ( هناك ) .

الثاني: " أنه مبتدأ و( سالم ) خبره، وجاز الابتداء بالنكرة لأنه موضع تفصيل، إذ تقدم ما يدل عليه". (٥)

**********

هذا المثل ضربه الله للمقارنة بين حالي المشركين عبدة الأوثان، الذين اتخذوا أندادا من دون الله، وبين المؤمنين الذين عبدوا الله الواحد الأحد، وهذا المثل متصل بقوله: ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ (٦)، فمُثّل الفريقان بحال رجلين أحدهما عبد يتشارك فيه ملاك عديدون متشاجرون لشكاسة أخلاقهم، فلا يدري أيهم يُرضي وأيهم يَعتمد عليه، والآخر عبد خالص لمالك واحد يعرف ما يرضيه ويتجنب ما يسخطه، وهذا العبد يعتمد على مالكه في إدارة مصالحه، وإقامة أموره وتوجيهه، يقول الزمخشري: " اضرب لقومك مثلا، وقل لهم: ما تقولون في رجل من المماليك، قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع، كل واحد منهم يدعي أنه عبده، فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشادة، وإذا عنّت له حاجة

---

(١) انظر: الدر المصون: جـ ٦، ص: ١٥

(٢) ابن جبير: سعيد بن جبير بن هشام أبو عبد الله الوالبي، قرأ على ابن عباس، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ (معرفة القراء: جـ١، ص: ٥٦)

(٣) أبو حيان، البحر المحيط: جـ٧،ص: ٤٠٧

(٤) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ٤، ص: ١٢٨

(٥) أبو حيان، البحر المحيط: جـ: ٧، ص: ٤٠٧

(٦) سورة الزمر: ٢٢

تدافعوه، فهو متحير في أمرهم سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره، لا يدري أيهم يُرضي بخدمته، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته. وفي آخر: قد سلم لمالك واحد وخلص له، فهو معتنق لما لزمه من خدمته، معتمد عليه فيما يصلحه، فهَمُّهُ واحد وقلبه مجتمع، أيّ هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا؟" (١)

وقد بُدأ المثل بجملة استئنافية ﴿ ضرب الله مثلا ﴾ وهي جملة تعريضية فيها إجمال للعموم الوارد في قوله: ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ (٢) وتخصيص له، وفيها استقصاء للإرشاد والوعظ الذي ضُرب من أجله الأمثال.

ويبدأ المثل بالفعل الماضي ( ضرب ) مع أن المثل ضُرب في وقت مضارع لزمن نزوله، وذلك لنكت منها: " تقريب زمن الحال من زمن الماضي لقصد التشويق إلى علم هذا المثل فيجعل كالإخبار عن أمر حصل لأن النفوس أرغب في علمه" (٣) كما أن فيه دلالة التحقق والوقوع فكأن المثل وقع فعلا، وفي هذا زيادة تأثير في النفس وتقريب للذهن.

أما الزمخشري فيرى أن الفعل الماضي ( ضرب ) مراد به معنى الأمر إذ فسره بقوله:" اضرب لهم مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك ... " (٤) فالخبر هنا مستعمل في الطلب، وقد خرّج هذا الوجه ابن عاشور بقوله: " إنه لما سمع النبي (ﷺ) قوله ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ (٥) علم أنه سينزل عليه مثل من أمثال القرآن فأنبأه الله بصدق ما عَلمه وجعله لتحققه كأنه ماض. ولِيلائم توجيه الاستفهام إليهم بقوله ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ ( فإنه سؤال تبكيت ) فتلتئم أطراف نظم الكلام، فعُدل عن مقتضى الظاهر من إلقاء ضرب المثل بصيغة الأمر إلى إلقائه بصيغة المضي لإفادة صدق علم النبي ( ﷺ) ، وكل هذا أدق معنى وأنسب ببلاغة القرآن من قول من جعل المعنى في الفعل ( ضرب ) على حقيقته" (٦) ، كما عُدل عن صيغة الطلب ( اضرب ) إلى صيغة الخبر ( ضرب ) لإسناد الفعل إلى الله، تنويها بشأن المثل وفضله في الهداية والإرشاد.

---

(١) الكشاف: جـ٤، ص: ١٢٨

(٢) سورة الزمر: ٢٨

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، جـ٢٣، ص: ٣٩٩

(٤) الكشاف، جـ٤، ص: ١٢٨

(٥) سورة الزمر:٢٧

(٦) التحرير والتنوير: جت٢٣، ص: ٤٠٠

وفي تخصيص التمثيل بـ ( الرجل ) في هذه الأمثال لطائف منها أن الرجل" أفطن لما شقي به أو سعد فإن الصبي والمرأة قد يغفلان عن ذلك" (١) ، وقد يكون لقوامة الرجل وعقلانيته كبير الأثر هنا، لأنه إذا صلح الراعي صلحت الرعية، والرجل بسلطته في بناء الأسرة وتربية الأبناء له قدرة كبيرة على التأثير، فإن لامس المثل عقله واختلج في قلبه كان له كبير الأثر في اعتناق الأسرة للإسلام، وإقتناعها به، و لكرامة الرجل ورفضه لذل الاستعباد قرب المثل من النفس، وهيّج فيه روح الإباء ورفض الذل.

فالتمثيل تصوير ذو أبعاد نفسية وجسدية، تصور المشرك تحت ضغوط مرهقة لنفسه وجسده، وتصور المؤمن الموحد بالله في أعلى عليين، في راحة وسكينة ورفاهية، وفكرة العبودية تشكل عاملا مشتركا عند الموازنة بين الأمثال الثلاثة. فالمثل الأول يشترك مع المثل الثالث في الموقف التصويري المبرز لفريقين متباينين أحدهما في قمة العجز والمذلة والآخر في كمال القدرة والعزّة. ولذلك ذيل المثلان بقوله تعالى: ﴿ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ وتتطابق بناهما اللفظية والمعنوية والتركيبية لتأكيد المفارقة وإبراز تباين الفريقين وبونهما الشاسع، وللتنفير من الشرك والحض على الإيمان وتوحيد الله جل وعلا.

وقوله ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ استفهام إنكاري لنفي استوائهما على أبلغ وجه وتأكيد جلاء تباينهما بحيث لا يختلف أحد في الحكم باختلاف حاليهما.

وانتصب ( مثلا ) في قوله ( هل يستويان مثلا ﴾ على التمييز المحول عن الفاعل إذ التقدير ﴿ هل يستوي مثلهما وحالهما ﴾ وقد جاء لفظ ( مثلا ) مفردا" لأنه المقتصر عليه أولا في قوله تعالى﴿ ضرب الله مثلا ﴾، ولبيان الجنس، وقرئ ( مثلين )" (٢) أي هل يستوي مثلاهما وحالاهما، وقد ثُني الفعل ( يستويان ) رغم إفراد ( مثلا ) ووضوح دلالة السياق على معنى المقارنة بين حالي العبدين" لقصد الإشعار بمعنى زائد هو اختلاف النوع " (٣) وتأكيد لتباين الحالين وتمايزهما.

وجملة ( الحمد لله ) جملة اعتراضية واقعة " بين الإنكار والإضراب الانتقالي"(٤) لتقرير ما سبقها من نفي استواء حال الرجلين، ولتنبيه الموحدين على أن ما خصهم الله به من نعمة الإيمان هو فضل ومنّة منه تعالى تستحق دوام الشكر و الحمد.

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٣، ص: ٢٦٢
(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ ٤، ص: ١٢٨
(٣) الألوسي، روح المعاني: جـ٢٣، ص: ٢٦٣
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٣، ص: ٣٩٩

وقد تكون جملة﴿ الحمد لله ﴾ استئنافية بيانية جوابا للاستفهام التقريري" وقد بُني المثل على أن المسئول اعترف فجيء بما يناسب اعترافه، فكأنهم قالوا: لا يستويان، وذلك هو ما يبتغيه المتكلم من استفهامه فلما وافق جوابهم بغية المستفهم حمد الله على نهوض حجته فتكون الجملة استئنافا فموقعها كموقع النتيجة بعد الدليل ". (١)

وينتهي المثل بتذييل ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ على سبيل الإضراب والانتقال من " بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره أو ليسوا من ذوي العلم فلا يعلمون ذلك فيبقون في ورطة الشرك والضلال" (٢)

وقد غُيّب ذكر المشركين واستعيض عنه بضمير الغيبة ( هم ) للتقليل من شأنهم وتحقيرهم على جهلهم رغم ظهور الأمر ووضوحه. يقول سيد قطب (٣) في تعليقه على هذا المثل: " هذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال، فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة في هذه الأرض على هدى، لأن بصره أبدا معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق، ولأنه يعرف مصدرا واحدا للحياة والقوة والرزق ومصدرا واحدا للنفع والضر، ومصدرا واحدا للمنح والمنع، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد، يستمد منه وحده، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته، ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره. ويخدم سيدا واحدا يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتّقيه.. وبذلك تتجمع طاقاته وتتوحد، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء....." (٤) .

**********

تنهض بنية الأمثال الثلاثة للموازنة بين المؤمنين والكافرين على ثنائيات ضدية تتوالد منها معاني المفارقة، ويتأكد بها البون الشاسع بين حالي الفريقين، وهذه الثنائيات بعضها ظاهر في البنية الظاهرة للنص، وبعضها مستتر خلف السياق، في البنية العميقة للمثل. ومن هذه الثنائيات: ( الله / العبد )، ( العبد، السيد )، ( المؤمن، الكافر)، ( العجز، القدرة ) ( الذل، العزّة ).

---

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ٢٣، ص: ٣٩٩

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٣، ص: ٢٦٣

(٣) سيد بن قطب بن إبراهيم الشاذلي، المستشهد سنة ( ١٣٨٦هـ ) ولد بمصر، وهو كاتب إسلامي مجيد، له في الإسلاميات كتب ورسائل مفيدة، تهدف إلى الحركة الإسلامية المتناسبة مع النهضة العلمية الحديثة، ومن مؤلفاته: تفسير القرآن المسمى بـ ( في ظلال القرآن )، و( التصوير الفني في القرآن ) و( مشاهد القيامة في القرآن ) و( الإسلام ومشكلات الحضارة ). محمد هادي، التفسير والمفسرون: جـ٢، ص: ٤٦٨- ٤٧٩

(٤) في ظلال القرآن: جـ٥، ص: ٣٠٤٩

وتتشابه البنية التركيبية واللفظية والمعنوية لهذه الأمثال، فهي تسير بشكل دائري يبدأ من نقطة ويعود إليها، بعد إحاطة المعنى من جميع الجهات، وشموله، ليعود لنقطة البداية بعد مشوار تصويري طويل يدور حول نقطة وسط هي ( التوحيد / الإشراك ).

وتبدأ الأمثال الثلاثة بجمل مستأنفة متشابه البنى اللفظية والتركيبية هي: ( ضرب الله مثلا ) وهو مطلع موحد لأمثال ثلاثة تدور في نسق واحد وتهدف لتأكيد معنى واحد وإبراز البون بين الموحد والمشرك، والفرق الشاسع بين حاليهما بطريقة المقارنة والمفارقة.

ويلي المطلع بيان توضيحي لمحتوى الأمثال، الذي تشابهت عناصر التمثيل فيها ( رجل مملوك/ وسيده )، ( أبكم ( أخرس، أصم )/ سميع منطيق )، (عاجز لا يقدر على شيء/ قدير مالك )، ( كافر مشرك/ مؤمن موحد ). وقد دارت فكرة التمثيل على مبدأ رفض العبودية، والذل والاستبداد، وهي فكرة ترفضها النفس الإنسانية وتأباها منذ أن وجدت البشرية.

وانتهت الأمثال بنهاية موحدة: استفهام ﴿ هل يستوون﴾ ﴿ هل يستوي ﴾ ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ يليه جملة معترضة للتأكيد ﴿ الحمد لله ﴾، ثم إضراب ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ وقد سرى هذا النسق التركيبي في المَثَل الأول والثالث، أما المَثَل الثاني فكانت نهايته مفتوحة ذلك لأنه ارتكز على مقارنة موسعة تفصيلية لحال الفريقين ( المؤمنين/ والمشركين ) ولدلالة السياق على ما حذف منه من تذييل إذ إنه مسبوق ومتلو بمثلين مقاربين له حُسمت المقارنة فيهما بقوة منطق القرآن الحجاجي التصويري، ذو الأثر الفاعل في نفس ووجدان سامعيه ﴿ الحمد لله ﴾. وقد فتح المَثَل الثاني بقفله المفتوح، المجال واسعا ليذهب العقل الإنساني المتدبر في كل مناحي التأمل والتفكير، فيرى بون المقارنة وسوء حال المشركين وضلالهم وعجزهم وذلهم في الوقت الذي ترتفع فيه مراتب العزة والكفاية بالمؤمنين الموحدين، وتشرق وجوههم بفضل الله عليهم ورحمته وجوده.



## المبحث الثاني: العـــالم الآخـــر

### أولا: ( الجنة )

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾(١)

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ (٢)

### التراكيب النحوية ودلالاتها:

في المثل الأول تشيع الجمل التي لا محل لها من الإعراب، فمنها: الابتدائية ( مثل الجنة) والمستأنفة البيانية ( تجري من تحتها الأنهار/ أكلها دائم ) والمستأنفة نحويا ( تلك عقبى الذين اتقوا ) وصلة الموصول ( التي وعد المتقون ) .

ونلاحظ في هذا المثل توالد الجمل بعضها من بعض، فجملة ( مثل الجنة ) تتولد منها جملة الصلة، التي فتحت بدورها فضاء واسعا للجمل الاستئنافية لوصف نعيم الجنة" فكأن سائلا يسأل: ما مثل الجنة؟ فيجاب : تجري من تحتها الأنهار، ومن ثم يسأل بعد أن عرف عن أنهارها ومياهها الجارية، ماذا عن أكلها؟ فيجاب: أكلها دائم" (٣) . وكذلك جملة ( وظلها دائم ) المعطوفة على ماقبلها.

ويقفل المثل باستئناف ( تلك عقبى الذين اتقوا ) يُـظهر الموازنة التي تخصص الجنة للمؤمنين، وتخصص النار للكافرين.

---

(١) سورة الرعد: ٣٥

(٢) سورة محمد: ١٥

(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ٤، ص: ٣٢٤

أما في المثل الثاني فتتنوع الجمل في مواقعها الإعرابية فمنها: الخبرية ( فيها أنهار ) والوصفية ( لم يتغير طعمه) ، و الحالية ( سقوا ) على تقدير ( قد ) .

وجمل أخرى لا محل لها من الإعراب:
منها: الاستئنافية ( مثل الجنة ...، كمن هو خالد ) ، و الاستئنافية البيانية ( فيها أنهار ) وصلة الموصول التي ( وعد المتقون ) وصلة الموصول الحرفي (من ) ( هو خالد ) وماعطف عليها ( سقوا ) وما عطف على سقوا ( قطع ) .

أما أشباه الجمل في المثلين فهي: ( من تحتها ) متعلق بتجري ( فيها ) : متعلق بخبر مقدم. ( من ماء ): نعت لأنهار.( من لبن ): نعت لأنهار الثاني.( من خمر) : نعت لأنهار الثالث.( من عسل ) : نعت لأنهار الرابع.( لهم ): خبر مقدم والمبتدأ مقدر، أي: أصناف أو زوجان. ( فيها ): متعلق بالاستقرار الذي هو الخبر.( من كل ): نعت للمبتدأ المقدر.( من ربهم ): نعت لـ ( مغفرة ).( كمن ): خبر لمبتدأ محذوف تقديره ( أمن هم في نعيم كمن هو خالد ) (٢)( في النار ): متعلق بـ ( خالد ).

وفي جملة: ( فيها أنهار ) وجوه:
الأول: " أن تكون في موضع الحال، أي مستقرة فيها أنهار.(١) ، يقول الألوسي: " وجوزوا أن يكون في موضع الحال على أن الظرف في موضع ذلك و( أنهار ) فاعلة لا على أنه مبتدأ والظرف خبر مقدم والجملة الاسمية حال لعدم الواو فيها، وقد صرحوا بأن الاكتفاء فيها بالضمير غير فصيح ... " (٣)

---

(١) الزمخشري، الكشاف: جـ٤، ص: ٣٢٤

(٢) محمود صافي، الجدول: م١٢، جـ ٢٧،ص:٤٦

(٣) روح المعاني: جـ ٢٦، ص: ٤٩

الثاني: " أن تكون في حكم الصلة كالتكرير لها. ألا ترى إلى صحة قولك: التي فيها أنهار" (١) يقول الألوسي: " أي صلة بعد صلة يتضمن تفصيلها لأنه كالتفصيل للموعود ولهذا لم يتخلل العاطف بينهما" (٢).

الثالث: ( مثل الجنة ) المبتدأ، و( فيها أنهار ) جملة هي خبره.

الرابع: أن يكون ( فيها أنهار ) خبر مبتدأ محذوف أي ( هي فيها أنهار)" وكأن قائلا قال: وما مَثلُها؟ فقيل: فيها أنهار"(٣)، والجملة استئناف بياني وهو الوجه الأولى والأصوب، ورجحه العكبري على أنها " جملة مستأنفة شارحة لمعنى المثل فهي تفسيرية" (٤).

وهنا تتداخل الجمل وأشباه الجمل وتتنامى من أعماق الاستئناف البياني ( فيها أنهار ) ويلتحم بعضها ببعض بحرف العطف الواو( و أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ) للدلالة على اختلاف المتعاطفات وتنوع الأنهار ولتفصيل أمر الجنة التي أشير إليها إشارة موجزة في آيات سابقة.

وتُعطف جملة ( لهم فيها من كل الثمرات ) على جملة ( فيها أنهار ) لتتميم خيرات الجنة ووصف ملذاتها، ثم يقفل المثل بجملة استئنافية ( كمن هو خالد في النار ) وهو قفل يشابه قفل المثل الأول على تقدير ( أكمن هو خالد في الجنة كمن هو خالد في النار ) وذلك لإظهار البون الشاسع بين الفريقين، وتخصيص الجنة للمؤمنين وتخصيص النار للكافرين. ومن جملة الاستئناف تنمو جمل العطف ( وسقوا .... فقطع ... ) لوصف وبيان حال الكافرين في النار وتقبيح حالهم بمناظرته بحال المؤمنين في الجنان، فكان المَثَلان كالجملة الواحدة المتنامية الملتحمة التي توضع في النفس وضعا واحدا له أثره ووقعه.

---

(١) الزمخشري، الكشاف: جـ٤، ص: ٣٢٤

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٦، ص: ٤٩

(٣) الزمخشري، الكشاف: جـ٤، ص: ٣٢٤

(٤) التبيان: جـ ٢، ص: ٣٦٢

وبتتبع الاختلافات الإعرابية في المثل الأول يتضح أن هناك خلافا واضحا في قوله تعالى( مثل الجنة ) ولعل هذا الخلاف سببه المعنى التفسيري للفظ ( المثل )، فالمثل يُستعمل في ثلاثة معان، بمعنى الشبه في أصل اللغة، وبمعنى القول السائر في عرف اللغة، وبمعنى الصفة الغريبة " وهو معنى مجازي له مأخوذ من المعنى العرفي بعلاقة الغرابة لأن المثل إنما يسير بين الناس لغرابته" (١).

الوجه الأول: المثل هو الوصف، معناه " وصف الجنة " (٢) فـ ( مثل الجنة ) مبتدأ وخبره المقدم محذوف تقديره عند سيبويه( فيما قصصناه مثل الجنة) وقد قدر الخبر مقدما" لطول ذيل المبتدأ ولئلا يفصل بينه وبين ما يتعلق به معنى " (٣) وعلى هذا تكون جملة ( تجري من تحتها الأنهار ) في المثل الأول و( فيها أنهار ) في المثل الثاني جملتان مستأنفتان استئنافا بيانيا عند سيبويه واعتبرها العكبري" حالا من العائد المحذوف في ( وعد ) أي: وعدها" (٤)

الوجه الثاني: أن يكون الخبر محذوفا، والجملة المذكورة ( تجري....) و( فيها أنهار ) صفة له، وهو رأي الزجاج (٥) وتقديره : مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهده. وقد أورد أبوحيان رد أبي علي (٦) على قول الزجاج بقوله: " قال أبو علي لا يصح ما قال الزجاج لا على معنى الصفة ولا على معنى الشبه، لأن الجنة التي قدرها جثة، ولا تكون صفة، ولأن التشبيه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث والجنة جثة فلا تكون المماثلة" (٧) .

وقد يكون الخبر المحذوف تقديره " مثلٌ عجيب ، أو شيء عظيم، أو مثل ذلك" (٨) ، أي مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجيب أو شيء عظيم" وعلى هذا يكون قوله ( تجري ) و( فيها أنهار ) كلاما مستأنفا مُحققا لقولنا مثل عجيب" (٩) .

الوجه الثاني:

أن يكون ( مثل الجنة ) مبتدأ وخبره ( تجري من تحتها الأنهار) على أن المثل بمعنى الصفة

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ ١٣، ص: ١٦٢

(٢) الرازي، التفسير الكبير:جـ٢٨،ص: ٤٧

(٣) سيبويه، الكتاب: ١٤٣/١ الألوسي، روح المعاني: جـ ١٣، ص: ١٦٢

(٤) التبيان: جـ ٢، ص: ٣٣

(٥) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق ( ٢٤١هـ/٨٥٥م - ٣١١هـ / ٩٢٣م )عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. من كتبه ( معاني القرآن ) و ( الاشتقاق ) و( الأمالي ) في الأدب واللغة. الزركلي، الأعلام: جـ١، ص: ٣٣

(٦) أبو علي الفارسي.

(٧) البحر المحيط: جـ ٥،ص: ٣٨٦

(٨) الرازي، التفسير الكبير:جـ٢٨،ص: ٤٧

(٩) المرجع السابق :الصفحة نفسها

وهو رأي الفراء ، وهو " خطأ عند البصريين لأن المَثَـل لا تجري من تحته الأنهار وإنما ( تجري ) وصف للمضاف إليه جنة " (١) وشُبهتُه أن مَثَـل هنا بمعنى الصفة، فهو كقولهم: صفة زيد أنه طويل، ويجوز أن يكون ( تجري ) مستأنفا (٢) .

أو بأن ( مثل ) مقحم زائد وهو كثير في كلام العرب، ورد أبو حيان على من قال بزيادة المثل " بأن اقتحام الأسماء لا يجوز" (٣) فالحكم بالزيادة رأي ضعيف لأن لكل كلمة في القرآن دلالاتها ومهمتها الخاصة بها، وقد يُعبّرُ بلفظ ( الزيادة ) عن معنى تكرار الجملة للتأكيد والتقرير، فكل حرف زائد هو بمثابة تكرار للمعنى السابق عليه، وبهذا يكون له وظيفته ومهمته ويُخرّج القول بالزيادة عليه.

وقيل الخبر قوله ( أكلها دائم ) " لأنه خارج عن العادة كأنه قال: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار ﴾ كما تعلمون من حال جناتكم إلا أن هذه أكلها دائم" (٤) وقد ذكر الألوسي أن هذا الرأي منقول عن " الفراء إلا أن المثل بمعنى الشبه مقحم والتقدير الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار إلى آخره " (٥) .

كما منع السمين الحلبي أن تكون ( فيها أنهار ) خبرا للمبتدأ ( مثل ) يقول: " وهذا ينبغي أن يمتنع إذ لا عائد من الجملة إلى المبتدأ ولا ينفع كون الضمير عائدا على ما أضيف إليه المبتدأ " (٦) .

وقد نُقل عن الفراء تأويل آخر وهو على " حذف لفظة ( أنّها ) والأصل: صفة الجنة أنها تجري، وقد رُدّ بأن هذا من تفسير المعنى لا الإعراب، وكيف تحذف ( أنها ) من غير دليل"(٧).

الوجه الرابع: ذكره أبو حيان وهو " بتأويل ( تجري ) على إسقاط ( أنْ ) ورفع الفعل والتقدير: أن تجري، أي جريانها" (٨) ورده الألوسي نقلا " عن الشهاب (٩) بأن تأويل الجملة بالمصدر من غير حرف سايك شاذ" (١٠).

الوجه الخامس: وهو يختص بالمثل الثاني بأن يكون ( كمن هو خالد في النار ) هو الخبر وهذا رأي الزمخشري، يقول: " فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾. ﴿ كمن هو خالد في النار﴾ قلت : هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار، لانطوائه

---

(١) الفراء، معاني القرآن: ٦٥/٢ - العكبري، التبيان جـ ٢ ص: ٣٣
(٢) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ١٥٠
(٣) البحر المحيط: جـ٥، ص: ٢٨٦
(٤) الرازي، التفسير الكبير:جـ٢٨،ص: ٤٧
(٥) روح المعاني: جـ ١٣، ص: ١٦٣
(٦) الدر المصون : جـ٤، ص: ١٥٠
(٧) انظر: الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٤٦
(٨) البحر المحيط:جـ٥، ص: ٣٨٦
(٩) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري ( ٩٧٧ - ١٠٦٩هـ/ ١٥٦٩ - ١٦٥٩م ) قاضي القضاة وصاحب التصاريف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة . ولد ونشأ بمصر . من أشهر كتبه ( شرح الغواص في أوهام الخواص للحريري -ط) و ( عناية القاضي وكفاية الراضي -ط ) حاشية على تفسير البيضاوي و ( ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب ) . الزركلي، الأعلام: جـ ١،ص: ٢٢٧-٢٢٨
(١٠) انظر روح المعاني: جـ ١٣، ص: ١٦٣

تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار، ودخوله في حيزه، وانخراطه في سلكه، وهو قوله تعالى: ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ﴾(١) فكأنه قيل: أمثل الجنة كمن هو خالد في النار. فإن قلت: فلم عُرّي من حرف الإنكار؟ وما فائدة التعرية؟ قلت: تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوّي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار، وبين النار التي يُسقى أهلها الحميم.....ومثل الجنة: صفة الجنة العجيبة الشأن، وهو مبتدأ، وخبره: كمن هو خالد " (٢). وعلى هذا يكون قوله ( فيها أنهار ) وما بعده " جملا اعتراضية وقعت بين المبتدأ والخبر" (٣).

وفي المثل الثاني في قوله ( فيها أنهار ) وجوه:

الأول : أن تكون ( أنهار ) مبتدأ مؤخر، و ( فيها ) خبر مقدم.

الثاني: أن تكون ( أنهار ) فاعل لاعتماد الجار ( في ) على الوصف.

والأول أوجه لما فيه من تقدم الخبر ( فيها ) على ذكر الأنهار، وذلك لبيان أهمية هذا الخبر وهو الاستقرار في أعماق الأرض، فالإخبار بالظرف أشاع معنى الاحتواء والوعاء والظرفية وفيه دلالة على كمون المياه في جوف أرض الجنة واستقرارها في الأعماق التي تفجرت أنهارا وينابيعَ صافية، وفيه دلالة على خصوبة التربة وجودتها فهي عائمة على أنهار جارية ( تجري من تحتها الأنهار ) من فوقها ومن أسفلها، فوق سطحها، وفي أعماقها مما يوفر ريا سائغا و( لبنا ) طازجا و( خمرا ) لذيذا و (عسلا ) مصفى، وكل هذا مستديم متدفق في ربوعها.

وفي قوله ( لَـذّةٍ ) قولان :

الأول: " أن يكون تأنيث لـذٍّ ولَـذٌّ بمعنى لذيذ، ولا تأويل على هذا" (٤) ، " فتكون ( لَـذّةٍ ) صفة مشبهة مؤنث لذٍّ، وصفت بها الخمر لأنها مؤنثة وتُـذكّـر." (٥)

الثاني: " ويجوز أن يكون مصدرا وُصِفَ به بتقدير مضاف، فهو مصدر بمعنى الالتذاذ ولا بد من تأويله بالمشتق ليصح النعت به. "(٦)

وقد ذكر الألوسي وجها آخر وهو أن تُـجعل " ( لذة ) عين اللذة مبالغة " (٧).

---

(١) سورة محمد: ١٤

(٢) الكشاف: جـ٤، ص: ٣٢٢

(٣) انظر: الرازي، التفسير الكبير:جـ٢٨، ص: ٤٧

(٤) السمين الحلبي الدر المصون: جـ٦، ص: ١٥٠

(٥) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ٢٦،ص: ٤٨

(٦) انظر السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٦، ص: ١٥٠، و الألوسي، روح المعاني: جـ٢٦،ص: ٤٨

(٧) انظر: روح المعاني: جـ٢٦، ص: ٤٨

وفي إعراب ( لَـذّةٍ ) وجوه:

الأول: " الجر، صفة لخمر وهو رأي الجمهور.

الثاني: قرئ بالنصب، على المفعول له أي، كائنة لأجل اللذة لا لشيء آخر من الصداع وسائر آفات خمور الدنيا، وهذا الوجه يؤيد المصدرية في قراءة العامة.

الثالث: قرئ بالرفع صفة لأنهار. " (١)

" ولم تجمع ( لذة ) لأنها مصدر إن قيل به، وإلا فهي صفة لجمع غير عاقل، وهو يعامل معاملة المؤنثة الواحدة "(٢). ويرجح كونها مصدرا، فلم تُـجمع لتكون اللذة واحدة فالجمع يدل على تعدد الأنواع، وتفاوتها وهذه اللذةُ هي لذةٌ متفق عليها لدى كل الذائقين، بلا تفاوت، وفيه دلالة على بلوغها غاية اللذة، وذروة الحلاوة.

وفي قوله ( لهم فيها من كل الثمرات ) المبتدأ المؤخر محذوف تقديره ( صنفان ) و( لهم ) خبره المقدم و( فيها ) متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار المحذوف. و( من كل الثمرات ) فيه وجهان، أحدهما :

" أن هذا الجار صفة لمقدر، وهو المبتدأ ( صنفان أو زوجان ) ، وخبره الجار قبله، وهو ( لهم ) و( فيها ) متعلق بما تعلق به والتقدير، ولهم فيها زوجان من كل الثمرات، وهو منتزع من قوله تعالى: ﴿ فيها من كل فاكهة زوجان ﴾ (٣) ، وقدره بعضهم ( صنف ) والأول أليق." (٤)

والثاني: " أن ( من ) مزيدة في المبتدأ ، أي ولهم فيها كل الثمرات، والمشهور أنها لا تزاد في المبتدأ إلا إذا سبقها نفي أو شبهه وكان مدخولها نكرة " (٥) .

و﴿ مغفرة ﴾ في إعرابها وجهان:

أحدهما: أنه عطف على المبتدأ المقدر ( صنفان / زوجان ) " لا بقيد كونه في الجنة أي ولهم مغفرة لأن المغفرة تكون قبل دخول الجنة ، أو بالقيد ولا بد من حذف مضاف حينئذ. أي وتنعيم، لأنه ناشئ من المغفرة وهو في الجنة" (٦) وقدره الألوسي بـ " ونعيمُ مغفرةٍ أو جعل المغفرة عبارة عن أثرها وهو النعيم أو مجازا عن رضوان الله عز وجل، وقد يقال: المراد بالمغفرة هنا ستر ذنوبهم وعدم ذكرها لهم لئلا يستحوا فتتنغص لذتهم. والمغفرة السابقة ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها وحينئذ العطف على المبتدأ من غير ارتكاب شيء مما ذكر" (٧)

---

(١) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ٤، ص: ٣٢٥، و أبو حيان، البحر المحيط: جـ ٨، ص: ٧٩، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٦، ص: ١٥١

(٢) المرجع السابق

(٣) سورة الرحمن : ٥٢

(٤) انظر الألوسي، روح المعاني:جـ ٢٦، ص: ٤٧

(٥) انظر الألوسي، روح المعاني:جـ ٢٦، ص: ٤٧، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٦، ص: ١٥٠

(٦) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٦، ص: ١٥١

(٧) روح المعاني:جـ ٢٦، ص: ٤٩

والثاني: " أن يجعل خبرها مقدرا، أي ولهم مغفرة والجملة مستأنفة. والفرق بين الوجهين: أن الوجه الذي قبل هذا وفيه الإخبار بـ ( لهم ) الملفوظ به عن تبين ذلك المحذوف، ومغفرة وفي الوجه الآخر الخبر جار آخر، حذف للدلالة عليه" (١)

وفي إعراب ﴿ كمن ﴾ قوله ﴿ كمن هو خالد في النار ﴾ وجوه :

الأول: أن تكون شبه جملة في محل رفع خبر لـ ( مثل الجنة ) وقد قاله الزمخشري، على تقدير أنه كلام على صورة الإثبات ومعنى النفي، وقد سبقت الإشارة إليه(٢) وفكرة الزمخشري مترتبة على تقدير إنكار سابق على الجملة " ( أفمن كان )الخ، والمعنى أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار فالمضافان محذوفان الجزاء بقرينة مقابلة الجنة ولفظ المثل بقرينة تقدمه ومثله كثير، وفائدة التعرية عن حرف الإنكار أن من اشتبه عليه الأول أعني حال المتمسك بالبينة وحال التابع لهواه فالثاني مثله عنده وإذ ذاك لا يستحق الخطاب...وقال ابن المنير(٣) في الانتصاف بعد نقله كم ذكر الناس في تأويل هذه الآية فلم أرى أطلى ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها لا يعوزها إلا التنبيه على أن في الكلام محذوفا ليتعادل، والتقدير مثل ساكن الجنة كمن هو خالد في النار، ومن هذا النمط قوله تعالى: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله﴾ (٤) " (٥)

الثاني:أن تكون خبر مبتدأ محذوف تقديره"أحال هؤلاء المتقين كحال من هو خالد في النار"(٦)

وقد ذكر العكبري باقي الأوجه فقال:" كمن في موضع رفع، أي حالهم كحال من هو خالد في الإقامة الدائمة، وقيل: هو استهزاء بهم، وقيل هو على معنى الاستفهام، أي: أكمن هو. وقيل: في موضع نصب، أي يُشبِهُون من هو خالد فيما ذكرناه" (٧)

**********

تقوم البنية العميقة في المَثَلَيْن على ثنائيات ضدية هي ( الله/ العباد ) و( الجنة / النار ) و( المؤمنون/ الكافرون ) و( النعيم/ العذاب ) و( حسن العاقبة / وسوء المنقلب).

هذا على مستوى البنية العميقة، أما على مستوى البنية الظاهرة، فنرى تمركزا لوجه واحد من الثنائيات، هو جانب الجنة، والمؤمنين، والنعيم وحسن الجزاء، ذلك أن مضمون الخطاب

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٦، ص: ١٥١
(٢) انظر : الكشاف: جـ٤،ص: ٣٢٣
( ٣) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار، القاضي ناصر الدين بن منير الجذامي الحروي الإسكندري ( ٦٢٠هـ / ٦٨٣م - ٦٢٣هـ / ١٢٨٤م ) كان إماما عالما بارعا، وهو أحد الأئمة المتبحرين في العلوم من التفسير والفقه والعربية والبلاغة ومن تصانيفه ( تفسير القرآن ) و( الانتصاف من الكشاف وأسرار الإسراء) و( مناسبات تراجم البخاري) ، و( مختصر التهذيب في الفقه) . فاطمة المحجوب، الموسوعة الإسلامية: جـ٢، ص: ص: ١٣٣- ١٣٤

(٤) سورة التوبة: ١٩
(٥) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٦،ص: ٥٠وانظر : الزمخشري، حاشية الكشاف: جـ٤، ص: ٣٢٣
(٦) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٦، ص: ١٥١
(٧) التبيان: جـ ٢، ص: ٣٦٣

هو الترغيب في الجنة والتنفير من النار، أو بعبارة أدق هو الحض على الإيمان والعمل الصالح وإتقاء الكفر والمعاصي ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا ﴾.

وفي هذين المَثَلَيْن يندمج الجزاء بالعقاب، والنعيم بالعذاب، بحيث يعبر المَثَلان عن الجنة ونعيمها إن قرئا من زاوية، ويدلان على العقاب والبون الشاسع بين نعيم المؤمنين وعذاب الكافرين إن قرئا من زاوية أخرى.
فهما إن قرئا بالتركيز على المؤمنين ففيهما بشرى وحسن جزاء، وإن قرئا بالتركيز على الكافرين ففيهما وعيد وتحذير، من سوء العاقبة وتصوير وتجسيد لعذابهم والبون الشاسع بين الفريقين ليزدادوا حسرة على حسرتهم.

كما أن ثنائية ( الله/ العباد) تشير إليها بعض البُنى كـ ( من ربهم )، والفعل ( وعد، سقوا ) تشير إلى الله و( التي وعد المتقون/ تلك عقبى الذين اتقوا/ وعقبى الكافرين النار) تشير إلى العباد.

وبنية المَثَلَيْن تقوم على ثنائية تدوير الجنة والنار، لإنتاج النص وإظهار البون الشاسع بين الفريقين، وإبراز نعيم الجنة وتجسيد مثوى المتقين، ولذلك ابتُدئ بذكر الجنة والنعيم لترتكز الأبصار عليها وتنجذب القلوب إلى سحر جمالها، وتأنس النفوس فيها وتطمئن بمناظر المتاع والاسترواح المتمثلة بمشهد الأنهار الجارية وقد استعمل الفعل ( تجري ) للدلالة على استمرار جريان المياه وتدفقها وتجسدها أمام الناظرين، كما كان لتوالي الجمل الاسمية ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾، ﴿ أكلها دائم ﴾، ﴿ وظلها ﴾، ﴿ فيها أنهار ﴾، ﴿ لهم فيها من كل الثمرات ﴾،﴿ ومغفرة ﴾ دلالة على الثبوت والخلود والاستمرار وتحقق الجزاء والوعد للمتقين.

كما أن بنية المثلين كذلك تقوم على تراكم المترادفات، فنجد التتابع الدلالي المترادف :

(١)

المثل الأول: تجري من تحتها الأنهار
وفي المثل الثاني: فيها أنهار من ماء غير آسن
وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه ( قراءة عمودية للأشربة في الجنة )
وأنهارٌ من خمر لذة للشاربين
وأنهارٌ من عسل مصفى

(٢)

المثل الأول: أكلها دائم

المثل الثاني: ولهم فيها من كل الثمرات ( قراءة عمودية لأكل الجنة )

(٣)

المثل الأول: وظلها ( قراءة عمودية للنعيم في الجنة )

المثل الثاني: ومغفرة من ربهم

(٤)

المثل الأول: تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ( قراءة عمودية للنار )

المثل الثاني: كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم

هذا مع توسع واضح في النسيج اللغوي الذي يمتد ليستقصي تفاصيل الجزاء والعقاب في المثل الثاني بمقارنته بالأول.

والمثلان يبدآن بداية لغوية واحدة هي ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ وفي تكرار هذه البنية اللفظية بشكل مطابق بين المثلين، دلالة على أهمية المعاني الواردة فيهما، وارتباطهما بعلاقة تفصيلية، فالمثل الثاني شارح للأول ومبين له.

وفي قوله في المثل الأول: تجري من تحتها الأنهار

والمثل الثاني: فيها أنهار من ماء غير آسن

وأنهار من لبن لم يتغير طعمه

وأنهار من خمر لذة للشاربين

وأنهار من عسل مصفى

نرى تطابقا دلاليا بين مركبات المثلين، فالتعريف بـ ( ال ) في المثال الأول أفاد معاني المركبات المتتالية التفصيلية الواردة في المثل الثاني، إذ أفاد معنى الشمول والعموم لجميع أنواع الأنهار بجميع شرابها وهذا ماجاء تفصيله في المثل الثاني حيث ذُكرت أنواع الأنهار وصفات شرابها.

هذا وفي المثل الثاني تنهض البنى اللفظية لوصف الأنهار وشرابها على صيغ تركيبية واحدة يتوسطها حرف جر ذو صيغة واحدة لم تتغير وهو الحرف ( من ) الذي شكل ترابطا بين البنى

من ناحية التركيب والدلالة الواحدة، وجميع ألفاظ هذه الوحدات الوصفية جاءت حقلا دلاليا واحدا يحيل إلى الثقل الدلالي الظاهر في هذه الأمثال وهو ( النعيم ).

كما أن بين المركبين ( ظلها ) في المثل الأول، و( مغفرة ) في المثل الثاني تقاربا دلاليا وتركيبيا، فكلاهما يحمل دلالة واحدة هي العزة والاسترواح وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه، إضافة إلى أنهما على مستوى التركيب متقاربان أيضا، فكلاهما اسم وقع مبتدأ خبره محذوف لدلالة السياق عليه. وفي حذف المسند ـ الخبر ـ من قوله ( ظلها ) دلالات معنوية إضافة إلى ما فيه من إثارة الحس ومتعة النفس في بعث الخيال وتنشيط الذهن ليستدل بالقرائن على المحذوف الذي تقديره ( دائم ) بدلالة الجملة السابقة عليه و" هذا من طبع اللغة أن تُسقط من الألفاظ ما يدل عليه، أو ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال" (١).

ولعل سر التأثير ومرجع المزية في حذف المسند هنا هو وروده في سياق ممتلئ، يحمل دلالاته بشكل ظاهري موح، كما أن في لفظ ( ظلها ) تجسيد للظل أمام النفس، فالنفس تستشعر امتداد الظل أمامها وذلك بسريان الهواء في مخرج الهاء الممدودة بالألف.

والمقصود بالظل في هذا المثل ما لم تصل إليه الشمس، أو يراد به " العزة أو الرفاهية " (٢) والمعنى الأول هو الأظهر، ويجوز " جعل الكلام كناية عن دوام الراحة " (٣) وجملة ( وظلها ) معطوفة على الجملة التي قبلها، ومعنى دوامه أنه ظل ثابت ممدود لا ينسلخ ولا يزول.

وقد تميز هذا المثل بالإيجاز والتركيز الشديد، يقول الجرجاني في فضل الحذف: " إنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن" (٤)

وأما الجمل الأخيرة ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ و﴿ كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾ فقد جاءت أقفالا موحية بانتهاء المَثَلَيْن واستقلت دلالاتها بالموازنة بين حالي الفريقين، ومع تفشي الجمل الاسمية فيهما يظهر معنى الثبوت والتحقق واضحا، يسانده الفعل الماضي في القفل الثاني، مما يقرر ثبوت المصير لكلا الفريقين، ولعل ورود الأفعال في نهاية هذا القفل كانت له فائدة في أفق التوقع لدى المتلقي فهذا السيل المتواصل من الجمل الاسمية وأشباهها، كان لابد له من إيقاف لكسر نمطيته وإنهاء قضية وصف الجنة ومقارنتها بمآل الكافرين. وفي الإشارة بالبعيد في قوله ﴿ تلك عقبى الذين اتقوا ﴾ للجنة المنعوتة بما سبق دلالة على شرفها وعلوّ مكانتها فهي مآل لا يناله إلا من اتقى الله حق تقاته وجاهد نفسه وجاهد في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس.

---

(١) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب: ص: ١٥٣

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ ١٣، ص: ١٦٤

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز: ١١٨

واسم الإشارة بدوره يعزز التركيز في المثل، ويوجز المعنى بطريقة مركزة مفعمة بالمعاني والدلالات.

وفي الفعل الماضي المبني للمجهول ( وعد ) إشارة إلى تحقق الوعد ووقوعه، وقد حذف العائد ( وعد بها ) لدلالة السياق عليه، ولعدم الفصل بين الوعد وهو الجنة والمتقين بأي فاصل ولو كان بالضمير الذي يعود عليها.

وفي وقوع الجار والمجرور ( من تحتها ) بين الفعل والفاعل تجسيد لجماليات هذه الجنة، وبث للحركة في ألفاظ المثل حتى لترى العين الماء جاريا في الجنة من أسفلها وفي كل أرجائها ولتسمع خرير صوته أيضا.

وفي ذكر ( الشاربين ) وتخصيص الخمر بذكرهم في قوله ( وأنهار من خمر لذة للشاربين) إذ لم يقل ( لبن ) لم يتغير طعمه للطاعمين، ولا ( عسل ) مصفى للناظرين، نكتة أولمحة لطيفة وهي أن " اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعم يلتذ به شخص ويعافه الآخر، فقال:( لذة للشاربين ) بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم فقال ( لذة ) أي لا يكون في خمر الآخرة كراهة الطعم، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس، فإن الحلو [ العسل ] والحامض [ اللبن ] وغيرهما يدركه كل أحد كذلك، لكنه قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن إلى التصريح بالتعميم حاجة" (١) .

وقد تقدم الخبر ( لهم ) على المبتدأ المحذوف لتخصيصهم بكل الثمرات، وفي لفظ ( كل ) والتعريف بال ( للثمرات) وجمعها جمع المؤنث السالم إشارة إلى الشمول والكثرة لكل الأصناف، وقد ذكرت الثمار في المثل الثاني، و ( الأُكُل ) في المثل الأول وهي لفظة ترد بمعنى الثمار ذلك أن في الجنة " الأكل للذة لا للحاجة " (٢) ولهذا ذكرت الثمار من دون ذكر أي صنف آخر من الأطعمة، كما تقدم ذكر الأنهار على ذكر الثمار لما تحققه الأنهار من لذة حسية تمتع العين وتشرح النفس. وتنوين ( مغفرةٌ ) للتعظيم " أي مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها" (٣).

وبمقارنة هذا المثل بمثل الجنة الأول نلاحظ عدم ذكر الظل في هذا المثل مع ما به من تفصيل وبيان وتوضيح، ولعل في ذلك نكتة، وهي أن المغفرة والظل يشتركان في معنى الستر والتغطية فقد ستر الله ذنوبهم وغطاهم برحمته وكما أن " المغفور تحت نظر من رحمة الغافر

---

(١) الرازي، التفسير الكبير: جـ ٢٨، ص: ٤٨

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) الألوسي، روح المعاني:جـ ٢٦، ص: ٤٩

يقال نحن تحت ظل الأمير، وظلها هو رحمة الله ومغفرته حيث لا يمسهم حر ولا برد" (١) وقد استأثر الرازي بتفسير ( مغفرة ) بمعنى خلو الأكل عن استنتاج قبيح أو مكروه كمرض أو حاجة إلى تبرز بخلاف أكل الدنيا (٢).

والجار والمجرور في قوله (من ربهم ) متعلق بمحذوف صفة لمغفرة وقد جاءت شبه الجملة هنا " مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية، أي كائنة من ربهم " (٣)

وقد حُمل ( هو خالد ) على اللفظ الواحد، و( سقوا ) على المعنى وهو جمع، وقد قال الرازي في هذا:" المسند إلى ( من ) إذا كان متصلا فرعاية اللفظ أولى لأنه هو المسموع، وإذا كان مع انفصال فالعود إلى المعنى أولى، لأن اللفظ لا يبقى في السمع، والمعنى يبقى في ذهن السامع، فالحمل في الثاني على المعنى أولى وحمل الأول على اللفظ أولى" (٤).

وقد أشاع تنكير الفعل ( سقوا ) ببنائه للمجهول، عظيم معاني التنكيل والتعذيب، ورهبة ما يلاقوه. وقد كان لاستخدام الاسم الموصول في الوصف (التي وعد المتقون ) و ( كمن هو خالد في النار ) أثر في إفساح المجال واسعا أمام المثل لوصف حال المؤمنين والكافرين ومآلهم، ولم يُذكر الكافرون وإنما أشير إليهم بضمير الغيبة ( هو ) وفيه إشعار بإهمالهم وازدرائهم، وتقليل شأنهم، فهم لا يستحقون الذكر في مقابل المؤمنين، أو لتكون حالهم كالقصة لشخص لم يُذكر عبرة ووعيدا، هذا إن اعتبرنا ( من ) للمفرد وليس للجنس.
وفي استخدام الجملة الاسمية ـ الصلة ـ ( كمن هو خالد في النار ) والفعل الماضي ( سقوا فقطع ) دلالة على الثبوت والتحقق للوعيد الذي سيلاقوه.

ونلاحظ في المثل الثاني تقابلا دلاليا بين حالي المؤمنين والكافرين، فالنار في مقابل الجنة، والأنهار في مقابل الماء الحميم، ولكن أين ما يقابل ﴿ لهم فيها من كل الثمرات ﴾؟ والجواب: " لم يُذكر ما يقابل الثمار لأن في الجنة زيادة مذكورة فحققها بذكر أمر مزيد" (٥) أما تقطع الأمعاء فهو في مقابل المغفرة على حد رأي الرازي، ذلك أنه فسر المغفرة التي في

---

(١) الرازي، التفسير الكبير: جـ ٢٨، ص: ٤٨
(٢) انظر ، المرجع السابق، ص: ٤٩
(٣) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٦، ص: ٤٩
(٤) التفسير الكبير: جـ ٢٨، ص: ٤٩.
(٥) الرازي، التفسير الكبير: جـ ٢٨،ص: ٥٠

الجنة بـ " تعرية أكل الثمرات عما يلزمه من قضاء الحاجة والأمراض وغيرها..وللكفار ماء حميم في أول ما يصل إلى جوفهم يقطع أمعائهم ويشتهون خروجه من جوفهم "(١)

وبذلك كان المثلان عبارة عن موازنة بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين، بصورة مجسدة ملموسة للنعيم والعذاب، مجسدة للمآل، مؤكدة في النفوس النهاية الحتمية لكلا الفريقين، يقول محمود بن الشريف" في هذين المثلين يرعى القرآن الجانب الغريزي في الإنسان، وهو الذي يدفعه إلى نشدان المادة، والتماس اللذة، ويرعى كذلك الجانب الروحي الذي يهيم بالمغفرة ويشغف بالرضوان" (٢)

وهكذا كان المثلان بثنائياتهما الضدية الظاهرة والعميقة يشكلان تكاملا للطبيعة الإنسانية التي تترابط فيها الثنائيات الضدية وتتكامل وتنسجم، وهذا يُترجم النظرة الإسلامية للإنسان المتميزة بالشمولية والتكامل بين الروح والمادة.

**********

---

(١) الرازي، التفسير الكبير: جـ ٢٨،ص: ٥٠

(٢) الأمثال في القرآن:٨١

## ثانيا: النـــــــار

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـابَ وَيَـزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِـي قُلُـوبِهِم مَّـرَضٌ وَالْكَـافِرُونَ مَـاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾(١)

### *التراكيب النحوية ودلالاتها:*

ترتكز بنية مثل ملائكة النار على نفس الثنائيات الضدية التي ارتكز عليها مثلا الجنة السابقان، وبنية هذا المثل تقوم على ثنائية تدوير للمهتدين والضالين، وذلك لإنتاج النص وإظهار البون والفرق الشاسع بين الفريقين.

جملة ( وما جعلنا ) الأولى وما عطف عليها ( وما جعلنا ) الثانية، و( يضل الله ) وعطف عليها ( يهدي ... ) و( ما يعلم .. ) و( وما هي إلا ذكرى .. ) كلها جمل استئنافية لا محل لها .

وجملة ( كفروا ) و( أوتوا ) و( آمنوا ) و( أوتوا ) و( في قلوبهم مرض ) و( يشاء ) كلها لا محل لها من الإعراب صلة الموصول . (٢)

وجملة ( ماذا أراد الله ) في محل نصب مقول القول.

وقوله ( ليستيقن/ ويزداد/ ولا يرتاب/ وليقول ) مصادر مؤولة متعاطفة وكلها مجرورة والجار والمجرور متعلق بـ ( جعلنا ) الثانية. (٣)

إلا أن بنية الوعيد والتحذير من النار التي كانت مستترة في مثلي الجنة كبنية عميقة قد انعكست في مثل النار فجاء الوعيد كبنية ظاهرة، وأصبح الجزاء والفضل والجنة بنية مستترة مضمرة خلف النص.

وبنية مثل النار تقوم على جمل مقصورة لا محل لها من الإعراب وأشباه جمل. ويبدأ مطلع المثل بجملتي قصر ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ و﴿ ما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾، وينتهي بقفل مكون كذلك من جملتي قصر لا محل لهما من الإعراب ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ و ﴿ ما هي إلا ذكرى للبشر ﴾.

---

(١) سورة المدثر: ٣١
( ٢) انظر: محمود صافي، الجدول: جـ٢٩،ص: ١٢٥
(٣) انظر: الدر المصون: جـ ٦،ص: ٤١٨

وبين المطلع والقفل تنساب جمل اعتراضية بيانية تعليلية للهداية والضلال ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾.

وقد كان للروابط اللغوية دور كبير في ترابط الجمل وشد أواصر النص، ومن هذه الروابط حرف العطف الواو، الذي شكل وسيطا لغويا استطاعت به الجمل التي لا محل لها من الإعراب الارتباط المعنوي ببعضها، كما أن أسماء الإشارة ( هذا ، كذلك ) كان لها دور في ربط النص وتكثيف الدلالة بأوجز لفظ.

وفضلا عن ذلك هناك الضمائر ( إلا هو ، وما هي ) التي شكلت عناصر إحالية رابطة لمعاني المطلع والقفل وما بينهما، فشدت النص لفظا ومعنى.
ومثل النار كمثلي الجنة السابقين، ثنائي الأبعاد إن قرئ من زاوية الكافرين يكون مثلا مضروبا لبيان ضلال الكافرين، وإن قرئ من زاوية المؤمنين فهو مثل مضروب لبيان فضل الله وهدايته للمؤمنين.

ومثل النار يتكون من تراكم وتوالي جمل لا محل لها من الإعراب، فجملة ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ لا محل لها استئنافية عطفت عليها جملة ﴿ وما جعلنا ﴾ ( الثانية ) بسلاسة وليونة، فذيل الجملة الأولى يُسلم للجملة المعطوفة، ويفتح باب التراكمات اللفظية فيها من منطلق ذكر ( الملائكة ) ، ففي قوله ( وما جعلنا عدتهم ... ) ضمير يعود على ذيل الجملة الأولى فجاءت الجمل مترابطة، تمسك فيها الثانية بذيل الجملة الأولى، وجملة ( ما يعلم جنود ربك..)، وجملة ( وما هي إلا ذكرى ... ). وجملة ( يضل الله من يشاء ... ) تمهيد لجملة ( ويهدي من يشاء ) إذ هي الطرف المقابل لها فالضلال يستدعي الهداية . هذا بالإضافة إلى جمل الصلة المتعددة ( الذين كفروا - الذين أوتوا الكتاب - الذين في قلوبهم مرض )، وصلة

الموصول الحرفي أن ْ:( ليستيقن، ويزداد،ولا يرتاب، وليقول )، التي كان لها دور كبير في تفتيق الأفق لتوالي الجمل الوصفية وتوالدها من رحم الفعل ( جعلنا ) مما وفر أرضا خصبة منتجة للأفعال، والصفات وترابطها وتكاملها معنى ودلالة.

كما سيطر الجار والمجرور على أشباه الجمل، فـ ( للذين ) متعلق بنعت لـ ( فتنة ). والمصدر المؤول من ( أن يستيقن ) في محل جر باللام متعلق بـ ( جعلنا )، أو في محل نصب مفعول لأجله، وقيل متعلق بفعل مضمر، أي جعلنا ذلك ليستيقن ، وكذلك المصدر المؤول ( ليقول ) وما بينهما من معطوفات.
و( في قلوبهم ) متعلق بخبر مقدم للمبتدأ ( مرض )، و( بهذا ) متعلق بـ ( أراد )، و( كذلك ) متعلق بمحذوف مفعول مطلق عامله يضل على تقدير ( يضل إضلالا )، أو في محل نصب حال من المصدر المحذوف، و( للبشر ) متعلق بـ ( ذكرى ) أو متعلق بنعت لذكرى(١).

**********

يقرر هذا المثل حقيقة غيبية، وهي عدد خزنة النار الذي ذُكر في آية سابقة للمثل ( عليها تسعة عشر ) (٢) والذي استهزأ به الكفار، وقد ذكر الطبري روايات عدة في سبب نزول هذا المثل كاستهزاء الأسود بن كلدة الجمحي (٣) في رواية، أو الحارث بن كلدة (٤) ، في رواية أخرى، وقيل : إنه أبو جهل (٥) في رواية ثالثة، وقد يكون الاستهزاء صدر منهم جميعا مع اختلاف طريقة الاستهزاء (٦) فنزلت هذه الآية، تكشف عن طبيعة التسعة عشر خزنة النار

---

(١) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٦، ص: ٤١٨، ومحمود صافي، الجدول: م: ١٣، جـ٣٠، ص: ١٢٥

(٢) سورة المدثر: ٣٠

(٣) الأسود بن كلدة الجمحي: لم أجده

(٤) الحارث بن كلدة الثقفي ( ٠٠هـ / ٠٠م - ٥٠هـ / ٦٧٠م ) طبيب العرب في عصره، وأحد الحكماء المشهورين من أهل الطائف. مولده قبل الإسلام. وبقي أيام رسول الله ( ﷺ ) وأيام أبي بكر وعمر وعثمان، واختلفوا في إسلامه . الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ص: ١٥٩

(٥) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، القرشي، أشد الناس أعداء للنبي (ﷺ) وأحد سادات قريش وأبطالها، استمر على كفره وعناده إلى أن قتل ضمن المشركين في غزوة بدر( ت: ٢هـ ) . فاطمة المحجوب، الموسوعة الإسلامية: جـ ٢، ص: ٣٩٨

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن: م١٠، ص: ٦١

وأنهم من الملائكة، يقول الرازي: " واعلم أنه تعالى إنما جعلهم ملائكة .... ليكونوا بخلاف جنس المعذبين، لأن الجنسية مظنة الرأفة والرحمة... ولأن قوتهم أعظم من قوة الجن والإنس" (١) فهم أقوم خلق الله بحق الله، وهم أشد خلق الله بأسا وبطشا لعقاب أعدائه.

وقد عُدِل في الإخبار بحقيقة التسعة عشر عن الطريقة الإخبارية المباشرة ﴿ جعلنا أصحاب النار ملائكة ﴾ إلى بنية القصر ( ما... إلا ... ) التي تُستعمل في حال الرد على كلام سابق، فيكون الغرض دفع صحة الادعاء السابق من خلال النفي مع التأكيد على خلافه من خلال الإثبات.

إن الفطرة اللغوية تستشعر قعقعة وحدة وجلبة تشع من القصر بالنفي والاستثناء بـ ( ما - إلا ) في مقدمة المثل وبدايته المستأنفة، فبنية القصر تناسب السياق الذي وردت فيه فقد جاءت ردا على تبجح الكافرين بالعدد واستهزائهم به، لما فيها من قوة وقدرة على توكيد المعنى وتقريره، وقد أشار محمد أبو موسى إلى أن أسلوب القصر لا تصاغ به إلا المعاني النافرة، والحقائق النادرة الغريبة، والأفكار البعيدة التي من شأن النفوس أن تنكرها وتقيم دونها الأسوار، وهو أسلوب يستعمل في سياق المغاضبة ولجاج المخاصمة. (٢)

فكأن المثل مبني على نص مضمر هو استهزاء الكافرين بالعدد وتماريهم فيه، فجاء الاختصاص في القصر ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ بإثبات جنس الملائكة لخزنة النار، ونفي أن يكون خزنة النار جنسا آخر غير الملائكة، وبهذا النفي والإثبات تحقق الاختصاص.

وفي تنوين ( ملائكةً ) إشارة إلى " عظم أمرهم" (٣) ، وفيه تهويل وإبهام لمدى قوتهم وقدرتهم على التعذيب.

وصيغة القصر هنا تفيد قلب اعتقاد أبي جهل وغيره لما توهموه أو تظاهروا بتوهمه، أن المراد تسعة عشر رجلا سهل الخلاص منهم إلى الجنة.

وقوله تعالى ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة﴾ تتميم في إبطال توهم الكافرين حقارة عدة خزنة النار، وهذه جملة معطوفة على الاستئناف السابق، أو هي استئناف بياني والواو ليست عاطفة وإنما هي واقعة في جواب سؤال مقدر ( لم جُعل عدد خزنة جهنم تسعة عشر؟ ) وهلا كانوا عشرين، أو آلافا، ليكون مرآهم أشد هولا على أصحاب النار. فجاء الجواب رادّا عليهم.

---

(١) التفسير الكبير: م: ١٥، جـ٣٠، ص: ١٨٠

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ٢٩، ص: ١٢٦

(٣) انظر: دلالات التراكيب: ص ١٤٠- ١٥٢

و( فتنة ) مفعول ثان لـ ( جعلنا ) أي جعلنا تلك العدة - وهي تسعة عشر - سببا لفتنة الكفار لاستهزائهم بالعدد، وبنقصانه وقلته. يقول ابن عاشور: " ما جعلنا ذكر عدتهم لعلة وغرض إلا لغرض فتنة الذين كفروا... وهو قصر قلب للرد على الذين كفروا إذ اعتقدوا أن عدتهم أمر هين" (١).

ويجوز أن يكون ( للذين كفروا ) متعلقا بالفعل ( جعلنا ) وبـ ( فتنة ) على وجه التنازع فيه" أي ما جعلنا عدتهم للذين كفروا إلا فتنة لهم إذ لم يحصل لهم من ذكرها إلا فساد التأويل وتلك العدة مجعولة لفوائد أخرى لغير الذين كفروا... " (٢)

وقد ذكر الرازي والألوسي أن أصل التعبير كان " ( وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر للذين كفروا ) فعُبّر بالأثر وهو فتنة الذين كفروا عن المؤثر، وهو العدد تسعة عشر لأنه السبب في افتتانهم، وللدلالة على تلازم المؤثر بأثره في نفسية الكافرين، وتنبيها على أن هذا الأثر من لوازم ذلك المؤثر. ولتلازمهما كانا كشيء واحد يُعبر باسم أحدهما عن الآخر" (٣).

وبين جملتي القصر﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ تطابق تركيبي، إذ إنهما يؤكدان ويقرران معنى الآية السابقة، وهو ذكر التسعة العشر خزنة النار، والغرض من ذكر عدتهم.

وقوله ( ليستيقن ) علة ثانية للفعل ( وما جعلنا عدتهم .. )، " والاستيقان: قوة اليقين، فالسين والتاء فيه للمبالغة" (٤)، وللدلالة على اكتساب أهل الكتاب اليقين بنبوة الرسول محمد (ﷺ) وصدق رسالته، من أمر خارجي مفروض عليهم، ناتج عن مطابقة هذا العدد لما ورد في التوراة والإنجيل.

وقوله ( ليستيقن ) متعلق بـ ( جعلنا ). وقيل( ليستيقن ) مفعول لأجله متعلق بفعل مضمر، أي جعلنا ذلك ليستيقن، وقد عُدِل عن المصدر الصريح إلى المؤول رغبة في إظهار زمن الفعل الدال على الاستقبال، وليستمر الاستيقان والإيمان وعدم الارتياب من فرقة أهل الكتاب والمؤمنين، ويستمر التكذيب والجدل من أصحاب القلوب المريضة الكافرة، باستمرار النص القرآني وخلوده، كما أن فيه سبرا لأغوار النفوس المرتابة المريضة، وكشفا عن علم أهل الكتاب بصدق رسالته (ﷺ) رغم عدم تصريحهم بذلك، وكتمانهم للحق وهم يعلمون.

---

(١) التحرير والتنوير: جـ٢٩، ص: ٣١٥
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير:جـ٢٩، ص: ٣١٥
(٣) انظر: الرازي، التفسير الكبير:م١٥،جـ٣٠،ص: ١٨١ والألوسي، روح المعاني: جـ٢٩،ص: ١٢٧
(٤) ابن عاشور: جـ٢٩، ص: ٣١٥

ويجوز أن يرجع قوله تعالى: ( ليستيقن ) إلى ما قبل الاستثناء " أي، جعلنا عدتهم سببا لفتنة الكافرين ويقين المؤمنين " (١)، أو كما قدره الرازي ( وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا، وإلا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب )، كما يقال: فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك وواو العطف قد تذكر في هذا الموضع تارة، وقد تحذف أخرى" (٢).

وقصد بالذين أوتوا الكتاب، اليهود والنصارى بدلالة التعريف في ( الكتاب ) على الجنس ( التوراة والإنجيل ) وشمول الموصول ( الذين ) للفريقين، أي ليستيقن أهل الكتاب من اليهود والنصارى صدق النبي (ﷺ) ورسالته لمطابقة العدد لما جاء في التوراة والإنجيل.

والتعليل الآخر قوله ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ وهو معطوف على ( ليستيقن ) والعطف هنا له دلالة المغاير بين حالي المؤمنين وغيرهم، إذ هم يزداد إيمانهم بالغيب وحقائقه كلما سمعوا شيئا من الله، وزيادة الإيمان هنا " زيادة كمية لا كيفية لأن حقيقة الإيمان التصديق والجزم وذلك لا يقبل الزيادة" (٣)

فالمؤمنون يزداد إيمانهم إيمانا لأن قلوبهم مفتوحة موصولة تتلقى الحقائق، وتستشعر حكمة الله في هذا العدد وينضم علمهم به إلى إيمانهم بسائر ما أنزل، ويزداد كم ما يؤمنون ويوقنون به، وقد كان لتمييز الفعل ( آمنوا ) بـ ( إيمانا ) دور في تأكيد مطلق الإيمان وتعميقه وتأصيله في نفوس المؤمنين الذين نبع الإيمان من أعماق قلوبهم، وزادتهم تعاليم الله وما جاءت به رسله إيمانا، فامتزج فيهم اليقين بالتسليم والإذعان لله تعالى.

وهذا التأويل يجعل النظر يلتفت إلى جملة الصلة في قوله: ﴿ أوتوا الكتاب ﴾ في حال اليهود والنصارى، فمجيء الفعل ( أوتوا ) مبنيا للمجهول، ووقوع ضمير الجماعة نائب فاعل فيه تعريض بما أصاب التوراة والإنجيل من تحريف وتزوير، وتغيير للحقائق...إلخ، فبني الفعل للمجهول وأسند إلى غير الله تعالى منزل التوراة والإنجيل، ولذلك نرى اتصاله بواو الجماعة نائب الفاعل العائد على أهل الكتاب. أما حال المؤمنين فهو على نقيض ذلك فإيمانهم نابع من الأعماق راسخ اليقين بالله فجاء الفعل ( آمنوا ) متجاوزا نزول القرآن عليهم واستيقانهم بأنه من عند الله للنتيجة العظيمة وهي الإيمان والتسليم والاطمئنان لكل ما هو من عند الله تعالى.

وقد عطف قوله ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ على جملة ( ليستيقن ) لتأكيد ما قبله من اليقين والإيمان " ولينتفي عنهم الريب، فلا تعتورهم شبهة من بعد علمهم[ بالعدد]" (٤) . يقول أبوحيان في هذا : "( ولا يرتاب ) توكيد لقوله ( ليستيقن) إذ إثبات

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ٢٩، ص: ١٢٧

(٢) التفسير الكبير: م١٥،جـ٣٠،ص: ١٨١

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٩، ص: ٣١٦

(٤) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

اليقين ونفي الارتياب أبلغ وآكد في الوصف لسكون النفس السكون التام" (١)فهذا النفي فيه توكيد وإثبات ما تم إثباته لأهل الكتاب والمؤمنين لما فيه من نفي ضده عنهم.

والعطف في قوله ﴿ أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ للتنبيه على المغايرة وتباين النفيين حالا فانتفاء الارتياب عن أهل الكتاب مقترن بما ينافيه من الجحود والنكران، أما انتفاؤه عن المؤمنين فهو مقترن بما يقتضيه من الإيمان والتسليم والانقياد الروحي لله تعالى وما جاءت به رسله. فالمؤمنون علموا وعملوا والذين أوتوا الكتاب علموا وعاندوا، فكان علمهم واستيقانهم بصحة الدين وما جاء فيه حجة عليهم وحسرة في نفوسهم " والتعبير عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة بالحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك" (٢)

والمقصود من ذكر الاستيقان والإيمان وعدم الارتياب هو التعريض والتمهيد لذكر مكابرة الذين في قلوبهم مرض والكافرين في سوء فهمهم لهذه الآية، ولبيان الفرق والبون الشاسع بين حال الفريقين - العالم والجاهل - وإظهارا لسوء حال الكافرين وما هم عليه من الضلال.

وقصد بـ ﴿ الذين في قلوبهم مرض ﴾ صنفان من الناس:

الأول: " أهل مكة الذين لا يزالون في تردد وشك بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشرك، مثل الوليد بن المغيرة (٣) " (٤).

الثاني: المنافقون " وعلى هذا تكون هذه الآية معجزة، لاشتمالها على إخبار بالغيب، عن جماعة المنافقين التي ستظهر مستقبلا في المدينة، وهي سورة مكية" (٥) ويؤكد هذا الوجه قول أبي حيان" يقصد بالمرض في الآية الاضطراب وضعف الإيمان " (٦) . أما ( الكافرون ) فقد قصد بهم المصرون على التكذيب والعناد والضلال.

ويؤول الاستفهام في قوله تعالى ﴿ ما ذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ على وجهين:

الأول : أي شيء أراد الله تعالى؟

والثاني: ما الذي أراده الله تعالى بهذا العدد المستغرب استغراب المثل ؟

---

(١) البحر المحيط: م٨، ص: ٣٦٨

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ٢٩، ص: ١٢٧

(٣) الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، من اشراف قريش في الجاهلية، ومن أجوادهم. وهو أخو خالد بن الوليد. أدرك الإسلام، وثبت على وثنية قومه إلى أن كانت وقعة ( بدر ) فأسره المسلمون، ففداه أخواه هشام وخالد بمال وفير، وانصرفا به، فأسلم. الزركلي، الأعلام: جـ٩، ص: ١٤٤

(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٩، ص: ٣١٧

(٥) انظر: الرازي، التفسير الكبير: م: ١٥، جـ ٣٠، ص: ١٨٣

(٦) البحر المحيط: م: ٨، ص: ٣٦٨

وعلى الوجه الأول ( ماذا ) كلها استفهام على التركيب " فتعرب اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم عامله ( أراد )" (١) .

وعلى الوجه الثاني، ينظر إلى ( ماذا ) على أنها مكونة من كلمة ( ما ) اسم استفهام مبتدأ، و( ذا )، بمعنى ما الذي أراده الله ، وجملة ( ماذا أراد الله ) في محل نصب مقول القول.

وقد ذكر ابن هشام أوجها أخرى لإعراب ( ماذا ) منها أن تكون ( ما) استفهامية و( ذا ) إشارة (٢) وهذا الوجه يتناسب وسياق الاستفهام الإنكاري في هذه الآية، بمعنى ماذا أراد الله بهذا العدد الذي ذكره حديثا، ويؤيد هذا الوجه تفسير القرطبي لهذا الاستفهام بقوله" أي ما هذا من الحديث " (٣) " وقد كُنّي بنفي إرادة الله العدد عن إنكار أن يكون الله قال ذلك ." (٤) والإشارة بـ ( ذا ) إلى قوله ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ للتحقير والاستهانة والاستهزاء بهذا العدد القليل غير المكتمل.

وفي قوله ( مثلا ) تأويلان:

الأول : سمي العدد ( التسعة عشر ) مثلا؛ لأنه عدد عجيب فظن بأنه " لم يكن مراد الله منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء آخر وتنبيها على مقصود آخر" (٥) فسمي مثلا .

الثاني: ويجوز أن يكون المراد بالمثل معناه الآخر وهو ما شبه مضربه بمورده " بأن يكونوا قد عدوه لاستغرابه مثلا مضروبا ونسبوه إليه عز وجل استهزاء وتهكما " (٦) .

ويقول أبو حيان: " سموه ( مثلا ) استعارة من المثل المضروب، استغرابا منهم لهذا العدد، والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، ومرادهم إنكار أصله، وأنه ليس من عند الله " (٧). وفي هذه الأقوال ما يؤيد إعراب ( ما ) اسم استفهام، و( ذا ) إشارة على الوجه الثالث الذي سبق الإشارة إليه.

وقد ذُكر لفظ الجلالة ( الله ) في مقول الكافرين ( ماذا أراد الله بهذا مثلا ) على سبيل التهكم أو "على سبيل الاستدلال بأن هذا القرآن لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام".(٨)

وأعيدت لام الجر المعللة للفعل ( جعلنا ) في قوله ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون﴾ للدلالة على فرق التأثير والاستجابة في القلوب المختلفة، فقد تركت الحقيقة

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ٢٩، ص: ١٢٨، ومحمود صافي، الجدول: م: ١٣، جـ ٢٩، ص: ١٢٤

(٢) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب: جـ١، ص: ١٢١
(٣) الجامع لأحكام القرآن: م: ١٠، ص: ٦٢
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٩، ص: ٣١٧
(٥) انظر: الرازي، التفسير الكبير: م: ١٥، جـ ٣٠، ص: ١٨٢
(٦) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٩، ص: ١٢٨
(٧) البحر المحيط: م٨، ص٣٦٩
(٨) انظر : الرازي، التفسير الكبير: م١٥، جـ٣٠، ص: ١٨٢

الغيبية أثرين متباينين، فجاءت اللام للتفريق بين العلتين، إذ مرجع اللام الأولى ( ليستيقن ) للهداية التي ذكرت في الكتب السماوية، ومرجع اللام المعللة الثانية هو الضلال الراجع إلى قول الضالين، وظلمة قلوبهم، وسوء ظنهم وصنيعهم في قوله ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ... ﴾.

فبينما الفريق الأول ﴿ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ في يقين وثبات من هذا العدد وما يتعلق به من غيب إلهي، إذ بالفريق الثاني ﴿ الذين في قلوبهم مرض والكافرون ﴾ في فتنة واضطراب وقلق، فجاءت اللام معللة لنتيجة الفعل ( جعلنا )، تلك النتيجة المتغايرة ذات البون الشاسع. وهذا ما عبر عنه البقاعي (١) بقوله: " إبراز الأحكام على وجه الغموض من أعظم المهلكات والمسعدات ... " . (٢)

كما أن التعليل المسلط على الفعل ( ليستيقن ) وما بعده من متعاطفات حين ضعف تأثيره لكثرة المتعاطفات بعده ( ويزداد ) ، ( ولا يرتاب ) وطول المسافة بينه وبين الفعل ( جعلنا ) المُعلل، أُعيد حرف التعليل مقويا وداعما للمفعول له ( وليقول ) .

ومن هذا يمكن اعتبار ( ليستيقن ) وما عطف عليها جملا اعتراضية لبيان نقيض الجهلة وأصحاب القلوب المريضة والمعاندة ، ويكون المَثَل : وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون .... .

وفي تكرار لام التعليل أمن للبس، فلو أسقطت لتساوى الفريقين، ولزالت المغايرة في التعليل وزال معنى الإنكار من الاستفهام وخلص إلى استفهام تقريري يحتاج إلى جواب، لتساويه مع معطوفات ( ليستيقن ) إعرابا ومعنى .

واسم الإشارة في قوله ( كذلك ) عائد إلى ما تضمنه الكلام المتقدم من قوله ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ إلى قوله ﴿ مثلا ﴾ من معاني الإضلال والهداية، ومحل ( كذلك ) نصب بالنيابة عن المفعول المطلق، لأن الجار والمجرور هنا صفة لمصدر محذوف دلت عليه الصفة، والتقدير : يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إضلالا وهديا كذلك الإضلال والهدي. فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه، ثم قدم على الفعل " لإفادة القصر " (٣) ، وقد قدم المفعول المطلق للاهتمام بهذا التشبيه الحاصل من كاف التشبيه العائدة على ما قبلها من معانٍ لما يرشد إليه من تفصيل عند التدبر فيه" وحصل من تقديمه محسّن الجمع ثم التقسيم إذ جاء تقسيمه بقوله ﴿ يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾" (٤) .

---

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين ( ١٤٠٦هـ - ١٤٨٠ هـ ) مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية له ( عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران ) و ( أسواق الأشواق ) و ( نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ) يعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي . الزركلي، الأعلام : جـ١، ص: ٥٠

(٢) نظم الدرر: م:٨، ص: ٢٣٢

(٣) الألوسي، روح المعاني: جـ٢٩، ص: ١٢٨

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ٢٩، ص: ٣١٩

إن اختلاف تلقي النفوس والعقول للحقائق يعود إلى اختلاف قرائح وجبلات الناس التي فطرهم الله عليها، يقول سيد قطب: " كذلك، بذكر الحقائق وعرض الآيات، فتتلقاها القلوب المختلفة تلقيا مختلفا، ويهتدي بها فريق وفق مشيئة الله، ويضل بها فريق حسب مشيئة الله ... وتصور [ هذه الآية ] طلاقة المشيئة وانتهاء كل ما يقع في هذا الوجود إليها تصورا كاملا واسع المدلول" (١)

ويأتي التذييل بجملة ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ وفيها قصر وتخصيص العلم الغيبي لله، ونفيه عن علم البشر، فجاء القصر مقررا مؤكدا لبطلان ادعاءات، وافتراءات وتهكمات الضالين ومرضى القلوب عند سماع الغيب وأمور الآخرة، واستعير لفظ الجنود هنا لمخلوقات الله تعالى لتنفيذ أمره، والامتثال له في الدفاع عن دينه، ولمشابهتها الجنود في الكثرة والطواعية والامتثال في تنفيذ المراد بلا تردد. ويقال الجند، لكل جمع أي، وما يعلم جموع خلقه تعالى التي من جملتها الملائكة خزنة النار المذكورين إلا هو.

وإضافة ضمير النبي ( ﷺ) إلى ( رب ) إضافة تشريف له صلى الله عليه وسلم، وفيها " تعريض بأن من شأن تلك الجنود أن بعضها يكون به نصر النبي (ﷺ) ، ونفي العلم هنا هو نفي للعلم التفصيلي بأعدادهم وصفاتهم وخصائصهم بقرينة المقام، فإن العلم بعدد خزنة جهنم قد حصل للناس بإعلام من الله لكنهم لا يعلمون ما وراء ذلك" (٢). وهذه الآية رد آخر على استهزاء الكفرة بعدد خزنة النار ( تسعة عشر) ، فلا يعلم قوة بطشهم إلا هو ، وهو رد قوي مدوٍ يبث العظمة والتهويل من انقطاع النفس في الواو من قوله ( هو).

ووقوع جملة ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ في قفل المثل له معان متعددة في عود الضمير (هي ) على سقر ، أو العدة ( تسعة عشر)، أو جنود الله ، أو الآيات التي ذكرت، أو نار الدنيا لأنها تذكر بنار الآخرة، بناء على قوله تعالى: ﴿ أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة .. ﴾ (٣) ، وأقوى الآراء هو عود الضمير على سقر والقصر في هذه الآية على معنى تقدير مضاف محذوف يدل عليه السياق، تقديره وما ذكرها أو وصفها.

---

(١) في ظلال القرآن : جـ٦، ص: ٣٧٥٩

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ٢٩، ص: ٣١٩

(٣) سورة الواقعة: ٧١

وفي اختيار هذا القفل تناسق وانسجام مع بداية المثل التي ذكرت فيها النار ﴿ وما جعلنا أصحاب النار .. ﴾ كما أن الآيات التي سبقت المثل تدور حول ( سقر) يقول تعالى: ﴿ سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر ﴾ (١).

ويرى ابن عاشور في هذه الآية معاني كثيرة أعلاها أن تكون تتمة لقوله ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾" ... أي أن النافع لكم أن تعلموا أن الخبر عن خزنة النار ( تسعة عشر) فائدته أن يكون ذكرى للبشر ليتذكروا دار العقاب بتوصيف بعض صفاتها لأن في ذكر الصفة عونا على زيادة استحضار الموصوف، فغرض القرآن الكريم الذكرى، وقد اتخذه الضالون ومرضى القلوب لهوا وسخرية ومراء بالسؤال عن جعلهم تسعة عشر ولِمَ لَمْ يكونوا عشرين أو مئات أو مئتين " (٢).

وأسلوب القصر هنا يناسب جلبة وقعقعة السياق الهائج باستهزاء وتهكم الكافرين، وقد يكون العطف في هذه الجملة راجعا إلى قوله﴿ سأصليه سقر﴾ ويكون ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ إلى قوله ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ اعتراضا " ووجهه أنه لما قيل﴿ عليها تسعة عشر ﴾ زيادة في تهويل أمر جهنم عقب ما يؤكد قوتهم وتسلطهم وتباينهم بالشدة عن سائر المخلوقات ثم بما يؤكد الكمية وما أكد المؤكد فهو مؤكد أيضا" (٣) .



---

(١) سورة المدثر: ٢٦-٢٧

(٢) التحرير والتنوير: جـ٢٩، ص: ٣٢٠

(٣) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٩، ص: ١٢٩

## المبحث الثالث: الحيـاة الدنـيا

يقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (٢)

﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٣)

### المثل الأول:

### *التراكيب النحوية ودلالاتها:*

عند تحليل هذا المثل إلى عناصره التركيبية، نرى أنه يبدأ بكلام مستأنف ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا ﴾ لبيان شأن الدنيا وقصر مدتها وتقلب أحوالها، وانتهاؤها إلى الزوال والفناء و( إنما ) جاءت لغرض بلاغي هو القصر والتخصيص والتأكيد على هوان الدنيا وحقارة أمرها وذلك لعدم الاغترار بها، والانشغال بملذاتها عن العمل للآخرة.

و( مثل ) مبتدأ و( كماء ) خبره، وأصل المثل ما شبه مضربه بمورده ويستعار للأمر العجيب المستغرب" أي إنما حالها في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها ﴿ كماء أنزلناه من السماء﴾" (٤) .

وقد سيطرت الجمل الفعلية على النسق التركيبي لهذا المثل الأول (أنزلناه، اختلط به..، يأكل الناس..، أخذت الأرض...، ازينت...، أتاها أمرنا...، فجعلناها..، لم تغن بالأمس.. نفصل ..، يتفكرون )

---

(١) سورة يونس: ٢٤

(٢) سورة الكهف: ٤٥

(٣) سورة الحديد: ٢٠

(٤) الألوسي، روح المعاني: جـ ١١، ص: ١٠٠

وقد تنوعت مواقعها، فبعضها له محل من الإعراب:

فالجمل: ( أنزلناه )، ( فاختلط به نبات الأرض )، ( يتفكرون ) في محل جر صفات.

والجملتان: ( أخذت الأرض... ) و( وازينت ) في محل جر مضاف إليه.

( كأن لم تغن .. ) في محل نصب حال من مفعول جعلناها.

وبعضها جمل لا محل لها من الإعراب:

مثل جملة: ( يأكل الناس ) صلة الموصول ( ما )

و( أتاها أمرنا .. ) جواب شرط غير جازم.

و( جعلناها .. ) معطوفة على جملة جواب الشرط.

و( نفصل الآيات .. ) استئنافية.

والجار والمجرور:

( من السماء ): متعلق بالفعل ( أنزلناه ).

( به ): متعلق باختلط.

( مما ) : متعلق بمحذوف حال من نبات الأرض.

( عليها ) : متعلق بالخبر ( أتاها ).

والباء في قوله تعالى: ﴿ فاختلط به نبات الأرض ﴾ إما :

سببية، كما يقول العكبري: " الباء للسبب، أي اختلط النبات بسبب اتصال الماء به، وقيل: المعنى خالطه نبات الأرض، أي اتصل به فربّاه " (١)، أي التف النبات - الذي سبق نباته في الأرض، ولكنه لم يترعرع بعد - بعضه ببعض وكثر وأزهر وتشابكت أوراقه وخالط غصونه بعضها بعضا كثافة بسبب الماء الذي نزل.

---

(١) التبيان : جـ١، ص: ٥١٦

وإما للمصاحبة " بمعنى أن الماء يجري مجرى الغذاء له، فهو مصاحبه" (١) وقد يتفق هذا المعنى مع النبات الذي لم ينمُ بعد، أولم تتمكن جذوره في الأرض، فتغذيه مياه الأمطار والتربة فينمو ويزدهر" وبذلك جُعل الاختلاط بالماء نفسه فإنه كالغذاء للنبات فيجري فيه ويخالطه"(٢).

والأول أولى لمناسبة السياق له إذ المقام مقام إنبات وازدهار وتشابك للأشجار والثمار. هذا وقد" وقف بعض القراء على معنى، فاختلط الماء بالأرض، ثم استأنف ( به نبات الأرض ) على الابتداء والخبر مقدم، ويحتمل على هذا أن يعود الضمير في ( به ) على ( الماء) أو على ( الاختلاط ) الذي يتضمنه الفعل. ووصلت فرقة فرُفِعَ ( النبات ) على ذلك بقوله ( فاختلط ) أي اختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء " (٣)

يقول أبو حيان:" والوقف على قوله: ( فاختلط ) لا يجوز وخاصة في القرآن، لأنه تفكيك للكلام المتصل الصحيح المعنى، الفصيح اللفظ، وذهاب إلى اللغو والتعقيد" (٤). ولعل من وقف رأى بعض اللطائف التي تستحق الوقف على قوله: ( فاختلط ) وهذه اللطائف تستنبط من السياق إذ إن الوقف يعطي مسافة ومتسعا للذهن ليرى الماء وقد جرى على الأرض وأخذ يختلط بترابها ويختلج بترابها وطينها ويمتزج به فيتشربه النبات فيسري ماء الحياة فيها فتخضر سيقانها وترتفع لتورق وتزهر فتلتف وتتشابك كثافة وطراوة.

والجار والمجرور ( مما ) في قوله: ﴿ مما يأكل الناس ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ ( اختلط ).

والثاني: أنه حال من ( النبات ). والثاني أولى وهو الظاهر " والعامل فيه محذوف على القاعدة المستقرة أي كائنا أو مستقرا مما يأكل، ولو قيل إن ( من ) لبيان الجنس لجاز " (٥)وفي جملة الحال هذه تطويل وتفصيل وبيان لمراحل النبات المعبر بها عن بهرجة الحياة الدنيا ومفاتنها إلا أنها وإن أمهلت إلا أنها زائلة منقلبة .

وقوله ( حتى ) تفيد الغاية، أي استوفت واستكملت" فلا بد لها من شيء مُغَيّاً والفعل الذي قبلها وهو ( اختلط ) لا يصلح أن يكون مُغيّا لقصر زمنه، فقيل: ثَمّ محذوف أي: لم يزل

---

(١) السمين الحلبي،الدر المصون: جـ٤، ص: ٢٠

( ٢) روح المعاني: جـ١١، ص: ١٠٠

(٣) المحرر الوجيز: جـ ٣ ، ص: ١١٤

(٤) البحر المحيط: م:٥، ص: ١٤٦

(٥) السمين الحلبي، الدر المصون: ج٤،ص: ٢٠

النبات ينمو حتى كان كيْت وكيْت. وقيل يجوز في ( فاختلط ) بمعنى فدام اختلاطه حتى كان كيت وكيت" (١) وفي معاني الغاية المستفادة من ( حتى ) " ما يؤذن بأن بين مبدأ ظهور لذات الحياة وبين منتهاها مراتب جمة وأطوار كثيرة فذلك طوي في معنى ( حتى ) " (٢) .

وقد نظر ابن عطية لـ ( حتى ) على أنها حرف ابتداء لدخولها على ( إذا) (٣) هذا أولى إذ السياق يقتضي البدء بوصف مفاتن الدنيا وخضرتها فناسب الحمل على معنى الابتداء هنا.

والظرف ( إذا ) لما يستقبل من الزمن، وهو متعلق بالجواب ( أتاها ) وهو على الرغم من دلالته على الاستقبال إلا أن جوابه جاء ماضيا للدلالة على الوقوع والتحقق، وقد قوى هذا الفعل (إذا)الدال على التحقق والوقوع.

وقرأ الجمهور ( وازّيّنَتْ ) بوصل الهمزة وتشديد الزاي والياء والأصل ( وتَزَيَّنَتْ ) فلما أريد إدغام التاء في الزاي بعدها قلبت زايا وسكنت فاجتلبت همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، فصارت ( وازّيّنَتْ ) .
وقرأ أبي بن كعب(٤)، وعبد الله بن مسعود، والأعمش ( وتَزَيّنَتْ )على وزن تفعّلت وهذا أصل قراءة الجمهور. وقرأ سعد بن أبي وقاص (٥) ، والشعبي(٦) ، وأبو العالية ، وعيسى الثقفي (٧) ( وأزْيَنَتْ ) على وزن أفْعَلَتَ، وأفْعَلَ بمعنى صار ذا كذا مثل ( أحصد الزرع ) والمعنى: صارت ذات زينة، أي حضرت زينتها وحانت، وكان من حق الياء على هذه القراءة أن تقلب ألفا فيقال: ( أزانَتْ ) كـ ( أبانت ) فتُعل بنقل حركتها إلى الساكن قبلها فيتحرك حينئذ وينفتح ما قبلها فتقلب ألفا إلا أنها بقيت شذوذا. (٨) وقُرئ ( ازّايَنَتْ ) والأصل ( تزاينت ) فأدغم (٩) ، ويرى ابن عطية أن المعنى في هذه القراءات واحد هو ظهور زينة الأرض(١٠) ، إلا أن ( ازّيّنَت ) فيه معنى إضافي على ( تزينت ) و ( ازّيّنت )...إلخ، فالقلب والإدغام بين المتقاربين ( ت، ز ) والمتماثلين ( ي، ي ) وما فيه من تداخل، وشدة في إظهار الحرفين المدغمين كانت له ظلاله المعنوية والإيحائية الدالة على شدة تزين الأرض بأنواع النبات والثمار، وإخرجها لكل ما في جوفها من مكنونات، بعد انقلاب حالها من الموت إلى الحياة، وهذا ما دل عليه القلب والإدغام في قوله ( ازّيّنت ) .

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون : جـ ٤، ص: ٢١

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١١، ص: ١٤٣

(٣) المحرر الوجيز: جـ ٣، ص: ١١٤

(٤) هو أبو المنذر الأنصاري، عرض القرآن على النبي ( ﷺ ) وأخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة (ت : ٢٠هـ) . معرفة القراء: جـ١، ص: ٣٢- ٣٣

(٥) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق ( ٢٣هـ / ٦٠٣م - ٥٥هـ / ٦٧٥م ) الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى. يقال له فارس الإسلام . له في كتب الحديث ٢٧١ حديثا. الزركلي، الأعلام: جـ ٣، ص: ١٣٨

(٦) عامر بن شراحيل، أبو عمرو، ثقة مشهور، فقيه فاضل، مات بعد المائة عن ثمانين عاما .

(٧) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء البصري، أبو عمرو ( -١٤٩هـ / ٧٦٦م ) . من أئمة اللغة وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء. من مؤلفاته ( الجامع ) و( الإكمال ) . الزركلي، الأعلام: جـ ٥، ص: ١٠

(٨ ) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م٥، ص: ١٤٥، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ٤، ص: ٢١

(٩) المرجع السابق

(١٠) المحرر الوجيز: جـ٣، ص: ١١٤

وقوله: ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ هذه الجملة يجوز فيها وجهان:

الأول: أن تكون حالا من المفعول الأول في جعلناها. (١)

الثاني: أن تكون مستأنفة جوابا لسؤال مقدر.

ويرى بعضهم أن في قوله ﴿ فجعلناها حصيدا ﴾ و في ﴿ كأن لن تغن بالأمس ﴾ ضميرا محذوفا مجرورا، أي ( منه ) في الجملتين" فانقلب الضمير المجرور منصوبا في أولهما ومرفوعا مستترا في الثاني، واختير الحذف للمبالغة حيث أفاد ظاهر الكلام جعل الأرض نفسها حصيدا وكأنها نفسها لم تكن لتغيرها بتغير ما فيها " (٢)

ويرى آخرون عدم تقدير هذا الضمير في الجملتين، فالضمير المتصل في قوله ( فجعلناها ) والمستتر في ( تغن ) يعودان على الأرض" ولا حذف بل يجوز التجوز في الإسناد" (٣).

وهذا الرأي الأخير أولى وأظهر لعدم التكلف، مع استواء المعنى واكتماله دون الحاجة للحذف والتقدير، وقد رجحه الألوسي بقوله :" وأنت تعلم أن إرجاع الضمائر كلها للأرض ولو مع ارتكاب التجوز في الإسناد أولى من إرجاعها لغيرها كائنا ما كان " (٤).

" وقرأ الحسن وقتادة ﴿ كأن لم يَـغْـنَ بالأمس ﴾ بياء الغيبة، وهذا الضمير:

يعود على ( الحصيد ) لأنه أقرب مذكور، وهذا أرجح الأوجه.

وقيل: يعود على ( الزخرف ) أي: كأن لم يقم الزخرف.

وقيل: يعود على مضاف محذوف هو ( الزرع )، حذف وقامت هاء التأنيث مقامه في ( عليها ) و( أتاها ) و ( فجعلناها ). (٥)وقراءة الجمهور( لم تغن ) أولى لعود الضمير على الأرض ولو كان مجازا، لاحتوائها الزخرف والزرع، ولكون الحصيد مما ينسب إليها مجازا أيضا.

والكاف في قوله ﴿ كذلك نفصل الآيات ﴾ حرف جر أو اسم بمعنى مِـثْـل في محل نصب مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنه صفته " أي: مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصله في المستقبل " (٦) ، ويرى الألوسي أن ( كذلك ) يقصد به " مثل ذلك التفصيل البديع ( نفصل الآيات ) أي القرآنية التي من جملتها هذه الآية الجليلة الشأن المنبهة على أحوال الحياة الدنيا أي نوضحها ونبينها" (٧).

---

(١) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٤، ص: ٢١

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ ١١، ص: ١٠١

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٤) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٥) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م: ٥، ص: ١٤٦، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٢

(٦) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٤، ص: ٢٢

(٧) روح المعاني: جـ١١، ص: ١٠٢

## المثل الثاني للحياة الدنيا :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (١)

### *التراكيب النحوية ودلالاتها:*

في المثل الثاني من أمثال الحياة الدنيا سيطرت الجمل الفعلية أيضا على النسق التركيبي للمثل ( اضرب..، أنزلناه..، اختلط..، تذروه الرياح...، كان الله .. ).

وقد تنوعت، فبعضها له محل من الإعراب كـ:

جملة: ( أنزلناه ...) في محل جر نعت لـ ( ماء )

وجملة: ( اختلط به نبات ...) في محل جر معطوفة على جملة أنزلناه.

وجملة: (أصبح.. ) في محل جر معطوفة على جملة اختلط.

وجملة: ( تذروه الرياح ) في محل نصب نعت لـ ( هشيما ). (٢)

وبعضها جمل لا محل لها من الإعراب كـ :

جملة : ( اضرب .. ) لا محل لها استئنافية.

وجملة : ( كان الله ) لا محل لها استئنافية.

و أشباه الجمل:

( كماء ) : جار ومجرور متعلق بمفعول به ثان عامله اضرب بمعنى اجعل.

( به ) : متعلق بـ ( اختلط ).

( على كل شيء ): متعلق بـ ( مقتدرا ).

وقد اختلف في إعراب ( كماء ) وأصل الاختلاف كامن في معنى الفعل ( اضرب ):

فإن كان الضرب بمعنى التصيير أي، صير للراغبين في الحياة الدنيا وزينتها مثلا، تكون الكاف في ( كماء ) اسما في محل نصب مفعول به ثانٍ، وإن كان الضرب بمعنى ( اذكر )" أي اذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يغتروا بها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة أو اذكر لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل بينها لهم"(٣) كان قوله ( كماء ) خبرا لمبتدأ محذوف أي، هي كماء أو متعلق بمعنى المصدر أي ( ضربا كماء )

---

(١) سورة الكهف: ٤٥

(٢) انظر: محمود صافي، الجدول: جم:٨،جـ١٥،ص: ١٥٩

(٣) الآلوسي، روح المعاني: جـ١٥، ص: ٢٨٥

وعليه تكون جملة ( كماء ) استئنافا لبيان المثل ،أي هي كمثل. يقول الألوسي في إعراب ( كماء ):" وجوزوا أن يكون مفعولا ثانيا لـ( اضرب) على أنه بمعنى صيّر. وتعقب بأن الكاف تنبو عنه إلا أن تكون مقحمة. ورد بأنه مما لا وجه لأن المعنى صيّر المثل هذا اللفظ، فالمثل بمعنى الكلام الواقع فيه التمثيل. وقال الحوفي (١) : الكاف متعلقة بمحذوف صفة لمصدر محذوف أي ضربا كماء وليس بشيء" (٢).

وفي اختيار البنية اللفظية ( ماء ) دلالة على انتقاء القرآن للفظة الموحية ذات الدلالة المحددة التي تومض بالمعنى كإشارة للعقل الواعي، من دون أن تقرع الآذان والألسنة. فشبهت الحياة الدنيا بالماء لما فيه من الانتفاع، ثم الانقطاع كما أن اللفظ ( ماء ) يدل على بدء الحياة يقول تعالى: ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) وأنها حياة أنزلت بعد يبس، وجفاف الأرض وموتها، وفي الفعل الماضي ( أنزلناه ) إشارة إلى النشأة الأولى للحياة وهذا أمر سالف ماض فاستعمل الفعل (أنزلناه ) كما أن الضمير المتصل ( نا الفاعلين ) يشير إلى تعظيم الذات المنزهة، وأن هذه الحياة كانت به فهو منشئها وموجدها بإرادته من العدم، ودلالة على عظيم قدرة الله، وأن في إنزال هذا الماء بداية الحياة والنشأة للأرض ومن عليها.
لذا كانت بنية ( أنزلناه من السماء ) صفة للماء الذي ضرب به المثل إذ فيها إشارة إلى أن المقصود بالماء هنا هو ماء الحياة وماء النشأة الأولى.

والجار والمجرور ( من السماء ) المتعلق بالفعل ( أنزلناه ) أضاف معنًى لطيفا هو " التنبيه على بليغ القدرة في إمساكه في العلو وإنزاله في وقت الحاجة على الوجه النافع" (٣).

والفاء العاطفة في قوله ( فاختلط ) جاءت بمعنى التعقيب والتسبب أي، إنزاله كان سببا في الاختلاط، وفي الكلام قلب يوضحه الزمخشري بقوله: " وكان حق اللفظ على هذا التفسير: فاختلط بنبات الأرض . ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه" (٤) وقد وضح الألوسي كلامه بقوله: " المعروف في عرف اللغة والاستعمال دخول

---

(١) علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي ( ٠٠٠هـ/ ٠٠٠م - ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩ م ) نحوي، من العلماء باللغة والتفسير. من أهل الحوف ( بمصر ) من كتبه ( البرهان في تفسير القرآن )، و( الموضح ) في النحو، و( مختصر كتاب العين ) . الزركلي، الأعلام: جـ ٥، ص: ٥٣

(٢) روح المعاني: جـ ١٥، ص: ٢٨٥

(٣) البقاعي، نظم الدرر: جـ ١٢، ص: ٦٨

(٤) الكشاف: جـ ٢، ص: ٦٧٧

الماء على الكثير الغير الطارئ وإن صدق بحسب الوضع على كل من المتداخلين أنه مختلط ومختلط به إلا أنه اختير ما في النظم الكريم للمبالغة في كثرة الماء حتى كأنه الأصل الكثير وفي الكلام قلب مقبول " (١).

والفاء العاطفة في قوله ﴿ فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ للإشعار بسرعة زوال نضارة النبات وانقلاب حاله يبسا تطيره الرياح حتى كأنه لم يكن، بعد اهتزاز وخضرة وتحوله موتا بعد حياة، وبذلك تكون الفاء ليست فصيحة " وقيل هي فصيحة والتقدير فزها ومكث مدة فأصبح هشيما " (٢) والأخير أولى لأن الفاء عطفت ما بعدها على الفاء المحذوفة مع معطوفها.

وقد جاءت الرياح هنا جمعا لبيان شدة التطاير وأنها رياح من كل اتجاه وصوب، وتماشيا مع النسق القرآني الذي يستعمل الريح مفردة للعذاب، والمقام ليس مقام تعذيب وعقاب وإنما هو قانون الطبيعة والحياة الفانية التي خلقها الله.

وفي قوله ﴿ فأصبح هشيما ﴾ خلاف حول معنى ( أصبح ) وفيه وجهان:
الأول: أصبح بمعنى ( صار ) فلا يفيد تقييد الخبر بالصباح، ويكون هشيما حالا للنبات المنقلب أصفر بعد خضرة.
والثاني: أصبح، بمعنى وقت الصباح، فتفيد تقييد الخبر به إذ إن غالب الآفات السماوية تكون ليلا ويكون وقت الصباح مفاجأة مؤلمة لها أشد الألم والوقع في نفس المبتلى.
وفي تقديم الجار والمجرور ﴿ على كل شيء﴾ على خبر كان ( مقتدرا ) تأكيد على شمول قدرة الله الأزلية الباقية المستمرة في كل وقت ومكان وإشارة إلى عظيم أمر الإنشاء والفناء والزوال الذي هو متعلق بقدرته وحده.
وجملة ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾ جملة معترضة في آخر الكلام. " موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله ﴿ على كل شيء قدير ﴾ وهو بذلك العموم أشبه التذييل " (٣) .

---

(١) روح المعاني: جـ ١٥، ص: ٢٨٦

(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ ١٥، ص: ٢٨٦

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٥، ص: ٣٣٢

## المثل الثالث للحياة الدنيا

﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١)

### *التراكيب النحوية ودلالتها:*

سيطرت الجمل الفعلية على المثل الثالث للحياة الدنيا كبقية الأمثال السابقة ( اعلموا.. أعجب..، يهيج...، تراه..، يكون.. )

وتنوعت مواقعها، فبعضها له محل من الإعراب:

جملة: ( أعجب .. نباته ) في محل جر لغيث.

وجملة: ( يهيج.. ) في محل جر معطوفة على جملة أعجب.

وجملة: ( تراه.. ) في محل جر معطوفة على جملة تراه.

وبعضها لا محل لها من الإعراب كجملة: ( اعلموا.. ) لا محل لها استئنافية.

كما تنوعت أشباه الجمل بين الظرفية: ( بينكم ) ظرف منصوب متعلق بـ ( تفاخر )

---

(١) سورة الحديد: ٢٠

والجار والمجرور في قوله ( في الأموال ) متعلق بـ ( تكاثر ).

و( كمثل) : خبر ثان للحياة، أو هو خبر لمبتدأ محذوف تقدير هي، أو مثلها. (١)

و( في الآخرة ): خبر مقدم للمبتدأ ( عذاب )

و( من الله ): نعت لـ ( مغفرة ).

وفي إعراب ( كمثل ) من قوله﴿ كمثل غيث﴾ وجوه:

الأول: أن تكون الكاف خبرا لمبتدأ محذوف، أي ذلك كمثل غيث.

الثاني: أن تكون شبه الجملة خبرا لمبتدأ محذوف.

الثالث: أن تكون شبه الجملة في محل نصب حال من الكلام السابق، أي صفتها مشبهة بغيث أو حالا من الضمير في ( لعب ) لأنه بمعنى الوصف. (٢)

الرابع: " أن تكون شبه الجملة في محل رفع صفة، لقوله: ﴿ لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر ﴾" (٣)

الخامس: أن تكون شبه الجملة خبرا بعد خبر للحياة الدنيا، بتقدير مضاف إليه، أي: مثل الحياة الدنيا كمثل غيث.... وبه قال الألوسي (٤) ، وهو الأولى والأظهر لأن به لطائف في المعنى " لتضمن ذلك تشبيه جميع ما في الحياة من السنين الكثيرة بمدة نبات غيث واحد يفنى ويضمحل في أقل من سنة جاءت الإشارة إلى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها" (٥).

**********

في المثل الثالث من أمثال الحياة الدنيا تترادف بنى لفظية عديدة للكشف عن حقيقة الدنيا وهوانها فالخبر ( لعب ) عطفت عليه أخبار عديدة ( لهو، وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر) فهي لعب " لا ثمرة فيها سوى التعب ولهو تشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه، وزينة لا يحصل منها شرف ذاتي...." (٦).

وفي قوله ( أعجب الكفار ) يتسق المعنى الظاهر لكلمة ( الكفار ) مع المعنى السياقي الداخلي لها، فالمراد ( بالكفار ) إما الحراث لأنهم يكفرون أي يسترون البذر في الأرض، وذكرهم ظاهر يتسق مع سياق الغيث والإنبات، وإما الكافرون بالله سبحانه، وهو على الوجهين فيه تورية وإلماع لتعلق الكفار بالحياة الدنيا وإعجابهم بها، يقول الألوسي : "ووجه تخصيصهم أنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا فإن المؤمن إذا رأى معجبا انتقل فكره إلى قدرة موجده عز وجل فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق إعجابا " (٧).

---

(١) انظر: محمود صافي، الجدول: م: ١٢، جـ ٢٧،ص: ٢٧٥

(٢) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ٦، ص: ٢٧٩

(٣) الرازي ، التفسير الكبير: جـ ٢٩، ص: ٢٠٤

(٤) انظر: روح المعاني: جـ ٢٧ ص: ١٨٥

(٥) المرجع السابق: الصفحة نفسها

(٦) المرجع السابق: الصفحة نفسها

(٧) روح المعاني: جـ ٢٧ ص: ١٨٥

تـنبثق أمثـال الحيـاة الـدنيا مـن بنيـة لفظيـة مـشتركة تـشكل مركـزا نـصيا لـهذه الأمثـال وهي، الماء والزرع، وتدور جميعا في نسيج لغوي واحد مشترك للتأكيد على زوال الحياة الدنيا وسرعة انقضاء نعيمها، وتحذر من الركون إليها.

كما تنهض بنية أمثال الحياة الدنيا على عنصر منتج للنص هو الثنائيات شبه الضدية سواء على مستوى البنيـة العميقـة أم علـى مـستوى البنيـات الظـاهرة، فعلـى المـستوى الأول البنيات هي:
( الحياة الدنيا / الآخرة )، ( الله/ الإنسان )، ( الخلود/ الفناء)، ( حسن العاقبة/ سوء العاقبة ).
وعلى المستوى الثاني:( الخضرة/ الاصفرار)،( زخرف وبهجة/ موت وفناء)،( عذاب/مغفرة ).

والمتأمل في صيغ الأمثال السابقة، وبناها التركيبية يتضح لـه النظـام البنيـوي التركيبـي لهذه الأمثال، ثمـة أولا بنيـة نـواة هـي ( دعوة وحض علـى طلـب الآخـرة، والتنفير من الركون للحياة الدنيا ) تتفرع هذه البنية النـواة إلـى بنيـات فرعيـة، هـي سرد لمفهـوم الحيـاة الـدنيا التـي تجسد الحياة في حقيقتها وكنهها ومآلها وعاقبتها للناس بمختلف مستوياتهم العقلية وأزمنـتهم وأمكنتهم إذ إنها تعتمد على طبيعة الزرع وحياة النبات التـي شـهدها وألفهـا الجميـع، ويـشهدها الكل في كل زمان ومكان، ثم تأخذ هذه البنية بالتفرع إلـى مفرداتهـا النـصية المتعـددة فـي ضـوء " نظام التوالد" (٢) والتي تجسده كثرة المعطوفات في النص ( ممـا يأكل النـاس )، ( حتـى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها )، ( ليلا أو نـهارا )، ( فاختلط بـه نبات الأرض فأصبح هشيما )، ( لعب ولـهو وزينـة وتفـاخر بينكم وتكـاثر فـي الأمـوال والأولاد ) ( ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ).

---

(٢) عبد الله العشي، بنية الدعاء: مجلة العلوم الإنسانية، العدد٣،ص: ١٩٩

وفي خضم بنية الثنائيات المتضادة، يظهر واضحا جليا في البنية الظاهرة تراكم المفردات المتماثلة في الأمثال الثلاثة: ( إنما مثل الحياة الدنيا )/ ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا )/ ( اعلموا أنما الحياة الدنيا ).

ونرى تطابق البنى اللفظية والتركيبية في المثل الأول والثاني:
المثل الأول:﴿ كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾
المثل الثاني : ﴿ كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾
كما نلاحظ تراكما للبني المترادفة بطريقة توالدية، يسلم بعضها إلى بعض في سلاسة وإيحاء في الأمثال الثلاثة: ﴿ فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾/ ﴿ فأصبح هشيما تذروه الرياح )/ ﴿ ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ﴾.
وكذلك في قوله تعالى في المثل الأول:﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾
وفي المثل الثالث: ﴿ لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾.

والبنية التركيبية للأمثال الثلاثة تنهض على صيغة تركيبية واحدة هي الجملة البسيطة القائمة على عملية إسناد واحدة هي: ( المبتدأ والخبر )، ( الفعل والفاعل والمفعول به )، وقد وفرت شبه الجملة، الواقعة خبرا لمبتدأ محذوف، في قوله:
إنما مثل الحياة الدنيا ( كماء )/ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ( كماء ) / اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ( كمثل غيث ). نظاما من الترابط والتماسك النصي بإحالتها في كل مثل على البنية الأولى فيه، وقد ساند هذا الرابط روابط نحوية أخرى منها، عود الضمير في قوله: ( اختلط به)، ( فجعلناها ) ، ( تذروه الرياح )، ( فتراه ).
وفي المثل الأول نلاحظ في توالي العطف ( أخذت الأرض زخرفها ) و ( ازينت ) و( ظن أهلها أنهم قادرون عليها ) تدرجا يكشف حالة الزرع والحالة النفسية لزراعه، وهو في بنيته العميقة يجسد الدنيا وانجذاب أهلها وانغماسهم في ملذاتها طمعا في خيرها، واطمئنانا منهم لها، ولذلك

جاءت الأفعال مسندة إلى فاعلها المجازي لبيان انصراف الكفار ونسيانهم لقدرة الله إذ غرتهم الدنيا، يقول سيد قطب في هذا: " هذا هو الماء ينزل من السماء، وهذا هو النبات يمتصه فيمرع ويزدهر وهاهي ذي الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس، وتتبرج. وأهلها مزهوون بها، يظنون أنها بجهودهم ازدهرت، وبإرادتهم تزينت، وأنهم أصحاب الأمر فيها لا يغيرها عليهم مغير، ولا ينازعهم فيها منازع. وفي وسط هذا الخصب الممرع، وفي نشوة هذا الفرح المعلعل، وفي غمرة هذا الاطمئنان الواثق ﴿ أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ في ومضة، وفي جملة، وفي خطفة، وذلك مقصود في التعبير بعد الإطالة في عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان." (١)

وفي تقديم المفعول به ( أتاها ) على الفاعل ( أمرنا ) دلالة على سرعة انقلاب حالها بأمر الله وسرعة تحقق الدمار فيها بأمر واحد من الله عز وجل.

وفي الفعل ( أتاها ) إشارة إلى مضي وتحقق الدمار، والعقاب وتجسيد له، لتعظيم أمره ووقعه عليهم " وفي تقسيمه ( ليلا أو نهارا ) تنبيه على الخوف وارتفاع الأمن في كل وقت" (٢). ودليل على تحقق وقوع العذاب بهم بأمر الله وعظمته وعلى عجزهم عن دفع دمار ما أصاب زروعهم، وظنهم أنهم قادرون عليها أصبح باطلا، يقول الألوسي:" أي في ليل أو في نهار، ولعل المراد الإشارة إلى أنه لا فرق بين إتيان العذاب بين زمن غفلتهم وزمن يقظتهم إذ لا يمنع منه مانع ولا يدفع عنه دافع"(٣) ولعل في هذا إشارة إلى أن الدمار جعل الليل لشدة دماره نهارا، لاشتعال الأشجار بفعل العواصف والرعود والرياح، وهذا يصدق إن اعتُبِر أمر الله آفة سماوية وإلا فما سبق أولى.

وفي قوله ( ليلا أو نهارا ) " ترديد في الوقت لإثارة التوقع من إمكان زوال نضارة الحياة الدنيا في جميع الأزمنة لأن الشيء الموقّت يكون الناس في أمن من حلوله في غير ذلك الوقت" (٤)

---

(١) في ظلال القرآن: جـ ٣، ص: ١٧٧٥

(٢) ابن عاشور، المحرر الوجيز: جـ ٣، ص: ١١٤

(٣) روح المعاني: جـ١١،ص: ١٠١

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١١، ص: ١٤٣

و( حصيدا ) مفعول ثان لـ ( جعلناها ) وجاء على وزن فعيل بمعنى مفعول " وعبر بـ ( حصيدا ) عن التالف الهالك من النبات وإن لم يهلك بحصاد إذ الحكم فيهما واحد وكأن الآفة حصدته قبل أوانه" (١) ، وحصيدا صفة مشبهة ، فيه مبالغة للدلالة على الثبات ودوام هذه الحالة، وهي حال الزوال والفناء. وقوله ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ " مبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبل، ولم يقم بالأرض بهجة خضرة نضرة تسر أهلها " (٢) ، ويرى الألوسي أن المضاف في قوله ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ محذوف على تقدير كأن لم يغن نباتها أي لم يمكث ولم يقم " واختير الحذف للمبالغة حيث أفاد ظاهر الكلام جعل الأرض نفسها حصيدا وكأنها نفسها لم تكن لتغيرها بتغير ما فيها " (٣)

و قوله ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ استئناف بياني، على اعتبار الكاف اسما بمعنى ( مِثْل )، فالآية جواب سؤال مقدر" ولما كان هذا المثل في غاية المطابقة للساعة هزّ السامع له فازداد عجبه من حسن تفصيله بعد تأصيله، فقيل جوابا له: ( كذلك ) أي مِثل هذا التفصيل الباهر ( نفصل ) أي تفصيلا عظيما ( الآيات لقوم ) أي ناس أقوياء فيهم قوة المحاولة لما يريدون ( يتفكرون ) أي يجددون الفكر على وجه الاستمرار والمعالجة " (٤)

وفي استعمال اسم الإشارة ( ذلك ) إشارة إلى علو وبعد وشرف، وسمو هذا التفصيل وهذا المثل، وهذا البيان الذي جعله الله لعباده وخص بالذكر المتفكرين لأنهم المنتفعون بهذا البيان فهم يستدلون بما يشاهدون ويتفكرون في أحوال الدنيا ومآلها. واسم الإشارة، اسم موجز يتميز بشمول الدلالة، فهو يطوي المثل السابق كله بإشارة موحية إليه، وبه قد اكتسب أسلوب المثل إيجازا وتركيزا.

والقصر ( بإنما ) في المثل الأول المثل ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء ﴾ هو قصر قلب " مبني على تنزيل المخاطبين منزلة المنكب على الدنيا ..... لأن حالهم من الانكباب على نعم الدنيا كحال من يحسب دوامه وينكر أن يكون له انقضاء سريع ومفاجئ" (٥)، وقد أشاع القصر نسقا تصويريا رقيقا هادئا، لما في حرف القصر ( إنما ) من ليونة وانسيابية وهدوء يناسب الخطاب القرآني الذي يحرك العقل و الوجدان بأوتار متناغمة رقيقة، تشتد حينا وتلين حينا آخر.

أمّا اشتداد أوتار السياق بفعل طريق أخرى من طرق القصر ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ في المثل الثالث من أمثال الحياة الدنيا، فله أثره ووقعه على بنية المثل.

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز: جـ ٣، ص: ١١٤

(٢) أبو حيان، البحر المحيط: م: ٥، ص: ١٤٦

(٣) روح المعاني: جـ ١١، ص: ١٠١

(٤) البقاعي، نظم الدرر: جـ ٩، ص: ١٠٣

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١١، ص: ١٤١

ونلاحظ في بنية المثل الثاني إيجازا وقصرا بمقارنته بباقي الأمثال التي ضربت للحياة الدنيا، فجاء مشهدا قصيرا جدا، يُعرض خاطفا سريعا. ولعل في ذلك إشارة للمثل المضروب في سورة يونس سابقا، أو لتقدم مثل صاحب الجنتين عليه إذ كان فيهما تفصيلا أغنى سياق المثل عن ذكر التفاصيل فجاء إشارة موحية مؤكدا للمعاني السابقة، أو " ليلقي في النفس ظل الفناء والزوال، فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل ولكن يختلط به نبات الأرض. والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيما تذروه الرياح. وما بين ثلاث جمل قصار ينتهي شريط الحياة" (١)

وقد استعان السياق بأدوات معِيْنة له على تقصير مشاهد حياة الزرع وفنائه" بحرف الفاء الدال على التعقيب والسرعة في الحدوث وبالفعل الماضي ( ماء أنزلناه من السماء) فـ ( اختلط به نبات الأرض ) فـ ( أصبح هشيما ) " فهو (٢) " نسق لفظي " (٣) سريع ذو إيقاع وامض ملتهب يثير في النفس هوان الدنيا وسرعة زوالها بتبدل حالها، ويتوقف المشهد السريع الوامض في قوله ( تذروه الرياح ) ليستمر تطاير وتلاشي وفناء الحياة مما يشيع نهاية شاخصة أمام النظر، مستمرة متكررة لكل حياة موجودة على الأرض ولحياة الكون كله، وبذلك كان للفعل المضارع دلالة التنفير لكل متدبر من الركون إلى الحياة الدنيا والانشغال بها عن الآخرة.

وفي المثل الثالث استخدم النسق اللفظي لتقصير عرض المشاهد وتسريعها وذلك بحروف العطف ( ف ) الدالة على التعقيب، و ( ثم ) الدالة على المدة الفاصلة بين الإنبات والهيجان، و( الواو ) الدالة على مطلق الجمع، فبهم تم تجاوز بنى لفظية عدة، إلا أن هذا الحذف كان سائغا لوروده في سياق مليء بالمعاني الموحية المألوفة سابقا، المشاهدة لدى السامعين، المجسدة لسرعة تقلب الحياة الدنيا، وحياة الزرع، وانتهائه إلى الزوال.

وفي استخدام الفعل المضارع ( يهيج، تراه، يكون ) في قوله ﴿ يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ﴾ دلالة على وقوع المشاهد حية أمام الناظر، إذ إنها من مألوف الحياة اليومية.

وقوله ( مصفرا) بدون حرف العطف ( فيصفر )" فيه إيذان بأن اصفراره غير مقارن لهيجانه وإنما المترتب عليه رؤيته كذلك، وقيل للإشارة إلى ظهور ذلك لكل أحد" (٤) .

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ٤، ص: ٢٢٧٢
(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١١، ص: ١٤١

وفي المثل الثالث تظهر موازنة تقوم على ثنائية ضدية هي ( الحياة الدنيا / والآخرة ) في قوله: ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ﴾ بعد ذكر الحياة الدنيا والتنفير من الركون إليها والتزهيد فيها لسرعة زوالها وعدم جدواها، وبين فخامة الآخرة، وذكر عظيم العذاب الأبدي، أو النعيم والجزاء الدائم فيها، وفي تقديم الجار والمجرور ( وفي الآخرة ) على المبتدأ ( عذاب ) شد للانتباه وتعظيم للآخرة، وتخصيص لتشمل الآخرة المبتدأ والمعطوف بعده، أي لتشمل العذاب المقيم والنعيم الأبدي، وقد وقع العذاب مبتدأ وعطف عليه النعيم لأن المقام مقام تحذير إذ إن هذا المثل مضروب للتحذير من الدنيا والركون إليها.

وفي تنكير ( عذاب، ومغفرة، ورضوان ) في قوله تعالى: ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ﴾ دلالة على التفخيم والتعظيم لشديد العذاب ونعيم الجزاء والرضوان، وفي ترك وصف العذاب بكونه من الله تعالى مع وصف المغفرة وما عطف عليها بذلك، لبيان أن العذاب حدث ناتج عن الإنسان فلم ينسب إلى الله الذي أسبق رحمته على عباده، ونُسبت المغفرة والرضوان إليه، وفي هذا التعبير " إشارة إلى غلبة الرحمة .... ورمز إلى أن الخير هو المقصود بالقصد الأولى" (١) إذن في الآية حث، وحض على تجنب الدنيا ودعوة إلى الآخرة.

وكلمة ( رضوان ) لم تُتبع بوصف، وفي هذا دلالات كثيرة جعلت النص متسعا واسعا لجميع درجات الرضا والمغفرة التي لا تنتهي ولا تُحدّ بلفظ ولا سياق، فهو رضوان عظيم، لا ينتهي متجدد واسع، شامل متناهي، ومستمر، هو رضوان الرحيم والودود.

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٧، ص: ١٨٥

وفي " مقابلة العذاب الشديد بشيئين إشارة إلى غلبة الرحمة وأنه من باب ( لن يغلب عسر يسرين ) " (١).

وكثرة الأفعال المضارعة أو مصادرها في أمثال الحياة الدنيا ( تفاخر، تكاثر، تذروه يهيج تراه ، يكون .. ) تدل على استمرار ظهور الحياة الدنيا أمام الناس وعلى خلود المثل ومناسبته لكل زمان ومكان وإنسان، فمحتواه وما جاء فيه أمور معروفة مستمرة لا تنتهي ألفها العقل الإنساني بالتجربة والمعاينة، وقد يكون لاستحضار الماضي في الحاضر والمستقبل في أمثال الحياة الدنيا السابقة ( اختلط، أخذت، ازينت، ظن، جعلناه ) إشارة لبيان سرعة تقلبها وزوالها.

وفي قوله تعالى: ( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) أسلوب قصر، لتأكيد المعنى السابق للمثل بأسلوب موجز مركز يثبت ما ورد تفصيله بأسلوب موجز، يحمل في تضاعيفه وألوانه، وظلاله المعنوية معانٍ مركزة قوية ، فجاء قفل المثل مفتوحا ليسبح الفكر في تفاصيل خلجات بناه اللفظية فالحياة الدنيا متاع الغرور إن ألهت صاحبها عن عمارة آخرته وإلا فهي نعم المتاع إن كانت وسيلة لنيل نعيم الآخرة ورضوان الله الدائم. وهو تذييل ناسب سياق المثل الثالث، هذا السياق المشدود السريع، لما في القصر بـ ( ما .. إلا .. ) من شدة وجلبة، وحدة وإنكار، ولما فيه من نفي وإثبات وتخصيص يفيد هوان الدنيا وسرعة زوالها.

**********

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ ٢٧، ص: ١٨٥

## المبحث الرابع: القرآن الكريم

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

وهذا هو المثل الوحيد الذي ضُرب للقرآن، وباقي الآيات التي ورد فيها ذكر ضرب المثل والقرآن كانت إشارات لورود الأمثال في القرآن وتنويها بها وبفضلها، ليتدبرها الإنسان ويتفكر. كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٣).

### التراكيب النحوية ودلالاتها:

تنوعت جمل هذا المثل فبعضها له محل من الإعراب، مثل:

( نضربها ) في محل رفع خبر.

و( تلك ) وجملة ( يتفكرون ) في محل رفع خبر لعل.

وجمل لا محل لها من الإعراب، مثل:
( أنزلنا ..... ) استئنافية شرطية، وجملة ( وتلك الأمثال نضربها للناس ) معطوفة على الاستئنافية، وبعضها استئناف بياني كجملة ( لعلهم يتفكرون ) وبعضها جواب للشرط ( لو ) غير الجازم ( لرأيته ... ) .

كما تنوعت متعلقات الجار والمجرور، فقوله ( على جبل ) متعلق بالفعل ( أنزلنا ) و ( من خشية الله ) متعلق بـ ( متصدعا ) ، و( للناس ) متعلق بـ ( نضربها ) .

( خاشعا متصدعا ) : حالان منصوبان من ضمير الغائب في ( لرأيته ) لأن الرؤية بصرية (٤)
وقرأ طلحة ( مصدّعا ) بإدغام التاء في الصاد. (٥)
وفي اسم الإشارة ( وتلك ) وجهان:

الأول: في محل رفع مبتدأ.

الثاني: في محل نصب مفعول به على الاشتغال.

---

(١) سورة الحشر:٢١

(٢) سورة الروم : ٥٨

(٣) سورة الزمر: ٢٧

(٤) محمود صافي، الجدول: م:١٢، جـ٢٨، ص: ٣٢٧

(٥) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م: ٨، ص: ٢٤٩، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ٦، ص: ٢٩٩

ولما حذر الله تعالى المسلمين عما وقع فيه الفاسقون من الابتعاد عن الدين القويم، ونسيان الله في قوله تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ (١)، وميّز بينهم وبين أصحاب النار في قوله: ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ (٢) . بيّن فضل القرآن في الهداية إلى مسالك الخير والتحذير من مسالك الشر، وقد نُوّه بفضل القرآن بأسلوب شرط فرضي، مسبوك في قالب تمثيلي تصويري رفيع البيان، فكان مثلا مُجسّدا لعظمة القرآن وهديه، مبينا قسوة قلب الإنسان وتصلده وجهله بما جاء في القرآن. وقد سُبكت هذه المعاني في قالب تمثيلي لما في الأمثال من روعة البيان، وسحر التأثير، وقوة الإقناع بالتصوير، وجاذبية التخييل، وإيحاء الإيجاز وامتلاء المعنى واحتوائه.

وهذا المثل من باب التخييل والتمثيل لعلو شأن القرآن، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ﴾ " وغرض التمثيل توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تأثره، وقلة تخشعه وتدبره لهذا الذي لو أنزل على جبل لخشع وتصدع، وإذا كان الجبل على عظمته وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدع فابن آدم كان أولى بذلك. لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر " (٣) .

وقد استخدم اسم إشارة القريب ( هذا ) للإشارة إلى قرب القرآن وتواجده بين أيدي الناس، وللتعريض بقرب ما ورد فيه من نفس الإنسان وعقله وفكره، ودلالة على قربه من الإنسان والتحامه بقضاياه وأموره كلها واحتوائه علم الدنيا والآخرة مع قرب وسهولة تدبره وتفهمه والتفكر فيه، وتعريف القرآن جاء هنا للإشارة بفضله وإعلاء مكانته وتنزيهِ شأنه.

وعُبّر بالفعل ( أنزلنا ) عن معنى السّماع والخطاب بالقرآن الكريم وذلك " تشبيها لشرف الشيء بعلو المكان ولإبلاغه للغير بإنزال الشيء من علو " (٤) فلو كان المخاطب بالقرآن جبلا يسمع ويعي معاني القرآن وإعجازه لتأثر هذا الجبل وتصدع من خشية الله وإحساسه بعظمته، ذلك أن العلم والتفكر في المعاني يورث الإيمان، والإيمان يورث الخوف والخشية من الله، يصدق هذا قوله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٥) .

ومُثّلت القلوب القاسية المُعرضة عما في القرآن من أوامر ونواهٍ وزواجرَ وقوارعَ بالجبل، لأنه أشد الأشياء صلابة، وأرسخها ثبوتا، وأرساها للأرض تماسكا، ويؤيد هذا المعنى

---

(١) سورة الحشر: ١٩
(٢) سورة الحشر: ٢٠
(٣) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ ٤، ص: ٥٠٨، وأبو حيان، البحر المحيط: م: ٨، ص: ٢٤٩.
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ٢٨، ص: ٧٢
(٥) سورة فاطر: ٢٨

التنوين في ( جبل ) لما فيه من دلالة على عظم الجبل وعلوه واتساعه " والخطاب في ( لرأيته ) لغير معين فيعم كل من يسمع هذا الكلام والرؤية بصرية وهي منفية لوقوعها جوابا لحرف (لو) الامتناعية والمعنى: لو كان كذلك لرأيت الجبل في حالة الخشوع والتصدع.... وضُرب التصدع مثلا لشد الانفعال والتأثر لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تنشق وتتصدع إذ لا يحصل ذلك لها بسهولة " (١)، وقراءة طلحة ( مصّدعا ) بإدغام التاء في الصاد لتقاربهما في المخرج، له معنى لطيف لما في حرف الشدة من قوة تبين مدى تأثر الجبل واستجابته وخشوعه عند سماع القرآن، وقد أظهرتْ الشدةُ صَفير الصاد وجعلته مدوياً للإشارة إلى زوال الجبل وانهياره فأصبح مكانه خاليا يعصف الريح بصفيره فيه.

وأشير باسم إشارة البعيد ( تلك ) إلى مجموع ما مر على أسماع الناس من الأمثال الكثيرة في القرآن، فهو " إشارة إلى هذا المثل وإلى أمثاله في مواضع من التنزيل " (٢) وللإشارة إلى علو منزلة، وشرف الأمثال لما فيها من الهداية والوعظ والرشاد، ولما فيها من بيان رفيع يهز القلوب هزا.

وضَرْبُ المثل إطلاقه وسَوقه، أطلق عليه الضرب بمعنى وضع، ونُصِبَ مثلا يُهتدى ويُسترشد به، والأمثال تُضرب لهداية الناس عموما، وهذا ما أفاده التعريف في قوله: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ فتعريف ( الأمثال، والناس ) للاستغراق والعموم.

ثم ينتهي المثل بتذييل يكشف عن مقاصد ضرب الأمثال في القرآن، وهي التفكر والتأمل في معانيها، والاتعاظ بها، وجملة ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ رجاء ودعوة للتفكر في معاني القرآن والتدبر فيها، ليزداد المؤمن إيمانا ولا يرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون.

فالأمثال قمة البيان، وهي تحمل بين متونها سحر البيان، ونور الإقناع، تمتزج فيها لذة البيان، وروعة التصوير، ورشاقة اللفظ، وتجْسِيدُ العبارة، وتمثيل المشاهد، بصلابة الحجة وعقلانية المنطق، وسطوع الإقناع. تمتزج فيها الوجدانيات بالعقل، وبسحر بيانه يُغرسُ التمثيل في النفس المؤمنة، كبذرة خير في قلبٍ خيّرٍ خصب، ليثمر بأجود عطاء وأوفر ثمر.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٢٨، ص: ٧٢.
(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ ٤، ص: ٥٠٨

وصِيْغ المثل بأسلوب شرط، لتوبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلة إحساسه وتقديره لنعمة القرآن، ولعتابه إذ لم يستثمر ما حباه الله من عقل وما رزقه من قدرة على فهم البيان والتفكير والاستدلال. وهو عتاب راق، عتاب الرحيم الودود، يصل للنفس ويُؤدي مراده بطريقة سلسة لا تلام فيها النفس، ولا تعاب فيها على تقصيرها، فيأتي الشرط كأنه تخييل فرضيّ سُلِّمَ بنتائجه، فيستشعر الإنسان نقصه بذكاء منطقي وجداني يُعالج نواقص الإنسان ويرشده بطريقة ربانية في التربية فريدة من نوعها.

فالأمثال تُضرب في القرآن الكريم، للتفكر والتعقل، وهي تصويرات وتمثيلات لها مذاقها العذب البياني وسحرها التمثيلي الذي يهدف إلى تثبيت الإيمان، وترسيخه بالإقناع والمنطق الوجداني، ليكون إيمانا ثابتا راسخا كالجبل العظيم لا يهزه ريح ولا عاصف.

وفي المثل دعوة للتفكر، وحث على التدبر والتأمل في كتاب الله، فقراءة اللسان لا تغني القلب شيئا، ولا تُغذي الضمير الداخلي بمخزون ديني، ولذلك أمر بالتفقه فيما جاء به القرآن والتدبر في معانيه، واستخراج مكنون العلوم من بيانه، لتهتز النفس القاسية وتخشع لما فيه من علم وبيان وتفصيل وتوضيح لكل شيء، فتقترب النفس من خالقها وتتمسك بحبله المتين ويقوى إيمانها وتعبد الله على علم وتخشاه، يقول تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (١) ذلك أنهم، علموا عظمة الله بعلمهم بما جاء في كتابه وتدبرهم وتفكرهم لما جاء في هذا القرآن الجامع لكل العلوم، ولكل المجالات الإنسانية قديمها وحديثها، فازدادوا إكبارا وإجلالا وتعظيما لله، لعلمهم بعظمة الذات الإلهية واستحقاقها العبادة الخالصة واختصاصها بها.



---

(١) سورة فاطر: ٢٨

## المبحث الخامس: أمثال الإنفاق

قال تعالى:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣)

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤)

### *التراكيب النحوية ودلالاتها:*

تنوعت تراكيب جمل أمثال الإنفاق إلى جمل وأشباه جمل، وتنوعت الجمل في مواقعها الإعرابية، فبعضها وقع وصفا:

( أنبتت .. ) صفة لجنة في محل جر، كانه قال : كمثل حبة منبتة.

( في كل سنبلة مئة حبة ) صفة لسبع سنابل في محل نصب.

( عليه تراب ) صفة لصفوان في محل جر.

( فيها صر ) صفة لريح في محل جر.

( أصابت .... ) صفة ثانية لريح في محل جر .

( ظلموا ... ) صفة لقوم في محل جر.

وبعضها وقع خبرا:

( لا يهدي القوم ) في محل رفع خبر المبتدأ ( الله ).

وبعضها حالا:

( أصابها وابل ) في محل نصب حال من ( جنة ) لتخصيص النكرة بالوصف ولا بد من تقدير ( قد ) حينئذ، أي: وقد أصابها. أو تكون الجملة حالا من الضمير المستكن في الجار لوقوعه صفة. أو صفة ثانية لـ( جنة ) في محل جر، وبدئ هنا بالوصف بالجار والمجرور ثم بالجملة لأنه الأكثر في لسانهم لقربه من المفرد...، أو تكون صفة لربوة.

وبعضها جواب شرط:

( فطل ) على تقدير ( فمصيبها طل ) في محل جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١
(٢) سورة القرة: ٢٦٤
(٣) سورة البقرة: ٢٦٥
(٤) سورة آل عمران: ١١٧

وبعضها جمل لا محل لها من الإعراب:

( مثل الذين ... ) لا محل لها استئنافية.

( ينفقون ) لا محل لها صلة الموصول ( الذين )

( الله يضاعف لمن يشاء ) لا محل لها استئنافية.

( يا أيها الذين .... ) لا محل لها استئنافية.

( فمثله كمثل صفوان ) لا محل لها استئنافية.

( لا يقدرون .... ) لا محل لها استئنافية.

( والله بما تعملون بصير ) لا محل لها استئنافية.

( تعملون ) لا محل لها صلة الموصول الحرفي ( ما )

( مثل ما ينفقون ) لا محل لها استئنافية.

( ما ظلمهم الله ) لا محل لها استئنافية، أو في محل نصب حال من فاعل ( ظلموا ).

وجاء شبه الجملة هنا جارا ومجرورا في المواقع الآتية:

( في سبيل الله ) جار ومجرور متعلق بفعل ( ينفقون ) أو بمحذوف حال من أموالهم.

( كمثل ) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ( مثل ) .

( في كل سنبلة ) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم .

( كالذي ينفق ماله ) : الكاف حرف جر، و( الذي ) اسم موصول في محل جر متعلق بمحذوف مفعول مطلق، أو متعلق بحال من الواو في ( تبطلوا ) أي، لا تبطلوا صدقاتكم خاسرين كالذي ينفق ماله رئاء الناس. (١)

( فمثله كمثل ): متعلق بمحذوف خبر، للمبتدأ ( فمثله ).

( عليه تراب ) : ( على ) حرف جر، ( الهاء ) ضمير في محل جر متعلق بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ ( تراب ).

( مما كسبوا ) : ( من ) حرف جر ، ( ما ) اسم موصول في محل جر متعلق بمحذوف نعت لشيء .

( وتثبيتا من أنفسهم ): ( من ) حرف جر، ( أنفسهم ) اسم مجرور متعلق بمحذوف نعت أي، تثبيتا كائنا من أنفسهم، ويجوز تعليقه بالمصدر ( تثبيت ).

(مثل ريح ) : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ( ريح ) . ( فيها صر ): ( في ) حرف جر ( ها ) ضمير في محل جر متعلق بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ ( صر ).

---

(١) محمود صافي، الجدول: م٢، جـ٣، ص: ٤٠

وفي رفع ( مئة ) من قوله ﴿ في كل سنبلة مئة حبة ﴾ وجهان:
" أحدهما : فاعل لشبه الجملة؛ لأنه قد اعتمد على موصوف سبع سنابل.
والثاني: أنها مبتدأ والجار قبله خبره، والجملة صفة في محل جر.
" والوجه الأول أولى؛ لأن الأصل الوصف بالمفردات دون الجمل، ولابد من تقدير حذف ضمير أي: في كل سنبلة منها، أي: من السنابل" (١) .

وفي قوله: ( عليه تراب ) يجوز أن يكون جملة من مبتدأ وخبر، وقعت صفة لصفوان، ويجوز أن يكون ( عليه ) وحده صفة له، و( تراب ) فاعل به، وهو أولى لما تقدم.
وفي قوله : ( بربوة ) جار ومجرور في محل جر لأنه صفة لجنة، والباء ظرفية بمعنى ( في ) أي جنة كائنة في ربوة.
" وفي قوله ( فيها صر) [ جملة ] في محل جر نعتا لـ ( ريح )، ويجوز أن يكون ( فيها ) وحده هو الصفة، و( صر ) فاعل به، وجاز ذلك لاعتماد الجار على الموصوف، وهذا أحسن، لأن الأصل في الوصف الإفراد، وهذا قريب منه." (٢)

في قوله: ( سبع سنابل ) أتي التمييز هنا بجمع التكسير ( سنابل ) الذي لا نظير له في الآحاد، وفي سورة يوسف بالجمع بالألف والتاء - جمع السلامة - في قوله تعالى: ﴿ وسبع سنبلات خضر ﴾ وقد علق الزمخشري على هذا الجمع بقوله : " فإن قلت هلا قيل : سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة ، كما قال ﴿ وسبع سنبلات خضر ﴾ ( قلت ) : هذا من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها" (٣)

وعقب على كلامه أبو حيان بأن " ما ذهب إليه الزمخشري من باب الاتساع ، ووقوع أحد الجمعين موقع الآخر على سبيل المجاز، إذ كان حقه أن يميز بأقل الجمع لأن السبع من أقل العدد، وهذا الذي قاله الزمخشري ليس على إطلاقه ، فنقول: جمع السلامة بالواو والنون، أو بالألف والتاء لا يميز به من ثلاثة إلى عشرة إلا إذا لم يكن لذلك المفرد جمع غير هذا الجمع أو جاور ما أهمل فيه غير هذا الجمع وإن كان المجاور لم يهمل فيه هذا الجمع فمثال الأول قوله تعالى﴿ سبع سموات ﴾.... وقوله تعالى﴿ سبع بقرات﴾ و﴿ تسع آيات ﴾ و ﴿ خمس صلوات ﴾ لأن البقرة والآية والصلاة ليس لها سوى هذا الجمع، ولم يجمع على

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٦٣٥
(٢) المصدر السابق: جـ٢، ص: ١٩٢

(٣) الزمخشري، الكشاف، جـ١، ص: ٢٣٤ أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: جـ٢، ص:٣١٦

غيره ولم يجمع على غيره، ومثال الثاني قوله تعالى ﴿ وسبع سنبلات خضر ﴾ لما عطف على سبع بقرات وجاوره حسن فيه جمعه بالألف والتاء ولو كان لم يعطف ، ولم يجاور لكان ﴿ سبع سنابل﴾ كما في هذه الآية ولذلك إذا عري عن المجاورة جاء على مفاعل في الأكثر والأولى وإن كان يجمع بالألف والتاء مثال ذلك قوله تعالى ﴿ سبع طرائق﴾ (١) ﴿ وسبع ليال ﴾ (٢) ولم يقل طريقات ولا ليلات، وإن كان جائزا في جمع طريقة وليلة..... ونحصل من هذا الذي قررناه أن قوله ﴿ سبع سنابل ﴾ جاء على ما تقرر في العربية من كونه جمعا متناهيا، وأن قوله ﴿ سبع سنبلات ﴾ إنما جاز لأجل مشاكلة سبع بقرات ومجاورته ... " (٣)

ونخلص من هذا إلى أن جمعي السلامة لا يميز بهما عدد إلا في موضعين:

أحدهما: أن لا يكون لذلك المفرد جمع سواه.

والثاني: أن يُعدل إليه لأجل مجاورته غيره كما في قوله تعالى: ﴿ سبع سنبلات خضر ﴾ عدل من ( سنابل ) إلى سنبلات لأجل المجاورة.

ـ فالاسم إذا كان له جمعان جمع تصحيح وجمع تكسير، فالتكسير إما للقلة أو للكثرة " فإن كان للكثرة: فإما من باب مفاعِل أو من غيره، فإن كان من باب مفاعِل أوثر على التصحيح " (٤).

وقد قارن الثقفي (٥) بين دلالتي الجمع " سنابل، وسنبلات " من حيث ورودهما في سورة البقرة، وسورة يوسف وملاءمة كل منهما للسياق القرآني الواردة فيه، ففي سورة البقرة استلزم المقام التكثير للحض على الإنفاق، أما في سورة يوسف فالمقام مقام إخبار برؤيا سبع سنبلات وهو عدد قليل دون العشرة فعُبر عن المرئي بما يشاهد، يقول:" قوله تعالى: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ﴾ (٦) ، وقوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبعٌ عجاف وسبع سنبلات خضر﴾ (٧) ، فالمعدود واحد والعدد واحد وقد اختلف المفسر للمعدود فورد في سورة البقرة ( سنابل ) وبنيته فعالل من أبنية جمع الكثرة وفي سورة يوسف( سنبلات ) وباب ما يجمع بالألف والتاء أن يكون للقليل ما لم يقتصر عليه أو يعرض عارض. فللسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لتخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه؟

---

(١) سورة المؤمنون: ١٧

(٢) سورة الحاقة: ٧

(٣) أبو حيان، البحر المحيط: جـ٢، ص:٣١٦-٣١٧

(٤) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٦٣٤

(٥) أحمد بن إبراهيم الغرناطي، ابن الزبير الثقفي ( ٦٢٨هـ / ٧٠٨هـ ) ولد بجيان شرقي قرطبة، انتهت إليه الرئاسة بالأندلس في صناعة الأدب، والقراءات وتجويد القرآن، ورواية الحديث، وكان محدث الأندلس في زمانه. له مؤلفات منها: ( البرهان في تناسب سور القرآن ) و( ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ) و ( كتاب الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام ). الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص: ٨٣ وبغية الوعاة: جـ ١، ٢٩١

(٦) سورة البقرة: ٢٦١

(٧) سورة يوسف: ٤٣

والجواب: أن آية البقرة مبينة على ما أعد الله للمنفق في سبيله وما يضاعف له من أجر إنفاقه وإن ذلك ينتهي إلى سبعمائة ضعف، وقوله ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ (١) قد يفهم الزيادة على ما نص عليه من العدد كما أشارت إليه آيات وأحاديث، فبناء هذه الآية على التكثير. فناسب ذلك ورود المفسر على ما هو من أبنية الجموع للتكثير لحظاً للغاية المقصودة، ولم يكن ما وضعه للقليل في الغالب ليناسب ما تلحظ فيه الغاية من التكثير. أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه سبع سنبلات فلا طريق هنا للحظ كثرة ولا قلة لأنه إخبار برؤيا، فوجهه الإتيان من أبنية الجموع بما يناسب المرئي وهو قليل لأن ما دون العشرة قليل، فلحظ في آية البقرة ما بعده مما يتضاعف إليه هذا العدد وليس في آية يوسف ما يلحظ، فافترق القصدان، وجاء كل على ما يجل ويناسب، والله أعلم" (٢)

والكاف في قوله ﴿ كالذي ينفق ماله ﴾ تُعرب على ثلاثة وجوه :

الأول: " اسم في محل نصب نعت لمصدر محذوف، دل عليه ما في لفظ ( صدقاتكم ) من معنى الإنفاق، وحذف مضاف بين الكاف والاسم الموصول، والتقدير ( إنفاقا كإنفاق الذي ينفق ماله رئاء الناس.... ) أو ( لا تبطلوا صدقاتكم إبطالا كإبطال الذي ) " (٣)

الثاني: " اسم في محل نصب حال من فاعل ( تبطلوا )، وتقديره ( لا تبطلوها مشبهين ) .

الثالث: اسم في محل نصب حال من ضمير المصدر المقدر، وتقديره ( لا تبطلوها إبطالا مشبهين ) وهذا رأي ضعيف، وهو لا يتمشى إلا مع رأي سيبويه، كما أشار الآلوسي" (٤)

والهاء في ( فمثله ) فيها أقوال:

الأول، وهو أظهرها: " أنها تعود على المرائي المنافق ( الذي ينفق رئاء الناس ) ثم شبه المنافق بالحجر." (٥)

والثاني: " أنها تعود على المان المؤذي، كأنه تعالى شبهه بشيئين: بالذي ينفق رئاءً وبصفوان عليه تراب، ويكون قد عدل من خطاب إلى غيبة، ومن جمع إلى إفراد." (٦)

والثالث: أنها تعود على المنفق رئاء، والمرائي " ومُثّل حال الذي ينفق ماله رئاء الناس المشبه به - تمثيلا يسري إلى الذين يتُبعون صدقاتهم بالمن والأذى بقوله ﴿ فمثله كمثل

---

(١) سورة البقرة: ٢٦١

(٢) أحمد بن إبراهيم الثقفي، ملاك التأويل ، جـ١ ، ص: ٢٧٥- ٢٧٦

(٣) انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، جـ٣، ص: ٤٩

(٤) انظر: روح المعاني، جـ٣، ص: ٣٥

(٥) انظر: الطبري جامع البيان في تفسير القرآن، جـ٣، ص: ٥٠ و السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١/ ٦٣٧

(٦) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١/ ٦٣٧

صفوان الخ ﴾ - وضمير ( مثله ) عائد إلى الذي ينفق ماله رئاء الناس، لأنه لما كان تمثيلا لحال المشبه به كان لا محالة تمثيلا لحال المشبّه، ففي الكلام ثلاثة تشبيهات" (١)

" وقد جمع الضمير في قوله: ( لا يقدرون): حملا على المعنى لأن؛ المراد بـ ( الذي) الجنس ، فلذلك جاز الحمل على لفظه مرة في قوله: ( ماله) و( لا يؤمن ) و( فمثله) وروعي معناه مرة في قوله : ( لا يقدرون ) فـ ( الذي ) صفة لموصوف يُفهم الجمع ثم حُذف هذا الموصوف للدلالة عليه على تقدير: ( مثلهم كمثل الفريق ) فروعي الوصف مرة في الإفراد وروعي الموصوف مرة في الجمع، وقيل الضمير في ( يقدرون) عائد على المخاطبين في قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا ﴾ ويكون من باب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وفيه بعد. وقيل : يعود على ما يُفهم من السياق. أي: لا يقدر المانون ولا المؤذون على شيء من نفع صدقاتهم" (٢). وهذا ما عناه الرازي بقوله : " إن الضمير عائد إلى معلوم غير مذكور أي لا يقدر أحد من الخلق على ذلك البذر الملقي في التراب الذي كان على ذلك الصفوان، لأنه زال ذلك التراب وذلك ما كان فيه، فلم يبق لأحد قدرة على الانتفاع بذلك البذر"(٣) ، وقيل الضمير عائد على المرائي والمان.

و( ابتغاء ) من قوله ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾ يعرب على وجهين:
الأول: أنه مفعول لأجله، وشروط النصب محققة.
والثاني: أنه مصدر في موضع حال، أي مبتغين. و( تثبيتا ) معطوفٌ على ( ابتغاء ) باعتبارين أي لأجل لابتغاء والتثبيت، أو مبتغين متثبتين .

ومنع ابن عطية أن يكون ( ابتغاء ) مفعولا لأجله، قال: " ( ابتغاء) معناه طلب وإعرابه النصب على المصدر في موضع حال. وكان يتوجه فيه النصب على المفعول من أجله. لكن النصب على المصدر هو الصواب من جهة عطف المصدر الذي هو ( وتثبيتا )عليه. ولا يصح في ( تثبيتا ) أنه مفعول من أجله، لأن الإنفاق ليس من أجل التثبيت ". (٤)
وعلل ابن عاشور عدم جواز انتصاب ( ابتغاء ) على المفعول لأجله بقوله:" لأن مفاد الابتغاء هو مفاد اللام التي ينتصب المفعول لأجله بإضمارها، لأنه يؤول إلى معنى لأجل طلبهم مرضات الله، وأما قوله ( وتثبيتا ) فلأن حكمه حكم ما عطف هو عليه."(٥)

(١) انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، جـ٣، ص: ٤٩
(٢) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ١، ص: ٦٣٨
(٣) التفسير الكبير، جـ٧، ص: ٤٩
(٤) المحرر الوجيز، جـ١، ص٣٥٨
(٥) التحرير والتنوير: جـ٣، ص:٥١

وقد فصل السمين الحلبي هذا الرد بقوله: " وذلك أن قوله: ( وتثبيتا) إما أن يُجعل مصدرا متعديا أو قاصرا، فإن كان قاصرا، أو متعديا وقدرنا المفعول هكذا: ( وتثبيتا من أنفسهم الثواب على تلك النفقة ) فيكون تثبيت الثواب وتحصيله من الله حاملا لهم على النفقة، وحينئذ يصح أن يكون ( تثبيتا ) مفعولا من أجله، وإن قدرنا المفعول غير ذلك، أي: وتثبيتا من أنفسهم أعمالهم بإخلاص النية، أو جعلنا ( من أنفسهم ) هو المفعول في المعنى ، وأنّ ( من ) بمعنى اللام أي: لأنفسهم ، كما تقول: ( فعلته كسرا من شهوتي ) فلا يتضح فيه أن يكون مفعولا من أجله." (١)

أما الزمخشري فإنه يرى أن ( من ) في ( من أنفسهم ) للتبعيض، وأن معنى التبعيض عنده هو:" أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبّتها كلها ﴿ وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ (٢) ". (٣)

وأشار ابن عاشور إلى أن موقع ( من ) هذه في الكلام " يدل على الاستنزال والاقتصاد في تعلق الفعل، بحيث لا يطلب تسلط الفعل على جميع ذات المفعول. بل يُكتفى ببعض المفعول، والمقصود الترغيب في تحصيل الفعل والاستدراج إلى تحصيله" (٤) .

---

(١) الدر المصون: جـ ١، ص: ٦٣٩

(٢) سورة الصف: ١١

(٣) الكشاف: جـ١/ ٣٤

(٤) التحرير والتنوير: جـ٣، ص:٥١

ويقول الألوسي: " ﴿ وتثبيتا من أنفسهم ﴾ أي ولتثبيت أو مثبتين بعض أنفسهم على الإيمان - فمن تبعيضية - كما في قولهم: هز من عطفيه وحرك من نشاطه فإن للنفس قوى بعضها مبدأ بذل المال، وبعضها مبدأ بذل الروح فمن سخر قوة بذل المال لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه، ومن سخر قوة بذل المال وقوة بذل الروح فقد ثَبّتَ كل النفس، وقد يجعل مفعول تثبيتا محذوفا أي تثبيتا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم وقلوبهم - فمن - ابتدائية كما في قوله تعالى : ﴿ حسدا من عند أنفسهم ﴾ (١) ويحتمل أن يكون المعنى ﴿ وتثبيتا من أنفسهم ﴾ عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه، ويعضده قراءة مجاهد، وتبيينا من أنفسهم، وجوز أن تكون ( من ) بمعنى اللام والمعنى توطينا لأنفسهم على طاعة الله تعالى .... وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو الداء العضال والرأس لكل خطيئة" (٢)

ومما سبق يتبين أن في قوله ﴿ من أنفسهم ﴾ قولين:

أحدهما : " أنه مفعول في المعنى بالتجوز في الحرف" (٣) " وتكون ( من ) تبعيضية كما في ( هز من عطفيه ) و( حرك من نشاطه) " (٤) على تقدير ( لتثبيت أو مثبتين بعض أنفسهم على الإيمان ) أو تكون ( من ) بمعنى اللام على تقدير ( توطينا لنفسهم على طاعة الله تعالى ) كما تقول فعلت ذلك كسرا لشهوتي، أو من شهوتي.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٩

(٢) روح المعاني: جـ٣، ص:٣٦

(٣) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص:٦٤٠

(٤) أبو حيان، البحر المحيط: جـ٢،ص: ٣٢٣

الثاني: " أنه صفة لـ ( تثبيتا )" (١) ، فهو متعلق بمحذوف. تقديره ( كائن أو مستقر ) و( من ) في هذه الحالة تكون على أصلها ابتدائية ، وتقدير الآية ( تثبيتا صادرا من أنفسهم ) وعلى هذا الوجه يكون المفعول محذوفا تقديره ( يثبتون أعمالهم بإخلاص النية ) يقول أبو حيان في هذا : " فالمعنى والله أعلم أنهم يثبّتون من أنفسهم على الإيمان بهذا العمل والذي هو إخراج المال الذي هو عديل الروح في سبيل الله، ابتغاء رضاه، لأن مثل هذا العمل شاق على النفس، فهم يعملون لتثبيت النفس على الإيمان، وما ترجوه من الله بهذا العمل الصعب، لأنها إذا ثبتت على الأمر الصعب انقادت وذلت له، وإذا كان التثبيت مسندا إليهم كانت ( من ) في موضع نصب متعلقة بالنفس المصدر، وتكون للتبعيض مثلها في ( هَزّ من عِطْفِه ) و ( حرّك من نشاطه ) وإذا كان التثبيت مسندا في المعنى إلى ( أنفسهم ) كانت ( من ) في موضع نصب أيضا صفة للمصدر تقديره: كائنا من أنفسهم " (٢)

وعلى هذين الوجهين لا يُعرب ( تثبيتا ) مفعولا لأجله، وإنما مصدر في محل نصب مفعول. أما إذا قدرنا المفعول بـ ( تثبيتا من أنفسهم الثواب على تلك النفقة ) لصح أن يكون ( تثبيتا ) مفعولا لأجله، لأن تثبيت الثواب وتحصيله من الله حامل لهم على النفقة.

وهذا الوجه قد رجحه أبو حيان في إعراب ( من أنفسهم ) على تقدير المفعول بـ ( تثبيتا من أنفسهم الثواب على تلك النفقة ) وأن ( من أنفسهم ) فاعل في المعنى لأنها هي المحركة لإنفاقه، وتحصيل الثواب من الله حامل لهم على الإنفاق، وعلى هذا يكون ( تثبيتا ) مفعولا لأجله يقول: " والظاهر أن نفسه هي التي تثبته وتحمله على الإنفاق في سبيل الله ليس له محرك إلا هي لما اعتقدته من الإيمان وجزيل الثواب فهي الباعثة له على ذلك" (٣)

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ ١، ص: ٦٤٠

(٢) البحر المحيط: جـ٢/ ٣٢٣

(٣) المرجع السابق : جـ٢، ص: ٣٢٤

يقول السمين الحلبي: " فإن قيل: ( تثبيت) مصدر ثبّت، وثبّت متعدٍ، فكيف يكون مصدره لازما؟ فالجواب أن التثبيت مصدر ( تثبّتَ ) فهو واقع موقع ( التّثَبّتْ ) والمصادر تنوب عن بعضها، قال تعالى : ( وتبتل إليه تبتيلا ) (١)والأصل: ( تبتّلا ) ويؤيد ذلك قراءة من قرأ : ( وتثبّتا)" (٢) .

وقد رُدّ هذا القول بأن ذلك لا يكون إلا مع ذكر وإفصاح بالفعل المتقدم على المصدر نحو الآية( وتبتل إليه تبتيلا) " أما أن يأتي بالمصدر من غير بنائه على فعل مذكور فلا يحمل على غير فعله الذي له في الأصل، تقول: إن ( ثَبَتَ ) فعل لازم معناه تَمكّن ورَسَخ وتَحقّق وثبّت معدى بالتضعيف ومعناه مكّنَ ورَسّخ وحقّقَ" (٣) ، قال ابن رواحة (٤)يخاطب النبي(ﷺ) :

فثبتَ الله ما آتاكَ من حَسَن تثبيت عيسى ونَصرا كالذي نُصرُوا(٥)

وقد فند الطبري رأي المحتجين بأن قوله تعالى : ﴿ وتثبيتا من أنفسهم ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ (٦) من حيث اشتراكهما في كون أفعالهما معدولة عن مصادرها بأن في قوله ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ محذوفا قدر فقيل تبتيلا، دل عليه الفعل المذكور ( تبتل ) يقول : " فإن قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عز وجل وتبتل إليه تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل إن هذا مخالف لذلك، وذلك أن هذا إنما جاز أن يقال فيه تبتيلا لظهور ( وتبتل إليه ) فكان في ظهوره دلالة على متروك من الكلام الذي منه قيل تبتيلا وذلك أن المتروك هو تبتل فيبتّلك الله إليه تبتيلا وقد تفعل العرب مثل ذلك أحيانا تخرج المصادر على غير ألفاظ الأفعال التي تقدمتها إذا كانت الأفعال المتقدمة تدل على ما أُخرجت منه كما قال جل وعز: ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾ (٧) وقال : ﴿ فأنبتها نباتا حسنا ﴾ (٨) والنبات مصدر نبت وإنما جاز ذلك لمجيء أنبت قبله فدل على المتروك الذي منه قيل نباتا والمعنى أن الله أنبتكم فنبتم من الأرض نباتا وليس قوله ﴿ وتثبيتا من أنفسهم﴾ كلاما يجوز أن يكون متوهما به أنه معدول عن بنائه، ومعنى الكلام ويتثبتون في وضع الصدقات مواضعها فيصرف إلى المعاني التي صرف إليها قوله ﴿ وتبتل إليه تبتيلا ﴾ وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التي هي ظاهرة قبلها" (٩)

---

(١) سورة المزمل: ٨

(٢) الدر المصون : جـ١/ ٦٣٩

(٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: جـ٢/ ٣٢٣

(٤) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد ( ٠٠هـ/ ٠٠م - ٨هـ/ ٦٢٩م ) صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين، كان يكتب في الجاهلية، أسلم وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها. الزركلي، الأعلام: جـ ٤، ص: ٢١٧

(٥) البيت في ديوانه:ص٩٤

(٦) سورة المزمل: ٨

(٧) سورة نوح: ١٧

(٨) سورة آل عمران: ٣٧

(٩) الطبري ،جامع البيان : جـ٣، ص:٤٧

" وقرأ ابن عامر وعاصم ( رَبوَة ) بالفتح، وقرأ ابن عباس بكسر الراء ( رِبوة ) وباقي السبعة بالضم، واختير الضم لأنه لا يكاد يُسمع في الجمع إلا الرُّبا ، فدل على أن المفرد مضموم الفاء. نحو صورة وصُور." (١)

وفي قوله ﴿ فآتت أكلها ﴾ ثلاثة أوجه:

" أحدها: وهو الأصح أن ( آتت ) تتعدى لاثنين، حذف أولهما وهو ( صاحبها ) أو ( أهلها ) . والذي حسَّن حذفه أن القصد الإخبار عما تُثمر لا عمّن تثمر له، ولأنه مقدر في قوله: ﴿ كمثل جنة ﴾ أي غارس جنة أو صاحب جنة . و ( أكلها ) هو المفعول الثاني. و( ضعفين ) نصب على الحال من ( أكلها ).

والثاني: أن ( ضعفين ) هو المفعول الثاني، وهو سهو من قائله وغلط [ قول ضعيف ].

والثالث: أن ( آتت ) هنا بمعنى أخرجت، فهو متعد لمفعول واحد." (٢) قال العكبري: " لأن معنى ( آتت ) أخرجت ، وهو من الإتاء، وهو الريع"(٣) وقد ذكر أبو حيان" أن هذا لم يعلم في لسان العرب، ونسبة الإيتاء إليها مجاز". (٤)

و( الأُكُل ) بضم الهمزة والكاف، الشيء المأكول، وأريد هنا الثمر " وقرأ الحرميان ( نافع وابن كثير ) وأبو عمرو( أُكْلها ) بضم الهمزة وسكون الكاف" (٥) " لإنه يثقل ما أضيف إلى غير ضمير أو إلى ضمير المذكر، والباقون بالتثقيل مطلقا " (٦) ، ويقول ابن خالويه(٧): "﴿ فآتت أكلها ﴾ يقرأ بضم الكاف وإسكانها، فالحجة لمن ضم: أنه أتى بالكلام على أصل ما كان عليه. ودليله: إجماعهم على الضم في قوله ﴿ ذواتى أُكُل خمط ﴾ . والحجة لمن أسكن : أن هذه اللفظة لما اتصلت بالمكنى ثقلت، وتوالي الضمتين ثقيل أيضا، فخفف بالإسكان" (٨) .

والفاء، في قوله ( فطل ) رابطة للجواب " ولا بد من حذف بعدها لتكمل جملة الجواب

---

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م: ٢،ص: ٣٢٤، والسمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٦٤٠، وفي اللسان (مادة : ربو ) والاختيار من اللغات رُبوة لأنها أكثر اللغات، والفتح لغة تميم.

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٦٤١

(٣) التبيان: جـ ١، ص: ١٨٠

(٤) انظر: البحر المحيط: جـ٢، ص:٣٢٤

(٥) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م: ٢، ص: ٣٢٤

(٦) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٦٤٠

(٧) الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله ، النحوي اللغوي، أصله من همذان، قرأ على أبي سعيد السيرافي، انتقل إلى الشام واستوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب (ت: ٣٧٠ ) له كتاب ( الاشتقاق ) و ( القراءات ) وكتاب ( الجمل ) في النحو . ابن خالويه، وفيات الأعيان : جـ ٢، ص: ١٧٨.

(٨) الحجة : ١٠٢

واختلف في ذلك على ثلاثة أوجه:

الأول: " أن المحذوف خبر، وقوله: ( فطل ) مبتدأ، والتقدير: ( فطلٌّ يصيبها ) أو( فطل يكفيها ) والمراد أن خيرها لا يخلف على كل حال (١) وجاز الابتداء هنا بالنكرة لأنها في جواب الشرطوهو من جملة المسوِّغات للابتداء بالنكرة، ومن كلامهم : ( إنْ ذهَبَ عَيْرٌ فعَيْرٌ في الرِّباط ) (٢)" (٣) فعير نكرة ابتُدئ بها لأنها جواب الشرط ( إنْ ).

والثاني: " أن المحذوف مبتدأ مضمر يقدر بـ ( فالذي يصيبها طل، أو فالمصيب لها، أو فمصيبها" (٤) و( طل) يعرب خبرا.

والثالث: " أن المحذوف فعل مضمر تقديره: فيصيبها طل، وهذا أبينها،( فطل ) فاعل وحذف الفعل لدلالة فعل الشرط عليه" (٥) وأشار أبو حيان إلى أن هذا التقدير يؤدي إلى " حذف الجملة الواقعة جوابا وإبقاء معمول لبعضها، لأنه متى دخلت الفاء على المضارع فإنما هو على إضمار مبتدأ، تقديره ( فهي ) على الفعل يصيبها أي ( فهي يصيبها طل )." (٦) إلا أن السمين الحلبي استبعده بقوله: " وفيما قاله نظر، لأنا لا نسلم أن المضارع بعد الفاء الواقعة جوابا يحتاج إلى إضمار مبتدأ "(٧)

والظاهر أن الجزم بـ ( إن ) أولى لأن الاستقبال غير مقصود، ولا بد من تقدير كان مضمرة لأن قوله تعالى ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ يوحي بالمضي والانقضاء، فكيف يُخبر عن أمر قد مضى وانقضى بأمر يُستشرف حدوثه مستقبلا ؟ والجواب، أجابه الطبري بضرورة تقدير( كان ) في الجملة وبهذا يكون معنى الكلام ﴿ فآتت أكلها ضعفين فإن لم يكن الوابل أصابها أصابها طل﴾، كما رأى أبي الفرج الجوزي (٨) ضرورة تقديم كان حتى يصح الكلام ويستقيم المعنى (٩) . وقد ذكر الطبري (١٠) أمثلة من اللغة على هذا يقول : " وذلك في الكلام نحو قول القائل حبست فرسين فإن لم أحبس اثنين فواحدا بقيمته بمعنى: إلا أكن، لا بد من إضمار « كان » لأنه خبر" (١٠)

---

(١) الألوسي، روح المعاني: جـ٣،ص: ٣٦

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: جـ٢/ ٣٢٥

(٣) الميداني، مجمع الأمثال : جـ١/ ٤٠

(٤) العكبري، التبيان، جـ١،ص: ١٨٠

(٥) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١،ص: ٦٤١، والعكبري، التبيان: جـ١،ص: ١٨٠

(٦) البحر المحيط: جـ ٢، ص: ٣٢٦

(٧) الدر المصون: جـ ١،ص: ٦٤١

(٨) عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨-٥٩٧هـ = ١١١٤-١٢٠١م) . سبق تعريفه ص: ٧٣

(٩) زاد المسير: جـ١، ص: ٣٢٠

(١٠) جامع البيان: جـ٣، ص:٤٩

وقـال بعضهم : في الآية تقديم وتأخير ، ومعناه كمثل جنة بربوة أصابها وابل فإن لم يصبها وابل فطل فآتت أكلها ضعفين، يعني اخضرت أوراق البستان وخرجت ثمرتها ضعفين. (١)

وقد رد السمين الحلبي عليهم بأن هذا التقديم والتأخير من الضرورات التي لا داعي لإقحامها في كتاب الله عز وجل بقوله: " وادعى بعضهم أن في هذه الآية تقديما وتأخيرا والأصل: ( أصابها وابل، فإن لم يصبها وابل فطل، فآتت أكلها ضعفين ) حتى يُجعل إيتاؤها الأكل ضعفين على الحالين من الوابل والطل، وهذا لا حاجة إليه لاستقامة المعنى بدونه والأصل عدم التقديم والتأخير، حتى يخصه بعضهم بالضرورة " . (٢) فإن كان التقديم والتأخير عندهم بغرض تعميم معنى المضاعفة على كل أحوال الإنفاق المخلص فإن الأفضل تمايز إنفاق المخلصين وهو الذي يكون به المعنى بلا تقديم ولا تأخير، وهذا ما عناه السمين الحلبي بقوله: " وهذا لا حاجة إليه لاستقامة المعنى بدونه ".

**********

نجد تقاربا وتشابها في البنية الظاهرة اللفظية، والبنية العميقة التركيبية في دلالات هذه الأمثال الأربعة عن الإنفاق، كما أن هناك تكرارا وتماثلا لصيغة الأمثال، رغم اختلاف العناصر والمعاني المضروبة لها، وذلك للتأكيد على أهمية قضية الإنفاق وتصوير عظيم الأجر الذي يثاب به المنفقون، وبيان مراتب الإنفاق وأنواعه .

ومن هنا نجد تطابقا من حيث المعنى والتركيب بين المثل الأول والثالث، وبين المثل الثاني والرابع، ولعلها جميعا تنبثق من نواة واحدة تتكون من أربعة عناصر هي :

أولا: الإنسان.

ثانيا: نية الإنفاق.

ثالثا: القبول.

رابعا: الجزاء.

وتقوم بنية النص على ثنائيات ضدية منتجة لأمثال الإنفاق هي: ( الله ، الإنسان )، (الدنيا الآخرة )، ( الإخلاص، الرياء )، ( قبول العمل، بطلانه )،( الإنبات ومضاعفة الإثمار، عدم الإنبات وهلاك الزروع )، وبعض هذه العناصر السابقة تظهر في بنية الأمثال بشكل واضح

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: جـ٢/ ٢٤٠

(٢) الدر المصون:جـ١، ٦٤٢

على سطح النص، وبعضها يستتر وراء العبارات والجمل في شكل نص مضمر، ويتولى السياق الكشف عن وجودها غير المباشر .

وبإنعام النظر في المثل الثالث والأول نجد تتابعا دلاليا مترادفا بين المركبات التي يتكون منها المثلان:

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ﴾

﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله كمثل جنة بربوة ﴾

مما يكون عاملا مشتركا، يرتكز عليه المثلان وباقي أمثال الإنفاق، وفي تكرار البنى اللفظية والتركيبية قيمة بلاغية عمد إليها القرآن في المواطن التي تحتاج إلى مزيد من التقرير والتأكيد كموضوع الإنفاق هنا، إذ إنه من مرتكزات هذا الدين ومن الأسس التي تقوم عليها المجتمعات وتتكافل، فكان للتكرار غرضه في تأكيد المعنى في النفوس، وتعميقه في العقول، وتعليقه في القلوب، وذلك غاية الكلام البليغ، وتتكون هذه البنية المشتركة من :

المبتدأ ( مثل )، الاسم الموصول وصلته ( الذين ينفقون )، والخبر المضاف لما بعده. ( كمثل حبة/ كمثل جنة ).

وتعريف المسند إليه بالاسم الموصول ( الذين) في قوله ﴿ مثل الذين ينفقون...﴾ مكن من ذكر صفات يحرص السياق على إبرازها في المنفقين كل على حسب نوع إنفاقه، كما أن الصلة جعلت المبتدأ يحمل من المعاني ما يهيئ النفس إلى الخبر حتى ليكاد المستمع يشعر ويتحسس المعنى قبل سماعه.

وهناك تشابه في البنية التركيبية بين أمثال الإنفاق المقبول ( الأول والثالث ) والإنفاق الباطل (المثل الثاني والرابع) ، رغم اختلاف موضوعاتها، من ذلك نجد التعليل بالمفعول لأجله يشكل عاملا مشتركا بين المثل الثاني ( رئاء الناس ) والثالث ( ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم ). وكان لتقديم المفعول لأجله في تركيب أمثال الإنفاق المقبول دور في شد الانتباه والحث وبيان عظيم الثواب المترتب على الإنفاق الخالص لله ، أما الإنفاق الباطل فقد حذر أولا من أسباب فساده ووجوب اجتنابه ثم عطف على ذلك بذكر المفعول لأجله وذكر العقاب والخسران المترتب عليه .

والتشابه التركيبي بين المثل الثاني ( فأصابه وابل فتركه صلدا﴾ والثالث ( أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ﴾ في الفعل المتعدي ( أصاب )، والمفعول به المقدم (ضمير الغيبة المتصل ) والفاعل المؤخر ( وابل ) والفاء العاطفة للجزاء، والفعل الماضي المتعدي ( فتركه) وما في هذه الأفعال الماضية من معنى الوقوع والتحقق .

ومثل الإنفاق الرابع ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَـكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يشابه البنية التركيبية لمثل الإنفاق الثاني ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ في الخبر ( كمثل ) والمضاف إليه ( صفوان/ ريح ) والجار والمجرور المتعلق بمحذوف خبر ( عليه/ فيها )، والمبتدأ المؤخر ( تراب/ صر )، والفعل الماضي المتعدي ( أصاب )، ومفعوله ( ضمير الغائب المتصل بالفعل/ حرث قوم )، والفعل الماضي المتعدي المعطوف ومفعوله ضمير الغائب المتصل ( فتركه/ فأهلكته ).

وفي المثل الرابع تقديم لقوله ﴿ كمثل ريح فيها صر ﴾ على ﴿ حرث قوم ظلموا أنفسهم ﴾ إذ إن أصل البنية كان ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم، فأصابته ريح فيها صر فأهلكته... ﴾ وكان لهذا التقديم فائدة جلية في إبراز المعنى وتقوية تأثيره فقد قدم ما هو أهم وهو الريح على ذكر الحرث، وهذا تقديم اقتضاه السياق " لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث، فقدمت عناية بذكرها، واعتمادا على أن الأذواق والفطر المستقيمة تستطيع ردّ الكلام إلى أصله على أيسر وجه" (١)

وأمثال الإنفاق الأربعة تتشابه في الوصف بـ ( الحبة، والصفوان ، والجنة، والريح ) فجميعها جاءت نكرة للدلالة على عظم شأنها وقيمة التمثيل بها، تليها جمل في محل جر صفة لها.

وتشترك أمثال الإنفاق الأول والثاني والرابع، في أن بينها فسحة بين المبتدأ والخبر ـ شبه الجملة، أو الكاف على اعتباره اسما بمعنى ( مِثْل ) ـ " و( مثل ) في هذه الحالة مضاف إليه أي: كصفة حبة وتقدير زيادة الكاف أو زيادة ( مَثَل ) قول بعيد" (٢) فلا يوجد حرف من حروف القرآن زائد، فكل حرف له دلالته ومعناه الذي يحتاج إليه السياق القرآني ويطلبه

---

(١) محيي الدين درويش، إعراب القرآن: جـ٤،ص: ٥١٤

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: جـ٢،ص: ٣١٥

المعنى الدقيق للآية، وقد تمم الخبر ما جاءت به الصلة ﴿ الذين ينفقون ﴾ وما أفسحته من مجال لبيان وصف المنفقين ومراتبهم:

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ﴾

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة﴾

﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر﴾

ولكن المثل الثاني اقترن فيه المسند بالمسند إليه ( فمثله كمثل ﴾ ولعل ضمير الغيبة المتصل في ( فمثله ) كان له دور في اختزال المعنى المراد ذكره هنا بعوده على جميع أنواع مبطلات الإنفاق السابق ذكرها، ويمكن اعتبار الكاف في ( كالذي ) اسما بمعنى ( مِثْل ) وبذلك يكون المثل الثاني مشابها لأبنية الأمثال السابقة ومشتركا معها في المكون الظاهر ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان ﴾ أي في الكاف التي بمعنى المثل، وجملتها التي أفسحت المجال للوصف وبيان نوع الإنفاق الباطل وصفات منفقه، وهو بذلك يقترب أكثر من بنية المثل الرابع الذي يشترك معه في المعنى المضروب له،إلا أن المثل الرابع يظهر المكون النصي بوضوح في البنية الظاهرة للمثل ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح ﴾ المبتدأ ( مثل ) ، والصلة وجملتها ( ما ينفقون )، والخبر ( كمثل ) ونجد بين المبتدأ والخبر اسم الإشارة ( هذه ) مشيرا للحياة الدنيا وفي هذه الإشارة بالقريب إلى الحياة الدنيا ما يشيع التجسيد والتشخيص ويجعل الحياة الدنيا في المنظور الحسي ليتقرر الحكم عليها، لما في اسم الإشارة من التمييز والوضوح. وفي الإشارة بالقرب للحياة الدنيا إشارة إلى حقارتها وهوانها، ودنوها لقصر زمنها.

وقد أشاعت الصلة عديدا من معاني الغموض والتفخيم، لما فيها من إبهام وغموض ففي المثل الأول ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ فتحت الصلة مجالا واسعا لمضاعفة الأجر غير المحدد بحدود وبقي الأمر مقرونا بمدى إخلاص العبد لله تعالى، وفي المثل الثاني ﴿ لايقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ وفي المثل الثالث ﴿ والله بما تعملون بصير﴾ أشاعت الصلة التهويل والتفخيم لأمر المراقبة والمحاسبة وعلم الله بخفايا الصدور والأعمال، والموصول الحرفي ( ما ) فيه تعريض لبطلان نفقة المان والمؤذي والمرائي.

أما من الناحية المعنوية التي ارتكز التركيب عليها، فنلاحظ اشتراك أمثال الإنفاق الأربعة في تقدير مضاف محذوف من البنى العميقة جميعها يدل عليه السياق المعنوي، ففي المثل الأول لابد من " حذفٍ حتى يصح التشبيه، لأن الذين ينفقون لا يُشبهون بنفس الحبة. واختلف في المحذوف، فقيل: تقديره: ومثل منفق الذين أو نفقة الذين. وقيل: تقديره: ومثل الذين

ينفقون كزارع حبةٍ، وقيل التقدير، أي : مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها. (١)
أما المثل الرابع " فيجوز فيه حذف مضاف من الأول، تقديره: مثل مَهْلِكِ ما ينفقونه، أو من الثاني تقديره: كمثل مَهْلِكِ ريح ".(٢)وقد أشار السمين الحلبي إلى أن الأول أظهر؛ لأنه يؤدي في الثاني إلى تشبيه الشيء المُنْفق المُهْلَك بالريح، وليس المعنى عليه . (٣)
وقد ذكر ابن عطية أنه من باب: " التشبيه بين شيئين وشيئين، ذكرَ الله عز وجل أحدَ الشيئين المُشبّه بهما وليس الذي يوازي المذكور الأول، وترك ذكر الآخر، ودل المذكور على المتروكين، وهذه غاية البلاغة والإيجاز، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع﴾(٤) " (٥)

ومما ورد من الحذف أيضا قوله تعالى: ﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ أي: ما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصيَ التي كانت سببا في إهلاكه.
وقد قدم المفعول به ( أنفسهم ) للاختصاص: أي لم يقع وبال ظلمهم إلا بأنفسهم خاصة لا يتضرر بذلك غيرهم، وفيه مراعاة للفواصل أيضا.
وقد جاء المثل الثالث للإنفاق المقبول معطوفا على مثل الذين يبطلون صدقاتهم بالمن " والأذى والرياء ، لبيان البون الشاسع بين الفريقين، والتناقض الكبير بين إنفاقهما، وتأكيدا للثناء على المنفقين بإخلاص" (٦)، كما أن هناك معنى بديعا استنبطه ابن عاشور لهذا العطف فهو يرى أن عطف مثل المنفقين بإخلاص على مثل الفريق الباطل إنفاقهم إنما هو " تفنن في التمثيل " (٧) ذلك أن الله قد مثلهم فيما سبق بحبة أنبتت سبع سنابل إلا أنه كان " تمثيلا غير كثير التركيب لتحصل السرعة بتخيّل مضاعفة الثواب، فلما فُصّل التمثيل في أمر المنفق الذي يبطل نفقته بالمن والأذى والرياء أُعيد تمثيل حال المنفقين ابتغاء مرضاةالله" (٨) بما هو أكثر تركيبا وأوسع أفقا من ناحية تخيل المعاني الملموسة، وبهذا فإن لهذا المثل ارتباط

---

(١) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون: جـ١، ص: ٦٣٥
(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط: جـ٣، ص: ٤١
(٣) الدر المصون: جـ١، ص: ٦٣٥
(٤) سورة البقرة: ١٧١
(٥) المحرر الوجيز: جـ ١، ص: ٤٩٥
(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٣، ص: ٥٠
(٧) المرجع السابق: جـ٣، ص: ٥٠
(٨) المرجع السابق: جـ٣، ص: ٥٠

كبير بالمثل الأول ﴿ المنفق في سبيل الله بالحبة التي أنبتت سبع سنابل﴾إذ هو تفصيل وإيضاح له لما فيه من تركيب واستقصاء لجميع جزئيات المشبه والمشبه به، يقول ابن عاشور : " إنّ الأمثال تبهج السامع كلما كانت أكثر تركيبا وضُمّنت الهيئة المشبه بها أحوالا حسنة تكسبها حسنا ليسري ذلك التحسين إلى المشبه، وهذا من جملة مقاصد التشبيه" (١) .

ويبدأ المثل الثاني بنداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ " وأصل النداء بـ [يا] أن يكون لنداء البعيد حقيقة أو حكما، لكن التعبير القرآني أتى بها في نداء القريب لنكتٍ لطيفة وأسرار دقيقة منها:

أولا- إظاهر الحرص على إقبال المدعو ثانيا: كون الخطاب المتلوّ معتنًى به..... ولم يَستعملْ القرآن الكريم من أساليب النداء سوى ( يا ). ولا ينادى اسم [ الله ، وأيها ]، إلا بـ [يا ] وكررّ في القرآن النداء بـ ( يا أيها ) دون غيره لأن فيه أوجها من التأكيد، وأسبابا من المبالغة منها: ما في [ يا ] من التأكيد والتنبيه، وما في [ها ] من التنبيه، وما في التدرج من الإيهام في [ أي ] إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى الله به عباده - من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، ومن قصّ أخبار الأمم الماضية، وغير ذلك مما أنطق الله بها كتابه - أمور عظام، وخطوب جسام، ومعانٍ واجب عليهم أن يتيقظوا لها، ويُميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، فاقتضى الحال أن ينادى بالآكد الأبلغ... وقد ناداهم الله تعالى بالمؤمنين﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ ، تنبيها إلى أن الإيمان الذي اتصفوا به، من شأنه أن يحملهم على الاستجابة لما طلب منهم، وكلّفوا به. " (٢)

ونلاحظ في المثل الثاني عدولا عن الخطاب إلى الغيبة في قوله ﴿ فمثله كمثل صفوان ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ وفي هذا الالتفات تشهير بأصحاب الإنفاق الباطل والمنافقين والكفار، إذ إن حالهم يستحق أن يكون مثلا يضرب لغرابته وسوء عاقبته فهو مآل عجيب يستحق أن يروى ويذاع، كما أن في تغييبهم إشارة إلى قبح أعمالهم وفسادها. وفي المثل الثالث التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ للتنبيه وجذب الانتباه، وفيه حض على الإنفاق الخالص لوجه الله والزجر عن الرياء والمن والأذى.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ٣، ص: ٥٠

(٢) لا شين ، من أسرار التعبير في القرآن : ص ١٧٧- ١٨٨

و في إعادة لفظ الجلالة مكررا في قوله ﴿ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ وكان من الممكن أن يذكر الضمير فيستقيم المعنى تأكيد على عظم فضل الله وكرمه وسعة عطائه وحسن جزائه لعباده الصالحين، وقد يكون في ذكر المسند إليه قصد إلى استقلال الجملة لتصير كأنها مَثَلٌ يسير على ألسن الناس سريان الأمثال، يقو ل محمد أبو موسى: " فمن الممكن أن تقتطع من سياقها، وأن تستقل بإفادة معناها ولذلك يشيع بعضها شيوع الأمثال، والذي أتاح ذلك هو ذكر المسند ولو كان المذكور هو الضمير لارتبط بالكلام السابق؛ لأن فيه مرجعه" (١)

كما نلاحظ في المثل الأول ورود الألفاظ مختصة بالإضافة ( كمثل حبة، سبع سنابل، مئة حبة) وبذلك كثر المضاف إليه في بنية الفعل الأول وفي هذا دليل على الإضافة ومضاعفة الأجر والحسنات للمنفقين الخالص إنفاقهم لوجه الله.

وفي ابتداء الأمثال بجمل اسمية، دلالة على ثبوت ورسوخ ما جاء فيها من معان، وأمور عجيبة ، كما أن لكثرة ورود الأفعال المضارعة ( ينفقون، تبطلوا، يظلمون ، ولا يؤمن، تعملون، لايقدرون ) دلالة على الاستمرار والتجدد لهذه الأحداث والأفعال في كل زمان ومكان باختلاف الأشخاص والعصور، كما أن لصيغة الفعل الماضي ( أنبتت، أصابه ، فتركه، كسبوا، أصابها، آتت ) دلالة على تحقق الوقوع وحتمية المآل والعاقبة، وكأنها أمور تحققت وانتهت وفيه دلالة على واقعية المثل كما أن فيه إشارة إلى أن ما في المثل من معان سبق وأن رآها العقل وميزها خاصة وأنها من البيئة الزراعية المألوفة عند الجميع والتي قد شاهدها الناس جميعهم في كل زمان ومكان .

وأداة الشرط ( إنْ ) في المثل الثالث ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل﴾ دالة على الشرط غير المقطوع بوقوعه، وهي للتعليق في الاستقبال إلا أن أداة النفي ( لم ) قلبت معنى الفعل ( يصيبها) من الاستقبال إلى الماضي مما كان له دلالة استبعاد وقوع مثل هذه الحالة وندرة وقوعها

والنفي في قوله:﴿ لا تبطلوا صدقاتكم﴾ مسلط على المَنّ والأذى؛ لأن النفي أحق بالعموم وأدل عليه، والأذى السب والتشكي وهو أعم من المَنّ،لأن المَنّ جزء من الأذى ولكنه ذُكِر

---

(١) خصائص التراكيب:١٩١

وقُدّم على الأذى لكثرة وقوعه من المتصدقين . (١)

وقد استنبط الطباطبائي (٢) من سياق المثل الثاني ودلالة أفعاله أن المقصود من قوله ﴿ ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ أن المرائي منافق لا مشرك يقول: " واتحاد سياق الأفعال في قوله: ( ينفق ماله )، وقوله : ( ولا يؤمن ) من دون أن يقال: ولم يؤمن يدل على أن المراد من عدم إيمان المرائي في الإنفاق بالله واليوم الآخر عدم إيمانه بدعوة الإنفاق الذي يدعو إليها الله سبحانه، ويعد عليها جزيل الثواب، إذ لو كان يؤمن بالداعي في دعوته هذه، وبيوم القيامة الظاهر فيه الجزاء لقصد في فعله وجه الله، وأوجب واختار جزيل الثواب، ولم يقصد به رئاء الناس، فليس المراد من عدم إيمان المرائي عدم إيمانه بالله سبحانه رأسا. ويظهر من الآية: أن الرياء في عمل يستلزم عدم الإيمان بالله واليوم الآخر فيه" (٣) ، وهو يتفق وما سبق وأورده الطبري في تفسيره من أن " الذي في قوله ﴿ كالذي ينفق ماله رئاء الناس .. ﴾ يحمل معنى المنافق " (٤) ، أما الرازي فقد اعتبر المرائي كافرا (٥) ، وجمع الألوسي بين الرأيين بقوله:" والمراد من الموصول ما يشمل المؤمن والكافر" (٦) وغالب المفسرين على أن المراد به المنافق.

وفي قوله : ( فإن لم يصبها وابل فطل ) وجهان من حيث المعنى :

الأول : " المعنى أن هذه الجنة إن لم يصبها وابل فيصيبها مطر دون الوابل، إلا أن ثمرتها باقية بحالها على أن لا ينقص بسبب انتقاص المطر وذلك بسبب كرم المنبت. الثاني: معنى الآية إن لم يصبها وابل حتى تضاعف ثمرتها فلا بد وأن يصيبها طل يعطي ثمرا دون ثمر الوابل، فهي على جميع الأحوال لا تخلو من أن تثمر، فكذلك من أخرج صدقة لوجه الله تعالى لا يضيع كسبه قليلا كان أو كثيرا ".(٧)

ومن هنا يرجع الحسن في هذا الحذف ( فطل ) إذ إنه زاد العبارة امتلاء وقوة لتعدد المعاني المستنبطة منه.

وإذا أنعمنا النظر في المثل الثالث للإنفاق فإننا سنجد خيوطا متقابلة بينه وبين المثل

---

(١) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز: جـ٢، ص: ٢٣١

(٢) الطباطبائي، محمد حسين: مفسر إيراني معاصر.

(٣ ) الميزان في تفسير القرآن: جـ٢، ص: ٣٨٦

(٤ ) جامع البيان،: جـ٣،ص: ٤٥

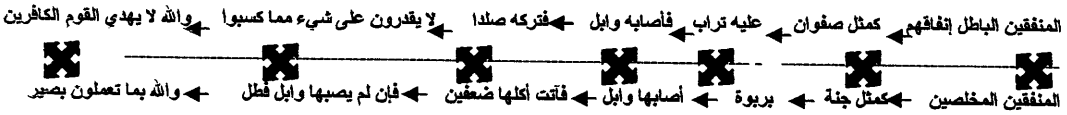
(٥ ) التفسير الكبير، جـ٧، ص:٤٧

(٦) روح المعاني: جـ٣/ ٣٥

(٧) الرازي، التفسير الكبير، جـ٧، ص:٥١

الثاني للإنفاق ـ مثل الصفوان ـ الذي سبقه، كما أن هناك خيوطا متوازية بينه وبين المثل الأول للإنفاق ـ مثل الحبة التي أنبتت سبع سنابل ـ مثال ذلك:

أولا: توضيح العلاقة التقابلية الرابطة بين ( مثل الجنة بربوة، والصفوان )



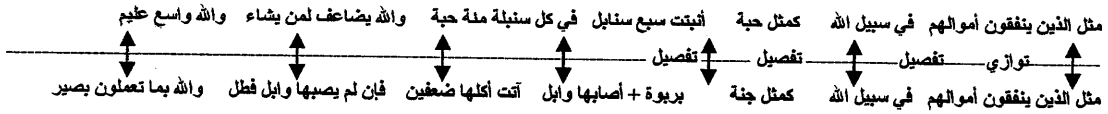

توجد علاقة تضاد تربط نسيج المثلين، ناتجة عن ثنائيات متضادة وبنى متقابلة متناظرة من حيث المعنى واللفظ، وذلك بهدف إبراز المعنى وتجليته ولترسيخه في نفس السامع وعقله فينطبع به سلوكه.

ونلاحظ بين البنى المتقابلة بنيتين متوازيتين من ناحية الشكل الخارجي ( فأصابه وابل/ في المثل الثاني = فأصابها وابل / في المثل الثالث ) وعند سبر أغوار المعنى والتأمل فيها يتبين التضاد المعنوي بين البنيتين فالفاء في﴿ فأصابه وابل ﴾ كفيلة بقلب موازين الشكل الخارجي للتشاكل فقد خصصت هذه الفاء الجملة ببعد زماني حيث إنها أفادت التعقيب والترتيب، فأوحت بالفترة الزمنية لتجمع التراب على الصفوان إلى أن تكونت منه كمية يحسبها الرائي أرضا طيبة للزراعة، ثم مدة الوقت إلى أن هطل الوابل ـ ومعلوم ندرة الأمطار وتباعد فتراتها في المنطقة العربية ـ وهذا المعنى لا يكاد يرى في ﴿ أصابها وابل ﴾ لأن حذف حرف العطف هذا أفاد السرعة والاتصال المباشر بين الأرض الرابية والمطر، كما أفاد كثرة سقوط الأمطار وتعاهدها باستمرار على هذه الربوة ، وظهور أثرها سريعا بثمار مضاعفة ناضجة وهذه السرعة في النمو والإثمار أفادها حرف العطف ( الفاء ) في ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ مما يدل على تشكل معنى حرف العطف ( الفاء ) بتنوع السياق الوارد فيه.

وفي قفل الآيات تقابل معنوي كذلك فقوله﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ فيه إنذار ووعيد بعدم قبول صدقات هؤلاء وعدم مجازاتهم عليها، أما قوله ﴿ والله بما تعملون بصير﴾ ففيه طمأنة لقلوب المخلصين بأن الله يُوفي كلا حقه على حسب إخلاصه في إنفاقه، وتثبته لمواضعها وصدقه، بدون ظلم أو إنقاص فهو لا يغيب عن علمه شيء.

وبنظرة شاملة نرى أن المثلين يعبران عن مشهد كامل مؤلف من منظرين متقابلين شكلا وموضعا وثمرا، وفي كل منظر جزئيات يتسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم والعرض، و مع ما تمثله من المشاعر والمعاني التي ترسم المنظر كله لتمثيلها وتشخيصها وإجلائها.

ثانيا: توضيح العلاقة النسيجية المترابطة بين ( مثل الجنة بربوة ، ومثل الحبة التي أنبتت سبع سنابل ).




وبالنظر في المثلين نلاحظ وجود بنى ملتحمة يربطها خيط رفيع لتوسيع وتوضيح وتفصيل الصورة الأولى ليتم استيعاب جميع جزئياتها. ويصل التطابق إلى ذروته بين البنى اللفظية والمعنوية في قوله ( كمثل حبة ) في المثل الأول و( كمثل جنة بربوة ) في المثل الثالث، وفي قراءة الجحدري (١) ( كمثل حبة ) ليتم التطابق، وهنا يرسخ الله " الدستور الرباني في الصدقة والتكافل الاجتماعي " (٢) فالمال مال الله والرزق رزقه، كما أن الحبة والجنة هي ملك الله أوجدتها قدرته، فتعاونت قوى كونية عديدة في إيجادها من شمس وأرض وماء، وهواء وكلها من ملكه وفي ملكه.

وبين قفلي المثلين تواز معنوي كذلك، فقوله ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ يوازي ﴿ والله واسع عليم ﴾ في توسيع وإيضاح المعنى، فهو عليم بالنيات ويثيب عليها ولا تخفى عليه خافية، وهو بصير يجازي كل منفق على حسب إخلاصه وتثبته وصدقه في إنفاقه.

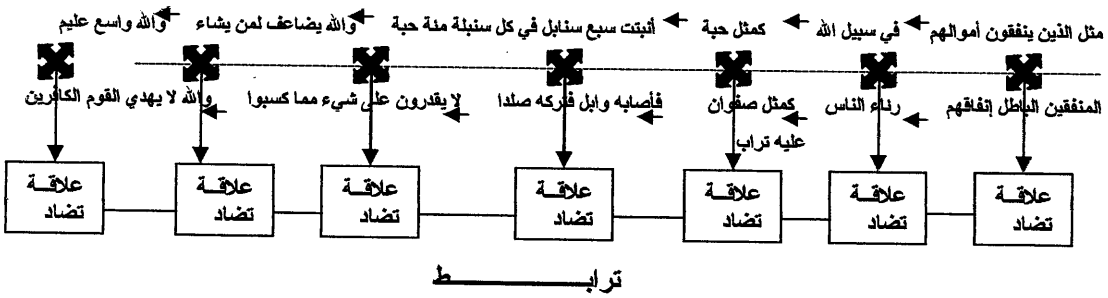
---

(١) كامل بن طلحة الجحدري، أبو يحيى ( ١٤٥هـ/ ٧٦٢م - ٢٣١هـ/٨٤٥م ) من رجال الحديث، ولد في البصرة، وهو ثقة عند بعض المحدثين.

الزركلي، الأعلام:جـ ٦، ص: ٦٩

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن: جـ١، ص:٣٠٨

وبعد فهذه الأمثال الثلاثة كالشبكة الواحدة المترابطة التي تتداخل بناها وتتقابل وتترابط وتتوازى فتتكامل بنسج محكم النظم، تبدأ بمدخل وتنتهي بقفل، وتدور في فكر واحد يُعالج قضية الإنفاق بطريقة منطقية ملموسة مصحوبا بالشواهد العقلية والبراهين المقنعة .




**********

## المبحث السادس: من الأمثال القصصية

الأمثال القصصية الواردة في القرآن حوالي خمسة أمثال، اخترت منها واحدا ليكون أنموذجا لباقيها.

### قصة ( صاحب الجنتين ):

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾ (١)

### التراكيب النحوية ودلالاتها:

تشيع الجمل الفعلية على النسق التركيبي لهذا المثل القصصي ( اضرب ... ، جعلنا ... حففناهما.....، آتت....، فجرنا....، دخل جنته...، ما أظن....تبيد..، رددت...، قال...، أكفرت.. خلقك...، سواك...، أشرك..الخ ) .

وقد تنوعت هذه الجمل فبعضها له محل من الإعراب:

**وقعت وصفا:**

فجملة: ( جعلنا.....) صفة لرجلين في محل نصب، أو لا محل لها من الإعراب على أنها استئناف بياني، " أو أنها جملة تفسيرية لـ ( مثلا ) " (٢) .
( ينصرونه ..... ) صفة لفئة في محل رفع.

---

(١) سورة الكهف:٣٢- ٤٤

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٤، ص: ٤٥٤.

**أو وقعت خبرا:**

( آتت ... ) في محل رفع خبر المبتدأ ( كلتا ).
( يحاوره ... ) في محل رفع خبر المبتدأ ( هو )، يقول الألوسي: " ( وهو ) أي القائل ( وهو يحاوره ) والجملة في موضع الحال من الفاعل، وجوز أن تكون الجملة حالا من صاحبه فضمير ( هو ) عائد عليه، وضمير صاحبه عائد على القائل، أي والصاحب المؤمن يراجع بالوعظ ..... الكافر القائل به أنا أكثر منك مالا " (١)
( هو الله ربي ... ) في محل رفع خبر المبتدأ ( أنا ).
( الله ربي.... ) في محل رفع خبر المبتدأ ( هو ).

**أو حالا**
( حففناهما ... ) في محل نصب حال من جنتين بتقدير ( قد ) وقد تكون الواو عاطفة فتكون الجملة معطوفة على جملة ( جعلنا ).
( وهو يحاوره ... ) في محل نصب حال.
( وهو ظالم ... ) في محل نصب حال من فاعل دخل، أو هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، يقول الرازي: " وهو اعتراض وقع في أثناء الكلام، والمراد التنبيه على أنه لما اغتر بتلك النعم وتوسل بها إلى الكفر والجحود لقدرته على البعث كان واضعا تلك النعم في غير موضعها" (٢) أو هي جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، أي لسبب الظلم.
( وهو يحاوره... ) في محل نصب حال، فائدتها التنبيه من أول الأمر على أن ما يتلوها كلام مُعتنى بشأنه مسوق للمحاورة" (٣).
( هي خاوية .. ) في محل نصب حال من الضمير في ( فيها ) .

**أو مقول القول:**
( ما أظن .. ) في محل نصب مقول القول.
( كفرت ... ) في محل نصب مقول القول.
( ما شاء الله ) في محل نصب مقول القول، وجواب الشرط محذوف تقديره كان أو وقع. هذا إذا اعتبرنا ( ما ) اسم شرط جازم، أما إذا اعتبرناها اسم موصول فجملة ( شاء الله ) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.(٤)
( ليتني لم أشرك ... ) في محل نصب مقول القول.

---

(١) روح المعاني: جـ١٥، ص: ٢٧٥
(٢) التفسير الكبير: جـ٢١، ص: ١٠٧
(٣) الألوسي، روح المعاني ، جـ١٥، ص: ٢٧٦
(٤) محمود صافي، الجدول: م: ٨، جـ١٥، ص: ١٤٩

وجمل لا محل لها من الإعراب:

( اضرب...) لا محل لها استئنافية.

( كلتا الجنتين آتت ... ) لا محل لها استئناف بياني، أو معترضة بين الجمل المتعاطفة" (١)

( كان له ثمر .. ) لامحل لها استئنافية .

( قال .... ) لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.

( دخل جنته.. ) لا محل لها معطوفة على جملة ( كان له ثمر ).

( قال ... ) لا محل لها استئناف بياني، قال الألوسي: " هذا استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك؟ فقيل: قال: ﴿ ما أظن أن تبيد هذه أبدا ﴾.

( تبيد ... ) لا محل لها صلة الموصول ( أن )

( أجدنّ ) لا محل لها جواب القسم، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم.

( قال له صاحبه... ) لا محل لها استئناف بياني.

( لكن أنا هو ... ) لا محل لها استئناف في حيّز القول (٢)

(لا قوة إلا بالله) لا محل لها استئناف في حيز القول.

( إن ترن .... ) " لا محل لها استئناف في حيز القول... والجواب آت"(٣). ويقول ابن عاشور: " هذه جملة ابتدائية رجع بها عن مجاوبة صاحبه عن قوله ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ " (٣)

( يؤتيني ) لا محل لها صلة الموصول الحرفيّ ( أن ).

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٥، ص: ٣١٨

(٢) محمود صافي، الجدول: م: ٨، جـ١٥، ص: ١٥٣

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٥، ص: ٣١٨

( يرسل .. ) لا محل لها معطوفة على جملة يؤتين .

( تصبح ... ) لا محل لها معطوفة على جملة يرسل.

( يُصبح .. ) لا محل لها معطوفة على جملة تصبح.

( لن تستطيع ... ) لا محل لها معطوفة على جملة يصبح ماؤها.

( أحيط .... ) لا محل لها استئنافية.

( أصبح ... ) لا محل لها معطوفة على الاستئنافية.

( لم تكن له فئة ..... ) لا محل لها استئنافية.

( ما كان منتصرا .... ) لا محل لها معطوفة على الاستئنافية، ويجوز أن تكون حالا من ضمير الغائب في ( ينصرونه ).

( هنالك الولاية ..... ) لا محل لها استئنافية.

( هو خير..... ) لا محل لها تعليلية. (١)

أما شبه الجملة فكانت مواقعها على النحو الآتي:

( لهم ) من قوله ﴿ واضرب لهم .. ﴾ : متعلق بـ ( اضرب ).

( لأحدهما ) : متعلق بمحذوف مفعول ثان لـ ( جعلنا ).

( من أعناب ) : متعلق بمحذوف نعت لجنتين.

( بنخل ) : متعلق بـ ( حففناهما ).

( له ) من قوله ﴿ وكان له ثمر .. ﴾ متعلق بـ ( خبر كان )

( منك ) من قوله ﴿ أنا أكثر منك... ﴾: ( من ) حرف جر، و( الكاف ) ضمير في محل جر متعلق بـ ( أكثر ).

( لنفسه ): متعلق بظالم، أو حال من الضمير في ( ظالم ) أي، ظالم قائلا لنفسه..(٢)

أو مفعول ( ظالم ) واللام مزيدة فيه لكون العامل فرعا(٣) .

(لله ) من قوله ﴿ لا قوة إلا بالله ﴾ جار ومجرور متعلق بخبر ( لا ) في قوله ( ولا أشرك بربي أحدا ).

و( له ) من قوله ﴿ فلن تستطيع له طلبا ﴾ متعلق بـ ( طلبا ) أو بحال من ( طلبا ) .

و( منك ) من قوله ﴿ أنا أقل منك مالا.. ﴾ متعلق بـ ( أقل ).

---

(١) محمود صافي، الجدول: م:٨، ـ ١٥، ص: ١٥٨

(٢) انظر: المرجع السابق: م: ٨، جـ١٥: ص: ١٥٥

(٣) السمين الحلبي، الدر المصون: جـ٤، ص: ٤٥٤

( وله ) من قوله ﴿ ولم تكن له فئة ... ﴾ متعلق بخبر مقدم لـ ( تكن ) .

( لله ) من قوله ﴿ هنالك الولاية لله الحق ﴾ متعلق بحال من الولاية عامله الاستقرار(١)

**********

لم تخل الأمثال القرآنية من العروض التمثيلية التي صيغت في قالب قصصي حواري له مقومات القصة من شخصيات وأحداث وصراع وزمان ومكان وحل، ومراوحة بين السرد والوصف التقريري والحوار الثنائي والذاتي، إلا أن الأمثال القصصية لم يُصرح فيها بذكر أسماء الشخصيات والأماكن والأزمان، وذلك لصلاحيتها لكل جيل من الناس، ولكل زمان ومكان.

وقد ذكر الطبري وابن عطية والقرطبي، أن هذا مثل مضروب لعيينة بن حصن (٢) وأصحابه حين قالوا لرسول الله ( ﷺ) لو أبعدت هؤلاء عن نفسك لجالسناك ولصحبناك، يريدون عمار بن ياسر(٣) ، وصهيب بن سنان(٤) ، وسلمان الفارسي(٥) وبلالا (٦)، وابن مسعود وغيرهم من الفقراء وقالوا: إن ريح جبّاتهم تؤذينا " (٧) فيقول الله تعالى لنبيه: واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الذين سألوك أن تطرد فقراء المؤمنين ﴿ الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ (٨) مثلا مِثْلَ رجلين.... فالمثل مضروب للطائفتين ( المؤمنين، والكافرين ) إذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بإزاء متجبري قريش، والرجل المؤمن هو بإزاء عمار بن ياسر وبلال....الخ تنبيها على أن متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الغني فقيرا والفقير غنيا، وأن الفخر بين الناس بالتقى والعمل الصالح.
فهو إذا مثل مضروب لجميع من آمن بالله، وجميع من كفر واغتر بزينة الحياة الدنيا، وتجبّر ونسي فضل الله عليه وقدرته.

---

(١) محمود صافي، الجدول: م:٨،جـ١٥، ص: ١٥٨
(٢) عيينه بن حصن: لم أجده في كتب التراجم
(٣) عمار بن ياسر الكنعاني القحطاني،( ٥٧ ق هـ / ٥٦٧ م ت ٣٧هـ / ٦٥٧م ) صحابي، وهو من السابقين إلى الإسلام والجهر به، وهو أول من بني مسجدا في الإسلام ( مسجد قباء ) . الزركلي، الأعلام : جـ ٥، ص: ١٩٢.

(٤) صهيب بن سنان بن مالك من بني النمر بن قاسط ( ٣٢ق هـ / ٥٩٢ - ٣٨ هـ / ٦٥٩م ) صحابي، وهو أحد السبقين إلى الإسلام، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها. له ٣٠٧ أحاديث. توفي في المدينة وكان يُعرف بصهيب الرومي. الزركلي، الأعلام: جـ ٣، ص: ٣٠٢.
(٥) سلمان الفارسي ( ٠٠٠هـ / ٠٠٠م - ٣٦هـ / ٦٥٦م ) صحابي، أصله من أصبهان، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب. كان عالما قرأ كتب الفرس والروم واليهود والعرب. له في كتب الحديث ٦٠ حديثا . الزركلي، الأعلام: جـ ٣، ص: ١٦٩.
(٦) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله ( ٠٠٠هـ / ٠٠م - ٢٠هـ / ٦٤١م ) مؤذن رسول الله ( ﷺ) وخازنه على بيت ماله، أحد السابقين إلى الإسلام. روى له البخاري ومسلم ٤٤ حديثا. الزركلي، الأعلام: جـ ٢، ص: ٤٩
(٧) ابن عطية، المحرر الوجيز: جـ٣، ص: ٥١٢، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: جـ٥، ص: ٢٨٩
(٨) سورة الكهف: ٢٨

وتقوم بنية المثل على ثنائيات ضدية ( الله/ الإنسان ) ( الكفر/ الإيمان ) ( الجزاء/ العقاب )( الجنة / النار ) ( النماء والازدهار/ الدمار والبور ) ( حسن العاقبة/ سوء العاقبة ) .

وقد كان لهذه الثنائيات دور في إبراز نموذجين للنفس الإنسانية، النفس المعتزة بزينة الحياة الدنيا، والنفس المعتزة بالله، وكان لها دور كبير في تجسيد المعاني من صورها الذهنية التجريدية .

وقد ضُرب المثل بقصة الرجلين، لأن" كليهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة... وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لربه، ويرى النعمة دليلا عل المنعم، وموجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره" (١).

وقد استثمر القرآن الكريم المقومات الفنية للقصة والمسرحية؛ وذلك للتأثير الوجداني " فخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية " (٢) ، وقد جسدت الأفعال الماضية ( جعلنا ، حففناهما، آتت، فجرنا، سواك، قلت، أصبح، أنفق، أحيط ) والمضارعة ( تبيد لأجدن، يحاوره، يؤتيني، يرسل، يقلب، يقول) المشاهد أمام القارئ، كما أوحت بزمان وقوع الأحداث كالفعل ( أصبح ) وأماكنها كـ( ودخل جنته )، هذا إضافة لتفعيل المثل وجعله مشهدا مسرحيا متجسدا بالصوت والصورة، كالفعل ( يقلب ) لما فيه من صوت وصورة مجسدة للندم والحسرة، والفعل ( قال ، يحاوره، قلت ) حوار وصوت له دور في " القفز بين المشاهد مع حذف السرد تكثيفا للمشهد الفاعل المؤثر" (٣)

وقد امتاز هذا المثل بالإسهاب والإيجاز، ففي تصوير بهجة الجنتين، وذكر المحاورة بين الصاحبين كان هناك توسع وإطناب لارتكاز أحداث القصة عليهما، أما في وصف هلاك الجنة والعذاب الذي حلّ بصاحبها، فكان هناك إيجاز مركز في اقتناص الإشارة المعبرة عما هو مؤثّر، والقفز فوق الأحداث الفرعية غير المؤثرة.

و يبدأ المثل بصيغة الأمر ( اضرب ) بمعنى سيّر ومَثّل، وهي للتنبيه على أهمية ما ضُرب المثل له، وفيها زجر لفعل الكافرين والمتكبرين المزهوين بنعمة الله، المتعالين بها على خلقه، وهو أمر موجه للنبي (ﷺ) على حذف مضاف تقديره " واضرب لهم مثلا قصة

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن:جـ ٤، ص: ٢٢٧٠
(٢) سيد قطب، التصوير الفني : ١٤٣
(٣) كاظم الجواهري، بدائع الإضمار القصصي: ٧٥

رجلين، أو واضـرب لهم مثلا مـِثْـل رجليـن، أو واضرب لهم مثلا حالا عجيـبة أو صفة غريبة ... " (١) .

وفي إسناد ضمير ( نا الفاعلين ) إلى الفعل ( جعل ) في قوله تعالى: ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ دلالـة علـى عظم الخـالق وفـضله، وتمننـه فـي تقـدير وخلـق أسـباب الجنتـين، ولـم يُـعين المخصوص بالجنتين ولم يُذكر اسمه لبعده عن الفائدة الوعظية في السياق القرآني.
والجنـة، البستان يستر بما فيه من الأشجار المتشابكة الكثيفة من يدخله، وقصد بالجنتين بستانين، أو كما قال السيوطي: " كان لـه بستان واحد وجدار [ سور نخيل ] واحد، وكان بينهما نهر ولذلك قال جنتين " (٢).
وقد وُصِفت الجنتين بأروع وصف فهما من عنب، أي من كروم عنب تُـحيط بهما النخيل من جميع الأطراف، وقد مُـلئت أرضهما بالزروع المختلفة، فجاءتا بساطا أخضر موشيا بأروع الألوان وألذ الأطعمة، يقول السّـعدي (٣):" في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصا أشرف الأشجار العنب والنخيل. فالعنب وسطها، والنخيل قد حف بذلك ودار به، فحصل به من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخيل للشمس والرياح، التي تكمل لها الثمار، وتنضج وتتجوهر، ومع ذلك جُـعل بين تلك الأشجار زرعا..." (٤) ، وذكِر الزرع لتكون الجنتين جامعتين للأقوات والفواكه" ومتواصلة العمارة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق" (٥).

( كلتا ) في قوله ( كلتا لجنتين آتت أكلها ) " اسم مفرد اللفظ، مثنى المعنى عند البصريين وهو المذهب المشهور، ومثنى اللفظ والمعنى عند البغداديين، وتاؤه منقلبة عن واو عند سيبويه، فأصله ( كلوى ) فالألف فيه للتأنيث" (٦) ، يقول ابن هشام: " كلا وكلتا، مفردان لفظا مثنيان معنى، مضافان أبدا لفظا ومعنى إلى كلمة واحدة معرفة دالة على اثنين، إما بالحقيقة والتنصيص نحو ( كلتا الجنتين ) وإما بالحقيقة والاشتراك نحو ( كلانا )...أو بالمجاز..( وَكِلا ذلك وَجْهٌ وَقَبَلْ )(٧) .... ويجوز مراعاة لفظ ( كلا، وكلتا ) في الإفراد نحو: ﴿ كلتا الجنتين

---

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م: ٦، ص: ١١٨، الألوسي، روح المعاني: جـ ١٥، ص: ٢٧٣
(٢) الدر المنثور: جـ٥، ص: ٣٩٠
(٣) عبد الرحمن بن ناصر السّعديّ ( ١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ ) مفسر له تفسير ( تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ) ( مقدمة المحقق: عبد الرحمن اللويحق لتفسير تيسير الكريم الرحمن) .
(٤) تيسير الكريم الرحمن: جـ١٥، ص: ١٠٥
(٥) الزمخشري، الكشاف: جـ٢، ص: ٦٧٣
(٦) انظر: أبو حيان، البحر المحيط: م٦، ص: ١١٨، والألوسي، روح المعاني: جـ١٥، ص: ٢٧٤
(٧) البيت لعبد الله بن الزبعري، من بحر الرمل، ومطلعه ( إنّ للخير وللشرّ مَدَىً ) والبيت في ديوانه: ٤١، وفي ابن هشام، مغني اللبيب: جـ١ ،ص: ٤٠٣

آتـت أكلها ) ومراعاة معناهما، وهو قليل، وقد اجتمعا في قول الفرزدق(١) [ البسيط]:

كِـلاهُـما حِـيْنَ جَدّ السّـيْـرُ بَـيْـنَـهُـمَـا  قَـدْ أقْـلـعا، وكِـلا أنْـفَـيْـهما رابِـيْ.(٢)

والشاهد:( كلاهما .... قد أقلعا ) وقوله ( وكلا أنفيهما رابي ) حيث راعى في ( كلا ) اللفظ مرة والمعنى مرة، ففي الأول أعاد الضمير مثنى مراعاة للمعنى، وأعاده في الثانية مفردا مراعاة للفظ" (٣) .

ولأن مراعاة النظير أكثر، أفرد الفعل في ( آتت أكلها ) وأيضا فإن" ( كلتا ) في توكيد الاثنين نظير ( كُـلْ ) في الجموع. وقرأ عبد الله بن مسعود ﴿ كـُلّ الجنتين آتى أكله ﴾" (٤).

و( كلتا ) اسم دال على الإحاطة والشمول، أي كل شيء في الجنتين آتى أكله كاملا، من حَبٍّ وثمر ومحصول... وعطف على هذه الجملة قوله ﴿ ولم تظلم منه شيئا ﴾ تأكيدا على تمام ريعها وجودته، يقول البقاعي: " آتت أكلها، أي ما يُطلب منها ويُؤكل من ثمر و حَبٍّ ، كاملا غير منسوب شيء منها إلى نقص ولا رداءة" (٥) ، و( مِنْ ) هنا للتبعيض، أي إنها لم تنقص ولو جزءا بسيطا من رزقها على خلاف ما يُعهد من سائر البساتين، فإن الأشجار غالبا تكثر ثمارها في عام وتقل في عام.

والفعلان ( آتت، تظلم ) فيهما تشخيص للجنتين فهما كإنسان كريم جواد، يعطي ويهب كل ما يملك بسخاء وبدون نقصان، وفيهما دلالة على طواعية الأرض وطيب المنبت وخصبه، وفضل الله وتيسيره الرزق لهذا الرجل الذي ملك واستحكم فكأنه ذو حق. وواجب على الجنتين الإيتاء بغلتهما وافرة كاملة له، وإلا يكون كمن حُـرِمَ حقّـه وظُـلم.

واختير التعبير بـ ( تظلم ) في معنى " النقص والمنع" (٦) ، للتعريض بظلم صاحب الجنتين لنفسه " وللتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر" (٧).

وبعد هذا الوفاء بالأكل " وتمام الإثمار من غير نقص وصفت الجنة بما هو أصل الخير ومادته" (٨) وهو الماء المتفجر النابع من الأرض" وتشديد ( فجّرنا ) للمبالغة في سعة

---

(١) أبو فراس همام، ابن غالب، وكنيته أبو الأخطل، وابن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان. (ت: ١١٠ ) شاعر معروف، وهو صاحب جرير، وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو مشهور، وقد جمع لهما كتاب يسمى ( النقائض ). ابن خلكان، وفيات الأعيان: جـ٦، ص: ٨٦- ١٠٠

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه، وفي ابن هشام، مغني اللبيب: جـ١، ص: ٤٠٤

(٣) مغني اللبيب: جـ١، ص: ٤٠٤

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : م: ٥، ص: ٢٩١

(٥) نظم الدرر:جـ١٢،ص: ٥٨

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ٤، ص: ٢٢٧٠

(٧) المرجع السابق: الصفحة نفسها

(٨) الزمخشري، الكشاف: جـ٢، ص: ٦٧٤

التفجير لأن النـهـر ممتد فكأنه أنهار" (١) ، فهو نهر ممتد متشعب، له جداول وروافد تدوم بها طراوة الأرض وتستغني بها عن المطر لتوفر سقياها.

والظرف ( خلالهما ) أي وسطهما، وقد فُـصِل به بين الفعل ( فجرنا ) والمفعول بـه ( نهرا ) كما فصل بين الجنتين، فهو يتدفق من أرضهما ويتفجر من أعماق وسطهما مما يدل على غنى الأرض وخصبها وقابليتها للإنبات، ولذلك أخِّر ذكر السقي في قوله ﴿ وفجرنا خلالهما نهرا ﴾ على ذكر الإثمار وإيتاء الأكُـل " للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكُـل وتفجر النهر فليسا مترتبين على بعضهما، فالإثمار لا يتوقف على السقي كقوله:﴿ يكاد زيتها يضيء ﴾(٢) لقابلية الأرض للإنبات واستعدادها وخصبها وغناها، وفيه دلالة على أن ذكر النهر إنما ذكر لتكميل محاسن الجنتين (٣).

وفي قوله ﴿ وكان له ثمر ﴾ تأكيد ثان على إثمار الجنتين وجودة إنتاجهما، كما أن فيه تفخيم وتضخيم لممتلكات هذا الرجل، فالثمر جمع ثمرة، وهو يشمل أنواعا متعددة من الرزق والمال والذهب والفضة والثمر والأولاد والأنعام....الخ، فقد كان له"مال مثمر غير ما تقدم كثير، ذو أنواع ليكون متمكنا من العمارة بالأعوان والآلات وجميع ما يريد" (٤).
وفي تقديم الخبر ( له ) على المبتدأ ( ثمر ) دلالة على ملك هذا الرجل وسيطرته على رزق الجنتين، واختصاصه بخيرهما.

وعن حرف العطف ( الفاء ) تتفرع جملة ﴿ قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ إذ إن ما سبق من سرد وصفي لنعيم الجنتين كان " من شأنه أن ينشأ عنه غرور بالنفس " (٥)، فجاءت الجملة نتيجة مترتبة على ما سبقها من أوصاف ومتعاطفات.
وضمير ( هو ) في قوله ﴿ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ إما أن يعود على صاحب الجنتين الكافر الجاحد بأنعم الله، أو يعود على المؤمن الذي يحاوره ويجادله ليبين فضل الله عليه. والظاهر عود الضمير على الكافر إلا أن الأولى هو عود الضمير على المؤمن لأن المحاورة من حار بمعنى ( رجع ) فالمؤمن يحاول أن يرجع صاحبه إلى الطريق القويم والإيمان بالله. وفي الفعل ( يحاوره ) تعريض بأهمية الحوار في الدعوة إلى الله والوعظ والإقناع.

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط: جـ٤، ص: ١٨١، الألوسي، روح المعاني: جـ١٥، ص: ٢٧٤
(٢) سورة النور: ٣٥
(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ١٥، ص: ٢٧٤
(٤) الطبري، جامع البيان: جـ١٥، ص: ١٥١
(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٥، ص: ٣١٩

وقوله ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ " نظير قول المشركين لرسول الله (ﷺ): " نحن سادات العرب، وأرباب المال، فنحّ عنّا فقراء المسلمين في مجلسك." (١)

وصيغة ( أفعل ) في قوله ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ تدل على أن المؤمن لم يكن فقيرا وإنما كان مقتدرا، ولكن الكافر كان أكثر منه مالا وشرفا، والمفاخرة بالمال والأهل مظهر اجتماعي على عادة الكفار في الجاهلية حين كانوا يُفاخرون بما نالوه من متاع الدنيا.

وقد كان للمحاورة والتصريح بالفعل ( فقال ) بعد وصف نعيم الجنتين أثر في تكثيف أحداث المشهد وإيجاز السرد، وبذلك تم التركيز على المشهد الفاعل المؤثر للوصول إلى العبرة من القصة.

وأفرد لفظ ( الجنة ) في قوله ( ودخل جنته ) بعد التثنية ( جعلنا لأحدهما جنتين...كلتا الجنتين... وفجرنا خلالهما نهرا ... ) ليُوافق معنى السياق أي " ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها، يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما" (٢) أو أفرد" لإرادة الجنس، ودلالة على ما أفاده الكلام من أنهما لاتصالهما كالجنة الواحدة" (٣).

وجملة ( وهو ظالم لنفسه ) جملة حالية ممهدة لما سيأتي بعدها من جحود وإنكار كان سببا في دخول صاحبها النار، فلذلك عُبّر بقوله ( ظالم لنفسه ).

وفي استخدام المصدر المؤول ( أن تبيد ) دلالة على استمرار بقاء الجنة زاهرة وافرة إلى الأبد غير المنقطع" وهذا اغترار منه بما لتلك الجنة من وثوف الشجر وقوته وثبوته واجتماع أسباب نمائه ودوامه حوله، من مياه وظلال " (٤).

والجملة الفعلية ( قال ما أظن .... ) استئناف بياني مبني على سؤال مضمر في البنية العميقة، فكأن سائلا يسأل، ماذا قال بعد دخوله جنته؟ وهو حوار مبني على موعظة المسلم وتذكيره بفناء الدنيا وتذكيره بالآخرة ولذلك " انتقل من الإخبار عن اعتقاده دوام تلك الجنة إلى الإخبار عن اعتقاده بنفي قيام الساعة، ولا تلازم بين المعتقدين، ولكنه أراد التورك على صاحبه المؤمن تخطئة إياه، ولذلك عقب بقوله ﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان: جـ١٥، ص: ١٦١

(٢) الزمخشري، الكشاف: جـ ٢، ص: ٦٧٤

(٣) البقاعي، نظم الدر:جـ٢٢،ص: ٥٩

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١٥، ص: ٣٢١

منـها منقلبا ﴾ تهكما بصاحبه.... وأكد كلامه بلام القسم ونون التوكيد مبالغة في التهكم " (١) وأُفْـرد الضمير ( منها ) في قولـه ﴿ لأجدن خيرا منها ...﴾ العائد على الجنتين ﴿ جعلنا لأحدهما جنتين ﴾ تناسبا مع قوله ﴿ ودخل جنته ﴾ وقوله ﴿ أن تبيد هذه.. ﴾ ولعود الضمير على أقرب مذكور والإفراد أقرب من التثنية .

ومدار التكبّـر والتعالي والكفر، هو اعتقاد صاحب الجنتين الكافر أن الله أولاه وأكرمه بما أعطاه في الدنيا " لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه " (٢) وهو اغترار وفهم خاطئ، لأن ما آتاه الله من مال وولد ورزق هو اختبار له في هذه الدنيا، ليُـرى أيشكر أم يكفر.
وجملة ( وهو يحاوره ) " حالية مسوقة بغرض التنبيه على أهمية ما يتلوها، وأن ما يتلوها كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة " (٣) والجدل المنطقي الوجداني الذي يصل للقلب ويهز العقل والضمير معا.
والمحاورة بالفعل ( قال ) بدون عطف في قوله ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي..﴾ " للدلالة على أنه واقع موقع المحاورة والمجاوبة" (٤) ، والاستفهام في قوله ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب .... ﴾ هو للتقرير على سبيل الإنكار، وليس على الحقيقة لعلم المؤمن بإشراك صاحب الجنتين سابقا، بدليل التعريض في قوله تعالى ﴿ ولا أشرك بربي أحدا ﴾، والمراد بالكفر هنا الإشراك، كما أن مضمون الصلة ﴿ خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ﴾ فيه تعـريض بجهـل المُـخاطب وإنكـاره للبعـث، فجـاءت الـصلة مقنعـة مفـسرة لأمـر البعث، الذي" عُـرّف بطريقة الموصولية، لأن مضمون الصلة من شأنه أن يصرف من يدركه عن الإشراك بـه... ثم إن العلم بالخلق الأول من شأنه أن يصرف الإنسان عن إنكار الخلق الثاني" (٥)

وأكـد المـؤمن إيمانـه بـالله تعـالى بمؤكـدات أربعـة هـي: " الجملـة الاسمية ﴿ هو الله ربي ﴾، وضمير الشأن ( هو )، وتعريف المسند والمسند إليه ( الله ربي ) المفيد قصر صفة ربوبية الله على نفس المتكلم، وما القصر إلا توكيد مضاعف، ثم بالتوكيد اللفظي للجملة بقوله ( ولا أشرك بربي أحدا ) " (٦).

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١٥، ص: ٣٢٠
(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ١٥، ص: ٢٧٦
(٣) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ ١٥، ص: ٢٧٦
(٤) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير:جـ١٥، ص: ٣٢٠
(٥) المرجع السابق: جـ١٥، ص: ٣٢٠
(٦) انظر: المرجع السابق: جـ ١٥، ص:٣٢٢

" وقد قُـدّم الظرف ( إذ ) على المحضض عليه ( قلت ما شاء الله ..) للتوسع في الظرف وللدلالة على تحتم القول بـ ( ما شاء الله .... ) " (١) في حين الدخول إلى مثل هذه الجنة ورؤية مباهجها. و" لولا جاءت للتوبيخ على ترك القول، وللحض على الاعتراف بقدرة الله ومشيئته في إيجاد الأشياء وإبقائها "(٢) وإقرار بعجز الإنسان عن تدبير وعمارة مثل هذه الجنة إلا بمعونة الله تعالى، والنفي في قوله ( ما شاء الله ) بـ ( ما ) التي إما أن تكون: موصولة مبتدأ و( شاء الله ) صلتها والخبر محذوف، أو هي خبر لمبتدأ محذوف، أي الأمر ( ما شاء الله ).

وإما شرطية مفعول للفعل ( شاء ) والجواب محذوف أي ما شاء الله كان. (٣)

وفي ( لا قوة إلا بالله ) دلالة على عموم النفي لكل قوة إلا لله وحده، كما أن فيه تخصيص القوة لله وحده.

وضمير الفصل ( أنا ) في قوله ( إن ترن أنا ) توكيد للضمير المنصوب على المفعولية في ( ترن ) لإبراز ذات المؤمن ، وإظهار قوة ذاته وعزته المستمدة من ثقته بالله وتمسكه بحبله الذي لا ينقطع، وفيه إشارة إلى ترفعه عن صغائر الدنيا وبهرجتها التي ظهرت في التمييز في قوله ( مالا وولدا ) .

والفعل ( عسى ) أتى بمعنى الدعاء المتوقع لأن ( عسى ) لطلب الأمر القريب الحصول. والوصف بالمصدر( زلقا ) بمعنى أرضا مزلقة، أو زلاّقة " مبالغة في انعدام النفع بها، فتصبح أرضا محصودة ملساء لا نبت فيها ولا غرس، مسلوبة المنافع حتى نعمة المشي عليها." (٤) كما أن وصف الماء ( غورا ) بالمصدر بدلا من ( غائر ) " للمبالغة " (٥) وبيان شدة الخراب والعذاب.
وأكّد الرجاء في قوله ﴿ أو يصبح ماؤها غورا ﴾ بفاء التعقيب وحرف النفي ( لن ) المسلط على ( تستطيع له طلبا )، وجيء بالمضارع ( تستطيع ) للدلالة على استمرار العجز وعدم الاستطاعة، وبالمفعول ( طلبا ) للتعبير عن نفي استطاعة الوصول إلى الماء " فعُبّر عنه بنفي الطلب إشارة إلى أنه غير ممكن والعاقل لا يطلب مثله " (٦).

والفعل ( تُصبح، يُصبح، فأصبح ) إما أن يكونا بمعنى ( صار ) الدال على التحول من النعيم والرفاهية إلى الجحيم والعذاب، وإما أن يكون بمعنى وقت الصباح، وتقييد الخبر بالصباح أنكى، لأن المصابحة بالمصيبة أشد وطأة على النفس وآلم وقعا عليها.

ولم تُعطف جملة ( وأحيط ) بفاء التفريع على رجاء صاحبه المؤمن إذ لم يتعلق الغرض في هذا المقام بالإشارة إلى الرجل المؤمن" وإنما المهم التنبيه على أن ذلك حادث حـــلّ بالكـــافر

---

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني: جـ ١٥، ص: ٢٧٩

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.
(٣) ابن قتيبة، مشكل إعراب القرآن: جـ٢،ص: ٤١، والعكبري، التبيان: جـ٢،ص: ٨٤٨
(٤) الألوسي، روح المعاني، جـ١٥، ص: ٢١٨، وابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٥،ص: ٣٢١
(٥) المرجع السابق: الصفحة نفسها
(٦) روح المعاني: جـ١٥، ص: ٢٨١

على كفره ليعلم السامعون أن ذلك جزاء أمثاله وأن ليس بخصوصية لدعوة الرجل المؤمن "(١)

وجيئ بالفعل ( أحيط ) مبنيا للمجهول للتهويل، والترهيب وبيان عظم الهلاك وشموله، وللدلالة على سهولة الإحاطة وسرعة وقوعها، وتعليق الجار والمجرور بالفعل ( أحيط ) للدلالة على عموم الهلاك والدمار لكل أملاك الرجل الكافر من مال وزرع وولد .

والجار والمجرور ( على ما أنفق ) ظرف متعلق بمحذوف حال من ضمير ( يقلب ) أي، متحسرا نادما على ما أنفق فيها " والندم يكون على الأفعال الاختيارية، ويُعلم من هذا وجه تخصيص الندم على ما أنفق بالذكر دون هلاك الجنة" (٢)

و( خاوية ) بمعنى الفارغة من الشيء و ( على ) للاستعلاء، وأريد بها معنى السقوط في هذا السياق لتعلق ( على عروشها ) بها، أو لِكَوْن ( على عروشها ) في موضع الحال من ضمير ( خاوية ) " وهو تركيب أرسله القرآن للدلالة على الخراب التام "(٣) ويجوز أن تكون ( على ) بمعنى ( مع ) أي خالية من أهلها مع سقوط عروشها وتهدمها على بعضها.

ويظهر الحوار الذاتي الداخلي في قوله ﴿ يا ليتني لم أشرك بربي أحدا﴾ وهذا حكاية على تندمه على تكبره واغتراره بجنته وقدرته على عمارتها وكفره بالله وإشراكه به " وحرف النداء مستعمل في التلهف ، و( ليتني ) تمن مراد به التندم، وأصل قوله ( ياليتني ) أنها تنزيل للكلمة منزلة من يعقل، كأنه يخاطب كلمة ( ليت ) يقول : احضري فهذا أوانك... وهذا تندم على الإشراك فيما مضى، وهو يؤذن بأنه آمن بالله وحده حينئذ " (٤).

وينتهي المثل بتذييل ﴿ هنالك الولاية لله الحق ... ﴾ وفيه تأكيد لقوله تعالى ﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ﴾ وإيجاز وقصر؛ لتعريف المسند والمسند إليه وتخصيص الولاية والنصرة لله تعالى، واسم الإشارة ( هنالك ) إما أن يكون على أصله في الدلالة على البعيد ويقصد بذلك يوم القيامة أي في تلك الدار الآخرة، السلطان والملك لله لا يُغلب ولا يُمتنع منه، وتكون ( الولاية ) بالكسر بمعنى السلطان والملك، وهذا على قراءة حمزة والكسائي . وإما أن " يكون اسم إشارة المكان البعيد( هنالك ) مستعارا للإشارة إلى

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٥، ص: ٣٢٧
(٢) الألوسي، روح المعاني: جـ١٥، ص: ٣٢٧
(٣) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١٥، ص: ٣٢٧
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ١٥، ص: ٣٢٧

الحال العجيبة بتشبيه الحال بالمكان لإحاطتها بصاحبها، وتشبيه غرابتها بالبعد لندرة حصولها"(١) والمعنى في ذلك المقام وتلك الحالة الشديدة - خراب الجنتين - يتوب إلى الله ويلتجئ إليه كل مضطر، وهنا تكون ( الوَلاية ) بالفتح، بمعنى النُصرة على قراءة الجمهور. " فقوله ( ياليتني ... ) كلمة ألجئ إليها فقال جزعا مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقل ويجوز أن يكون المعنى ( هناك ) الوَلاية لله ينصر بها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم"(٢) كما فعل بالكافر صاحب الجنتين الذي خسر دنياه وآخرته والدليل على عدم قبول إيمانه هو قوله تعالى ﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ﴾ بعد قوله ﴿ يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ﴾ يقول الرازي: " هو ندم على الشرك لاعتقاده أنه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو إنما رغب في التوحيد والرد عن الشرك لأجل طلب الدنيا، فلهذا السبب ما صار توحيده مقبولا" (٣)

وتنكير المسند ( خير ) في قوله ﴿ هو خير ثوابا وخير عقبا ﴾ للدلالة على شمول وعموم وسعة فضل الله وخيره وأن ما عداه شر لا خير فيه. كما أن في التمييز بـ ( ثوابا، وعقبا ) وعطف الجملتين الاسميتين ( هو خير ثوابا، وخير عقبا ) تأكيدا وتقريرا لفضل الله وعموم خيره المطلق في الدنيا والآخرة، وثبات هذا الخير واستمراره، فلا خير كخيره، ولا فضل كفضله.

والبستان لم يُحط به لعقاب الكافر على كفره، إذ إن الكفار يُمْهلون في الدنيا دار متاعهم. وإنما لاحتقاره صاحبه المؤمن، وتعاليه عليه بماله، وهذه عبرة للمشركين الذين ترفعوا بمالهم عن مجلس رسول الله (ﷺ ) لاحتقارهم الفقراء فيه.



---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: جـ ١٥، ص:٣٢٨

(٢) الطبري، جامع البيان : جـ١٥، ص: ١٦٣

(٣) التفسير الكبير: جـ ١٢، ص: ١٠٦

# الفصل الرابع

# التصوير الفني في المثل القرآني

## التصوير الفني في المثل القرآني:

هناك طريقتان للتعبير:

طريقة التعبير باللفظ المجرد، وطريقة التعبير باللفظ المصور الموحي.

التعبير بالطريقة الأولى يُلقي المعنى مجردا، ويدل فيه اللفظ على معناه المحدد، دلالة ذهنية تجريدية صرفة، كما ينقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية، وينقل القصص والحوادث أخبارا مروية، وهو بالتالي يخاطب الذهن والعقل والوعي، خطابا علميا دقيقا.

أما التعبير بالطريقة الثانية فإنه يرسم للمعنى صورة أو ظلا، ويدل فيه اللفظ المصور على معناه دلالة تصويرية تخييلية موحية مؤثرة. وينقل المعاني والحالات النفسية صورا شاخصة حية، فيها الحركة والحياة، ويطبع في النفس صورة تنسج بالخيال لتعكس الواقع، وبذلك تمتزج ذات المخاطب مع النص. وهي بالتالي طريقة تعبيرية تخاطب الحس والوجدان والعقل خطابا تصويريا، مؤثرا موحيا. (١)

وقد اختار القرآن التعبير بالطريقة الثانية، لأن المعاني في هذه الطريقة التصويرية تسيطر على النفس الإنسانية، وتستولي على أقطارها، فهي " تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى: من الحواس بالتخييل، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المفرد الوحيد" (٢)

وفي القرآن الكريم أمثال كثيرة، سيقت لترسيخ المعاني التي وردت من أجلها في أعماق النفس، ولزيادة التأثير في القلب والمشاعر، وقد استخدمت طريقة موحية في عرض هذه الأمثال، هي طريقة التصوير الفني.

فالأمثال القرآنية من الناحية البيانية ترتكز على التصوير الفني، ويظهر التمثيل واضحا في كل مثل قرآني، سواء أكان المثل واردا بطريقة التشبيه التمثيلي أم الاستعارة التمثيلية.

---

(١) انظر: صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني: ٢٦٩

(٢) سيد قطب، التصوير الفني: ١٩٤

وقبل البدء في هذا المبحث، يحسن الوقوف على المصطلحات التالية: ( الصورة والتصوير ) ( الفن ) ، ( التمثيل ).

## أولا - الصورة والتصوير:

يقول ابن منظور: " الصورة في الشكل، والجمع صُوَر وصِوَر وصُوْر.... وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير التماثيل..وقد ترد بمعنى الصفة" (١).

والصورة في الأدب تستعمل " للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات" (٢). والصورة مصطلح حديث في الأدب والبلاغة والنقد، وقد كان التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز يعبران عن معنى ما يدل عليه اصطلاح ( الصورة ).

والتصوير في التعبير، فن رفيع يحيل الأفكار التجريدية الجامدة إلى صور نابضة بالحياة، تدرك إدراكا حسيا، والإدراك الحسي هو" الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس... وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس، وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها وأبعادها بواسطة البصر...." (٣).

والتصوير في القرآن يعني، أن القرآن استعمل طريقة التصوير في التعبير، وجعله الأداة المفضلة في أسلوبه، يقول سيد قطب:" التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحياة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة، أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل" (٤).

---

(١) لسان العرب: مادة (ص و ر)

(٢) مصطفى ناصف، الصورة الأدبية: ٣

(٣) عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي: ٦٨

(٤) التصوير الفني: ٣٦

**ثانيا ـ الفن:**

الفن في معاجم اللغة ورد بمعنى: " الرجل يفنن الكلام، أي يشقق في فن بعد فن. وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالأفانين، وافتن أخذ بفنون من القول...ويقال فن فلان رأيه إذا لونه ولم يثبت على رأي واحد، والأفانين الأساليب: هي أجناس الكلام وطرقه. ورجل مفتن أي ذو فنون" (١).

والفن اصطلاحا: "هو الحذق أو المهارة التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبر وتمعن .... وهو كل عمل راق يهدف إلى ابتكار ماهو جميل من الصور والأصوات والحركات والأقوال" (٢) " والأدب لون من ألوان الفنون، بل هو أهم ألوان الفنون، وتتجلى مهارة الفنان وحذقه عندما ينتج من الكلمات معرضا للصور الفنية، ويدع عاطفته المتحفزة، وإحساسه المرهف يعملان في هذا المعرض" (٣).

والفن في القرآن هو " إبداع في العرض وجمال في التنسيق، وقوة في الأداء" (٤)

والقرآن استثمر قدرة الفن على التأثير الوجداني في النفوس، فاستخدامه أداة لتوصيل غرضه الديني، وترسيخ معانيه في العقول والقلوب، يقول سيد قطب: " إن التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد. بل لا حظنا أنه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية والفن والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني. حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال" (٥)

**ثالثا ـ التمثيل :**

يُعرف الجرجاني التمثيل، بأنه " تشبيه، إلا أنه تشبيه خاص، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل" (٦) ، ويقول في التمثيل أيضا " الأصل في كونه مثلا وتمثيلا هو التشبيه

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: مادة ( ف ن ن )

(٢) عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي: ١٠

(٣) انظر: نظرية التصوير الفني، صلاح الخالدي: ٧٩

(٤) سيدقطب، مشاهد القيامة: ٢٢٩

(٥) التصوير الفني: ١٤٣ـ ١٤٤

(٦) أسرار البلاغة: ٢٠٣

المنتزع من مجموع أمور، والذي لا يحصله لك إلا جملة من الكلام أو أكثر " (١).

وخلاصة هذا التعريف أن التشبيه عام، والتمثيل أخص منه والفرق بينهما هو وجه الشبه، " فإذا كان وجه الشبه أمرا بينا بنفسه، ولا يحتاج إلى تأول، وصرف عن الظاهر فهو تشبيه وليس تمثيلا، وذلك يتحقق في أمرين:

أولهما: أن يكون وجه الشبه حسيا، سواء أكان مفردا أم مركبا.

ثانيهما: أن يكون وجه الشبه غرزيا طبيعيا، كالشجاعة، والجبن، والضعف، والقوة، لأن هذه الأشياء حقائق ثابتة معلومة في المشبه والمشبه به" (٢) . أما إذا كان وجه الشبه يحتاج إلى تأول، وصرف عن الظاهر سواء أكان وجه الشبه مفردا ( ألفاظ كالعسل في الحلاوة ) أو منتزعا - وجه الشبه العقلي - من أمور جمع بعضها إلى بعض، كقوله تعالى :﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ (٣)فإنه يكون تمثيلا، لا تشبيها (٤) .

وقيده السكاكي بكونه مركبا عقليا، حيث قال: " التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور خصّ باسم التمثيل، كما في تشبيه مثل اليهود بمثل الحمار، فإن وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع الكد والتعب في استصحابه، فهو وصف مركب من متعدد، وليس بحقيقي بل هو عائد إلى التوهم" (٥).

أما القزويني (٦) فالتمثيل يشمل عنده المركب الحسي والعقلي، مثال المركب الحسي قول بشار (٧) :

كأنّ مُثارَ النّقْعِ فوقَ رُؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كَواكِبُهْ(٨)

فوجه الشبه " الهيئة الحاصلة من هَويّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم"(٩) .

والمركب العقلي، كقوله تعالى: ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ (١٠) فوجه الشبه الهيئة الحاصلة من حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه (١١).

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٠٢
(٢) محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٤٢
(٣) سورة الجمعة: ٥
(٤) انظر: أسرار البلاغة: ٨٦
(٥) مفتاح العلوم: ٩٧
(٦) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق. (٦٦٦-٧٣٩هـ = ١٢٦٨-١٣٣٨م) من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. من كتبه (تلخيص المفتاح- ط) في المعاني والبيان، و (الإيضاح- ط) في شرح التلخيص، و (السور المرجاني من شعر الأرجاني).الزركلي، الأعلام: جـ ٦، ص: ١٩٢
(٧) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ ( ٩٥هـ / ٧١٤م - ١٦٧هـ / ٧٨٤م ) أشعر المولدين على الإطلاق، أصله من طخارستان، كان ضريرا، نشأ في البصرة واتهم بالزندقة. وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى. الزركلي، الأعلام: جـ٢، ص: ٢٤- ٢٥
(٨) ديوانه: جـ١، ص: ٢١١
(٩) التلخيص في علوم البلاغة: ٢٥٨
(١٠) سورة الجمعة: ٥
(١١) انظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة: ٣٦٠

ولم يفرق القدماء بين التشبيه والتمثيل، فالزمخشري يرى أن التشبيه يرادف التمثيل فهو يطلق كلمة التشبيه على التمثيل والعكس، يقول محمد أبو موسى: " وللتمثيل مدلولات كثيرة في بلاغة الكشاف وهي أقرب إلى الاستعمال اللغوي، فهو يطلقه على التشبيه، وعلى الاستعارة التمثيلية، وعلى الاستعارة في المفرد، وعلى فرض المعاني..وكان الذي يثبت هذا إطلاقه اصطلاح التمثيل على صورة أو صور اتفق على أنها من التشبيه الصريح، ولا يكفي أن يقول: أن المِثْل والمَثَل والمَثِيْل ، كالشِّبْه والشَّبَه والشَّبِيْه. لأن هذه تفسيرات لغوية لا تدل على مفهوم اصطلاح معين" (١)، فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (٢) يقول: " فتشبيه الرافعين أصواتهم بصوت الحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة في الذم والتهجين.. " (٣) وتشبيه الأصوات العالية بالنهاق يسميه أحيانا تشبيها، وأحيانا تمثيلا لأنه لا يفرق بينهما.

كما أن أحمد هنداوي بعد دراسته للمباحث البيانية في تفسير الرازي يقول: " والذي تبين لي بعد بحث طويل، وتأمل في كلامه، وهو يتناول تشبيهات القرآن الكريم أن التشبيه والتمثيل عنده بمعنى واحد. وقد ظفرت من كلامه بما يؤكد هذا الأمر، فقد استعمل كلمة مَثَّل وشَبَّه، وتشبيه، وتمثيل في التشبيه الصريح، وهذا يدل على أنه لا يفرق بين التشبيه والتمثيل، ومن ناحية أخرى فإنه يدل على أنه لا يفرق بين المفرد والمركب " (٤) .

وقد اتبع ابن الأثير مسلك من لا يفرق بينهما، وعاب من فرقهما فقال:" وجدتُ علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال مثلته به وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه" (٥) .

---

(١) البلاغة القرآنية:٤٧٩-٤٨٠

(٢) سورة لقمان: ١٩

(٣) الزمخشري، الكشاف: جـ٣، ص: ٢١٤

(٤) المباحث البيانية: ١١٠

(٥) المثل السائر: جـ ٢، ص: ١١٥

## التمثيل بين التركيب والتفريق:

وجه الشبه في التمثيل إما أن يكون مركبا وإما أن يكون مفرّقا، ووجه الشبه المركب " يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا " (١)وهيئة واحدة، أما المفرّق فهو أن تحصل المشابهة بين أجزاء طرفي التمثيل ( الممثل له والممثل به ) .

وقد طرح هذه الفكرة الزمخشري في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢) وصرح بجواز كون وجه الشبه مركبا أو مفرقا إلا أنه رجح كونه مركبا لما له من مزية وفضل يقول: " فإن قلت : قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق؟ قلت: لقائل أن يقول شبه دين الإسلام بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر. وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات. وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكافرين من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق . والمعنى: أو كمثل ذوي صيب. والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا.....والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه: أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرّقة، لا يتكلف الواحد واحد شيء يقدر شبهه به، وهو القول الفحل والمذهب الجزل، بيانه: أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها ..... كما جاء في القرآن [ قوله تعالى: ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ﴾ (٣)] أما التمثيل فهو تشبيه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلا صقت حتى عادت شيئا واحدا، بأخرى مثلها كقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ..... ﴾ (٤)

---

( ١) التفتازاني، شرح السعد: ٤٩٥

(٢) سورة البقرة: ١٧- ٢٠

(٣) سورة غافر: ٥٨

(٤) سورة الجمعة : ٥

والغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة، بحال الحمار في هله بما يحمل من أسفار الحكمة، وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار، لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب. كقوله : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ﴾(١) المراد قلة بقاء زهرة الحياة الدنيا كقلة بقاء الخضر. فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيّرة شيئا واحدا، فلا. فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق "(٢).

وفي أمثال الإنفاق في سورة البقرة ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب أصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين. ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ﴾(٣) . ذكر الرازي - وهو من الذين لا يميزون بين التشبيه والتمثيل - أنها مبنية على نوعين من التشبيه، تشبيه مفرق وآخر مركب : (٤)

الوجه الأول: وقصد به التشبيه المفرّق فكان " العمل الظاهر كالتراب، والمان المؤذي والمنافق كالصفوان، ويوم القيامة كالوابل " (٥).

أما الوجه الثاني: فهو التشبيه المركب، والذي تشبه فيه هيئة بهيئة لا عنصرا بعنصر " فعمل المانّ المؤذي يشبه من طرح بذرا في صفوان صلد عليه غبار قليل، فإذا أصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا لا شيء فيه....." (٦).

وقد رجح الألوسي الوجه الثاني لهذا التمثيل، وهو التركيب يقول: " وهذا التشبيه يجوز أن يكون مفرّقا، ولو جعل مركبا لصح، وقيل: إنه هو الوجه والأول ليس بشيء" (٧).

---

(١) سورة الكهف: ٤٥
(٢) الكشاف: جـ١، ص: ١١٥
(٣) سورة البقرة: ٢٦٤- ٢٦٥
(٤) انظر: أحمد هنداوي، المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي: ٨٤
(٥) التفسير الكبير: جـ٧، ص: ٤٩
(٦) الرازي، التفسير الكبير" جـ٧، ص: ٤٩
(٧) روح المعاني: جـ٣، ص: ٣٥

ويكون وجه الشبه المركب، هو الهيئة المنتزعة من أمر غير صالح إلا بما عليه من أمر نافع، فأتى على هذا الأمر النافع ما أزاله فأصبح غير منتفع به .

وكذلك في مثل الإنفاق المتقبل، يمكن اعتبار هذا التمثيل مركبا أو مفرقا، فإن اعتبرناه مفرقا:

فالمنفقين بإخلاص ---------- كالربوة

ونفقتهم الخالصة لله ----------كالوابل

ومضاعفة أجرهم ---------- كمضاعفة ثمر الربوة.

وإن اعتبرناه مركبا وهو الأولى، فالمشبه الهيئة المنتزعة من حال صاحب النفقة النامية بسبب الإخلاص والتصديق بوعد الله.

والمشبه به: الهيئة المنتزعة من حال صاحب جنة نامية زاكية بسبب كونها على ربوة أتاها وابل أو طل فأدت أكلها على حسب ما اقتضته الحال.

ووجه الشبه " الهيئة الحاصلة من صالح للنماء مستوف لشروطه مؤت ثمرته متفاضلا بحسب استيفائه شروطه كاملة أو غير كاملة " (١). أو على حد تعبير ابن عاشور أن وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من مجموع أشياء تكامل بها تضعيف المنفعة " (٢).

وقد نظر ابن عاشور إلى قضية قدرة المثل على احتمال تركيب أجزائه وتفريقها، على أنها قمة البلاغة، إذ إن اجتماعهما في صياغة واحدة وسبك واحد هو غاية الأعجاز، ففي مثل النور ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) يقول: " هذا تشبيه بالغ كمال الإفصاح بحيث مع أنه تشبيه هيئة بهيئة هو أيضا مفرّق التشبيهات لأجزاء المركب المشبه مع أجزاء المركب المشبه به وذلك أقصى كمال التشبيه التمثيلي في صياغة البلاغة " (٤) .

فالنور على تأويله، هو معرفة الحق على ما هو عليه المكتسبة من وحي الله وهو القرآن.

" شبه بالمصباح المحفوف بكل ما يزيد نوره انتشارا وإشراقا.....والمشكاة يُشبِهُها ما في

---

(١) منصور العبدلي، الأمثال في القرآن: ٢٣٠

(٢) التحرير والتنوير: جـ٣، ص: ٥٢

(٣) سورة النور: ٣٥

(٤) التحرير والتنوير: جـ ١٨، ص: ٢٤٢

الإرشاد الإلهي من انضباط اليقين وإحاطة الدلالة بالمدلولات دون تردد ولا انثلام، وحفظ المصباح من الانطفاء مع ما يحيط بالقرآن من حفظه من الله ..... ومعاني هداية إرشاد الإسلام تشبه المصباح في التبصير والإيضاح، وتبين الحقائق من ذلك الإرشاد. وسلامته من أن يطرقه الشك واللبس يشبه المصباح في تجلية حال ما تحتوي عليه ... والوحي الذي أبلغ الله به حقائق الديانة من القرآن والسنة يشبه الشجرة المباركة التي تعطي ثمرة يستخرج منها دلائل الإرشاد . وسماحة الإسلام وانتفاء الحرج عنه يشبه توسط الشجرة بين طرفي الأفق فهو وسط بين الشدة المحرجة واللين المفرِّط. ودوام ذلك الإرشاد وتجدده يشبه الإيقاد. وتعليم النبيء ( ﷺ) أمته ببيان القرآن وتشريع الأحكام يشبه الزيت الصافي الذي حصلت به البصيرة وهو مع ذلك بين قريب التناول يكاد لا يحتاج إلى إلحاح المعلم... " (١).

ورغم ما في هذا التفريق من تكلف على النص وتحميل له من المفسر إلا أنه أوضح مزية المركب على المفرّق، وما يلازم التفريق من ضعف التأثير في النفس .

## التشبيه التمثيلي، والاستعارة التمثيلية:

أمثال القرآن تقوم على التمثيل المنتزع وجه الشبه فيه من مركب يقول الجرجاني: " وربما انتزع [ الشبه العقلي ] من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يُستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما. ومثال ذلك ، قوله عز وجل : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾(٢) بيان ذلك أنه احتيج إلى أن يراعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهو الأسفار التي فيها أمارات تدل على العلوم، وأن يثلث ذلك بجهل الحمار ما فيها حتى يحصل الشبه المقصود. ثم إنه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد ولا يتصور أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه من غير أن يقف الأول على الثاني ويدخل الثاني في الأول، لأن الشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضا بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جهل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره، فما لم تجعله كالخيط الممدود ولم يمزج حتى يكون القياس قياس أشياء يبالغ في مزاجها حتى تتحد وتخرج عن أن تعرف صورة كل واحد منها على الانفراد، بل تبطل صورها

---

(١) التحرير والتنوير: جـ : ١٨، ص: ٢٤٢-٢٤٤

(٢) سورة الجمعة: ٥

المفردة التي كانت قبل المزاج، وتحدث صورة خاصة غير اللواتي عُهِدَت وتحصل مَذاقَةٌ لو فرضتَ حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج فرَضْتَ ما لا يكون - لم يتم المقصود ولم تحصل النتيجة المطلوبة وهي الذم بالشقاء في شيء يتعلق به غرض جليل وفائدة شريفة، مع حرمان ذلك الغرض وعدم الوصول إلى تلك الفائدة واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سببا إلى نيل شيء من تلك المنافع والنعم" (١) .

وللتمثيل مظهران، أحدهما: أن يجيء المعنى ابتداء في صورة تشبيه تمثيلي وهو كثير في أمثال القرآن كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥).

والثاني: أن يأتي التمثيل في أعقاب المعاني لإيضاحها وتقريبها للنفوس على صورة استعارة تمثيلية مثاله قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ) (٦) ، وقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقد على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ) (٧) ، وقوله : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً

---

(١) أسرار البلاغة: ٨٧
(٢) سورة البقرة: ١٧-٢٠
(٣) سورة العنكبوت: ٤١
(٤) سورة إبراهيم: ١٨
(٥) سورة النور: ٣٥
(٦) سورة الزمر: ٢٩
(٧) سورة النحل: ٧٦

مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (١). يقول الجرجاني: " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صوته كساها أبهة، وكسبها منقبة.... " (٢).

وقد اعتبر محمد أبو موسى قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) تشبيها على طريقة الاستعارة، فالتركيب الذي يُطوى فيه المشبه ووجه الشبه قد لا يكون استعارة إذا كان المشبه به مستعملا في معناه الحقيقي، وقد ذكر الجرجاني أن المشبه به في هذه الحالة إذا كان خبرا، أو في حكم الخبر فهو تشبيه لأن الاسم إذا وقع كان الغرض منه إثبات معناه لما حمل عليه.

وأشار محمد أبو موسى إلى التفات الزمخشري إلى الصور التي يُطوى فيها ذكر المشبه، ويبقى المشبه به مستعملا في معناه الحقيقي، وليس هناك وجه شبه ولا ذكر للمشبه بوجه من الوجوه، وأن الزمخشري عده من التشبيه الذي يجري مجرى الاستعارة ويأخذ سمتها ويكاد يكون استعارة لولا هذه المقتضيات المعنوية الخفية .

ذكر التفتازاني (٤) في المطول أن علامة الاستعارة " أن يصح وقوع اسم المشبه موقعه ولا يفوت إلا المبالغة في التشبيه فيصح في نحو رأيت أسدا أن يقال رأيت رجلا شجاعا وهذا ليس كذلك على ما يظهر بالتأويل "(٥) .

وفي قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) " الآية معناها جعل الله عبدا تملّكه شركاء متشاكسون مثلا لعابد الأصنام، وجعل عبدا سالما لواحد مثلا لمن يعبد الله وحده فذكر المشبه مطوي والمشبه به مستعمل في معناه الحقيقي ثم قال: ولخفاء ذلك ذهب كثير من الناس إلى أن الآيتين من قبيل الاستعارة " (٧) .

---

(١) سورة النحل: ١١٢
(٢) أسرار البلاغة: ٩٧

(٣) سورة الزمر: ٢٩

(٤) مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، سعد الدين (٧١٢-٧٩٣هـ = ١٣١٢-١٣٩٠م) من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان(من بلاد خراسان) وأقام بسرخس وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها. من كتبه (تهذيب المنطق- ط) و(المطول- ط) في البلاغة، و (المختصر- ط) اختصر به شرح المفتاح.الزركلي الأعلام: - ٧، ص: ٢١٩

(٥) المطول: ٣٦١

(٦) سورة الزمر: ٢٩
(٧) انظر: حاشية سعد الدين التفتازاني على الكشاف مخطوط ورقة ( ٤٦ ) نقلا عن محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٩٧

وقد علق السيد الشريف (١) على ما ذكره التفتازاني في ( المطول ) بقوله: " هذا كلام جيد فإن المدار في الفرق بين الاستعارة والتشبيه إذا تردد بينهما أن اسم المشبه به إن كان مستعملا في معنى المشبه كان استعارة وإن كان مستعملا في معناه الحقيقي كان تشبيها وعلامة كونه مستعملا في معنى المشبه أي ومن لوازم استعماله فيه أن يصح وقوع اسم المشبه موقعه، فإذا انتفت هذه العلامة .... انتفى كونه استعارة وكان تشبيها، سواء أكان المشبه مذكورا بالفعل أو مقدرا في نظم الكلام أو لا يكون مذكورا ولا مقدرا، نعم يجب كون المشبه مرادا في معنى الكلام وإن لم يكن تقديره في نظمه على وجه لا يختل نظامه " (٢).

وقد أشار محمد أبو موسى إلى أن عدم صحة وقوع المشبه موقع المشبه به في قوله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) " مرجعه إلى دقيقة بيانية تدركها الفطرة السليمة كما قال السيد الشريف، وربما كان مرجع ذلك من الوجهة التحليلية الموضوعية أن نفي الاستواء الذي جاء تعقيبا على المثل في قوله ( هل يستويان ) منصب على هذه الصورة الحقيقية أعني الرجل الذي تتوزع طاقاته بين جهات متصارعة ولا يستطيع إن أجهد نفسه أن يلائم بينها .... ولا يستطيع التوفيق بين حاجاتهم فهم في صراع وهمّ وتنازع، لا يستوي هذا مع ذلك الرجل الذي يسلم ملكه لرجل واحد يوجه ولاءه وطاعته نحوه فهو مجموع النفس ماض في طريق آمن وإذا وضعنا المشبه مكان المشبه به كان نفي الاستواء متجها نحو المشرك والموحد، أي يؤول الكلام إلى مثل قولنا من يعبد آلهة شتى ومن يعبد إلها واحدا هل يستويان، وبهذا يفقد نفي الاستواء المتضمن في أسلوب الاستفهام قوته، لأنه في الآية متجه نحو صورة محسوسة واضحة، أبرزت الصراع، والتناقض ، والتوزع، وجسدته في صورة المملوك لشركاء متنازعين، كما أبرزت القرار والأمن في الصورة المقابلة، وهذا هو المغزى من التعبير، فإذا ذهب لم يبق في العبارات شيء " (٤)

واعتبر محمد أبو موسى الأمثال غير القياسية ـ الكامنة في القرآن ـ كقوله: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥) من التشبيه الضمني (٦)، وقد يكون اعتبره كذلك

---

(١) علي بن محمد بن علي، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني ( ٧٤٠ـ ٨١٦هـ/ ١٣٤٠ـ ١٤١٣م ) فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، ولد في جرجان وتوفي فس شيراز. له خمسون مصنفا، منها ( التعريفات ـ ط ) و( تحقيق الكليات ـ خ ) و ( الحواشي على المطول للتفتازاني ـ ط ) و( شرح الملخص ـ خ ). الزركلي، الأعلام: جـ٥، ص: ١٥٩ ـ ١٦٠

(٢) حاشية السيد الشريف على المطول: ٣٦١، نقلا عن محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٩٧

(٣) سورة الزمر: ٢٩

(٤) التصوير البياني: ١٩٧ـ ١٩٨

(٥) سورة البقرة: ٢٦٦

(٦) التصوير البياني: ١٠٢

على أساس تضمن التشبيه لمعنى المشبه في سياق الآيات السابقة إذ يُفهم المشبه رغم عدم ذكره كلية.

والتفتازاني اعتبر التشبيه الذي يحذف منه المشبه والأداة ووجه الشبه، أعلى مراتب التشبيه " والقوة فيه لما فيه من حمل للمشبه به على المشبه وإظهار أنه هو " (١)

والأرجح أن تكون هذه الأمثال من قبيل الاستعارة التمثيلية، وليس التشبيه الضمني إذ فيه يُلمح إلى ذكر المشبه بطريقة لفظية ما، أما الاستعارة التمثيلية فهي تناسب سبك هذه الأمثال التي يُغني فيها معنى السياق عن المعنى العرفي بين الناس.

أغراض التمثيل في المثل القرآني:

ذكر الرماني (٢) أربعة أغراض للتمثيل، ومثّل لكل غرض بمثل من الأمثال القرآنية :

الغرض الأول - إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة:

مثاله: ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ (٣) " فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة ". (٤).

ومن ذلك قوله عز وجل :﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ (٥) " فهذا بيان قد أخرج ما تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه وقد اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير، وفي التخسيس، فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا على عُنف، وهذا يدل على حكمة الله سبحانه وتعالى في أنه لا يمنع اللطف" (٦).

الغرض الثاني - إخراج ما لم تجر به عادة إلى ماجرت به عادة:

مثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا

---

(١) شرح السعد: جـ ٤، ص: ٥٠٧

(٢) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني ( ٢٩٦هـ / ٩٠٨م - ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ) باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. مولده ووفاته ببغداد له نحو مئة مصنف، منها النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعراب القرآن، وشرح كتاب سيبويه والجامع في علم القرآن.و ( المعلوم والمجهول ) و( معاني الحروف ) . الزركلي، الأعلام: جـ ٥، ص: ٣٤ او ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٤.

(٣) سورة إبراهيم: ١٨

(٤) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث سائل في إعجاز القرآن: ٨٢

(٥) سورة الأعراف: ١٧٦

(٦) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث سائل في إعجاز القرآن: ٨٢

أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) " وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمع [ المشبه] والمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر" (٢) . وكذلك قوله: ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور ﴾ (٣) " فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به، وقد اجتمعا في شدة الإعجاب ثم في التغيير بالانقلاب" (٤) .

الغرض الثالث ـ إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها:

مثاله قوله تعالى: ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ (٥) " وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يُعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، وقد اجتمعا في الجهل بما حَملا، وفي ذلك العيب لطريقة من ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية " (٦) وكذلك قوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧) " فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة وقد اجتمعا في ضعف المعتمد، ووهاء المستند، وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين. مع الشعور بما فيه التوهين " (٨).

الغرض الرابع ـ إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ماله قوة في الصفة: ولم يمثل له الرماني بمثل قرآني وإنما مثل له بتشبيه يقول تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ (٩) " وهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ماله القوة وقد اجتمعا في الرخاوة والجفاف، وإن كان أحدهما بالنار والآخر بالريح " (١٠) ويمكن أن نمثل له بقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

---

(١) سورة يونس: ٢٤
(٢) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث سائل في إعجاز القرآن: ٨٣
(٣) سورة الحديد: ٢٠
(٤) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث سائل في إعجاز القرآن: ٨٣
(٥) سورة الجمعة: ٥
(٦) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث سائل في إعجاز القرآن : ٨٤
(٧) سورة العنكبوت: ٤١
(٨) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث سائل في إعجاز القرآن: ٨٤
(٩) سورة الرحمن: ١٤
(١٠) النكت في إعجاز القرآن: ٨٥

وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ (٢) .

فضل التمثيل :

أفرد الجرجاني فصلا لأثر التشبيه وفضله، يقول فيه: " واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا. فإذا كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعِطْف وأسرع للألف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح، وأقصى له بغرّ المواهب والمنائح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر. وإذا كان ذما كان مسّه أوجع، ومِيسمه ألذع، ووقعه أشد وحده أحد"(٣).

مثال المدح قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٤) .

ومثال الذم قوله تعالى في الذي أوتي الآيات ثم ارتد وانسلخ عنها: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥) .

ويقول ابن الأثير: " إنك إذا مثّلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب

---

(١) سورة الفتح: ٢٩
(٢) سورة الحشر: ٢١
(٣) أسرارا البلاغة: ٩٧-٩٨
(٤) سورة الفتح: ٢٩
(٥) سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٧

فيها؟ وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا يدعو إلى التنفير عنها؟ " (١).

والتمثيل إذا كان حجاجا " كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، وإن كان افتخارا كان شأوه أمَدّ، وشرفه أجد، ولسانه ألدّ " (٢) ، ومن أمثلة الحجاج قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٤).

والتمثيل إن كان اعتذارا " كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أفل، وفي عُقَد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث، وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغباية، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويُشفي الغليل " (٥) ، ومثال الوعظ، قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُور ﴾ (٦).

ويطرح الجرجاني سؤالا: لم كان للتمثيل هذا التأثير؟ ويجيب عنه بقوله: " وإذا بحثنا عن ذلك وجدنا له أسبابا وعللا، كل منها يقتضي أن يفخُم المعنى بالتمثيل، وينبل ويشرف ويكمل. فأول ذلك وأظهره، أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تُعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، يفضلُ المستفادَ من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: (( ليس الخبرُ كالمُعاينة )) (٧) ، و( لا الظنّ كاليقين ) . فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوة. وضرب آخر من الأنس وهو ما يوجبه تقدم الألف ....." (٨)

---

(١) المثل السائر: جـ ١، ص: ٣٩٤
(٢) الجرجاني، أسرار البلاغة: ٩٩
(٣) سورة آل عمران:٥٩
(٤) سورة يس: ٧٨
(٥) أسرار البلاغة: ٩٩- ١٠٠
(٦) سورة الحديد: ٢٠
(٧) هذه الجملة حديث نبوي رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ورواه أحمد والحاكم والطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس بزيادة: ( إن الله أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت ) انظر: حاشية الجرجاني، أسرار البلاغة: ١٠٦) . ورواه أحمد في المسند رقم ١٨٤٢، جـ٣، ص: ٢٥٤
(٨) أسرار البلاغة: ١٠٨

كما ذكر الجرجاني في فائدة التمثيل أنه " ينفي الريب والشك، ويؤمن صاحبه من تكذيب المخالف وتهجم المنكر وتهكم المعترض، وموازنته بحالة كشف الحجاب عن الموصوف المخبر عنه حتى يرى ويبصر، ويعلم كونه على ما أثبته عليه موازنة ظاهرة صحيحة " (١) .

والمثل القياسي في القرآن الكريم يراد منه توضيح حكم، أو وصف، أو حال لأمر خفي بقياسه على مشابه له جلي. فلا بد في كل مثل قياسي من قضيتين وحكمين:
" قضية كبري هي الأصل الذي يراد تعميم حكمه وتعديته إلى القضية الأخرى ويشترط في هذه القضية أو الأصل أن تكون جلية واضحة للمخاطب.
القضية الثانية: هي الفرع الذي يراد إلحاقه بالأصل بعد تحقيق مناط الاعتبار فيها من مشابهة الأصل في العلة المؤثرة في الحكم، أو دخوله ضمن أفراد الحكم العام. والحكمان هما: حكم الأصل المعلوم، وحكم الفرع المستفاد من ضرب المثل.....فالأمثال موازين عقلية ضمنها الله تعالى كتابه، توزن بها القضايا التي قد يستشكلها بعض الناس، أو الحادثة التي يحصل الخلاف والنزاع والجدال حولها، فتأتي الأمثال القائمة على مقايسة تلك الأمور على ما يشابهها لإيضاح حكمها وإلحاقها بها، أو مقايستها على ما يخالها لبيان بعدها عنها وإزالة الشبه التي أوهمت قربها منها" (٢) . وهذه الخاصية للأمثال هي سر أهميتها في مجال الإيضاح والإقناع وبيان الحجة .

ويقول سيد قطب في فضل التمثيل ومزيته: " إن للأمثال في ذاتها جاذبية ليست لغيرها من أنواع التعبير. والناس تحب المثل وتتأثر به أكثر من الصور المباشرة في التعبير، لأن فيه جمالا ( فنيا ) زائدا، فبدلا من أن يُعرض المعنى مباشرة، فإنه يُعرض معكوسا من خلال مرآة خاصة لا كالمرايا العادية ! فالمرآة تعكس الشيء في نفس صورته بلا فرق، ولكن هذه المرآة ذات خصوصية غير عادية! فهي لا تعكس الشيء في نفس صورته الأصلية، وإنما على صورة أخرى مشابهة، ولكنها أبهى رونقا بين الأصل والصورة، ثم إن هناك متاعا فنيا ونفسيا في هذه العملية ذاتها: عملية عقد المقارنة بين الأصل والصورة! ومن ثم يتضاعف المعنى في الحس حين يصبح أصلا وصورة، كل منها قائم بذاته، متصل بالآخر في ذات الوقت، ويجد الإنسان متعة في تملي المعنى بخياله بدلا من أن يتملاه بذهنه فحسب ..... " (٣) .

---

(١) أسرار البلاغة: ١٠٨

(٢) انظر: عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية: جـ١، ص: ١٢٠ - ١٥٠

(٣) دراسات قرآنية: ١٦٩

## التصوير الفني في المثل القرآني:

أولى سيد قطب موضوع التصوير الفني في القرآن الكريم عناية كبيرة، وأخرجه في قالب جديد يفتح آفاقا واسعة للباحثين، يقول:" التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل" (١) .

ويظهر التصوير واضحا في الأمثال القرآنية، فعندما أراد القرآن التعبير عن ضياع أعمال الكافرين - الخيرة التي عملوها في الدنيا - أخرج هذا المعنى الذهني في صورة محسوسة وبث فيها الحركة فأعمالهم صُوّرت في هيئة رماد وهو أخف وزنا من التراب تذروه الرياح في يوم عاصف فلا يبقى منه شيء ولا تلتقي أجزاؤه في مكان ولا ينتفع به. يقول تعالى: ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شيء مما كسبوا ﴾ فها هي ذي حركة الرياح في اليوم العاصف تذرو الرماد وتذهب به إلى حيث لا يتجمع أبدا.

وحين حث على الإنفاق بيّن أن الصدقة التي تُبذل رياء والتي يتبعها المن والأذى لا تثمر ولا تعود بخير لمنفقها، فينقل هذا المعنى المجرد، في صورة حسية متخيلة في قوله تعالى: ﴿ يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) فتتجسد " هيئة الحجر الصلب المستوي، غطته طبقة خفيفة من التراب، فظُنت فيه الخصوبة، [ وإذا بالحركة تتسرب إلى الصورة لتبث فيها الحركة] فإذا وابل من المطر يصيب الحجر، وبدلا من أن يهيئه للخصب والنماء - إذا به - كما هو المنظور - يتركه صلدا، وتذهب تلك الطبقة الخفيفة التي كانت تستره وتخيّل فيه الخير والخصوبة" (٣) وهكذا تتضح أمامنا صورة الذي يبطل صدقته

---

(١) التصوير الفني: ٣٦
(٢) سورة البقرة: ٢٦٤
(٣) سيد قطب، التصوير الفني:٣٩

بالمن والأذى حية متحركة.

ثم يمضي التصوير لإبراز فضل صدقات السر الخالصة لوجه الله تعالى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) وهذه الآية في سياقها تشكل " الصفحة المقابلة للصفحة الأولى " (٢) - الإنفاق الباطل - وذلك لإبراز البون الشاسع بين الفريقين، وفي هذه الصفحة تبرز في مقابل الصفوان المغطى بالأغبرة والأتربة جنة بربوة، وها هي ذي الحركة المشتركة بين الصورتين باثة للحياة في التصوير، ينزل الوابل فيمتزج بالأتربة، فيخرج إنتاج مضاعف، وهذا تجسيد لإثمار ثواب الصدقات الخالصة لوجه الله تعالى.

وحين أراد القرآن بيان ضعف ما يتخذ من دون الله من أنداد وهوانه، وعدم فائدتهم وجدواهم إذ إن عبادتهم عبث لا طائل وراءه، يقول تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) ومن الجيد التنبيه على ما سبقت الإشارة إليه في مبحث التراكيب، وخاصة في دراسة هذه الآية إلى خصب النص وامتلاء سياقه مما يجعله قادرا على الجمع بين أكثر من تشبيه، فقد يُشبه داعي الكافرين إلى الإيمان في هذا المثل بالراعي وغنمه، وقد يُشبه الكافرون في دعائهم أصنامهم التي لا ترد عليهم بالراعي الذي يدعو غنمه وهم لا يعلمون ما يقول...الخ من التأويلات السابقة، وهذه مزية اختصت بها أمثال القرآن الكريم، لما لها من إعجاز بياني وسحر تركيبي.

وفي تجسيم ضعف الآلهة والأولياء الذين يُعبدون من دون الله ووهن الملجأ الذي يَلجأ إليه عبّادهم حيث يحتمون بهم، تَرتسم صورة مزدوجة للطالب والمطلوب، يقول تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) فتظهر صورة العنكبوت وبيتها وتنبث الحركة ( اتخذت ) وهي تبني وتشيد بكدح نسجا من صنعها تظن به خيرا وحماية، وها هو ذا الوهن والضعف يتسلل بحركة إيحائية إلى بيت العنكبوت ليجسد صورة انهيار هذا البيت وسقوطه، ويبين عجزه عن أن يوفر لها أدنى حماية ووقاية من برد أو حر أو أمان.

وفي تجسيم النعيم والعذاب تنتقل المعاني الذهنية من العالم الأخروي الغيبي إلى عالم الحياة الملموس المعهود، فتجسد الألفاظ نعيم الجنة في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٥

(٢) سيد قطب، التصوير الفني: ٤٠

(٢) سورة البقرة ١٧١

(٣) سورة العنكبوت: ٤١

الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (١) وتجسد هول النار والعذاب في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ (٢).

وكما تتجسد المعاني المجردة الذهنية تتجسد الحالات النفسية والطبائع البشرية، فحين أراد القرآن أن يجسد الحيرة والتخبط الذي عليه المنافقون أتى بمثلين تمتزج فيهما المرئيات بالحركة والألوان لتتجسد تلك الحالة النفسية التي عليها المنافقون، يقول تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣) فتمتزج حركة البرق مع أصوات الرعد والصواعق مع ألوان الظلمات المتراكمة، وإنارة البرق والنار المؤقتة، لترسم التردد والخوف والتخبط الذي كان عليه المنافقون وفي هذا تجسيم للحالة النفسية المعنوية في صورة ناطقة ملموسة.

ومن بين الحالات النفسية التي يصورها القرآن، يرسم ( نموذجا ) إنسانيا لحال المعاند المكابر المعرض عن دين الله، وحال المرسلين ومن آمن واهتدى بدين الله ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾(٤) .

وقد جسدت الأمثال القصصية نماذج بشرية عديدة كصاحب الجنتين واغتراره بالدنيا، ومكابرته، وصاحبه المؤمن " وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر

---

(١) سورة محمد: ١٥
(٢) سورة المدثر: ٣١
(٣) سورة البقرة: ١٧ - ٢٠
(٤) سورة البقرة : ١٧١

على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى ، فلن تخذله القوة ولا الجاه. وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المغتر بإيمانه الذاكر لربه، يرى النعمة دليلا على المنعم وموجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره." (١) يقول تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـذِهِ أَبَداً وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (٢) فتتجسد المشاهد وتنتصب الشخوص ويربط الحوار أطراف المواقف ليبث الحياة فيها وبذلك يتجسد النموذجان البشريان للعقل البشري وتبان عاقبتهما ومآلهما مما يثبت ويرسخ العبرة في القلوب.

كما تتجسد الصفات والحالات العجيبة كنور الله وهديه ، يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) وهنا يتجسد الهدى في صورة محسوسة ملموسة، بضوء المصباح وإنارة الزيت للمشكاة. وحال الكافرين العجيبة في دعاء الأوثان والأنداد الذين لا ينفعون ولا يضرون وتركهم لعبادة الله الواحد الرزاق يقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٢٢٧٠

(٢) سورة الكهف: ٣٢-٤٥

(٣) سورة النور: ٣٥

(٤) سورة الزمر: ٢٩

## التخييل الحسي والتجسيم:

إذا كان التصوير هو القاعدة الأساسية في أسلو ب القرآن، فإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير (١).

والتصوير القرآني يقوم على التخييل الحسي لبث الحياة في شتى الصور، أما التجسيم فهو لتجسيم المعنويات وإبرازها أجساما أو محسوسات على العموم .

ومن ألوان التخييل ( التشخيص ) " ويتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية " (٢) كقوله تعالى: ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.... ﴾ (٣) وقوله : ﴿ آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ..﴾ (٤) وقوله ﴿ يأتيها رزقها رغدا من كل مكان... ﴾ (٥) .

ولون من ألوان التخييل يتمثل في الصور المتحركة التي يعبر بها عن حالة من حالات أو معنى من المعاني. فصورة الحياة الدنيا حين ينزل عليها المطر فتختلط به فتخضر فتهيج فتصفر، وصورة المنافقين في قلقهم وتخبطهم في الظلمات ...الخ كلها صور متحركة تجسد الحركة التخييلية.

وأما ( التجسيم ) فقد وردت له أمثلة كثيرة، ومنه كل التشبيهات التي جيء بها لإحالة المعاني والحالات صورا وهيئات، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ (٧) وقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٨) .

---

(١) انظر: سيد قطب، التصوير الفني: ٨٧
(٢) المرجع السابق : ٧٢
(٣) سورة إبراهيم: ٢٥
(٤) سورة الكهف: ٣٣
(٥) سورة النحل: ١١٢
(٦) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦
(٧) سورة نفسها: ١٨
(٨) سورة البقرة : ٢٦٤- ٢٦٥

مصادر التصوير القرآني:

يستمد التصوير الفني عناصره من مصدرين أساسيين، هما: الكون والنفس الإنسانية، نلمس الكون في البرق والرعد والصواعق والريح، والمطر، ونشاهد الحيوان كالكلب، والبعوضة، والعنكبوت، والحمار، والنبات، كالسنابل والحب والعنب والنخيل والأشجار، وتظهر النفس الإنسانية في أحوال الخوف والغضب والرضا والضعف والقوة. وهذه العناصر مشتركة بين الناس والأمم، وهذا أحفظ لبقاء التشبيهات، وحيويتها، وتأثيرها في كل الأجيال، ولذلك كان التصوير القرآني مؤثرا متسقا مع كل عصر وبيئة وطور حضاري، وكان له كبير الأثر في كل النفوس.

والتصوير القرآني يتخذ " الطبيعة ميدانا له يقتبس منه صور تشبيهاته " (١) مثال ذلك حين يجد التصوير في بيئة الزرع وقد نبت ضئيلا ضعيفا، ثم ما لبث أن اشتد بما ينبت حوله من البراعم فيشتد به ساقه ويغلظ الزرع من حوله، ويتكاثر، وتشتبك فروعه، وتترسخ أصوله، فتكتسي الأرض حلتها الخضراء، وتتزين بوشي الزهر والثمار فيكون موضع بهجة وإعجاب. يجد التمثيل القرآني في ذلك صورة شديدة المجاورة لصورة أصحاب محمد ( ﷺ) فقد بدءوا قلة ضعافا، ثم أخذوا في الكثرة والنماء، حتى اشتد ساعدهم وقوي عضدهم، وصاروا قوة تملأ قلب محمد (ﷺ) بهجة، وقلب الكفار حقدا وغيظا.

" ويضع التصوير يده على ذرات الرماد المتناثرة المتطايرة في مهب الريح، لإبراز ضياع أعمال الكافرين الخيرة، بلا وزن لها، وبما لا يستطيع أحد أن يجمعها بعد تفرقها، وبذلك يقيم تشبيهه على أسس حسية في التصوير، يقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ (٢) ، وحينما يريد تشبيه الصدقات التي لا تجلب نفعا ولا ضرا، لأنها امتزجت بما يفسدها من الرياء وما يعكرها من المن والأذى، يجد المثل في الصفوان الذي تغطيه طبقة شفافة من التراب، فيصيبه المطر فيعود صلدا، صورة شامخة لبلوغ التشبيه ذروته في التجسيد، تعبيرا عن القلب يكون في غشاوة مما داخله من الرياء والمن والأذى، وبدلا من أن يساعد المطر المنصب عليه في إنمائه وإثماره إذ به يزيده قسوة وصلادة، على حين أن

---

(١) أحمد بدوي، من بلاغة القرآن: ٢٠

(٢) سورة إبراهيم: ١٨

الصورة الثانية للإنفاق المتقبل المقترن بمرضاة الله تعالى وتثبيت النفوس على الخير، وفيها القلب منجذب بعامل روحي، فهو كالربوة المرتفعة العالية، تباركها النسمات والمزن، والصورتان مستلتان من الطبيعة، الأرض في قسوتها وصلابتها، وفي بركتها ولينها، ولكنها تترصد مناخ المرء في سلوكه وطبيعة الإنفاق وأسلوبه.

وحين يصور إنفاق الكافرين يجد في الريح الشديدة التي تصاحبها قوة البرد المندفعة لإهلاك الحرث والنسل صورة مطابقة مجسدة لهلاك أعمالهم وبطلانها.

والمثل حين يشبه أمرا معنويا طيبا وعملا إنسانيا صالحا، وكلمة نزيهة صادقة، يجد في معطيات الطبيعة تشخيصا لهذا المدرك العقلي، فالشجرة الطيبة في نموها وظلالها ورسوخها خير مثال له في التشبيه والتجسيد. والعكس بالعكس في الأمر المعنوي الخبيث في ملاءمته للشجرة الخبيثة في بقعتها وثمرتها، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (١).

ويلمس المثل في الماء وهو عديل الوجود وقرين الحياة أداة تعبيرية نابضة، فالماء في انهماره فجأة واختفائه بغتة، خير مثيل للحياة الدنيا في انقضائها وزوالها، فلا أنسب للتشبيه هنا من الماء النازل فجأة والمنقطع فجأة ، مجسدا تلاشي نعيم الدنيا بهذا الماء، وسرعة فنائها بسرعة فنائه، يقول تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (٢).

ويصور المثل تفاخر الناس بالحياة الدنيا الفانية وتكاثرهم بما يفنى بهيئة الغيث المنقطع عن الزرع بعد إنعاشه، وإذا به يجف دون إنذار فيصفر الزرع نتيجة لعدم الموازنة في السقي والإرواء، ليصبح حطاما تذروه الرياح، وهشيما تتناقله الأجواء، فبينما هو نبات يعجب الزارعين، إذا به هباء يتطاير من هنا وهناك، ويضع المثل هذه الصورة بملابساتها المتناقضة تجاه أمر الدنيا والمعجبين بزخرفها، يقول تعالى: ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦
(٢) سورة الكهف: ٤٥
(٣) سورة الحديد: ٢٠

والعاكفون على أصنامهم يسيئون صنعا ويحسبون أنهم محسنون، يبذرون جهودهم في بناء الأوهام، واتخاذ الأنداد لله، فهم في عمل لا جدوى منه، وجهد لا تعويض عنه، فيبرز المثل حالهم بتمثيلهم بحال العنكبوت التي تجد نفسها وتسرف وقتها في اتخاذ بيت ليس له مقومات البيوت ولا إحكام البناء ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

وكذلك اليهود حينما تبينوا صدق الرسالة بإنباء التوراة عنها، ثم خلفوها وراء ظهورهم ولم يعملوا بما علّموا، فالحمار إذن أبلغ تشبيه لهم وهو يحمل كتبا نفيسة لا يستفيد من علمها شيئا. وفيه إشعار بالمهانة وتصريح بالتحقير.

وكذلك الذي انسلخ من آيات الله بعد إدراكه لعلومها وسرها، وعظمتها، فهو كالكلب اللاهث يدلع لسانه، ويسيل لعابه ويخفق قلبه في راحته وتعبه، فالذي انسلخ يكد في تحريف كلمات الله، فهو جاهر بها وهو جاحد لها، أو رافض لمضمونها، فالحالة هذه تمثله وهو ينوء بعبء لم يستفد منه، ويعاني ثقلا لم ينهض به، وهكذا الكلب في نصبه الكادح بداع وبغير داع.

وفي تشبيه عمل المنافقين في استدراج أهل الكتاب نحو العصيان والجحود والتآمر على المسلمين بالشيطان، في قوله: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وكأن حقيقة الشيطان بما يلفها من صورة شنيعة عند الإنسان، قد أصبحت من الظهور والإبانة بما يصلح أن يشبه بها غيرها،فعاد هذا التشبيه أداة صالحة تصور حقيقة هؤلاء المنافقين في إغواء أهل الكتاب وترجيح عصيانهم وتقوية شوكتهم، وحينما دارت بهم الدوائر وكتب الله النصر للنبي ( ﷺ ) و المسلمين، تبرؤوا منهم، وأظهروا الإيمان نفاقا وخوفا، كما تبرأ الشيطان من الإنسان بعد إغوائه. وأظهر خوفه من الله تعالى كذبا وعجزا، لا واقعا وتصديقا" (٣).

والتصوير القرآني وهو يستمد مادته من أحوال النفس الإنسانية يجسد هذه الأغوار النفسية ويعكسها بمنظار الطبيعة، فحينما أراد المثل أن يوضح حالة المنافقين النفسية في تخبطهم وقلقهم وضلالهم، شبه هداهم الذي ارتدوا عنه بنار ما لبثت أن طفئت، فتاه موقدها في

---

(١) سورة العنكبوت: ٤١
(٢) سورة الحشر: ١٦
(٣) انظر: محمد الصغير، الصورة الفنية : ٢٠٠-٢١٠

ظلمات مطبقة " فيجد المثل في المطر المتدافع بالظلمات المتراكمة والرعد الصارخ بالأصوات المجلجلة، والبرق الخاطف بالصواعق المحرقة، خير بديل لما فقد المنافق من أمن ونور وهدى، مصورا أزمته النفسية في الاضطراب ..... وتوقعه للهلاك لحظة بعد لحظة في صورة حسية أخرجت التمثيل في التشبيه من قالب الإدراك العقلي إلى مجال الرؤية الملموسة بحاستي البصر والسمع، وحولت هذا الأمر المعنوي إلى إدراك مشاهد بالأثر المادي، حتى تجمعت تلك المرائي البصيرة، والمراصد السمعية، فجسدت أبعادها في هيئة متكاملة عيّنت الواقع الحقيقي بأسلوب تشبيهي، قدم لنا المعنوي المجرد مثالا حيا ماديا دائب الحركة في آيات بينات" (١)

## اللغة التصويرية في المثل القرآني:

للكلمة دلالات تصويرية حيّة تثري التمثيل والتصوير، ولذلك كانت دراسة البنية التركيبية للمثل القرآني مقدمة على دراسة الصور البيانية، لأنها هي الخطوط التي تتكون منها هذه الصور، فللكلمة القرآنية دور سحري في تحويل الكلمات المسموعة إلى صور حية، ترى بالعين وتسمع بالأذن، وتدرك باللمس، وفي ذلك كبير الأثر في تعميق المعاني في النفوس وهذا هو أعلى مستويات الإدراك.

إدراك المحسوسات هو وسيلة الإنسان الأولى إلى المعرفة، يقول الجرجاني: " ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولا من طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروّية، فهو إذن أمس بها رحما، وأقوى لديها ذمما، وأقدم لها صحبة، وآكد عندها حرمة، وإذا نقاتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض، وبالفكرة في القلب، إلى ما يدرك بالحواس، أو يُعلم بالطبع وعلى حد الضرورة. فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم وللجديد الصحبة بالحبيب القديم" (٢)

ويقول محمد أبو موسى : " والمهم أن هذا الطريق الذي هو التعبير عن المعقول بالمحسوس عودة إلى طبيعة اللغة الأولى حين كانت تلتبس بالمحسوسات التباسا لا انفكاك منه، رجعة إلى اللغة المصورة، رجعة إلى طفولة الإنسان في حسه وشعره ولغته " (٣).

واللغة التصويرية مدخل للنفس، يدخل البيان بها إلى أعماق النفس الإنسانية حتى يتمكن منها فتنقاد له ويظل فاعلا فيها " أنت إذا تتوسل إلى النفس بطريقة هذه الصور لتؤنسها بالمعاني والأفكار التي تريد أن تبثها فيها.....أنت تناغي الروح بهذه اللغة التصويرية

---

(١) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٢٠٢-٣٠٣

(٢) التصوير البياني: ١٣٦

(٣) أسرار البلاغة: ١٠٩

كما تناغي الطفل بما يثيره أو يشوقه من أصوات وأفعال " (١).

وهذه الكلمات الحسية الواصفة تجسد المعاني بدلالاتها وجرسها وتكوينها الصوتي وظلالها المعنوية التي تلقيها على الألفاظ، مثال ذلك في مثل المنافقين " فكلمة ( استوقد ) كان لها أثر كبير في تجسيد المعنى لما في السين والتاء من الطلب الملح والكد والجهد، ووراء ذلك قوة الدافع من الخوف والهول من الظلم، وجاءت كلمة ( نارا ) نكرة لبيان عظم هذه النار لتُدفئ صقيع قلب المنافق، وتنير دربه. وكلمة ( لما ) في قوله ( فلما أضاءت) فيها معنى المفاجأة والسرعة، فالأمل ما إن بزغ وشع إلا وقد ابتلعته ظلمة اليأس وذهب بددا " (٢) وفي تنكير ( ظلمات، ورعد، وبرق، ) تجسيد لهول الظلام وقصف الرعود وخطف البرق، كما أن كلمة ( صيب ) جسدت انصباب العذاب وسقوطه عليهم وانغمارهم به.

واللغة التصويرية ليست هي ألفاظ مفردة فقط، وإنما هي سياقات مترابطة تلتحم فيها الألفاظ الوصفية المجسدة مع بعضها البعض لتشكل كلا واحدا، يحيل المجرد إلى ملموس، والذهني إلى محسوس والخيال إلى واقع وبذلك تصل المعاني إلى النفس بطريقة التصوير الفني من منافذ شتى " من الحواس بالتخييل، ومن الحس عن طريق الحواس ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء. ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها المفرد الوحيد" (٣).

وباللغة التصويرية تنتقل القضايا الذهنية العقلية المحضة المعقدة، إلى إنعام الحواس بما تدركه من أمور معتادة دون جهد عقلي في تصور أمر مفروض، أو معنى ذهني مجرد يتحقق مصداقه في الخارج بما هو حسي، فيزول عندئذ الغموض والإبهام، ذلك أن الجوانب الحسية قلما تتداخل مع بعضها.

<u>خصائص التصوير الفني في المثل القرآني:</u>

من دراسة الأمثال القرآنية في كتب البلاغة تتضح الخصائص المميزة لهذه الأمثال:

أولا: تحول المعاني الذهنية القلبية إلى صور حسية حيّة.

ثانيا: المثل القرآني عنصر أساسي في النظم، والمعنى العام لا يكتمل إلا به.

---

(١) محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٣٧

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف: جـ١، ١١٥: محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٣٧

(٣) سيد قطب، التصوير الفني: ٢٤٢

فالمثل القرآني يقصد إلى التصوير والتمثيل باعتباره حاجة فنية تـُبنى عليها ضرورة الصياغة والتركيب " فهو وإن كان عنصرا بيانيا يكسب النص روعة وتقريب فهم، إلا أنه يعود عنصرا ضروريا لأداء المعنى القرآني متكاملا من جميع الوجوه، فقوله تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (١) نلمس فيه الجانب الاحتجاجي غالبا على الجانب التشبيهي، ففي وجه الشبه قطع لشـُبه المحتجين بخلق عيسى دون أب مع اعترافهم بخلق آدم دون أب وأم، وما جاء به التشبيه أصبح حاجة ضرورية لإقامة الدليل وإثبات الحجة، وذلك عن طريق تشبيه الغريب بالأغرب فإذا اعترف بالأغرب، كان الاعتراف والإقرار بالغريب أولى، لأن عيسى قد أشبه آدم بأحد الطرفين، وهو الخلق دون أب، ولكن آدم زاد عليه بالطرف الآخر، فاقتضى حسم النزاع" (٢). لذا يرى محمد المبارك في هذه الطريقة أن أمثال القرآن تشتمل على نوعين من المعرفة: فكرية وفنية " فهي من الوجهة الفكرية: نوع من القياس والحكم بالنظائر والأشباه، ومن الوجهة الفنية: نوع من التشبيه الموسّع على صور جذابة " (٣).

ثالثا: الجمع الصحيح بالعلاقة البينة بين طرفين متباعدين في الجنس.

عند إنعام النظر في عنصري التمثيل ( الممثل له ) و ( الممثل ) الوارد في أمثال القرآن، نلاحظ تباعدا وغرابة تجمع بين الطرفين " فتصور الشبه من الشيء في غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك له من غير محلته، واجتلابه إليه من الشـّقّ البعيد، بابا آخر من الظرف واللطف، ومذهبا من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل" (٤)، فعبادة الأوثان ما الذي يربطها ببيت العنكبوت، واليهود والتوراة ما وجه القرابة بينهما وبين الحمار... الخ، إن النظرة الأولى المستعجلة لهذه الأمثال يقف عندها العقل مستغربا واجما، وعند إنعام النظر فيها تتكشف دقائق معنوية، فيها أنس النفوس وأريحيتها، وبها تتثبت المعاني وتؤثر في النفس.

فأمثال القرآن في تصويرها تقوم على الأضداد المتآلفة، والتمثيل في القرآن، يقوم على تحطيم الفوارق بين الأشياء، وإدناء الغوامض من الأمور وسرائر النفوس من بعضها البعض، يقول الجرجاني في تذوقه وإحساسه بهذا الأصل البلاغي " وهكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩

(٢) محمد الصغير، الصورة الفنية: ١٨١

(٣) دراسة أدبية لنصوص من القرآن: ١٠٧

(٤) الجرجاني، أسرار البلاغة: ١١٢

لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستطراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتألف للنافر من المسرة، والمؤلف لأطراف البهجة، أنك ترى بها الشيئين مِثْلَين متباينين، ومؤتلفين مختلفين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض، وفي خلقة الإنسان وخلال الروض، وهكذا، طرائف تنثال عليك إذا فصلت هذه الجملة، وتتبعت هذه اللّمْحَة" (١) ، ويقول في موضع آخر: " وهل تشكّ في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئم والمعرق، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين " (٢).

والتشبيه بين الشيئين لا بد أن يكون صحيحا معقولا، تصير به المتباعدات متعانقة فكشف العلاقة بين الطرفين المتباعدين يدنيهما إلى حال القرب والاتحاد، وهذا الأصل في النفس والفطرة، فالأشباه والنظائر حين تنكشف بين الأشياء المتباعدة، أو المتناقضة تبعث الارتياح والشعور بالألفة (٣) ، و يقول الجرجاني: " ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه، وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به أكثر، وكان بالشغف منها أجدر، فسواء في إثارة التعجب، وإخراجك إلى روعة المستغرب، وجودك الشيء من مكان ليس من أمكنته، ووجود شيء لم يوجد، ولم يعرف من أصله في ذاته وصفته " (٤)

لكن التشبيه بالمتباعدات والمختلفات في الجنس، لا يصح إلا أن يكون الجامع بين الطرفين جامعا صحيحا بينا، وقد تكلم الجرجاني عن عنصر المفاجأة الناتج من هذا التباعد وأثره في تمكين المعنى في النفس، يقول: " والمفاجأة عامل مهم في إثارة النفوس وتحريكها وبعث صورها وأحلامها، ومرجع المفاجأة هنا أن النفس ترى في الحالين شيئا لم تكن تتوقعه وهذا هو السر مع تنويه البلاغيين بالمركبات الخيالية من أمثال " (٥) .

---

(١) أسرار البلاغة: ١١٢-١١٣

(٢) المرجع السابق: ١١٤

(٣) انظر: محمد أبو موسى: ١١٣ - ١١٥

(٤) أسرار البلاغة: ١٠٢

(٥) محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١١٦

ويقول محمد دراز في تحليله لدقة الملاءمة البلاغية بين المعاني المتباعدة في السور القرآنية وصعوبته: " وهذا التأليف بين المختلفات ما زال هو العقدة التي يطلب حلها كل فن وصنعة جميلة، وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة، ودقة الذوق في تلك الفنون والصناعات، فإن تقويم النسق، وتعديل المزاج بين الألوان والعناصر الكثيرة أصعب مراسا وأشد عنادا منه في أجزاء اللون الواحد والعنصر الواحد " (١).

فالتشبيهات تقوم على الأضداد المتآلفة، ويعبر الجرجاني عن هذا المعنى بـ ( التئام عين الأضداد ) ويعبر عنه محمد دراز بـ ( التأليف بين المختلفات ) وقد سبقت الإشارة إلى هذا التأليف في البنية التركيبية للنص، وأن هذا التأليف كان نواة انبثق النص منها وانبنى عليها.

وهذا التأليف، هو" وعي عميق بالأشياء، يفتت ما بينه من بعد، ويذوب ما بينها من تخالف، ويبرز التشابه ، وأصل الوجود وائتلافه ونسقه فتتفتت الحواجز بين الأشياء فتتلاقى صورة السماء وصور الأرض، ويندمج الإنسان في النبات، ويتعانق المشرق والمغرب، ويندمج عالم العقل في عالم الحس، وتتحطم قوانين الأشياء " (٢).

ويقول محمد أبو موسى في هذا: " إن هذا الأصل ناظر إلى هذه الأشواق الروحية، أو ناظر إلى غربة الروح في الكون وبحثها عما يزيل هذه الغربة ويفتت هذه الحدود بين الأشياء فتبدوا وكأنها تضمر في دواخلها عناصر تجمعها، وكأنها مظهر من مظاهر الوحدة التي هي أشبه بوحدة الروح السارية في كل حيّ " (٣)

وقد اعترض محمد الصغير على رأي الجرجاني القائل: " وهكذا إذا استقريت التشبيهات، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها أن تحدث الأريحية أقرب .... " (٤)، فيقول: " لمسنا في تشبيه القرآن بوضوح طرفيه مخالفة صريحة لما يتبناه عبد القاهر الجرجاني من رأي غريب في التشبيه .... لأن من أهداف أي تشبيه في أي نص، إضاءة المعنى، وجلاء الصورة، لتتكامل دلالة النص الفنية، وليدرك السامع ما أراده المتكلم وبذلك تتحقق

---

(١) النبأ العظيم: ١٥٦
(٢) محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٢٤
(٣) التصوير البياني : ١٢٤
(٤) أسرار البلاغة: ١١٢

خصيصة التأثير النفسي فيه، هذه الخصيصة لا تكون إلا بقرب الصلة بين التشبيه والنفس وهذه الصلة إنما تتقارب إذا كانت الأمور إلى البداهة والحس أقرب منها إلى الإبهام والغرابة ومن هنا يُؤخذ على قدماء البلاغيين إغفالهم لأثر التشبيه النفسي إذ لم يعقدوا كبير أهمية عليه، ولم ينظروا إلى الشعور المتفاعل معه سلبا أو إيجابا " (١).

واستدل محمد الصغير برأي أحمد بدوي القائل: " وليس التشبية في واقع الأمر سوى إدراك ما بين أمرين من صلة في وقوعهما على النفس، أما تبطّن الأمور، وإدراك الصلة التي يربطها العقل وحده فليس ذلك من التشبيه الفني " (٢). فهو يرى أن الصورة التي يكدح العقل، ويكد الذهن في استخراج أجزائها، وربط علاقاتها تكاد أن تكون بعيدة عن الدائرة الفنية للتشبيه، لأن إدراك المعقولات بعملية عقلية خالصة، لا يكون من اليسير كإدراكها بالحسيات المشاهدة.

إن الجرجاني في طرحه لموضوع البعد بين عنصري التشبيه، واختلافهما في الجنس، يتجاوز ويرتقي فوق هذا الاعتراض، إنه يشعر بعمق سحر البيان ويتحسس أثره ومسراه في النفس، وهو ينظر إلى أريحية النفوس وأنسها، وكيف أنها بالغريب المفضي إلى يقينها ـ وليس الغريب الموحش ـ تطرب، وقد اشترط الجرجاني قيدا لهذا الأصل البلاغي، وهو أن يكون الرابط بين المشبه والمشبه به بينا جليا في الأصل، فحسن التأليف " والحدس والملاءمة، والتأليف السوي " (٣) أمور اشترطها الجرجاني في طرحه هذا.

" فالجمع بين المتباعدين ليس أصلا لحسن التشبيه هكذا بالإطلاق، ولكنه يكون إذا كان هذا الجمع صحيحا من ناحية مغزى التشبيه والمقصود منه، أعني وجود العلاقة الصحيحة القوية، ومن ناحية حس النفس بالطرفين مجموعين، أعني أن يكون بينهما مناسبة وملاءمة من جهة ما يثيران في النفس من مشاعر وأحوال ".(٤)

" والجمع بين المتباعدين لا يرفع كل تشبيه يقع عليه إلى درجة الجودة، ويقيد هذا الأصل البلاغي بأمور:

الأول: أن يكون تعانقهما في النفس بقدر تباعدهما في الحس.

---

(١) الصورة الفنية: ١٨٥

(٢) من بلاغة القرآن: ١٨٧

(٣) محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٢٩

(٤) المرجع السابق: ١٢٨

ثانيا: العلاقة الذهنية التي يلمحها العقل وحده ليست كافية لصحة التشبيه ما لم يضف إلى ذلك رؤية الحدس والقلب، وإدراكه لهذه الصلة" (١) يقول الجرجاني : " واعلم أني لست أقول لك أنك متى ألفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت، ولكن أقول بعد تقييد وبعد شرط، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس، وفي ظاهر الأمر شبهها صحيحا معقولا، وتجد للملائمة والتأليف السوي بينهما مذهبا وإليهما سبيلا، وحتى يكون ائتلافهما الذي يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس" (٢).

رابعا: التصوير المتحرك.

حفلت الأمثال القرآنية بالتصوير المتحرك الحي الناطق، فريشة التمثيل المبدعة ما مسّت جامدا إلا نبض بالحياة، والتصوير المتحرك في الأمثال القرآنية ذو أبعاد مكانية وزمانية، تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية. وكان الغرض من هذا التصوير المتحرك هو استحضار الموقف، وتجسيده على أرض الواقع لتتحول المعاني أرواحا وأجسادا تتحرك وتفعل كل هذا للسيطرة على الجانب النفسي، والسيطرة على الإحساس الداخلي للإنسان وللامتزاج مع شعوره، لتحقيق الهدف الديني وهو ترسيخ تعاليم هذا الدين، والإقناع به بطريقة منطقية وجدانية.

ومما يميز التصوير المتحرك في أمثال القرآن ، التقاط الحركة ثم تصويرها وهي تتحرك، فينبض كل لفظ فيه بأوضاع الحركات، مما يجعل الحركة حية مستمرة، تبهج النفس وتُبعد عنها ملل الجمود، يقول الجرجاني: " واعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجيء من الهيئات التي تقع عليها الحركات " (٣).

والحركة سمة واضحة من سمات التصوير الفني في القرآن وقاعدة من قواعده " فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا الكلام يُتلى، ومثل يُضرب، ويتخيل أنه منظر يُعرض وحادث يقع، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات، المنبعثة من الموقف، المتساوقة

---

(١) انظر: محمد أبو موسى، التصوير البياني: ١٢٩

(٢) أسرار البلاغة: ١٣٢

(٣) المرجع السابق: ١٥٧

مع الحوادث، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتنم عن الإحساس المضمر " (١).

وفي مثل صاحب الجنتين، تحول التمثيل إلى مشهد مسرحي متحرك، أحس فيه المستمع بالمشاهد والشخوص تتحرك أمام عينيه، ولمس فيه الحركة والانتقال بين الجنتين رأى مشاهد النعيم والبهجة، ووقف على أنهارها الجارية.. ثم أزعجه صوت الصواعق في رهبة الليل وقصف الرعود، وأرهبه الحُسْبان المرسل على صاحب الجنتين، ثم أحزنه منظره وهو يبكي حزنا وأسفا، يقلب كفيه..لتنتهي مشاهد حافلة بالحركة جسدتها الألفاظ بظلالها المعنوية على مسرح الأمثال.

وفي قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢) " إن هنا حشدا من الصور المتتابعة في شريط متحركة، فهؤلاء هم المنافقون قد أوقدوا النار [ بعد كد وتعب ] فأضاءت. وفجأة يذهب الله بنورهم ويخيم حولهم الظلام [ وتمتزج الأحداث بالشخوص وعناصر الطبيعة وتسيطر عليهم الظلمات ويخيم حولهم القلق والتخبط ] .. أو هاهي ذي العاصفة: صيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، وهؤلاء هم مذعورون يتوقعون الصاعقة، ويخافون الموت،[ فيحمون أنفسهم بصم آذانهم وهي حركة مجانسة لإعراضهم تعكس نفسياتهم] وما تغني الأصابع في الآذان ولكنها حركة الغريزة في هذا الأوان. وها هو ذا البرق يخطف البصر ولكنه ينير لحظة، فهم يخطون على ضوئه خطوة، وها هو ذا ينقطع فيظلون واقفين، لا يدرون كيف يخطون ... لو سجلت عدسة الصور المتحركة مشهدا كهذا، بما فيه من الحركة والتتابع لكانت موفقة كل التوفيق، فكيف والمنظر هنا تسجله الألفاظ، فلا تنقص منه حركة واحدة تستطيع عدسة الصور إثباتها؟ لا بل تتيح للنفس متعة أشهى، بأن تدع للخيال عملا، وهو يرسم الصور ويمحوها، ويصنع الحركات ويتبعها، ويرسم الظلال ويشهدها، والنفس تجيش والوجدان ينفعل، والقلب يسرع في النبضات، تحت تأثير ماذا؟ تحت تأثير الكلمات "(٣).

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني: ٣٢
(٢) سورة البقرة: ١٧- ٢٠

(٣) سيد قطب، التصوير الفني: ٢٤٨

ويقول صلاح الخالدي: " الصور القرآنية ترسم عدة صور متحركة لحالة من الحالات، أو معنى من المعاني، أو غرض من الأغراض ..... ولكن الريشة المصوّرة المعجزة لا ترسم هذه الحركات كلها دائما، وإنما تُبقي الحركة الأخيرة، حيث يقف التعبير على الحركة التي قبلها، وهنا يعمل حس القارئ وخياله عمله، إذ يتخيل هذه الحركة ويتوقع حصولها في كل لحظة، ويبني نتائج لهذا التوقع المتخيل، ويتملى ما فيها من جمال، ويتذوق ما فيها من فن"(١). وهذه الفجوات يفسحها التصوير للنفس الإنسانية لتنسجم وتقيم خيوطها الذاتية، فتلتحم مع تصوير وحركة النص، وهذا من أهم سمات التصوير القرآني المتحرك.

وفي أمثال الحياة الدنيا خير مثال على هذا، فما أن ينزل المطر حتى يختلط بنبات الأرض وإذ به هشيما تذروه الرياح. هناك إذا فجوات تُركت بناء على نسق لفظي معين، ليملأ المشاهد بخياله فجواتها، فيقترب منها، وتؤثر في نفسه ويكون لها كبير الوقع عليه.

خامسا: التناسق الفني، في تصوير المثل القرآني.

التناسق في القرآن هو جانب الأداء الفني فيه، ويظهر في صور متعددة، كالتنسيق " في تأليف العبارات ... والإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص...[ و في ]التعقيبات المتفقة مع سياق، كأن تجيء الفاصلة ﴿ وهو على كل شيء قدير﴾ بعد كلام يثبت القدرة [ إضافة إلى ] التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص، والخطوات النفسية التي تصاحبها " (٢)

وما يهمنا بالدرجة الأولى في مبحث التصوير الفني هو التناسق الفني في التصوير رغم تداخله مع باقي المتناسقات في نسق واحد وتشابكه معها بطريقة يصعب الفصل فيها بينهم.

وقد أشار سيد قطب إلى مظاهر التناسق الفني في التصوير القرآني، وعند تطبيق هذه المظاهر على أمثال القرآن خاصة يتضح ما أشار إليه.
أولا: وحدة الرسم، بأن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة، فلا تتنافر جزئياتها.
ثانيا: توزيع أجزاء الصورة - بعد تناسبها - على الرقعة بنسب معينة حتى لا يزدحم بعضها ببعض، ولا تفقد تناسقها في مجموعها.
ثالثا: اللون الذي يُرسم به، والتدرج في الظلال، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع.(٣)

---

(١) نظرية التصوير الفني: ١٤٠
(٢) سيدقطب، التصوير الفني: ٨٧ - ٨٨
(٣) انظر، التصوير الفني: ١٨٥

والوسيلة الوحيدة لهذا التصوير هي الألفاظ، فيا له من إعجاز! والمثل القصصي لصاحب الجنتين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾ (١) يجسد هذه العناصر، فأجزاء التصوير التمثيلي هنا متسقة، إنسان وزروع وأنعام ومال وخضرة ورغد يعم كل شيء. كما أن حسن تقسيم البستانين، أعناب محاطة بنخيل، وفي الوسط زروع وأنهار متفجرة من أعماق الجنتين يبرز تناسق الأجزاء في الرقعة وتجانسها.

وفي تدرج الألوان في الإطار الأخضر مسحة جمالية إبداعية باهرة، فلون النهر الأزرق المتلألئ الذي يشق أراضي البستانين، ولون الثمار البهيجة من صفرة وخضرة، إضافة إلى لون النخيل المنتصبة على حافتي الجنتين، وظلالها المتراقصة مع أشعة الشمس حين تنعكس على زروع الجنتين فتزدان بلون الذهب الصافي البرّاق، تناسق لوني يتناسب وسياق النعيم والرخاء. وحين يتحول السياق إلى الجحيم والعذاب، ينسجم التصوير بالفكرة، ليجسدها وتتناغم عناصر الطبيعة مع المعنى الذهني لتصويره، فها هو ذا الظلام برهبته وأحزانه يخيم على الصورة لترسل السماء غضبها، فتنزّل الصواعق والأمطار والرعد والبرق الخاطف المهلك وها هي ذي الأرض تبتلع الماء ليعم الجفاف والقحط وتتعرى الجنتان من أشجارهما وثمارهما وغصونهما وكرومهما وأوراقهما لتصبحا خاويتين على عروشهما.

كما أن التناسق في توزيع مشاهد المثل، وعرضها عرضا فنيا كان له دور كبير في تجسيد المشهد وبث الحياة فيه بواسطة الحوار، فكانت المشاهد تُعرض بطريقة حذقة ترتكز

---

(١) سورة الكهف: ٣٢- ٤٤

على المشاهد الفاعلة، والمؤثرات الناجعة، وتتجاوز بالحوار الأمور الثانوية، وهي بذلك تفتح للخيال مجالا ينسج من خلالها، أواصر بين ما يُعرض من مشاهد، لتنسجم ذات الإنسان فيها وتلتحم بها عقلا وروحا، مما يكون له أثر كبير في تثبيت المعنى المراد بيانه والاتعاظ به.

ومن ألوان التناسق الفني، التناسق في مدة العرض المقررة لبقاء المشهد معروضا على الأنظار " ترى بعض المشاهد يمر سريعا خاطفا، يكاد يخطف البصر لسرعته ويكاد الخيال نفسه لا يلحقه، وبعض المشاهد يطول ويطول حتى ليخيّل للمرء في بعض الأحيان أنه لن يزول " (١). ومثال مشاهد القصر في العرض، قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (٢) فهذا عرض سريع، يبين سرعة زوال الدنيا وفنائها " وانتهى شريط الحياة كله في هذه الجمل القصار، وفي هذه المشاهد الثلاثة المتتابعة ( ماء أنزلناه من السماء ) فـ ( اختلط به نبات الأرض ) فـ ( أصبح هشيما تذروه الرياح ) . ألا ما أقصرها من حياة!..... ومثل هذا النص نص آخر في المعنى والاتجاه، ولكنه يختلف في حلقة منه، ليؤدي غرضا آخر مع هذا الغرض السابق: ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (٣) فالصورة المعروضة لقصر الحياة متحدة تقريبا مع الصورة الأولى، ولعل هذا يخيل للبعض أن هناك تكرارا كاملا، ولكن الواقع أن هناك اختلافا دقيقا. إنه أطال عرض شريط الحياة الدنيا - كما يراه الكفار - فهي لعب، ولهو، وزينة وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد. ليقول: إن هذا الذي تعجبون به كله، وهذا الذي تستطيلون أمده، إنما هو في حقيقته قصير زائل، كذلك الغيث الذي يعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفرا، ثم يكون حطاما " (٤).

والسر في تطويل مشهد صاحب الجنتين، أنه سيق لعرض الوعظ والإرشاد والاعتبار، فناسب أن يكون عرضها بطيئا لتلبث صورها أمام الأنظار، وليتم تملي مشاهدها، والاستمتاع بها.

إن التناسق خيط يمر بحلقات النظم القرآني، يمر في لفظه ونسقه وتراكيبه وصوره وإطاره وإخراجه، يقول سيد قطب: " وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق، من

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني: ١٥
(٢) سورة الكهف: ٤٥
(٣) سورة الحديد: ٢٠
(٤) سيد قطب، التصوير الفني: ١٢٩- ١٣٠

التناسق والاتساق، فمن نظم فصيح إلى سرد عذب إلى معنى مترابط إلى نسق متسلسل إلى لفظ معجز إلى تعبير مصور إلى تصوير مشخص إلى تخييل مجسم إلى موسيقى منغمة إلى اتساق في الأجزاء إلى تناسق في الإطار إلى توافق في الموسيقى منغمة إلى إقتنان في الإخراج ..... وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز " (١).

ومن آليات التناسق الفني في تصوير المثل القرآني أنه يقرن المعاني والعناصر المتعارضة المتضادة في سياق واحد لتتميز الحقائق تماما، وتعرض الصور متقابلة لتؤدي المفارقة غرضها في إبراز الحقائق وتجسيدها بالتخييل. " والتقابل طريقة من طرق التصوير..... والتعبير القرآني يُكثر من استخدامها في تنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق " (٢) مثال ذلك في أمثال الإنفاق الواردة في سورة البقرة " مشهد كامل مؤلف من مناظر متقابلة شكلا ووضعا وثمرة، وفي كل منظر جزئيات يتسق بعضها مع بعض من ناحية فن الرسم وفن العرض، ويتسق كذلك مع ما يمثله من المشاعر و المعاني التي ترسم المنظر كله لتمثيلها وتشخيصها وإحيائها " (٣).

فحين يبدأ الدستور الرباني بتشريع وجوب الصدقات وفضلها، يبدأ بالحض وتأليف القلوب ولا يبدأ بالفرض والتكليف" إنه يستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الإنساني كله، إنه يعرض صورة من صور الحياة النابضة المعطية الواهبة، صورة الزرع الذي يُعطي أضعاف ما يأخذ " (٤) ثم يعرض مشهدا من الطبيعة مقابلا له، هو القلب الصلد المغشي بالرياء ﴿ صفوان عليه تراب ﴾ " حجر لا خصب فيه ولا ليونة، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان ﴿ فأصابه وابل فتركه صلدا ﴾ وذهب المطر بالتراب القليل ! فانكشف الحجر بجدبه وقساوته، ولم ينبت زرعة ولم يثمر ثمرة ..... كذلك القلب الذي أنفق ماله رئاء الناس، فلم يثمر خيرا ولم يعقب مثوبة ! أما المنظر الثاني المقابل له في المشهد فقلب عامر بالإيمان، ندي ببشاشته . ينفق ماله ﴿ ابتغاء مرضاة الله ﴾ فالقلب المؤمن تمثله جنة، جنة خصب عميقة التربة في مقابل حفنة

---

(١) التصوير الفني: ١١٦

(٢) سيد قطب، التصوير الفني: ٩٦

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٣٠٨

(٤) المرجع السابق: جـ١، ص: ٣٠٧

التراب على الصفوان. جنة تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنة التراب ! ليكون المنظر متناسق الأشكال ! فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها وأخصبها ونماها .... إنه المشهد الكامل المتقابل المناظر، المتسق الجزئيات، المعروض بطريقة معجزة التناسق والأداء، الممثل بمناظره الشاخصة لكل خالجة في القلب وكل خاطرة " (١).

ويقابل هذا المنظر المثمر الندي مشهد آخر لنهاية الإنفاق الباطل في صورة بائسة موحية عنيفة الإيحاء، وكل ما فيها عاصف بعد أمن ورخاء ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) " هذه الصدقة في أصلها وفي آثارها تمثل في عالم المحسوسات ﴿ جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهارله فيها من كل الثمرات ﴾ إنها ظليلة مخصبة مثمرة، وكذلك الصدقة في طبيعتها وفي آثارها .. كذلك هي في حياة المعطي وفي حياة الآخذ وفي حياة الجماعة الإنسانية، كذلك هي ذات روح وظل، وذات خير وبركة ، وذات غذاء وري، وذات زكاء ونماء ! ..... وهكذا يقوم المشهد الحي الشاخص، بما فيه أول الأمر من رضا ورفه ومتعة، وما فيه من نضارة وروح وجمال . ثم بما يعصف به عصفا من إعصار فيه نار، يقوم هذا المشهد العجيب بالإيحاء الشعوري الرعيب الذي لا يدع مجالا للتردد في الاختيار، قبل أن تذهب فرصة الاختيار، وقبل أن يصيب الجنة الوارفة الظليلة المثمرة إعصار فيه نارا ! " (٣).

ومن أمثال الإنفاق قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤) وهو لا يُعد من الأمثال القياسية كأمثال الإنفاق السابقة له، وإنما هو مثل كامن إذ إن لفظ المثل لم يُصرح به ولم يُذكر المشبه ولا أداة التشبيه، ولا وجه الشبه. فهو استعارة تمثيلية، ويظهر التناسق فيه واضحا كباقي الأمثال القياسية، وهو مشهد مبني على ثنائيات ضدية دقيقة، مستمدة من عناصر الكون وجمالياته للتأثير الوجداني في النفس الإنسانية .

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٣٠٩

(٢) سورة البقرة: ٢٦٦

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ ١، ص: ٣١٠

(٤) سورة البقرة: ٢٦٦

إن التناسق في هذا التصوير يعتمد على التقابل بين مشهدين متضادين بين متعة وخضرة ونضارة وروح، وجمال ثم إعصار يعصف، ونار تحرق إلى أن يبيد كل شيء. هذان المشهدان المتناقضان بين حياة وموت، وخضرة وإحراق لا يدع مجالا للنفس البشرية بالتردد في الاختيار بين المشهدين، وبين نوعي الإنفاق - المتقبل والباطل - فتهب النفس الإنسانية المفطورة على حب الخير لنفسها بعدما أُشركت في الإجابة عن سؤال هذا المثل حين وجه إليها الخطاب بقوله ( أيود أحدكم ... ) فكان على كل نفس الإجابة.

فلوحة هذا المثل تحمل مشهدين متناقضين، الأول: منظر الجنة المثمرة اليانعة التي يزرعها صاحبها، وهي تدر عليه بالخير والرزق والهناء، والثاني: منظر البستان المحروق بالإعصار وما فيه من دمار وحزن وخسارة وحسرة في نفس صاحبه الذي أوهنه السن والعجز وهو مكبل بقيد النفقة على الذرية القاصرة العاجزة.

هذه اللوحة المكونة من هذين المشهدين المتناقضين تتسم بتناسق عظيم مستمد من تقابل الأجزاء المرسومة، ومن وحدة القواعد الأولية التي انبنى عليها كلا المشهدين، مما أوجد عناصر مشتركة بينهما أدت بدورها إلى تكوين وحدة بين أجزاء الصورة فلا تتنافر جزئياتها كما أن المشهدين - ( جنة النخيل والأعناب المقرونة بالصحة الجسيمة لصاحبها ) ومشهد ( الجنة التي أصابها إعصار النار فحرقها وصاحبها كبير السن عاجز ومثقل بذرية عاجزين ) - وزعت توزيعا متساوي النسب على رقعة المثل، فكانت متساوية مكانا وزمانا فعدد الألفاظ المكونة للمشهد الأول تقارب عدد ألفاظ المشهد الثاني، والفترة الزمنية التي تستغرقها الألفاظ لإلقاء ظلالها في آذان المستمعين تستغرق المدة نفسها لكلا المشهدين . هذا التناسق التام حقق وحدة الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع.

وبعد، فالتناسق الدقيق في تركيب هذا المشهد - النوع الرابع للإنفاق - وفي طريقة عرضه وتنسيقه لا يقف عند حد هذا المثل، ولا عند حد كل مشهد من مشاهد الأمثال الثلاثة السابقة، بل يتعداه ليمد التناسق روافده إلى مشاهد الأمثال مجتمعة من بدئها في مثل الحبة التي أنبتت سبع سنابل إلى منتهاها، وكالجنة التي أصابها إعصار فاحترقت. إنها جميعا تخضع لنسق تركيبي ودلالي واحد متناظر البنى والأركان، إنها تدور في محور واحد هو الإنفاق وتقارن بين المتقبل منه والباطل، بطريقة توضح خصائص كل صنف، وتحث على الإخلاص واجتناب مبطلاته، وترسم تماثيل أزلية يُسترشد بها في طريق الإنفاق.

هذه الأمثال المترابطة المنسجمة في مشهد متناسق اتخذت إطارا أخضر يانعا فاندرجت فيه" إنها جميعا تُعرض جميعا في محيط متجانس. محيط زراعي ! حبة أنبتت سبع سنابل ، صفوان عليه تراب فأصابه وابل، جنة بربوة فآتت أكلها ضعفين، جنة من نخيل وأعناب، حتى الوابل والطل والإعصار التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير" (١) ذُكروا لتكملة واستيفاء جميع عناصر المحيط الزراعي مما يُكسب الصورة مصداقية لتتجاوب مع العقلية الإنسانية لدرجة الإقناع .

وهناك تناسق آخر يوحد أمثال الإنفاق الأربعة، إنه خلفية اللون الأزرق الموحدة في جميع مشاهد الأمثال السابقة، ممثلة بالسماء المأطرة التي تجمع اللون الأزرق بتدرجاته المختلفة، والتي تعكس التمايز والتنوع في نفسيات المنفقين وتدرج ثوابهم، وقبول صدقاتهم.

ففي الأمثال يتجلى التناسق في أعلى مراتبه، ويوجد التناسق الناشئ من التعقيبات المتفقة مع السياق، فالفاصلة في المثل الأول تناسب السياق الواردة فيه، فقوله تعالى: ﴿ والله واسع عليم ﴾ فاصلة تناسب محتوى المثل من مضاعفة الأجر بدون حدود للمنفقين بإخلاص فأتت تؤكد المعنى وتقفله بقفل متناسق والسياق الواردة فيه، وقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ فاصلة متسقة لقفل سياق النهي والزجر عن إبطال الصدقة وفيها تهديد ووعيد وقوله ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ قفل متناسق وسياق التباين في الإخلاص وصدق النفقة وتفاوت جزاء المنفقين، كما أن القفل في قوله ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ قفل مناسب لجميع أمثال الإنفاق لما فيه من قوة جذب لأواصر غايات الأمثال المتتالية، وفيه تنبيه على أهمية التفكر والتدبر في هذه الأمثال، كما فيه إشارة لدور الأمثال في الإبانة والهداية والرشاد .

ومن ألوان التناسق التي تساند تناسق التصوير، تناسق الإيقاع، ولابن جني رأي في قياس المسموع من الأصوات على محسوس الأحداث، يقول" فإنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمَت الأحداث المعبّر بها عنها" (٢) ، ففي المثل الرابع وفي المشهد الثاني منه تحديدا نسمع صوت صفير الريح يدوي في البستان الذي احترق ( أصابه الكبر...فأصابها إعصار ..... ) كما كان لإيقاع التكرار في حرف الراء المشددة في كلمة ( ذريّة ) أثر دلالي في المعنى إذ بيّن كثرة الذرية وصعوبة النفقة عليهم. أما القلقلة الناتجة عن حرف الباء فكان لها كبير الوقع في زعزعة كيان الجنة الوارفة وصاحبها بذلك الإعصار الشديد ( أصابه ) ( الكبر ) ( فأصابها ) وكان لحروف الشدة دور في حبس جريان الصوت

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٣١٠
(٢) الخصائص: جـ٢، ص: ٤٥

المندفع من بداية المثل إلى هبوب الإعصار الذي حبس الصوت، لصعوبة الموقف وشدته متمثلة بالهمزة ( إعصار ) ( ضعفاء ) ( فأصابها ) والباء ( أصابها ) ( الكبر) والكاف ( الكبر ) والتاء ( ذرية) ( فاحترقت ).

ولعل تتابع الضمة وتنوينها في هذا الجزء من المثل كان له كبير الأثر في رسم العنف والشدة والفزع العنيف الذي أصاب الجنة وصاحبها، مثال ذلك ( ذريّة ) ( أصابه ) ( ضعفاء ) ( إعصار ) ( نار ) .

وقد كان لانتشار حرف الفاء العاطف كبير الأثر في إشاعة الجمال في هذه الأمثال، فالسرعة الخاطفة التي كانت تُعرض فيها مشاهد الأمثال جعلت العقل في تأهب ونشاط دائم وتفكير وتأمل، فالنسق اللفظي القائم على اختزال الألفاظ وانتقاء الموحي الخصب منها ساعدعلى عرض صور الأمثال بأدق جزئياتها للسامع، والتعقيب الذي تمثله ( الفاء ) في تتابع المراحل يتفق مع الطريقة السريعة لعرض صور هذه الأمثال، فالوابل يصيب الأرض، ولكنها لا تنتعش وتنتفخ، ثم تخرج السيقان من بذورها، فالأوراق فالثمار، وإنما ﴿ فآتت أكلها ضعفين﴾ تقنيات سردية سريعة تُوظف التعاقب لربط النتائج ببعضها، وذلك كقوله : ﴿ فأصابها وابل فتركه صلدا ﴾ وقوله: ﴿ فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ﴾.

وما ذُكر سابقا يؤكد ما ذهب إليه محمد قطب حين قال : " إن للقرآن عناية كبيرة بما نسميه مشاهد الطبيعة، وهو لا يستخدمها فقط في توجيه الحس البشري لآيات الله في الكون، وهو الغرض الأساسي الذي ترد فيه مشاهد الطبيعة، وإنما يستخدمها في مجالات أخرى تبدوا فنية بحتة " (١) .

" وبعد فإن التناسق الدقيق الجميل الملحوظ في تركيب كل مشهد على حدة، وطريقة عرضه وتنسيقه، هذا التناسق لا يقف عند المشاهد فرادى، بل إنه ليمد روافده فيشمل المشاهد متجمعة من بدئها في هذا الدرس إلى منتهاها، إنها جميعا تُعرض في محيط متجانس. محيط زراعي ! حبة أنبتت سبع سنابل. صفوان عليه تراب فأصابه وابل. جنة بربوة فآتت أكلها ضعفين. جنة من نخيل وأعناب، حتى الوابل والطل والإعصار التي تكمل محيط الزراعة لم يخل منها محيط العرض الفني المثير . وهي الحقيقة الكبرى وراء العرض الفني المثير، حقيقية الصلة بين النفس البشرية والتربة الأرضية. حقيقة الأصل الواحد. وحقيقة الطبيعة الواحدة، وحقيقة

---

(١) دراسات قرآنية: ٣٧٤

الحياة النابتة في النفس وفي التربة على السواء. وحقيقة المحق الذي يصيب هذه الحياة في النفس وفي التربة على السواء. إنه القرآن، كلمة الحق الجميلة، من لدن حكيم خبير " (١).

سادسا: " البناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثّل له، على اعتبار أن المثل قد كان وسيلة لإحضار صورة الممثل له في ذهن المخاطب ونفسه، وإذا حضرت صورة الممثل له ولو تقديرا، فالبيان البليغ يستدعي تجاوز المثل، ومتابعة الكلام عن المُمَثّل له، وتسقط صورة المثل لتبرز القضايا المقصودة.... وكثيرا ما يحذف من المثل القرآني مقاطع من الصورة التمثيلية، اعتمادا على ذكاء أهل الاستنباط، إذ باستطاعتهم أن يتصوروا في أذهانهم كامل الصورة ويتموا ما حذف منها..... وقد يُحذف أيضا من الممثل له مقاطع، فتعرض مثلا بدايات وتحذف نهايات، أو العكس اعتمادا على أن المثل قد ذُكرت فيه الصورة المماثلة لما حذف من الممثل له، فيدل المعروض في كل منهما على المحذوف من صاحبه . " (٢).

وفي مثل النور ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) تتجسد خصائص التمثيل القرآني، فيظهر فيه صدق المماثلة بين الممثل والممثل له، فقد ضرب الله لنور هدايته بمصباح أرضي ذي نور صاف من أية شائبة، وهذا النور يتلألأ كالكوكب الدري.

" وصدق المماثلة يظهر أيضا في الصفاء التام بين النورين. ومن البديع في صورة هذا المثل ما جاء فيها من رسم كامل للوحة كلامية رائعة تتجسد فيها خصائص التصوير الفني لأمثال القرآن الكريم.

لقد بدأت الصورة برسم مكان المصباح، وهي المشكاة، ثم رسمت الزجاجة الدرية المشعة المتلامعة " (٤) وهنا يتحول المشهد إلى أفق السموات، إلى الكواكب ، وتظهر هنا عناصر تقنيات التصوير الفني كوحدة الرسم، وتجانس عناصر الصورة وتآلفها من مشكاة إلى زجاجة مصباح إلى شجرة زيتون إلى زيت يضيء. كما يظهر فيها التحديد المكاني لأبعاد الصورة، والاهتمام بتجسيد أحداثه على أرض الواقع، ثم يهبط التصوير بحركة سريعة من علو

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٣١٠

(٢) عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ١١٥

(٣) سورة النور: ٣٥

(٤) انظر: عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ١٢٦ -١٢٨

السموات إلى أعماق بعد مكاني آخر، هو الأرض، فيعرض مشهد الشجرة المباركة التي تمد المصباح بالزيت الصافي، فهي نامية في أرض واسعة، وسطية لا تُحجب عنها الشمس عند الشروق ولا عند الغروب، وبسبب ذلك تكون الشجرة خضرة نضرة صافية الزيت.

ثم اقتطعت مقاطع من الشريط التمثيلي، وذلك اعتمادا على امتلاء السياق وبديهية الترابط بين المشاهد المختارة، وذلك لإبراز العناصر التمثيلية المهمة في الصورة التمثيلية.

وحين حذفت بعض مشاهد التمثيل أخذ الخيال ينسج أواصر الصور بطريقة سريعة نافذة في الأذهان والنفوس فاستكملها بنفسه " وتركت الصورة التمثيلية للخيال أن يستكمل بنفسه مشاهد أخذ الزيتون بعد صلاحه، وعصره في معاصره واستخلاص الزيت منه، وقَدّمت مشهد الزيت الصافي المتلامع، الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار"(١) وكذلك نور الله وهديه وكلماته.

ويظهر في هذا المثل تقنيات التصوير الفني من تناسق في أبعاد الصورة حين تتحرك المشاهد بين فجوة كوة ثم تنطلق إلى آفاق الكواكب ثم تهبط في أعماق الأرض للشجرة الزيتونة بين اتجاه عمودي ( كأنها كوكب دري ) واتجاه أفقي ( في زجاجة، شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ) .

كما يظهر تناسق الألوان وتدرجاتها الهادئة المتناغمة، فهي تدور في فلك اللون الأصفر المتلألئ الفاقع المنير . فلون الزجاجة اللؤلؤي، ولون الكوكب المتلألئ، ولون الشجرة التي تتخلها أشعة الشمس على مدار الوقت بأكمله، ولون الزيت المنير الصافي المشع كلها ألوان تتوزع في هذا المحور الأصفر، محور الإضاءة والإشعاع.

وبعد أن استكملت اللوحة التمثيلية كل عناصرها بدقة تامة، انكشف عنصر آخر من عناصر التمثيل في القرآن، وهو " البناء على المثل والحكم عليه كأنه عين الممثل له، على اعتبار أن المثل كان وسيلة لإحضار صورة الممثل له في ذهن المخاطب ونفسه. وعندئذ طويت

---

(١) عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ١٢٧

صورة المثل، وبرزت توابع الممثل له فجأة، وكأن معنى التمثيل تلاشى، وظهرت حقيقة الممثل له ظهورا تاما ، فحسن استثمار المشاعر النفسية لترتيب النتيجة المقصودة بالذات فقال تعالى: ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء﴾ فمن استجاب لدعوة الإيمان، وتدبّر آيات الله بصدق، وكان من طلاب الهدي والمعرفة، ظهرت له أنوار المعرفة الربانية من كتابه . " (١)

**********

---

(١) عبد الرحمن الميداني، أمثال القرآن: ١٢٧

# الفصل الخامس

# الدلالة الاجتماعية في المثل القرآني

## الدلالة الاجتماعية في المثل القرآني:

ليست الدلالة معطى مباشرا أو بدهيا، كما إنها ليست فقط ما تنقله اللغة إلينا فنفهمه وندركه ولكنها أيضا مما ننجزه باللغة، ونفعله بواسطتها.(١)
والدلالة حدث كائن يتخذ معناه الدقيق باتصاله بمحدد سياقي معين، ذلك لأن" الدلالة تمثل في الواقع حقيقة متعددة فهي لسانية ونفسية واجتماعية وأدبية، إلى آخر ذلك من الحقائق، وهي أيضا في الوقت نفسه تاريخ لمدلولات كثيرة ومختلفة، وإنها لتبقى متدثرة في ذاكرة الدال إلى أن يأتي سياق في زمن لساني أو سياق في زمن أدبي، أو نفسي، إلى آخره، فيكشف عنها غطائها، فإذا هي حديد تطل من وراء أزمنة الغياب ". (٢)

وإذا أخذنا المحدد الاجتماعي لاستخراج دلالته من المثل القرآني، فإن الدلالة الاجتماعية تتجاوز البنى اللفظية للنص وتراكيبه وسياقه، إنها تنظر إلى ما خلف السياق من معان جانبية تتراءى من بعيد، هي كاللؤلؤ المكنون في أعماق البحار.... هذا السطح المتلألئ الذي يُغري الغواص، ويدفعه قدما للبحث واستبطان النصوص " وبيان هذه الدلالة يقع على عاتق سياق الحال الذي يحدد الإطار والبيئة للحدث اللغوي ويحيط بالظروف والملابسات التي صاحبته، والدلالة الاجتماعية بطبيعتها ديناميكية تنشأ من خلال تفاعل عوامل عديدة من الملابسات أو الظروف التي اصطلح على تسميتها بالمقام أو السياق" (٣) .

إن النظر إلى النص من منظور الدلالة اجتماعية، يعني التعامل مع اللغة من منظور دلالي اجتماعي، وهذا يعني النظر إليها من منظور محدد" ذلك لأن اللغة من حيث هي نظام وأداء يتجلى فيه هذا النظام تقبل أن يتم التعامل معها من خلال رؤى متعددة ومناهج مختلفة. بل إنها تقبل ذلك من خلال علوم متباينة" (٤)، وعندما نركز على استخراج الدلالة الاجتماعية من النص، فإننا نكون قد اخترنا واحدا من ممكنات اللغة ووظائف عملها، وواحدا من دلالاتها وتجلياتها، وهذا الأمر يجعل كل مكونات اللغة صوتا، ومعجما، وتركيبا، وتصويرا، ودلالة تدور في إطار واحد هو الإطار الاجتماعي.

---

(١) انظر: منذر عياشي، مكونات اللسان: ١٣

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية: ١٥٨-١٦٥

(٤) منذر عياشي، الوظيفة الاجتماعية للغة: المقدمة

والأمثال مرآة تعكس صورة المجتمع الذي قيلت فيه، نرى ذلك واضحا في الأمثال العربية التي عكست صورة مجتمع البيئة العربية بنوعيه الحضري والبدوي. ولم تكن أمثال القرآن أيضا بمعزل عن ذلك فقد صورت البيئة الطبيعية والاجتماعية للطور الحضاري الذي نزلت فيه، وسر إعجازها أنها وضعت سحر بيانها على ملامح بيئية تصلح لكل طور حضاري ولكل مجتمع على اختلاف العصور والأمكنة. ولذلك اتسقت مع الأجناس والأعراق والحضارات واستمر أثرها فاعلا مؤثرا موجِّها ما بقيت الطبيعة، وما تعاور عليها الليل والنهار، وهذا سر خلودها إلى يوم الدين.

وإن الباحث في الدلالة الاجتماعية، يحول النص إلى مرآة ينظر من خلالها إلى الملامح المميزة للمجتمع الذي جاء وورد فيه هذا النص، ليستخلص الملامح الاجتماعية المميزة لهذا المجتمع والتي ترسم بُعْدا اجتماعيا، وتُعطي قيما اجتماعية للبيئة ومعطيات نفسية للناس في ذلك المجتمع " وبهذا يتم التعامل مع الوقائع اللغوية باعتبارها وقائع اجتماعية، وباعتبارها ركيزة أساسية للتراث الاجتماعي" (١)

وفي استعمال القرآن لضرب الأمثال إشارة إلى سبق معرفة المخاطبين بهذا النوع من القول، ومعرفة المتلقي بهذا الجنس من الفن القولي تعني استعماله مسبقا، كما هو الحال في التوراة والإنجيل، وفي كلام العرب آنفا، وإعادة هذا الاستعمال تأكيد على نجاح هذا الجنس من البيان، وإشعار بدقة استعماله، وروعة بيانه، فهو أسلوب من أساليب العرب ومنهج من مناهجها في الخطاب، وهو يدل على إعجاز القرآن أيضا حيث خاطبهم بأفضل ما يحسنون من لغتهم. " والعرب تنتقي المثل دون غيره، وتعتبره نموذجا صالحا لحصر الفروق المميزة بين قول وقول" (٢)، فالأمثال عندهم " وَشْيُ الكلام، وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيّرتها العرب، وقدمتها العجم، ونُطق بها في كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل " (٣)

فالأمثال هي المرآة اللفظية للمجتمعات والشعوب، تستمد عناصرها من البيئة والمجتمع المحيط بقائليها، وهي تعكس ملامح البيئة التي قيلت فيها، وسماتها الاجتماعية، لأنها مستمدة من عناصر إنسانية خالدة، ولأنها تخاطب وحدة الإنسان الذي أُرسل إليه الخطاب الرباني الأخير، الذي كان مرسلا للإنسانية جمعاء.

---

(١) على شتا، علم اللغة الاجتماعية: ٥٠
(٢) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٩٥
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: جـ٣، ص: ٦٣

ولذلك فقد اعتمد المثل القرآني على عناصر طبيعية، البيئة الزراعية والبساتين، والنخيل والأعناب، ذلك أن هناك صلة قوية تكمن بين النفس البشرية والأرض والتربة والماء، إنها" الحقيقة الكبرى، حقيقة الأصل الواحد " (١) فلأمثال القرآن بعد اجتماعي مرتبط بالإنسان وعمله في الزراعة حيث إن الزراعة من أقدم الأعمال التي مارسها الإنسان وهي مستمرة معه باستمرار وجوده، مرتبطة به ارتباط حياة وبقاء.

إن أمثال القرآن المعنية بالدرس هنا، والتي تشكل جزءا مهما من نصه المعجز - رغم إنسانيتها وعمومها لجميع الناس، وصلاحيتها لكل حقبة وطور حضاري، ولكل زمان ومكان، ولكل بيئة وفترة ووقت - عكست ملامح المجتمع المكي القبلي الذي نزلت فيه وملامح المجتمع المدني الأممي الذي تكونت الدولة فيه.

إن تحديد الملامح الاجتماعية المميزة لكل من المجتمع المكي والمجتمع المدني يوجب الرجوع إلى الأساس الأشهر والذي عليه أكثر العلماء، وهو الأساس الزمني، فالمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها، وهو ما تسير عليه المصاحف اليوم. أما ما قال به بعض العلماء من اعتبار ( مكان النزول )، فهو لا يمثل تحديدا يمكن الركون إليه، لأن المجتمعين كانا قد قاربا الاختلاط آنذاك .

والفرق بين المكي والمدني من ناحية الموضوع، أن المكي موضوعه العقيدة، والمدني موضوعه الشريعة. والأمثال المكية تدور موضوعاتها حول ثلاثة محاور:

أولا: الإيمان بالله واليوم الآخر، والدعوة إلى وحدانية الله ونبذ الشرك والوثنية في عبادة الأصنام .. وتصوير الجنة والنار ومشاهد النعيم وصور العذاب.

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٣١٠

ثانيا: النشأة الأولى للإنسان.
ثالثا: قصص الأمم السابقة، وتصوير مآل الضالين وعاقبة المكذبين ومصارع الجبابرة المستكبرين الكافرين.

أما الأمثال المدنية فقد دارت موضوعاتها حول ثلاثة محاور أخرى:
أولا - التشريعات: السياسية ( عسكرية ودبلوماسية )، والاقتصادية ( تجارية وزراعية وصناعية ) والاجتماعية ( عبادات، ومعاملات، وأخلاق ) .
ثانيا - المنافقون، وبيان فضائحهم وأخلاقهم، والتحذير منهم.
ثالثا - أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ).

عكست الأمثال المكية الملامح الاجتماعية للبيئة المكية، فصورت الناحية العقدية والأخلاقية في تلك البيئة، وذكرت عبادة الأوثان، وسوء الأخلاق، والمعاملات بين فئات ذلك المجتمع المتعدد الأجناس والطبقات، كما بينت التنوع الديني في البيئة المكية آنذاك، من عبادة أوثان، ويهودية، ونصرانية، ومجوسية، وصابئة، ودهرية(١)، وعبدة ملائكة ... إلخ، ويظهر هذا البعد الاجتماعي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ ﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

كما لا مست الأمثال المكية البيئة البدوية، وانسجمت معها، فكانت مرآة تعكس ملامحها الطبيعية، فذكرت الحيوانات كالكلب، والعنكبوت، والبدوي معروف بارتباطه ببيئته ومعرفته لحياة الحيوان، والتحامه معه في الحياة. كما ذكرت الجبال والرماد والسراب والسحاب والمطر ولامست خيال البدوي، حين رسمت الأنهار والظل والمياه الجارية والأشجار والثمار والأكل الدائمة في قوله: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً ﴾ (٥) وهذه أمس الحاجات التي كانت تشغل باله وتغريه في بحثه الدائم المستمر المرتحل عنها، وإليها.

وجدير بالذكر هنا أن نقول: إن العرب في الجاهلية كانت تغلب عليهم البداوة، ومن لوازم الحياة في البادية معايشة الحيوان، والبيئة الصحراوية المفتوحة الخيام جعلت البدوي على علم ودقة ملاحظة بأنواع الحيوانات، فأصبحت له معرفة كثيرة بصفاته وطباعه؛ ولذلك كثر ذكر الحيوان في أمثال العرب، وعكست الأمثال القرآنية هذا البعد الاجتماعي حين ضربت الأمثال بالكلب ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٦) ، والعنكبوت ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) المجوس: هم عبدة النار، وهو القائلون بالأصلين: النور والظلمة، والخير والشر، فينسبون فعل الخير إلى النور، بينما ينسبون فعل الشر إلى الظلمة. والصابئة: خليط من المجوسية واليهودية، وقد ذكرهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سورة الحج: ١٧) . أما الدهريون، فهم الذين آمنوا بالدهر وقد ذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ الدَّهْرُ.. ﴾ (سورة الجاثية : ٢٤). انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب: جـ ٦، ص: ٦٩٣ومحمد توفيق، الأمثال العربية: ٢١٩
(٢) سورة المدثر: ٣١
(٣) سورة العنكبوت: ٤١
(٤) سورة إبراهيم: ٢٥
(٥) سورة الكهف: ٣٣
(٦) سورة الأعراف: ١٧٦

وقد استخدم المثل القرآني بعض مظاهر البيئة البدوية في الأمثال المكية كالرماد في قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ (١) وكان معروفا في تلك البيئة التي اتخذته رمزا للكرم والسخاء، وبنى المثل صورا تمثيله على النبات الهشيم الذي تذروه الرياح ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (٢) والنبات الهالك الفاني كالمحصود ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ (٣).

وتعرض الأمثال صورة الجنان الخضراء الدانية، والأنهار الجارية، والأكل الدائمة والظل الممدود، لما تثيره هذه الصور من هيئة إعجاب وانبهار ومتع نفسية عند البدوي الذي اعتاد صور الجفاف واليبس وشحة المياه وجفاف التربة وشظف العيش وشح الكلأ، واعتاد حياة الحل والترحال في المفاوز والقفار ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً﴾(٤) " فتصوير الملذات الحسية، والعذاب المقيم، أسلوب من أساليب المثل في المعالجات النفسية، فالماء الجاري، واللبن الخالص، والخمر الفريد، والعسل المصفى والثمرات المختلفة، تصوير يحن إليه العربي وهو في باديته بعيدا عن الماء والثمر والظل الوريف، وقد ارتبط بحياته ارتباط الملازم لها، فأقصى أمانيه أن تتدفق المياه من بين يديه، فإذا ارتقى ذلك إلى اللبن فهو دليل شمول حياته، فإذا عاقر الخمرة فقد تنعم بما لا يحلم به، وإذا صاحب كل ذلك العسل المصفى فقد ذاق طعم حياة الترف. واستبدل - والحالة هذه - بخشونة العيش وجفاف الطبيعة، الأكل والشرب والأثمار اليانعة، وعوض عن حياته المحرقة بما يستظل به في يوم ما، فالظل يقيه من حرارة الشمس ووهج القيظ وانعكاسات الصحراء، إنه لمناخ نفسي يهش إليه.. " (٥) يقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ

---

(١) سورة إبراهيم: ١٨

(٢) سورة الكهف: ٤٥

(٣) سورة يونس: ٢٤

(٤) سورة الكهف: ٣٢- ٣٣

(٥) محمد الصغير، الصورة الفنية: ٣٨١ - ٣٨٢

مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (١)وسور محمد قد اختلف في كونها مكية أو مدنية " وهي مدنية في قول ابن عباس... وقال الثعلبي (٢) إنها مكية ... " (٣) ، ويرجح أن تكون مكية لمناسبة الصياغة للبيئة المكية التي يعكس لها المثل بعدا اجتماعيا، وهو حب أهل مكة لمعاقرة الخمر ويلمح إلى سوء مذاق الخمر، وآثاره على الإنسان كالصداع واللغو ونزيف الدم في قوله تعالى: ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾.

ومن الدلالات الاجتماعية في الأمثال المكية، الجدل واللجاج في الخصومة واستخدامهم الأمثال في المخاصمة، يقول تعالى : ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٥) فقد كان العرب من أشد الناس لجاجة وخصومة وجدالا، لما اتصفوا به من فصاحة ودهاء وخبث ولآمة، فكانوا يجادلون رسول الله (ﷺ) بالباطل، يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُواْ أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (٦) وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧). ومحاورة صاحب الجنتين لصاحبه المسلم، وجداله القائم على الاغترار والتعالي والغطرسة بما يملك وكفره بالبعث واليوم الآخر كان مثالا واضحا لحال الكافرين في مكة مع رسول الله (ﷺ) يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً * وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ (٨).

وعكس المثل ملمحا اجتماعيا آخر، هو الاهتمام بالكلمة وأثرها وقوتها في التأثير، فقد كان العرب في مكة من أفصح الناس، وأكثرهم تذوقا للبلاغة والبيان، فكان فيها الشعراء والخطباء والنقاد..الخ، فجاء المثل مركزا على الكلمة الطيبة والخبيثة وأثر كل منهما، في النفس البشرية يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (٩)

---

(١) سورة محمد:١٥

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ( ٠٠هـ/ ٠٠م - ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م ) مفسر وعالم بوجوه القراءات، من أهل نيسابور. له اشتغال بالتاريخ. من كتبه ( عرائس المجالس ) في قصص الأنبياء، و( الكشف والبيان في تفسير القرآن ) يعرف بتفسير الثعلبي. الزركلي، الأعلام: جـ ١، ص: ٢٠٥-٢٠٦

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: جـ ٨ ، ص: ١٦٢

(٤) سورة الفرقان: ٣٣

(٥) سورة يس: ٧٨

(٦) الزخرف: ٥٧-٥٨

(٧) سورة يس: ٧٧

(٨) سورة الكهف :٣٤-٣٨

(٩) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦

كما تُعطي الأمثال المكية أنموذجا اجتماعيا وسمة بارزة في المجتمع المكي، وهي الفخر بالمال والأولاد والعشيرة، يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (١) كما يُظهر المثل نصرة العشيرة ونجدتها لأحد أفرادها، والذود عنه في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً ﴾ (٢) وهذا المثل القصصي لصاحب الجنتين يبيّن غطرسة المترفين الراكنين إلى أموالهم وأولادهم ظانين أنها المقياس، وأنها القيمة الكبرى، فهذا المثل عكس بعدا اجتماعيا، وهو تعالي الأغنياء على الدعوة الإسلامية وإعراضهم وإنكارهم لها، ومن ثم قضت سنّة الله بعقابهم وإفنائهم، ليكونوا عبرة لمن اعتبر." إن القصص القرآني هو المعرض الواسع، والمعين الثرّ، والمنجم البكر الذي يقف فيه المرء على السنن النفسية والسنن الاجتماعية، والسنن الإيمانية في الفرد والمجتمع، والناس والأمم. وعلى مدى ارتباط هذه السنن بعضها ببعض، ومدى ارتباط السنن الإيمانية بالسنن الطبيعية كذلك، هنا يقف الدارس البصير على تاريخ الحضارة، وتاريخ الإنسان وتاريخ النفس والاجتماع، وتاريخ التاريخ! " (٣) .

ومن الدلالات الاجتماعية في الأمثال المكية سيادة العنصر الرجالي، وبروزه في أغلب التمثيلات، كما أن الدلالة الاجتماعية للضمائر الإحالية لا تعود إلا على طبقة الرجال وذلك لجاهلية القوم آنذاك وكرههم للنساء ظنا منهم أنهن لا يقدرن على النصرة، والدفاع عن حوزة القبيلة وشرفها، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(٤) فعكست الأمثال هذا البعد الاجتماعي وركزت الأمثال على لفظ الرجال مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ وقوله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) وقوله:﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية .... وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ ﴾(٦) وقوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٧).

---

(١) سورة الكهف: ٣٤

(٢) سورة الكهف: ٤٣

(٣) عدنان زرزور، علوم القرآن: ٦٥٣

(٤) سورة النحل: ٥٨

(٥) سورة الزمر: ٢٩

(٦) سورة يس: ١٣- ٢٠

(٧) سورة النحل: ٧٦

كما تكشف الدلالة الاجتماعية بعدا اجتماعيا في المجتمع المكي، وهو وجود العبيد المملوكين الذين لا يملكون من أمرهم شيئا، وتبين التمايز الطبقي في تلك البيئة ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ﴿ وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٣) كما كشفت عن تعالي واستكبار الأسياد على مماليكهم وعبيدهم واستغلال ضعف طبقة العبيد وذلها. ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

والمثل المضروب في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (٥) يعكس بعدا اجتماعيا للبيئة المكية التي نزل فيها، فهو يصور مكة وهي ترفل في ثياب الأمن والغنى وسعة الرزق، وعبّر عن طيب الرزق و سعة المعيشة فيها بقوله تعالى ( رغدا ) لبيان قمة الهناء والدّعة والرفاهية، وهو تعبير يُظهر الأمن وسيادة قريش في ذلك الوقت، وعدم تعرضها لإغارة القبائل المحيطة بها، لسيادتها وقوتها . وهذا البُعد الاجتماعي يُظهر اضطراب الأمن بين القبائل في ذلك الوقت، فكثيرا ما كانت تقوم الحروب وتحدث غارات السبي والسلب والنهب بين القبائل نظرا لشظف العيش وقسوة الحياة وقلة الرزق، أما قريش فكانت بمنأى عن ذلك، تعيش في أمن وسلام وحُرمة وتقديس لمدينتهم التي كانت يأوي إليها كثيرا من الفارّين والمطلوبين حتى صارت مكة مدينة اللجوء السياسي، وهؤلاء كونوا طبقة اجتماعية كان لها دورها في المجتمع المكي.

كما ينقل المثل السابق صورة الرغد الاجتماعي والاقتصادي آنذاك، فقد كان أهل مكة تجارا يرحلون إلى الشام واليمن بتجارتهم فلا يتعرض أحد من العرب لقوافلهم، لحصانتهم وسيادتهم، فكانوا يأتون بالأرزاق والميرة إلى أهلهم من كل مكان، فطبيعة مكة الصحراوية غير المثمرة جعلتها تستورد رزقها وميرتها من الخارج ولهذا " انطلق القريشيون في أنحاء الجزيرة وما حولها من الأقطار في الشام وفارس والعراق ومصر والحبشة وكلهم ثقة واطمئنان لمالهم من مكانة بين العرب أساسها النفوذ الديني. وكانت

---

(١) سورة الزمر: ٢٩

(٢) سورة النحل: ٧٥

(٣) سورة النحل: ٧٦

(٤) سورة الروم: ٢٨

(٥) سورة النحل: ١١٢

أنشطتهم التجارية كبيرة واسعة.. وكانت لهم سفن تنقل التجارة من الحبشة وأفريقية الشرقية عبر البحر الأحمر وكانت تنقل تجارتها وتجارة اليمن إلى أسواق فلسطين وتنقل تجارة الشام وحوض البحر المتوسط إلى الحجاز ونجد واليمن، وهكذا تجارة الأقطار الأخرى، وقد نزل القرآن مشيرا إلى رحلاتهم التجارية صيفا وشتاء قائلا ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (١) " (٢) كما يعكس هذا المثل بعدا اجتماعيا آخر في قوله تعالى: ﴿ فأذاقها الله لباس الجزع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ وهو أن أهل مكة أصابهم قحط وجوع وقد دل التاريخ على ذلك، كما أن حصانتهم وسيادتهم اهتزت وضعفت ودبّ في قلوبهم الخوف والرعب من رسالة الرسول (ﷺ) وجماعته في المدينة.

وقد صورت الأمثال المكية عبادة الأصنام والأوثان وحال صُنّاعِها، وكيفية صناعتها ونعي على تلك العبادة وعلى المعبودين ووصفهم بالعجز وقصور تفكيرهم وقدرتهم فهاهم يصنعون أوثانهم وأصنامهم من التمر ويلطخونها بالطيب، ثم تأتي الحشرات كالذباب فتأكل منها، وهي جامدة عاجزة عن الذود عن نفسها، فكيف بنفع طالبيها يقول تعالى: ﴿ يأيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ . (٣)

أما الأمثال القرآنية المدنية فقد كانت مرآة للتطور الاجتماعي في المدينة، وانعكس عليها النظام الاقتصادي، والاجتماعي الذي شرعه الدين الإسلامي. يقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤).

إنه نظام التكافل والتعاون الاجتماعي الممثل في الزكاة المفروضة وصدقات التطوع. بعكس النظام الربوي الذي كان سائدا في الجاهلية. كما أنها تُصوّر بعض الملامح الاجتماعية السلبية في ذلك المجتمع كالبخل وحب المال والرياء، والمن بالصدقة وإتباعها بالأذى، فقد كان " هناك من يضن بالمال فلا يعطيه..... و من ينفقه كارها أو مرائيا. وهناك من يُتبع النفقة بالمنّ والأذى، وكان هناك من يُقدّم الرديء من

---

(١) سورة قريش: ١-٢

(٢) عبد الغفار حامد، اللهجات العربية: ٦٢

(٣) سورة الحج: ٧٣

(٤) سورة: البقرة: ٢٦١-٢٦٥

مـاله ويحتجز الجيد، وكل هؤلاء إلى جانب المنفقين في سبيل الله المخلصين له، الذين يجودون بخير أموالهم، وينفقون سرا في موضع السر وعلانية في موضع العلانية في تجرد وإخلاص ونقاء. كان هؤلاء وكان وأولئك في الجماعة المسلمة حينذاك. وإدراك هذه الحقيقة يفيدنا كثيرا..... في إدراك طبيعة هذا القرآن ووظيفته. فهو كائن حي متحرك، ونحن نراه في ظل هذه الوقائع يعمل ويتحرك في وسط الجماعة المسلمة ..... وفي رؤية حقيقة الطبيعة البشرية الثابتة المطردة تجاه دعوة الإيمان وتكاليفها. رؤيتها رؤية واقعية من خلال الواقع الذي تشير إليه الآيات القرآنية في حياة الجماعة المسلمة الأولى، فهذه الجماعة التي كان يتنزل عليها القرآن، ويتعهدها رسول الله (ﷺ) كان فيها بعض مواضع الضعف والنقص التي تقتضي الرعاية والتوجيه والإيحاء المستمر ولم يمنعها هذا أن تكون خير الأجيال جميعا. وإدراك هذه الحقيقة..... ينفعنا لأنه يرينا حقيقة الجماعات البشرية بلا غلو ولا مبالغة ولا هالات ولا تصورات مجنّحة !"(١).

إن أهل المدينة المنورة لهم ارتباط تاريخي وحضاري بالزراعة باعتبارها " أهم وجوه استثمار إمكانيات الموضع الاقتصادية ..... عُرفت منطقة المدينة دائما بأنها واحة زراعية، وقد كان لهذه الحقيقة دورهام في ظهورها واستمرارها وجاذبيتها للهجرات المختلفة، بحيث أصبحت الزراعة أهم مظاهر استثمار إمكانيات الموضع، لقد تهيأت للزراعة بها مجموعة من الظروف الطبيعية المواتية، تمثلت في موارد مائية كافية نسبيا، مصادرها العيون والمياه الجوفية، مياه الأودية التي تفيض بالمياه مع سقوط الأمطار، وتربة على قدر من الخصوبة مستمدة من الرواسب البركانية التي تجرفها السيول من الأماكن المحيطة بها " (٢)

فالمناخ إذا حار يتطلب المطر للزرع، ورطوبته عالية قد تسبب الطل المترسب على النباتات والذي قد يكون له بقدرة الله قوة على الإنبات في تلك الجنة العالية فوق الربوة، وكان للعلو المكاني في قوله تعالى ( بربوة ) دلالة اجتماعية نستدل عليها من قول بعض الباحثين: " والمناطق العالية في المدينة المنورة أشد جذبا للسكنى لأسباب تتصل بوفرة مواردها المائية وعذوبتها، ومناخها الأقل حرارة ورطوبة" (٣)

وإنتاج المدينة المنورة الزراعي مرتكز على التمور والأعناب والقمح والشعير " فهو إنتاج وفير من الفواكه والشعير والخضروات وبفائض وفير من التمور، فضلا

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: جـ١، ص: ٣٠٤، ٣٠٥
(٢) عمر الفاروق السيد، المدينة المنورة: ٦٥
(٣) المرجع السابق: ٧٧

عن إنتاج كاف من القمح، وتغطي النخيل غالبية الأراضي المزروعة في المدينة المنورة، ذلك أن النخيل يوجد في معظم أنواع الأراضي من الرملية إلى الطينية الثقيلة" (١) ولذلك كانت أمثال القرآن الكريم تضرب بثمار متداولة معروفة لهم ليتضح المعنى، وتتجسد الأمور المعنوية المضروب لها المثل، في صور محسوسة معهودة معاينة، فيصل المعنى إلى القلب بسلاسة ويبقى راسخا قويا يشع بنور المعرفة والحكمة.

فالحبة التي أنبتت سبع سنابل فسرها المفسرون بأنها حبة القمح أو الشعير مما له القدرة على الإنبات بهذه الكيفية أو ما يقاربها " وقد عُني بتطبيق هذا المثل علميا بعض أعضاء الجمعية الزراعية بمصر في مزارع القمح ..... فهدتهم التجارب إلى أن الحبة الواحدة لا تنبت سنبلة واحدة بل أكثر وقد وصلت أحيانا إلى أربعين وأحيانا إلى ست وخمسين وأحيانا إلى سبعين، كما دلتهم التجارب أيضا على أن السنبلة الواحدة تغل أحيانا ستين حبة أو أكثر وقد عُثر في عام ( ١٩٤٢م ) أحد مفتشي الجمعية على سنبلة أنبتت سبعا ومائة حبة وعرض نتيجة بحثه على الأخصائيين من رجال الجمعية وغيرهم " (٢) وفي هذا دلالة على واقعية الأمثال واستلالها من البيئة الطبيعية وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

وتعكس أمثال سورة الحشر وضع شريحة اليهود في المدينة ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) ويظهر المثل ضعفهم وتدهورهم، فصفة يهود بني النضير في حلول العذاب بهم بسبب مخالفتهم للحق، وعدم إذعانهم له وعدم قبولهم شرع الله ومكيدتهم رسوله ( ﷺ ) كصفة الذين من قبلهم قريبا، أي في الزمن القريب، وهم مشركوا بدر ويهود بني قينقاع، وهؤلاء لما لم يستجيبوا لداعي الحق سلط الله عليهم المؤمنين، فأنزلوا بهم العذاب والنكال، وهنا يظهر بعد اجتماعيا مغايرا، وهو قوة المسلمين وسيادتهم في مجتمع المدينة.

كما تظهر شريحة أخرى من شرائح مجتمع المدينة الممتزج، وهم المنافقون وكيف أنهم كانوا يشيعون الفتنة داخل المدينة، وكانوا يشكلون خطرا أمنيا على الدولة الفتية

---

(١) عمر الفاروق السيد: المدينة المنورة: ٦٦

(٢) منصور العبدلي، الأمثال القرآنية : ٢١٨

(٣) سورة الحشر: ١٥-١٦

ويعكس المثل حالهم في التخريب والحض على الشر والفتنة بحال الشيطان ، فهم أغروا يهود بني النضير على مقاتلة الرسول (ﷺ ) وخدعوهم بنصرتهم لهم، ولكنهم تخلوا عنهم لخيانتهم وخوفهم من الرسول (ﷺ) وصحابته. يقول تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) وضرب المثل بالشيطان معروف عند العرب فقد قالوا: " ( أَسْمَجُ مِنْ شَيْطَانٍ على فِيْلٍ ) (٢) .

والأمثال المدنية تلقي بعدا اجتماعيا على أغوار نفسيات المنافقين، فتصور قلقهم وتخبطهم وخوفهم واضطرابهم وضلالهم وابتعادهم عن طريق الحق، وتنبه المؤمنين لهذه الفئة المندسة بينهم، يقول تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

ومن شرائح المجتمع المدني كذلك المسيحيون، الذين جاءوا إلى الرسول (ﷺ) في المدينة وطلبوا منه مثلا لعيسى عليه السلام، وقد احتجوا على نفي بنوة عيسى، فرُد عليهم بمثل عقلي يقوم على القياس الحكمي، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤).

وفي سورة الفتح، يُظهر المثل بعدا اجتماعيا في المدينة لحال الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أصبحوا قوة يهابها الكافرون، فيمدحهم الله تعالى ويثني على عبادتهم وتقربهم وقوتهم، يقول تعالى: ﴿ مَّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (٥)

---

(١) سورة الحشر: ١٥-١٦
(٢) الميداني، مجمع الأمثال : جـ١، ص: ٤٥٠
(٣) سورة البقرة: ١٧- ٢٠
(٤) سورة آل عمران: ٥٩
(٥) سورة الفتح: ٢٩

وفي هذا المثل تظهر دلالة اجتماعية في قوله تعالى:﴿ رحماء بينهم ﴾ فتظهر ملامح المجتمع الإسلامي الذي أرسى ركائز المحبة والمودة بين العرب المتنافرين، فأصبحت الرحمة والرأفة والشفقة أساس معاملتهم لبعضهم، فأغاثوا الملهوف، وبذلوا المعروف، وكفوا الظلم ومنعوا التعدي، وأصبحوا في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد، وزالت عنهم آثار الجاهلية وقسوتها.

وينقل المثل صورة لسلوكهم الاجتماعي والتعبدي، فهم ﴿ ركعا سجدا ﴾ دلالة على قوة رابطتهم بالله، ومداومتهم على العبادة، وعلى شمول العبادة لجميع أعمالهم، فكل عمل لهم هو عبادة، وذلك لخلوص نواياهم لله وحده ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ كما يعكس المثل الملامح الجسدية المميزة لصحابة رسول الله (ﷺ) فحسن السمت ووضاءة الوجه والوقار، وطيب النفس، سمات مميزة لهم، كما أن أثر السجود في جباههم يزيد نورهم وبهاءهم وضاءة وإشراقا. وينقل المثل بعدا اجتماعيا آخر وهو علم أهل الكتاب من ﴿ اليهود والنصارى ﴾ بصفات المؤمنين هذه فقد بشروا بها قبل مجيء الإسلام وانتشاره ولكن أهل الكتاب كتموا علمهم بهذا وأسروه في أنفسهم حسدا وغيظا وظلما، فالمثل يكشف نفسيات الكفار في المدينة ويظهر حسدهم وسخطهم على الدعوة الإسلامية وقلقهم من قوة المسلمين يقول تعالى: ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ .

كما أن تشبيه الرسول (ﷺ) وصحابته رضوان الله عليهم بالزرع الذي يقوى ويشتد عوده بتكاثر الزرع من حوله، يدل على ما ذُكر سابقا من معرفة أهل المدينة بالزراعة وخصائصها ومظاهرها.

ويظهر التطور الاجتماعي والحضاري في مثل النور﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) فقوة الإنارة في هذا المصباح، وتركيبه من عناصر مضيئة يُظهر مدنية المدينة في ذاك الوقت، كما أن في قوله تعالى : ﴿ يوقد من شجرة مباركة زيتونة ﴾ ما يشير إلى زيت الزيتون الذي يوجد في بلاد البحر المتوسط، وهذا يشير إلى أن التجارة الدولية كانت مستمرة عند العرب بعد ذهابهم إلى المدينة، كما أن في لفظ ( المشكاة ) يكشف بعدا اجتماعي آخر، فقد ورد في لسان العرب

---

(١) سورة النور: ٣٥

أنها قد تكون ذات أصل حبشي (١) ، وهنا يمكن أن نلمس مجاراة المثل للتداخل اللغوي. وهو من مظاهر تطور اللغة، ويُظهر تأثر اللغة العربية بغيرها من اللغات المجاورة.

وحضور العنصر النسائي في الأمثال المدنية ظاهر جدا، وذلك لما كان في المدينة من رقي فكري وانفتاح اجتماعي، فضُربت النساء مثلا للكافرين والمؤمنين، ليأخذوا منهم العبرة والعظة، وليكونوا أنموذجا لحسن العاقبة، أو سوء المصير، يقول تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (٢) وفي الأمثال هذه يظهر بُعد اجتماعي، وهو قوامة الرجل على المرأة في قوله ﴿ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ﴾. وقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل، وأدخل المرأة في المجتمع عنصرا فاعلا، وحفظ لها حقوقها، وصان حرمتها فأصبحت كرامتها ككرامة الرجال بل وأكثر من ذلك ﴿ وكانت من القانتين ﴾.

هذا، وتبقى الإشارة إلى عنصر اجتماعي عام ينتظم النص القرآني كله المكي والمدني، وتعكسه الأمثال القرآنية التي بين أيدينا، ذلك هو اهتمام القرآن الكريم باللهجات والقراءات القرآنية الذي يدل على التعدد الاجتماعي، وهو حين يفضل لغة قريش على باقي لهجات ولغات العرب، يُظهر دلالة اجتماعية وبعدا اجتماعيا آخر، هو مكانة قريش وسيادتها على العرب حينذاك، يقول كمال بشر: " ولو دخلنا إلى حقل القراءات القرآنية.... لتأكدت لنا هذه النظرة [ النظرة الاجتماعية ] حيث إن القراءات ( لغويا ) ضرب من التنوع اللغوي يمثل بنية مهمة من بنيات الدرس اللغوي الاجتماعي، وهذا التنوع في القراءات القرآنية لم يأت عفوا أو عبثا وإنما جاء وفقا لظروف أو سبب لغوي أو بيئي أو ثقافي وهذا التنوع ... يقصد التيسير على الناس، وهو تيسير محدود مشروط، بحيث لا يخرج بالعربية عن قواعدها وأصولها الأساسية المميزة لها بوصفها لغة العرب في عمومهم " (٣) مثال ذلك في قوله تعالى ( كمثل جنة بربوة ) (٤) " فيها خمس لغات ( رُبْوَةٌ ) بضم الراء،... ( رَبْوَةٌ ) بفتحها.. و(رِبْوة ) بكسرها.... ويقال برَباوة [بفتح الراء ] وبرباوة [ بكسر الراء ] وكله من الرّابية، وفعله رَبَا يَرْبُو" (٥)، وفي مثل المنافقين ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَآءَ .... ﴾ (٦) رجحت قراءة قريش على باقي القراءات، يقول الألوسي: " وقد قرأ مجاهد وعلي بن الحسين ويحي ابن وثاب ( يخطِف ) بكسر الطاء والفتح أفصح. وعن ابن مسعود ( يختطف ) وعن الحسن ( يخطف ) بفتح الياء والخاء وأصله يختطف فأدغم التاء في الطاء. وعن عاصم وقتادة والحسن أيضا ( يخطف ) بفتح الياء وكسر الخاء والطاء المشددة. وعن الحسن أيضا والأعمش ( يخطف ) بكسر الثلاثة والتشديد. وعن زيد ( يخطف ) بضم الياء وفتح الخاء وكسر الطاء المشددة وهو تكثير مبالغة لا تعدية، وكسر الطاء في الماضي لغة قريش، وهي اللغة الجيدة" (٧) .

---

(١) انظر: ابن منظور: مادة ( شكا )
(٢) سورة التحريم ١٠-١٣
(٣) علم اللغة لاجتماعي: ٨٢
(٤) سورة البقرة: ٢٦٥
(٥) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: م: ٢، ص:٧٢ و ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع: ١٠٢
(٦) سورة البقرة: ٢٠
(٧) روح المعاني: جـ ١، ص: ١٧٥

وقد نقلت لنا القراءات تاريخ الفصحى والأبعاد الاجتماعية واللهجية المتعددة حينئذ. وقد أشار عبد الصبور شاهين في دراسته للقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث إلى أهمية هذه القراءات بوصفها ( ديوان خصائص العربية ) (١)، وقال: " القراءات صنو النحو [ وهو فن ] يتصل بكيفية النطق على مر العصور، فهو سجل للظاهرة النطقية الحية، كما أنه محافظ على المأثور من طبائع اللسان العربي في الفصحى وفي لهجاتها" (٢)

**********

وقد أولى عدنان زرزور فكرة الربط بين التشبيهات القرآنية والبيئة العربية عناية ودراسة، وله فيها رأي مخالف لما سبق، يقول: " والعجيب أن يُقدم بعض الدارسين على محاولة إغراق تشبيهات القرآن في إطار البيئة العربية للإيحاء بأن القرآن إنما نزل لتلك البيئة، أو أنه نبع منها ! ..... لا يمكن أن يُقال في تشبيه ما: إنه من البيئة العربية إلا ما كان من خصائص تلك البيئة وحدها، بحيث لا يشاركها فيه بيئة أخرى، أو بحيث يصعب فهمه ومعرفة مغزاه أو معناه على غير العربي الذي نشأ في تلك البيئة أو تربّى فيها...أما إذا كان التشبيه معروفا أو مفهوما في البيئة العربية، وغيرها ومن دون الرجوع في فهمه إلى ملابسات البيئة العربية وأوضاعها. فإنّ ربطه بالبيئة العربية وحدها تعسّف وجهل على أقل تقدير! " (٣)

فعنده أن أمثال القرآن لا تحمل طابع عصر معين أو بيئة معينة، يقول: " إن توهم ارتباط التشبيهات القرآنية بالبيئة العربية، أو بعض هذه التشبيهات، بعبارة صادقة، مصدره شروح القرآن الكريم وأقوال المفسرين - أو بعض وجوه أقوالهم بتعبير أدق - وليس هو النص القرآني الكريم ذاته !! " (٤)

وفي هذا البحث قد ارتـُكز على النص القرآني ذاته لاستخراج الدلالة الاجتماعية دون نظر، أو اتكاء على أي تفسير أو تأويل، وذلك لمعرفة البيئة، وجعل المثل مرآة صادقة لنقل صورة المجتمع.
فالتشبيه بالرماد، أو بالحمار، أو بالشجرة، أو بالسنابل، أو بصفوان عليه تراب أو بالكلب صور لم تتقرر وتـُألف في نفوس العرب وحدهم دون سائر عباد الله، وإنما هي عامة التأثير.

---

(١) تاريخ القرآن: ١٧
(٢) المرجع السابق:٨
(٣) علوم القرآن: ٦٠٦-٦٠٧
(٤) علوم القرآن: ٦١١

فمن أمثال العرب ( أذلُ من ْ حمارٍ مُقـّيد ) (١) يظهر فيه احتقارهم للحمار وازدراؤهم له، ومن أقوالهم ( أشْأم من غُرابِ البَيْن ) (٢) ( أحْرسُ من ْ كَلْبٍ ) (٣) وهذه كلها أمثال مستقاة من البيئة الطبيعية استعملها العرب في جاهليتهم، والإسلام في قرآنه الخالد، والتوراة والإنجيل في أسفارهما من قبل، وبيئة الزرع كذلك كان لها هذا الوجود السائد في الأمثال على اختلاف الأطوار والحضارات.

وارتكز المثل القرآني، على الحيوانات كالكلب والحمار والذباب والعنكبوت، لما لها من تواجد في مختلف البيئات والمجتمعات. وذكرت السنابل والنخيل والأعناب لأنها من عناصر الغذاء الإنساني في المجتمعات الإنسانية جمعاء، وتتكيف في كل البيئات، لما لها من قدرة على الإنبات والإثمار في مختلف المناطق الزراعية وأصعبها وأقساها برودة، أو حرارة.

ورغم إصابة الرأي السابق، إلا أنه لا يمنع من إصابة توجه البحث لاستخراج الدلالة الاجتماعية من الأمثال القرآنية المكية والمدنية، وكيف أنها عكست واقعا مجتمعيا تَصَوّر ونُقل إلينا بآلية اللغة ودلالاتها وإمكانياتها المتعددة بتعدد مستعمليها، فاللغة نظام مرن متكيف، وهي " تقبل أن يتم التعامل معها من خلال رؤى متعددة ومناهج مختلفة، بل إنها تقبل ذلك من خلال علوم متباينة..... وهي متعددة الدلالات والممكنات والوظائف، وهي متعددة بتعدد مستعمليها وأغراضهم وتوجهاتهم، ولما كان هؤلاء خلقا كثيرا، فقد كانت على مثالهم استعمالا كثيرا" (٤)

هذا ومع كل الدلالات الاجتماعية التي كشفت عنها الأمثال المكية والمدنية، ورغم محاولة تحديد معطيات النص وإبرازها، يبقى النص القرآني بنية مفتوحة معطاءة، ذلك أنه يرتكز على نظم معجز مليء بالمعاني والدلالات، ويبقى نصا مرنا متسقا متلائما مع كل أطوار الحياة زمانا ومكانا، لأنه يطفو على سياق ممتلئ ثري ينضح بقوة التأثير وجاذبية الوقع النفسي.

**********

---

(١) الميداني، مجمع الأمثال: جـ١،ص: ٣٢٦

(٢) المرجع السابق: جـ١، ص: ٤٨٢

(٣) المرجع السابق: جـ١، ٢٩٥

(٤) منذر عياشي، الوظيفة الاجتماعية: المقدمة

# الخاتمة

## خاتمة البحث:

١. الأصل السامي العام لكلمة مثَـل ( بفتحتين ) يتوزع حسب اشتقاقها بين معنيين: معنى المماثلة، ومعنى العرض في صورة حسية.

٢. الأصل اللغوي للمثَـل ( بفتحتين ) هو الشّـبَـه.

٣. أوردت معاجم اللغة ثلاثة معانٍ رئيسية للفظ مثل ( بفتحتين ):
الأول: المِثل ( بكسر وسكون ) بمعنى ( الشَّبْـه والنظير ).
الثاني: الصفة الغريبة، أو الحديث السائر لغرابته.
الثالث: المـِثال ( النموذج ) من التمثيل والتصوير.
وجميع هذه المعاني ينتظمها خيط رفيع جامع لها هو ( الشّـبَـه ) .

٤. ربط ابن منظور بين ( المثل )، و( المـِثال ) و( التّـمثُّـل ) و( التمثيل ) نظرا لتقارب المعنى الدلالي بينهم، فخيط المماثلة يشد ما تفرع من جذر ( م ث ل ) ليعيده إلى معناه اللغوي الأصيل.

٥. المثل في الاصطلاح، هو القول السائر الذي يُشبّـه مضربه بموردِه.

٦. يتميز المثل بأربع خلال هي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه والسيرورة.

٧. يلتقي المثل اصطلاحا مع تأصيله اللغوي، فهناك علاقة وثيقة بينهما، وقد أرجع غالبية من عرفوا معنى المثل اصطلاحا إلى معاني المثل اللغوية كالنظير، والشبيه والمثال.

٨. الشبه هو الخيط الرابط بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للمثل.
٩. ذكرت كتب البلاغة أن المثل ( بفتحتين ) هو التشبيه، وأن الأمثال هي الأشباه والنظائر، وأضافوا للمثل معاني فرعية كالوصف والعبرة، وهذه المعاني قريبة من تعريفات المفسرين للمثل، وهي أقرب إلى الاستعمال اللغوي من الاصلاح.

١٠. المثل هو التشبيه الذي لا يحصل إلا بضرب من التأويل.

١١. المثل في الأدب هو مجاز مركب فشا على سبيل الاستعارة.

١٢. الجرجاني يرى أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، والفرق بينهما هو وجه الشبه فإذا كان وجه الشبه يحتاج إلى تأويل، فهو تمثيل، والسكاكي قيد التمثيل بكونه مركبا عقليا، أما القزويني، فالتمثيل عنده يشمل المركب الحسي والعقلي.

١٣. استعير لفظ المثل للحال، والصفة، والقصة إذا كان لها شأن، وفيها غرابة.

١٤. المثل في القرآن حالة خاصة من حالات التمثيل، وهو تشبيه، أو استعارة أخذ وجه الشبيه فيها من متعدد.

١٥. المثل في مصطلح الأدب، هو القول السائر الممثل بمضربه أي المشبيه حالة مضربه، بحالة مورده: أي الحالة التي كان قد قيل فيها القول: فهو استعارة تمثيلية مبنية على التشبيه المركب.

١٦. رغم تعدد واتساع مدلول المثل بحسب اهتمامات، وتوجيهات الذين درسوه من مطلق التشبيه إلى التمثيل، فالاستعارة التمثيلية والمجاز المركب، فإن عرق التشبيه - الأصل اللغوي لمادة مَـثَـل - مازال نابضا في كل فروع وتجليات مدلول الكلمة، ومعانيها الاصلاحية، ولا يوجد من بين العلماء والمفسرين والبلاغيين من ذهب إلى معنى لكلمة ( مَـثَـل ) إلا وكان الشّبه هو الأساس الذي انبثق منه، والذي يرتد إليه في آخر المطاف.

١٧. هناك تشابه بين المعاني اللغوية للفظ ( مَـثَـل ) وللفظ ( ضرَب ) فالضرب يرد بمعنى الوصف، والتمثيل والمثال، وهذا التداخل يرجع إلى كثرة ورودهما مقترنين مع بعضهما البعض.

١٨. لفظ ( ضرب ) ورد في القرآن الكريم بمعنى الوصف، والذكر، والبيان، والتمثيل والسيرورة.

١٩. أقرب معنى لغوي يناسب الضرب المقترن بأمثال القرآن هو الضرب بمعنى ( الصيغة )، يقول الأصفهاني: " وضرب المثل من ضرب الدراهم، وهو ذكر شيء يظهر أثره في غيره" . (١)

٢٠. السبب الذي من أجله اقترن ( الضرب ) بالأمثال، هو جودة صياغتها، وكونها مسبوكة بأسلوب متقن موجز لا سبيل إلى التغيير، أو الزيادة عليه، ولذلك فالأمثال لا تغير كسكة الدراهم التي تكون ثابتة لا تُغير رغم كثرة تداول الناس لها، وقد استعير لفظ الضرب لأمثال القرآن، لأن الناس تعارفوا على هذه اللفظة مرتبطة بالأمثال.

٢١. لفظ ( ضرب ) ينقل السامع إلى أجواء المثل، ليعيش فيها، ويستخلص العبرة والفكرة منها، واستعمال القرآن الكريم لصيغة ( الضرب ) التي تعارف عليها العرب في أمثالهم يُحيل إلى قضية إعجازه البياني، فرغم أنه خاطب العرب بأسلوب ما يعرفون ويتقنون من فنون القول، والبيان العربي الذي عُرفوا به، وبرعوا فيه إلا أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله.

٢٢. الأمثال القرآنية قسمان:

* القسم الأول هو الأمثال القياسية المقصودة، وهو نوعان:

النوع الأول: الأمثال القياسية الصريحة أو الظاهرة، والنوع الثاني هو: الأمثال القياسية الكامنة.

* أما القسم الثاني، فهو الأمثال القرآنية غير المقصودة، وهو نوعان أيضا:

النوع الأول هو: الأمثال الكامنة غير المقصودة.

والنوع الثاني هو: الأمثال المرسلة غير المقصودة.

---

(١) المفردات: مادة ( ضرب ).

٢٣. المثل القياسي الصريح يأتي على ضربين في القرآن الكريم:
الضرب الأول: الأمثال التشبيهية والتمثيلية.
الضرب الثاني: الأمثال القصصية، أو الأنموذجية.

٢٤. عدد الأمثال القياسية في القرآن - عند جمّاعها - يتراوح ما بين ثلاثين، وسبعة وخمسين مثلا.

٢٥. بلغ عدد الأمثال التي أحصيتها، ستة وثلاثين مثلا قرآنيا قياسيا ظاهرا.

٢٦. لا يوجد تقسيم موضوعي موحّد لأمثال القرآن، ذلك أن موضوعاتها - رغم شموليتها وتنوعها - تشكل كلا مترابطا متكاملا، يمتزج فيها التأصيل الأخلاقي بالبناء التشريعي وتترابط قضايا العقيدة بالأخلاق، والتشريع بالعبادة في وحدة منتظمة متناسقة.

٢٧. قسمت أمثال القرآن على حسب موضوعها إلى أقسام:
الأول: قضية العقيدة.
الثاني: العالم الآخر.
الثالث: الحياة الدنيا.
الرابع: القرآن الكريم.
الخامس: الإنفاق.
السادس: قصص وعبر.

٢٨. الحقل الدلالي هو" مجموعة من المفاهيم التي تنبني على علائق لسانية مشتركة ويمكن لها أن تكون بنية من بنى النظام اللساني، و نظرية الحقول الدلالية من النظريات التي أرست قواعد منهج لغوي في مسار الدراسة الدلالية، والتي كان هدفها تصنيف المداخل المعجمية في أنساق بنيوية وفق علائق دلالية مشتركة " (١).

٢٩. دراسة المعاني المعجمية للمثل القرآني، وفق نظرية الحقول الدلالية، تُشكّل نظرة جديدة لدراسة المعاني المعجمية في القرآن الكريم، بحيث ترتبط اللفظة بسياقها، وترتبط بالألفاظ المحيطة بها وفق نسق دلالي مزدوج الدلالة والروابط بين المداخل المعجمية.

---

(١) نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة: ٣٦٥

٣٠. معجم الطبيعة سيطر على ألفاظ الأمثال القرآنية ومعانيها المعجمية، وهذا يدل على عموم هذا الخطاب الرباني لجميع الناس، وإنسانيته الشاملة لكل طور وحقبة حضارية.

٣١. القرآن ينتقي الألفاظ المعجمية الأكثر ملاصقة وتجسيدا للمعنى، والتي ترتبط ببعضها بمعان رفيعة تشد النص إلى بعضه في حقول مبنية على روابط وعلاقات المعنى اللغوي.

٣٢. الألفاظ المعجمية وإن تقاربت واندرجت تحت عائلات لغوية، إلا أن هناك تمايزا يقتضيه السياق لتجسيد المعنى، وبهذا ينتفي الترادف التام بين الكلمات.

٣٣. الصورة في اللغة ترد بمعنى التصاوير، والتماثيل، والصورة الفنية مصطلح يُستعمل في الأدب للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسي.

٣٤. القرآن استثمر قدرة الفن على التأثير الوجداني في النفوس، فاستخدمه أداة لتوصيل غرضه الديني، وترسيخ معانيه في العقول والقلوب.

٣٥. التصوير القرآني يقوم على التخييل الحسي، لبث الحياة في شتى الصور، والتجسيم لتجسيد المعنويات، وإبرازها أجساما أو محسوسات على العموم.

٣٦. يستمد التصوير الفني في الأمثال القرآنية عناصره من مصدرين أساسيين، هما: الكون والنفس الإنسانية.

٣٧. اللغة التصويرية هي تعبير عن المعقول بالمحسوس، وفيها عودة إلى طبيعة اللغة المصورة، ورجعة إلى طفولة الإنسان في حسه ولغته.

٣٨. من خصائص التصوير الفني في المثل القرآني:

- تحويل المعاني الذهنية القلبية إلى صور حسية حية.
- الجمع الصحيح بالعلاقة البينة بين طرفين متباعدين في الجنس.
- التصوير المتحرك.
- التناسق الفني في التصوير.

٣٩. الألفاظ المعجمية، والتراكيب النحوية، والتصاوير التمثيلية، تقوم على الأضداد المتآلفة، والتي ينبثق النص وينبني عليها.

٤٠. إن الجرجاني في طرحه لموضوع البعد بين عنصري التشبيه، واختلافهما في الجنس يستشعر سحر البيان، ويتحسس أثره ومسراه في النفس، وقد قيد الجرجاني هذا الأصل البلاغي، فلا بد أن يكون الرابط بين المشبه والمشبه به بينا جليا في الأصل، وأن يكون بينهما مناسبة وملاءمة من جهة ما يثيران في النفس من مشاعر وأحوال.

٤١. يظهر التناسق في القرآن في صور متعددة، في تأليف العبارات والإيقاع والتعقيبات والتناسق الفكري، والنفسي.....الخ.

٤٢. من مظاهر التناسق الفني في تصوير المثل القرآني، وحدة الرسم، والتناسق في توزيع أجزاء الصورة، والألوان التي يرسم بها.

٤٣. في البحث عن الدلالة الاجتماعية، يتحول النص إلى مرآة يُـنظر من خلالها إلى الملامح المميزة للمجتمع.

٤٤. عكست الأمثال المكية الملامح الاجتماعية للبيئة المكية، فصورت الناحية العقدية والأخلاقية في تلك البيئة، وذكرت عبادة الأوثان، وسوء الأخلاق، والمعاملات بين فئات ذلك المجتمع المتعدد الأجناس والطبقات، كما بينت التنوع الديني في البيئة المكية آنذاك.

٤٥. لا مست الأمثال المكية البيئة البدوية، وانسجمت معها، فكانت مرآة تعكس ملامحها الطبيعية، فذكرت الحيوانات كالكلب، والعنكبوت. والبدوي معروف بارتباطه ببيئته ومعرفته لحياة الحيوان، والتحامه معه في الحياة، كما لامست خيال البدوي، حين رسمت الأنهار والظل والمياه الجارية والأشجار والثمار الدائمة، وهذه أمس الحاجات التي كانت تشغل باله وتغريه في بحثه الدائم المستمر المرتحل عنها وإليها. كما أن الأمثال المدنية عكست التطور الاجتماعي في مجتمع المدينة، وعكست النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي شرعه الدين الإسلامي فيها.

٤٦. إن أمثال القرآن المعنية بالدرس هنا والتي تشكل جزءا مهما من نصه المعجز رغم إنسانيتها، وعمومها لجميع الناس، وصلاحيتها لكل حقبة وطور حضاري، ولكل زمان ومكان، ولكل بيئة وفترة ووقت - عكست ملامح المجتمع المكي القبلي الذي نزلت فيه وملامح المجتمع المدني الأممي الذي تكونت الدولة فيه.

٤٧. اهتمام القرآن الكريم باللهجات والقراءات القرآنية يدل على التعدد الاجتماعي ، وهو حين يفضل لغة قريش على باقي لهجات العرب ولغاتهم، يُظهر دلالة اجتماعية، وبعدا اجتماعيا آخر، وهو مكانة قريش وسيادتها على العرب حينذاك.



# الفهارس العامة

## فهرس الآيات القرآنية:

| الآية | السورة ورقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ـ ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّآ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ | سورة البقرة: ١٧ـ٢٠ | ٤٧ـ ٤٩ـ ٥١ـ ٥٨ـ ٦١ـ ٧٩ـ ٨٧ـ ٩١ـ ١٠٦ـ ١٦١ـ ١٧٤ـ ١٨٢ـ ٢٩٣ـ ٢٩٧ـ ٣٠٧ـ ٣٢٠ـ ٣٤٤ |
| ٢ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ | سورة البقرة: ٢٦ | ٥٤ـ ٧٩ـ ٩٠ـ ١٠٣ |
| ٣ـ ﴿ قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ | سورة البقرة: ٦٨ | ٦٤ |
| ٤ـ ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ | سورة البقرة: ١٠٩ | ٢٥٧ |
| ٥ـ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ | سورة البقرة: ١٦٥ | ١٦١ |
| ٦ـ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ | سورة البقرة: ١٧٠ | ١٥٧ـ ١٦٠ـ ١٦١ |

| | | |
|---|---|---|
| ٧- ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ | سورة البقرة: ١٧١ | ٧٩- ٩٧٦٠- ١٠٣- ١٥٧- ١٧١- ٣٠٦- ٣٤١ |
| ٨-﴿ ولَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يأولِي الألْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ | سورة البقرة: ١٧٩ | ٦٦ |
| ٩-﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ألا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ | سورة البقرة:٢١٤ | ٤٨- ٥٠- ٧٥ |
| ١٠- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ | سورة البقرة: ٢١٦ | ٦٧ |
| ١١-﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ | سورة البقرة: ٢٥٧ | ١٤٣ |
| ١٢- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ | سورة البقرة: ٢٥٨ | ٦٣-٧١ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٣ـ ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ | سورة البقرة: ٢٥٩ | ٦٣ـ ٧١ |
| ١٤ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ | سورة البقرة: ٢٦١ | ٤٧ـ٧٩ |
| ١٥ـ ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ | سورة البقرة: ٢٦١ | ٨٨ ـ ٩٣ـ ١١٧ـ ٢٥٠ـ ٢٥٣ـ ٢٥٤ |
| ١٦ـ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ | سورة البقرة: ٢٦٤ | ٨٠ ـ ٩٣ـ ٧٢ـ ١٨ـ ٢٥٠ـ ٢٩٤ـ ٣٥٠ |
| ١٧ـ ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ | سورة البقرة: ٢٦٥ | ٨٠ـ ٩٤ـ ١١٨ـ ٢٥٠ـ ٢٩٤ـ ٣٠٦ـ ٣٤١ـ ٢٤٦ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٨ـ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ | سورة البقرة: ٢٦٦ | ٦٣ـ ٣٢ـ٢٩٩ |
| ١٩ـ ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ | سورة البقرة: ٢٨٦ | ٦٨ |
| ٢٠ـ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ | سورة آل عمران: ٣٧ | ٢٩٢ |
| ٢١ـ ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ | سورة آل عمران: ٥٩ | ٨٠ |
| ٢٢ـ ﴿ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ | سورة آل عمران: ٩٢ | ٦٧ـ٦٨ |
| ٢٣ـ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ | سورة آل عمران: ١١٧ | ٨٠ـ٢٥٠ |
| ٢٤ـ ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ | سورة النساء: ١٠١ | ٥٤ |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٥ـ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ | سورة النساء: ١٢٣ | ٦٨ |
| ٢٦ـ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ | سورة النساء: ١٧٤ | ١٤٢ |
| ٢٧ـ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ | سورة المائدة: ١٥ | ١٤٢ |
| ٢٨ـ﴿ قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ | سورة المائدة: ١٠٠ | ٦٨ |
| ٢٩ـ ﴿ الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ | سورة الأنعام: ١ | ١٤٢ |
| ٣٠ـ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ | سورة الأنعام: ٦٧ | ٦٧ـ ٦٨ |
| ٣١ـ ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ | سورة الأنعام: ١٢٢ | ٨٠ ـ ٩١ـ ١٠٨ |
| ٣٢ـ ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ | سورة الأعراف: ٥٨ | ٦٣ |
| ٣٣ـ ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ | سورة الأعراف: ١٧٥ـ١٧٦ | ٤٩ـ ٥٩ـ ٨٠ـ ٣٠٠ـ ٣٦٦ |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٤ـ ﴿ سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ | سورة الأعراف: ١٧٧ | ٧٦ ـ ٨٨ـ ٣٠٢ |
| ٣٥ـ ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ | سورة التوبة: ١٩ | ٢١١ |
| ٣٦ـ ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ | سورة التوبة: ٦٩ | ١٧٨ |
| ٣٧ـ ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ.....﴾ | سورة التوبة: ٧٤ | ٦٥ |
| ٣٨ـ ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ | سورة يونس: ٢٤ | ٨١ـ ٨٨ـ ٩٢ـ ١١٣ـ ٢٢٩ـ ٣٠١ـ ٣٣٧ |

| | | |
|---|---|---|
| ٣٩ـ ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ | سورة يونس: ٣٩ | ٦٥ |
| ٤٠ـ ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ | سورة هود: ١ | ٤٦ |
| ٤١ـ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ | سورة هود: ٢٤ | ٤٧ـ ٥٩ـ ٧٢ـ ٧٤ـ ٧٥ |
| ٤٢ـ ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ | سورة الرعد: ١٤ | ٦٣ـ ٧٢ |
| ٤٣ـ ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ | سورة إبراهيم: ١٨ | ٨١ـ ٩٠ـ ١٠٤ـ ١٥٧ـ ١٦٣ـ ١٧٢ـ ٢٩٧ـ ٣٠٠ـ ٣١٠ـ ٣٣٧ |
| ٤٤ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ | سورة إبراهيم: ٢٤ـ ٢٦ | ٥٤ـ ٨١ـ ٩١ـ ١٠٨ـ ٣٠٩ـ ٣١١ـ ٣٣٨ |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٥ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ | سورة النحل: ٥٨ | ٣٣٩ |
| ٤٦ـ ﴿ لِلَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ بِـالآخِرَةِ مَثَـلُ السَّوْءِ وَلِلَّـهِ الْمَثَـلُ الأَعْلَـى وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ﴾ | سورة النحل: ٦٠ | ٧٦ |
| ٤٧ـ ﴿ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ | سورة النحل: ٧٤ | ٥٤ـ ٧١ـ ١٩١ـ ١٩٣ |
| ٤٨ـ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ | سورة النحل: ٧٥ | ٨١ـ ٩١ـ ١٠٨ـ ١٩٠ـ ١٩٢ |
| ٤٩ـ ﴿ وَضَرَبَ اللَّـهُ مَـثَلاً رَّجُلَـيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَـن يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ وَهُـوَ عَلَـى صِـرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ | سورة النحل: ٧٦ | ٣٦ـ٨٢ـ ٩٢ـ ١٠٩ـ١٩٠ـ٢٩٧ـ٢٩٨ـ ٣٣٩ـ ٣٤٠ |
| ٥٠ـ ﴿ وَضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلاً قَرْيَـةً كَانَتْ آمِنَـةً مُّطْمَئِنَّـةً يَأْتِيهَـا رِزْقُهَـا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ | سورة النحل:١١٢ | ٨٢ـ ٥٤ـ ٦١ـ ٩٤ـ ١٢٣ـ ٢٩٨ـ ٣٠٩ـ ٣٤٠ |
| ٥١ـ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ | سورة الإسراء: ٤١ | ٦٦ |
| ٥٢ـ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾ | سورة الإسراء: ٨٩ | ٤٨ـ ١١٦ |

| | | |
|---|---|---|
| ٥٣ـ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴾ | سورة الكهف: ٣٢ | ٦٠ـ ٦١ـ ٧٧ـ ٨٢ـ ٩٥ـ ١٢٢ـ ٣٠٨ـ ٣٢٢ـ ٣٣٧ـ ٣٣٨ـ ٣٣٩ |
| ٥٤ـ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ | سورة الكهف: ٤٥ | ٨٢ـ ٨٨ـ ٩٣ـ ١١٣ـ ٢٢٩ـ ٢٣٤ـ ٣٠٨ـ ٢٩٤ـ ٣١١ـ ٣٢٣ـ ٣٣٧ |
| ٥٥ـ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ | سورة الكهف: ٥٤ | ٧٠ـ ٧٦ـ١٦٦ |
| ٥٦ـ ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ | سورة الحج: ١٩ ـ ٢١ | ٧٨ |
| ٥٧﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ..... وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ | سورة الحج: ٢٥ ـ ٥٥ | ٧٨ |
| ٥٨ـ ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ | سورة الحج:٧٣ | ٤ـ ٩ـ٦٨ـ ٧٨ـ ٨٣ـ٨٤ـ ٩٠ـ ١٠٤ـ٣٤١ |

| | | |
|---|---|---|
| ٥٩ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ | سورة المؤمنون: ١٧ | ٢٥٣ |
| ٦٠ـ ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ | سورة النور: ٣٥ | ٥٧ـ ٨٣ـ ٩٠ـ ١٠٠ـ ١٣٦ـ ٢٨١ـ ٢٩٥ـ ٢٩٧ـ ٣٠٨ـ ٣٢٩ـ ٣٤٤ |
| ٦١ـ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ | سورة النور: ٣٩ـ٤٤ | ٦٢ـ٧٢ |
| ٦٢ـ ﴿ وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً﴾ | سورة الفرقان: ٣٩ | ٥٠ـ٥٤ـ٧٠ـ ٧٦ |
| ٦٣ـ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً﴾ | سورة الفرقان: ٦٧ | ٦٤ |
| ٦٤ـ ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ | سورة العنكبوت: ٤٠ | ١٦٩ |
| ٦٥ـ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ | سورة العنكبوت: ٤١ | ٤٩ـ٨٣ـ٩٠ـ١٠٤ـ١٥٧ـ ١٦٨ـ٢٩٧ـ٣٠٦ـ ٣١٢ـ٣٣٦ |

| | | |
|---|---|---|
| ٦٦- ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ | سورة العنكبوت: ٤٣ | ٤-١٧ -٣٤ -٥٤ ٥٥-١٧٣ |
| ٦٧- ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ | سورة العنكبوت : ٦٥ | ١٧٩ |
| ٦٨- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ | سورة الروم: ٢٧ | ٧٠- ٧٦ |
| ٦٩- ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ | سورة الروم: ٢٨ | ٥٤-٨٣-٨٧-٩١-١٠٣-٣٤٠ |
| ٧٠- ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ | سورة الروم: ٣٢ | ٦٨ |
| ٧١- ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ | سورة الروم: ٥٨ | ١١٦- ٢٤٦ |
| ٧٢- ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ | سورة لقمان: ١٩ | ٢٩٢ |
| ٧٣- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ | سورة فاطر: ٢٨ | ٢٤٧- ٢٤٩ |
| ٧٤- ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾ | سورة فاطر: ٤٢ | ١٧٩ |

| | | |
|---|---|---|
| ٧٥- ﴿ اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّىءِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ | سورة فاطر: ٤٣ | ٦٧ |
| ٧٦- ﴿ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ | سورة يس: ٢ | ٤٦ |
| ٧٧- ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّآ إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ * قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ الرَّحْمَـنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَآ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ | سورة يس: ١٣- ٢٠ | ٥٤- ٧٧- ٨٤- ٨٨- ٩٥-١١١- ١٢٣-٣٠٣ |
| ٧٨- ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ | سورة يس: ٧٨ | ٥٤- ٨٤-٩٢-١١١- ٣٠٣ - ٣٣٨ |
| ٧٩- ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَـئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ | سورة الزمر: ٢٢ | ١٩٩ |
| ٨٠- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ | سورة الزمر: ٢٧ | ٤٨- ٢٤٦- ٢٠٠ |
| ٨١- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ | سورة الزمر: ٢٩ | ٥٠-٥٩-٨٢-٩٢-١٠٩- ١١٦-١٩٨-٢٩٧-٢٩٨- ٢٩٩-٣٠٨-٣٣٩-٣٤٠ |
| ٨٢- ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ | سورة غافر: ٥٨ | ٢٩٣ |

| | | |
|---|---|---|
| ٨٣- ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ﴾ | سورة الزخرف: ٨ | ٧٦ |
| ٨٤- ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ | سورة الزخرف: ٥٩ | ١٨ |
| ٨٥- ﴿ فَلَمَّآ آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ | سورة الزخرف: ٥٥ - ٥٨ | ١٨- ١٩- ٥٠-٥٤ - ٧٥ -٣٣٨ |
| ٨٦- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ | سورة الأحقاف: ١١ | ٦٥ |
| ٨٧- ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ | سورة محمد: ١٤ | ٢٠٩ |
| ٨٨- ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ | سورة : محمد١٥ | ٢٢- ٨٨- ٩٢- ١١١- ٢٠٤- ٣٠٧- ٣٣٨ |
| ٨٩- ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ | سورة الفتح: ٢٧ | ١٥ |

| | | |
|---|---|---|
| ٩٠- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ | سورة الفتح: ٢٨ | ١٤٧- ١٥٠- ١٥١ |
| ٩١- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ | سورة الفتح: ٢٩ | ٢٢- ٥٠- ٥١- ٨٤- ٩٠- ١٠٠- ١٣٦- ١٤٧- ٣٠٢- ٣٤٤ |
| ٩١- ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ | سورة الحجرات: ١٢ | ٦٢- ٧٢-٧٤ |
| ٩٢- ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ | سورة النجم: ٥٨ | ٦٧ |
| ٩٣- ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ | سورة الرحمن: ١٤ | ٣٠١ |
| ٩٤- ﴿ وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ | سورة الواقعة: ٢٢ - ٢٣ | ٢٣- ٧٠- ٧٤ |
| ٩٥- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ | سورة الواقعة: ٧١ | ٢٢٧ |

| | | |
|---|---|---|
| ٩٦- ﴿ اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ | سورة الحديد: ٢٠ | ٨٤- ٩٣- ٩٥- ١١٣- ٢٢٩- ٢٣٧- ٣٠١- ٣٠٣- ٣١١- ٣٢٣ |
| ٩٧- ﴿ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرًى مَّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ | سورة الحشر: ١٤ | ٦٧ |
| ٩٨- ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ | سورة الحشر: ١٥-١٦ | ٨٥- ٨٨- ١١٦- ٣١٢- ٣٤٣- ٣٤٤ |
| ٩٩- ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ | سورة الحشر: ١٩ | ٢٤٧ |
| ١٠٠- ﴿ لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾ | سورة الحشر : ٢٠ | ٢٤٧ |
| ١٠١-﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ | سورة الحشر: ٢١ | ٥٠-٥٤-٨٥- ٩٣ - ٢٤٦- ٣٠٢ |
| ١٠٢-﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ | سورة الصف: ١١ | ٢٥٦ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٠٣ـ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ | سورة الجمعة: ٥ | ٣٠٣ـ ٧٤ـ ٨٥ـ ٩١ـ ١٠٤ـ ٢٩١ـ٢٩٣ـ ٢٩٦ـ ٣٠١ |
| ١٠٤ـ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ | سورة التحريم: ١٠ | ٤٨ـ ٥٠ـ ٨٥ـ١٢١ـ٣٤٦ |
| ١٠٥ـ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ | سورة التحريم: ١١ـ١٢ | ٤٨ـ٥٩ـ٨٥ـ١٢٢ـ٣٤٦ |
| ١٠٦ـ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ | سورة الملك: ٢٢ | ٦٢ |
| ١٠٧ـ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ | سورة الحاقة: ٧ | ٢٥٣ |
| ١٠٨ـ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ | سورة نوح: ١٧ | ٢٥٩ |
| ١٠٩ـ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ | سورة المزمل: ٨ | ٢٥٩ |
| ١١٠ـ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ | سورة المدثر: ٢٦ـ٢٧ | ٢٢٨ |

| | | |
|---|---|---|
| ١١١ـ ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ | سورة المدثر: ٣٠ | ٢٢٠ |
| ١١٢ـ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُواْ إِيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ | سورة المدثر: ٣١ | ٨٥ـ ٨٨ ـ ٩٢ـ ١١١ـ ٢١٨ـ ٣٠٧ـ ٣٦٦ |
| ١١٣ـ﴿ لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ﴾ | سورة قريش: ١ـ٢ | ٣٤١ |



## فهرس الأحاديث

| الحديث | الصفحة |
|---|---|
| ١- (( إنّ مِنَ البَيَانِ لسِحْرَاً )) | ٣٣ |
| ٢- (( ليْسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنَةِ )) | ٣٠٣ |



# فهرس الأشعار

| البيت | الشاعر | الصفحة |
|---|---|---|
| ١- كِلاهُمَا حِيْنَ جَدّ السّيْرُ بَيْنَهُمَا قدْ أقْلَعَا، وكِلا أنْفَيْهِمَا رابيْ | الفرزدق | ٢٨٠ |
| ٢- كأنّ مُـثارَ النّـقْعِ فوقَ رُؤوسِنا وأسيافَـنا ليلٌ تَـهَـاوى كَـوَاكِـبُهْ | بشار بن برد | ٢٩١ |
| ٣ ـ ور البلاد مكانٌ لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يَصِمُ | المتنبي | ٤٥ |
| ٤- وإنَّ الذيْ حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ القَومُ كُلُّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ | الأشهب بن رميلة | ١٧٨ |
| ٥ ـ مَا لِلْجِمالِ مَشْيُهَا وَئِيْداً أَجُنْدُلاً يَحْمِلْنَ أمْ حَدِيْدَا | الزباء | ١٤٦ |
| ٦ - وإنَّ صَخْرا لتَأتَمُّ الهدَاةُ كَأنّهُ عَلَمٌ فِيْ رَأسِهِ نَارُ | الخنساء | ٣٢ |
| ٧- فَتَبَّتَ اللهُ مَا أتاكَ مِنْ حُسْنٍ تَثْبِيْتَ عيْسَى ونَصْرًا كالذيْ نُصِرُوا | عبد الله بن رواحة | ٢٥٩ |
| ٨- وقَدْ زَعَمتْ ليلى بأنّيْ فَاجِرٌ لِنَفْسِيْ تُقَاهَا أوْ عليْها فجُوْرُهَا | توبة بن الحمير | ١٨١ |
| ٩- إنّ للخير وللر مدىً وكلا ذلك وجْـهٌ وقَـبَـلْ | لعبد الله بن الزبعري | |
| ١٠ - كانت مواعِيْدُ عُـرقُـوبٍ لها مَثَـلا وما مَـواعِيدُها إلا الأبَاطِيلُ | كعب بن زهير | ٢٤ |
| ١١ - لَوْ شِئْت لمْ تفْسدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَماً وَلَمْ تهْدمْ مَآثِرَ خَالِ | البحتري | ١٨٩ |
| ١٢- على قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأتِيْ العَزائِمُ وتَأتِيْ على قَدْرِ الكِرامِ المَكَارِمُ | المتنبي | ٣٢ |

## فهرس الأعلام:


| الأعلام | الصفحة |
|---|---|
| إبراهيم النخعي | ٤٣ |
| إبراهيم النظام | ٣٥ |
| إبراهيم بن مضارب | ٦٤ |
| ابن أبي عبلة ، شمربن اليقظان | ١٧٩-١٨٩-٢٣٢ |
| ابن الأثير، محمد بن محمد | ٣٩-١٤٤-٢٩٢-٣٠٢ |
| ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد | ١٠-١١ |
| ابن جبير، سعيد بن جبير | ١٩٩ |
| ابن جني،عثمان الموصلي | ٢٠ |
| ابن خالويه، الحسين بن أحمد | ٢٦٠ |
| ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق | ٢٨ |
| ابن السميفع، محمد بن عبد الرحمن، اليماني | ١٧٩-١٨٥ |
| ابن سيدة، علي بن إسماعيل | ٢٢-١٢٧ |
| ابن عاشور، محمد الطاهر | ٤٣-١٤٣-١٦٦-١٩٢-١٩٦-٢٠٠-٢٠٢-٢٢٨-٢٥٥-٢٥٦-٢٦٦-٢٦٧-٢٩٥ |
| ابن عامر، عبد الله بن عامر الحميري | ١٥٠ |
| ابن عباس، عبد الله الهاشمي | ٢٢-٦٣-٦٤-٣٣٨ |

| | |
|---|---|
| ابن عطية، عبد الحق بن غالب | ١٦٤-١٧٧-١٩٤-٢٣٢ -٢٥٥ |
| ابن عقيل، عبد الله بن عقيل | ١٨٣ |
| ابن فارس، احمد بن فارس | ١٨ - ٢٠ - ٢٤- ٥٢- ٥٥- ١١٩ |
| ابن القيم الجوزية | ١٤ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٨٦ - ١٤٤-١٤٦ |
| ابن كثير، إسماعيل بن عمرو | ١٠٦ |
| ابن كثير، عبدالله بن المطلب | ١٣٨ |
| ابن منظور، محمد بن مكرم | ١٨- ٢١- ٢٣- ٢٤- ٢٥- ٢٦- ٣١- ٤١-٥٢-١٣٠- ٢٨٩ |
| ابن المنير، أحمد بن محمد بن منصور | ٢١١ |
| ابن هشام، عبد الله بن يوسف | ١٥٢-١٨١-١٨٣-٢٧٩ |
| إسماعيل بن عباد | ٢٤ |
| أبو جهل | ٢٢٠-٢٢١ |
| أبو حيان، محمد بن يوسف | ١٥٨-١٦٤-١٧٥-١٧٨-١٨٨-١٩١-٢٠٧-٢٠٨-٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥-٢٣١- ٢٥٢-٢٥٨-٢٦٦ |
| أبو زيد الأنصاري | ١٠ |
| أبو السعود، محمد بن محمد الحنفي | ١٩٣-١٩٥ |
| أبي عبيد البكري | ١١ -١٣ |
| أبو عبيد القاسم بن سلام | ١١ - ٢٨ |
| أبو عبيدة، معمر بن المثنى | ١٠ -١١ |
| أبو عكرمة الضبي | ١١ |
| أبو علي الفارسي | ٢٢- ٢٠٧ |

| | |
|---|---|
| أبو هلال العسكري | ١٢ ـ ١٣ ـ ٢٩ ـ ٣١ ـ ٤٤ ـ ٤٦ ـ ٥٥ ـ ٦٦ ـ ١٣٣ |
| أبي بن كعب، أبو المنذر الأنصاري | ٢٣٢ |
| أبي عمرو بن العلاء | ٢٢ ـ ١٣٨ ـ ١٩٩ |
| أبي الفرج الجوزي البغدادي، عبد الرحمن بن علي | ٧٣ ـ ٢٦١ |
| أحمد بدوي | ٣١٨ |
| أحمد رضا | ٤١ |
| أحمد هنداوي | ٢٩٢ |
| الأخفس، سعيد بن مسعدة المجاشعي | ١٧٧ |
| الأزهري، محمد بن احمد | ١٨ ـ ١٨٨ |
| الأسود بن كلدة الجمحي | ٢٢٠ |
| الأشهب بن رميلة | ١٧٨ |
| الأصفهاني، الراغب | ٢١ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٤١ ـ ٥٣ |
| الأصمعي، عبد الملك بن قريب | ١٠ |
| الأعمش، سليمان بن مهران | ١٨٧ـ٢٣٢ |
| الألوسي ، محمود بن عبد الله الحسيني | ٥١ـ٦١ـ١٤١ـ١٥٠ـ١٧١ـ١٨٠ـ١٨٥ـ١٨٦ـ١٨٩ـ١٩١ـ١٩٧ـ٢٠٥ـ ٢٠٦ـ٢٠٨ـ٢١٠ـ٢٢٢ـ٢٣٢ـ٢٣٣ـ٢٣٥ـ٢٣٨ـ٢٤١ـ٢٤٢ـ٢٥٧ـ٢٦٩ـ ٢٩٤ـ٣٤٦ |
| أمية بن أبي الصلت الثقفي | ١٢١ |
| أمين الخولي | ٢٣ـ٣٠ـ٨٦ |

| | |
|---|---|
| البحتري، الوليد بن عبيد الطائي | ١٨٩ |
| البخاري، محمد بن إسماعيل | ٦٣ |
| بشار بن برد | ٢٩١ |
| البقاعي، إبراهيم بن عمر | ٢٢٦-٢٨٠ |
| بلال بن رباح | ٢٧٧ |
| البلخي ، مقاتل بن سليمان | ٥٠ |
| البيضاوي، عبد الله بن عمر | ٥٠ |
| التفتازاني، مسعود بن عمر، سعد الدين | ٣٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠ |
| التهانوي، محمد بن علي | ١٤ - ٢٥ - ٤٠ - ٤٤ |
| توبة بن الحمير | ١٨١ |
| توفيق بن عمر | ٦٨ |
| الثعالبي ، أبو منصور | ٢٢-٦٥ |
| الثعلبي، أحمد بن محمد | ٣٣٨ |
| الثقفي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي | ٢٥٣ |
| الجحدري، كامل بن طلحة | ٢٧١ |
| الجرجاني، عبد القاهر | ٣-٩٧-٢١٤-٢٩٠-٢٩٧-٢٩٨-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤-٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٥ |
| جعفر ابن شمس الخلافة | ٦٧ |
| الجمحي، محمد بن سلام | ٢٢ |

| | |
|---|---|
| الجوزي، عبد الرحمن بن عليّ البغدادي، أبو الفرج | ٢٦١-٧٣ |
| الجوهري، إسماعيل بن حماد | ٢٢- ٤١- ٥٥ |
| الحارث بن كلدة | ٢٢٠ |
| الحسن البصري، أبو سعيد | ١٥١-١٨٧-٢٣٢ |
| حفصة بنت عمربن الخطاب | ١٨٠ |
| الحسين بن الفضل | ١٤ - ٦٤ - ٦٥ |
| الحكيم الترمذي ، محمد بن علي | ١٤ - ١٩ - ٤٤ - ٨٦ |
| حمزة بن حبيب | ١٣٨-١٣٩ |
| حمزة بن الحسن الأصبهاني | ١٢ |
| حنا الفاخوري | ٤٦ |
| الحوفي، علي بن إبراهيم | ٢٣٥ |
| الخطابي، حمد بن محمد | ١٠٠ |
| الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين | ٢٠٨ |
| الخنساء | ٣٢ |
| الربيع بن أنس | ٤٣ |
| الرماني، علي بن عيسى | ٣٠٠ |
| رودلف زلهايم | ١٣ - ١٩ - ٣٩ - ٤٤ |
| الزباء بنت عمر | ١٦٤ |
| الزبيدي، محمد مرتضى | ١٨ |

| | |
|---|---|
| الزجاج، إبراهيم بن السري | ٢٠٧ |
| الزركشي، محمد بن بهادر | ٥٠-٥١-٥٧ |
| الزمخشري، محمد بن عمر | ١٢-١٣- ٢٧- ٣٠- ٣١- ٥٠-٥٣-٥٤- ٦٠ - ١٤٩ - ١٧٣- ١٧٥- ١٨٢-١٨٦-١٨٩ -١٩١-١٩٦-١٩٩ -٢٠٠- ٢٠٨- ٢٣٥- ٢٥٢-٢٥٦ |
| زيد بن أسلم | ٤٣ |
| زيد بن علي العجلي | ١٤٣-١٨٧ |
| زين العابدين، علي بن الحسين | ١٨٧ |
| السبحاني، جعفر | ٧٥ |
| السّدي،إسماعيل بن عبد الرحمن | ٤٣ |
| سعد بن أبي وقاص | ٢٣٢ |
| السعدي، عبد الرحمن بن ناصر | ٢٧٩ |
| السكاكي ، يوسف بن أبي بكر | ٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٢٩١ |
| سليمان الفارسي | ٢٧٧ |
| سميح عاطف الزين | ١٤ |
| السمين الحلبي، أحمد بن يوسف | ١٦٤-١٧٨-١٧٩-١٨٠-٢٠٨-٢٥٦-٢٥٩-٢٦١-٢٦٢-٢٦٦ |
| السهيلي، عبد الرحمن بن علي | ١٨٢ |
| سيبويه، عمر بن عثمان | ١٢٧-١٦٠-١٦٤-١٧٩-١٨٢-٢٠٧-٢٧٩ |
| السيد الشريف، علي بن محمد الجرجاني | ٢٩٩ |
| سيد قطب بن إبراهيم الشاذلي | ٢٠٢-٢٢٧-٢٨٩-٢٩٠-٣٠٤-٣٠٥-٣٢١ |
| السيوطي، عبد الرحمن بن أبي | ٣٠-٣٨- ٥٧-٦٤-٦٥-٦٧ |

| | |
|---|---|
| بكر | |
| الشعبي، عامر بن شراحيل | ٢٣٢ |
| الشوكاني، محمد بن علي | ١٦ـ ٤٩ |
| صلاح الخالدي | ٣٢١ |
| الصعيدي ،علي بن أحمد | ٣٧ |
| صهيب بن سنان | ٢٧٧ |
| الضحاك، القاسم بن مزاحم | ١٨٨ |
| الطباطبائي، محمد حسين | ٢٦٩ |
| الطبري ، محمد بن جرير | ٢٣ـ ٤٢ـ ٤٩ـ ١٠١ـ١٠٣ـ ١٠٦ـ ١٤٤ـ١٥٢ـ٢٢٠ـ٢٥٩ـ٢٦١ـ٢٩٦ |
| الطريحي، فخر الدين محمد | ٥٣ |
| طلحة بن جعفر الشاهد | ١٩٥ـ٢٤٨ |
| عاصم بن أبي النجود | ١٣٩ـ ١٨٧ |
| عبد الرحمن حبنكة الميداني | ١٥ |
| عبد الصبور شاهين | ٣٤٧ |
| عبد الفتاح الحموز | ١٣ |
| عبد الله بن رواحة | ٢٥٩ |
| عبدالله الجربوع | ١٥ ـ ٢٣ ـ ٥٨ـ ٥٩ |
| عبد الله بن مسعود | ١٨٠ـ١٨٧ـ٢٣٢ـ٢٧٧ |
| عبد المجيد البيانوني | ١٥ |
| عبد المجيد | ١٣ـ ٣٢ـ٤٤ـ ٥٨ـ٧٤ـ٨٦ |

| | |
|---|---|
| عابدين | |
| عبد المجيد قطامش | ١٢ ـ ١٣ ـ ٤٤ ـ ٥٨ |
| عدنان زرزور | ٣٤٧ |
| العكبري، عبد الله بن الحسين | ١٦٥ـ١٧٧ـ١٧٨ـ١٧٩ـ١٨٠ـ١٨٢ـ٢٠٦ـ٢٠٧ـ٢١١ـ٢٣٠ |
| علقمة بن أبي عبد الله النخعي | ١٩٥ |
| العلوي، يحيى بن حمزة الحسين | ٣٨ |
| علي بن أبي طالب | ٦٦ |
| عمار بن ياسر | ٢٧٧ |
| عمر بن أبي خليفة | ٢٢ |
| عمر بن الخطاب | ١٤٣ |
| عيسى بن مريم عليه السلام | ٣١٥ـ٣٤٤ |
| عيسى الثقفي | ٢٣٢ |
| عيينة بن حصن | ٢٧٧ |
| الفارابي، إسحاق بن إبراهيم | ٢٩ـ٤٤ |
| الفخر الرازي، محمد بن عمر البكري | ٤٣ـ ٥٠ـ ٥٤ـ١٥٢ـ١٧٩ـ١٨٢ـ١٨٦ـ٢١٦ـ٢٢١ـ٢٢٢ـ٢٢٣ـ٢٥٥ـ٢٨٦ـ٢٤٩ |
| الفراء، يحيى بن زياد | ١٥١ـ٢٠٨ |
| الفراهيدي، الخليل بن أحمد | ٤١ |
| الفرزدق، أبو فراس همام | ٢٨٠ |
| الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب | ٥ـ٢٦ـ١١٣ |
| قتادة بن دعامة | ٤٣ ـ ١٨٧ ـ ١٩٩ ـ ٢٦٠ |

| | |
|---|---|
| البصري | |
| قدامة بن جعفر | ٣٥ |
| القرطبي،محمد بن أحمد | ١٦ ـ ٤٣ ـ ٢٢٥ |
| القزويني، محمد بن عبد الرحمن | ٣٧ـ ٢٩١ |
| القيرواني ، إبراهيم بن علي، أبو إسحاق الحصري | ٦٦ |
| القيرواني، ابن رشيق | ٣٥ |
| الكرخي، محمد بن محمد | ١٤٤ |
| الكسائي، علي بن حمزة | ١٣٨ |
| كعب بن زهير | ٢٤ |
| كمال بشر | ٣٤٦ |
| مؤرج بن عمرو السدوسي | ١٠ |
| مالك بن أنس | ٤٣ |
| الماوردي، علي بن محمد | ٤ـ ٦٥ |
| المبرد ، محمد بن يزيد | ٢٢ـ ٢٤ـ ٢٨ـ ٥٥ |
| المتنبي، أحمد بن الحسين | ٣٢ |
| مجاهد بن جبر المكي | ٤٣ـ ١٥١ـ١٨٧ـ١٩٥ـ١٩٩ |
| محمد أبو موسى | ١٨٩ـ٢٢١ـ٢٦٨ـ٢٩٢ـ٢٩٨ـ٢٩٩ـ٣١٣ـ٣١٧ |
| محمد البلاغي | ٥٦ |
| محمد بن أبي بكر الرازي | ٢٠ـ٢٣ |
| محمد بن الشريف | ٢١٧ |
| محمد توفيق أبو علي | ١٣ |
| محمد جابر | ١٤ ـ ٣١ ـ ٥٥ ـ ٥٨ ـ ٧١ ـ ٧٥ـ ٨٧ |

| | |
|---|---|
| القياض | |
| محمد رأفت سعيد | ١٥ |
| محمد دراز | ٣١٧ |
| محمود السيد حسن | ١٥ - ١٦ - ٧١ |
| محمد الصغير | ١٥- ٨٧ - ٣١٧ - ٣١٨ |
| محمد عبده | ٥٦-٦٠-٧١ |
| محمد قطب | ١٥- ٣٢٨ |
| محمد المبارك | ٣١٥ |
| محمود محمد غطاس | ١٥ |
| المرزوقي ، أحمد بن محمد | ٣٠ |
| المفضل بن سلمة الضبي | ١٢ |
| المفضل بن محمد الضبي | ١٠ - ١١ |
| المقدسي، أنيس | ٥٨ |
| منير القاضي | ٤٠ |
| موسى عليه السلام | ١٢١ |
| الميداني، أحمد بن محمد | ١٢- ١٣- ٢٩ |
| النضر بن شميل | ١٠ |
| النيسابوري ، عبد الله بن محمد، الشريف | ٥٠ |
| الهاشمي، أحمد بن إبراهيم | ٣٩ |
| الوليد بن المغيرة | ٢٢٤ |
| يحيى بن وثاب | ١٨٧ |
| يزيد بن قطيب | ١٨-٢٤١ |
| يزيد بن القعقاع | ١٤٣ |
| اليوسي، الحسن | ٣١-٤٢ |
| يونس بن حبيب النحوي | ٢٢ |

## فهرس المصادر والمراجع:

### أولا: القرآن الكريم.

### ثانيا: المصادر والمراجع:


١. ابن أبي سلمى، زهير ( ديوان زهير بن أبي سلمى ) دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٧٩م.

٢. ابن الأثير، ضياء الدين محمد ( المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) تحقيق: كامل عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن سعيد:
٣. ( الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين) المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٣م.
٤. (البيان في غريب إعراب القرآن ) تح: د. طه عبد الحميد، ومصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

٥. ابن برد، بشاد ( ديوان بشار بن برد ) الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦م.

٦. ابن الجزري، الحافظ ابن الخير محمد بن محمد الدمشقي ( النشر في القراءات العشر ) دار الكتب العلمية، بيروت ( بدون )

ابن جني، أبو الفتح عثمان
٧. ( الخصائص ) تح: محمد علي النجار، الهيئة المصية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٦م.
٨. ( المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ) تح: د. عبد الحليم انجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل ، القاهر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩. ابن خالويه، الحسين بن أحمد ( الحجة في القراءات السبع ) تح: عبد العال سالم دار الشروق بيروت، ط ٤، ١٩٨١م.

١٠. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر( وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ) تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

١١. ابن سيدة ( كتاب المخصص ) المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ١٩٦٥م

١٢. ابن عاشور، محمد الطاهر ( تفسير التحرير والتنوير )الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

١٣. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد ( العقد الفريد ) طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا:
١٤. ( الصاحبي في فقه اللغة، وسنن العرب في كلامها ) دار المعارف ط١ ٢٠٠٠م.
١٥. ( معجم مقاييس اللغة ) تح:عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بدون تاريخ.

١٦. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم ( تأويل مشكل القرآن ) دار التراث، ط١٩٦٣،٢م.

١٧. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أيوب ( الأمثال في القرآن ) تحقيق سعيد الخطيب. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م.

١٨. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ( تفسير ابن كثير )، تحقيق محمد الصابوني، دار القرآن الكريم - الطبعة الأولى - بيروت - لبنان ١٩٨٥م

١٩. ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم ( لسان العرب)، دار صادر للطباعة والنشر. بيروت ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري:
٢٠. ( أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ) ومعه كتاب ( عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ) تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٢م.
٢١. ( شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب) تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع دمشق ، ط١١، ١٩٨٤م.
٢٢. ( مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) تح: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٨م.

٢٣. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي ( تفسير أبي السعود ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٤. أبو عبيدة ( مجاز القرآن ) مكتبة المنار، الأردن ، ط١، ١٩٩٠م.

أبوعلي، محمد توفيق:
٢٥. ( الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية ) دار النفائس، بيروت ط١، ١٩٨٨م.
٢٦. ( صور العادات والتقاليد والقيم في كتب الأمثال العربية ) شركة المطبوعات بيروت، ط١ ،١٩٩٩م.

٢٧. أبو عودة، عودة خليل ( التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ) مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٥م.

أبو موسى، محمد:
٢٨. ( البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية) مكتبة وهبة ، القاهرة ط٢، ١٩٨٨م.
٢٩. ( التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان)، مكتبة وهبة،القاهرة ط٣، ١٩٩٣م.
٣٠. ( خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، مكتبة وهبة القاهرة، ط٥ ، ٢٠٠٠م.
٣١. (دلالات التراكيب، دراسة بلاغية )، مكتبة وهبة، ط٢، ١٩٧٨م.

٣٢. أبوالنيل، محمد عبد السلام (الأمثال في القرآن الكريم ) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية العدد٢٥ إبريل، ١٩٩٥م.

٣٣. الأخفش، سعيد بن مسعدة البصري ( معاني القرآن)، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٢م.

الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي.
٣٤. ( تهذيب اللغة ) تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية ،١٩٦٤م.
٣٥. ( معاني القراءات) تح:عيد مصطفى درويش، وعوض بن حمد القوزي ط١ ١٩٩٣م.

٣٦. الأصبهاني، حمزة بن الحسن ( الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة ) مطبعة السعادة، ط٢ ، ١٩٨٨م.

٣٧. الأصفهاني، الراغب ( المفردات في غريب القرآن ) تح: محمد سيد كيلاني طبعة مصطفى الحلبي، مصر،١٩٦١م.

٣٨. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي ( روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني )، دار إحياء التراث العربي، بيروت.١٩٨٨م.

٣٩. أمين، بكري أمين ( التعبير الفني في القرآن ) سلسلة اقرأ، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى ١٩٦٥ م.

٤٠. أمين، بكري شيخ ( البلاغة العربية في ثوبها الجديد - علم البيان - ) دار العلم للملايين، بيروت ط٦ ١٩٩٨م.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف:
٤١. ( ارتشاف الضرب من لسان العرب) تح: رجب عثمان، مكتبة الخنجي، ط١ ١٩٩٨م.
٤٢. (تفسير البحر المحيط)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٤٣. الأندلسي، عبد الحق بن غالب( المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، دار الكتب العلمية ٢٠٠١م.

٤٤. الأنصاري، أحمد مكي ( نظرية النحو القرآني، نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية ) دار القبلة للثقافة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩٥م.

أنيس، إبراهيم:
٤٥. (دلالة الألفاظ)، مكتبة الأنجلو المصرية، بيروت، ط:٧ ، ١٩٩٢م.
٤٦. ( الأصوات اللغوية ) مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، ١٩٩٢م.

٤٧. أولمان، ستيفن ( درو الكلمة في اللغة ) تح: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.

٤٨. بشر، كمال ( علم اللغة الاجتماعي ) دار غريب للطبعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.

٤٩. بدوي، أحمد بدوي ( من بلاغة القرآن ) دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ، ط٢،١٩٥٦م.

٥٠. برجشتراسر، ( التطور النحوي للغة العربية)،تعليق: د.رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي القاهرة ط ٣، ١٩٩٧م

٥١. البغدادي، عبد الله بن محمد بن ناقيا ( الجمان في تشبيهات القرآن) تح: محمد الداية، دار الفكر بيروت٢٠٠٢م.

٥٢. البقاعي، برهان الدين ( نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ) الدار السلفية حيدرباد ، ط١، ١٩٧٥م.

٥٣. البكري، أبو عبيدة ( فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ) تح: د. إحسان عباس و د. عبد المجيد عابدين دار الأمانة، بيروت، ١٩٧١م.

٥٤. البلخي، مقاتل بن سليمان ( الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ) تح: عبد الله شحاته. دار غريب ، القاهرة، ٢٠٠١م.

٥٥. بلطه جي، توفيق بن عمر ( حكم من القرآن جرت مجرى الأمثال) دار الفكر للطباعة والنشر دمشق ط١، ٢٠٠٠م.

٥٦. بيانوني، عبد المجيد ( ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره) دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩١م.

٥٧. الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي ( الأمثال في الكتاب والسنة)، تحقيق علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر.

٥٨. التفتازاني، سعد الدين ( شرح السعد المسمى بمختصر المعاني ) تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : انتشارات سيد الشهداء، ١٤٠٩هـ .

٥٩. تكريتي، عبد الرحمن أحمد ( دراسات في المثل العرب المقارن ) دار الفكر دمشق، ط٢ ٢٠٠١م.

٦٠. التهانوي، محمد على ( كشاف اصطلاحات الفنون)، تحقيق: أحمد بسج دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

٦١. الثقفي، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، المعروف بـ ( ابن الزبير الثقفي ) . ( ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ) تح: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط١ ١٩٨٣م.

٦٢. الجربوع، عبد الله عبد الرحمن ( الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ) عمادة البحث العلمي بالمدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٣م.

الجرجاني، عبد القاهر:

٦٣. ( أسرار البلاغة في علم البيان) تحقيق: محمد رشيد، دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى٢٠٠٢ م

٦٤. ( دلائل الإعجاز في علم المعاني ) دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثالثة٢٠٠١م

٦٥. ( الرسالة الشافية ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف القاهرة، ط٤، بدون

٦٦. الجرجاني، علي بن محمد بن علي (التعريفات) تح، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي بيروت ط ١، ١٩٩٩م.

٦٧. الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي ( الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية )، دار إحياء الكتب العربية ( بدون تاريخ ).

٦٨. الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي ( زاد المسير في علم التفسير ) ، المكتب الإسلامي، بيرون.

٦٩. الجوزية، ابن القيم ( إعلام الموقعين عن رب العالمين ) تح: محمد محيي الدين درويش، ط١، ١٩٥٥م.

٧٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد ( تاج اللغة وصحاح العربية ) تح: أحمد عبد الغفور عطار مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٦م.

حسان، تمام:

٧١. ( البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ) عالم الكتب القاهرة ط٢ ٢٠٠٠م.

٧٢. ( اللغة العربية معناها ومبناها)، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٧٣م.

٧٣. حسن، عباس ( النحو الوافي) دار المعارف، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٥م

٧٤. حسن، محمد السيد ( التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم ) المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ط١، ٢٠٠١م.

٧٥. حسين، عبد القادر ( أثر النحاة في الدرس البلاغي )، دار غريب للطباعة ١٩٩٨م.

٧٦. الحصري، إبراهيم بن علي ( زهر الآداب وثمر الألباب ) دار الجيل ، ط٤ ١٩٧٢م.

٧٧. الحطيئة، جرول بن أوس( ديوان الحطيئة ) دا صادر، ١٩٨١م

٧٨. الحموز، عبد الفتاح أحمد ( الحذف في المثل العربي ) دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط١ ١٩٨٤م.

٧٩. الخالدي، صلاح عبد الفتاح ( نظرية التطور الفني عند يسد قطب ) دار الفرقان، ط١، ١٩٨٣م.

٨٠. الخنساء بنت خويلد ( ديوان الخنساء ) دار صادر١٩٦٣م.

٨١. الخولي، محمد علي ( علم الدلالة ) دارالفلاح للنشروالتوزيع الأردن، ٢٠٠١م.

٨٢. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد المعروف بابن الصيرفي ( كتاب التيسير في القراءات السبع ) ، تح: أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٦٠م.

٨٣. دراز، محمد عبد الله ( النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن ) دار القلم الكويت، ط٤ ١٩٧٧م.

٨٤. درويش، محيي الدين ( إعراب القرآن الكريم وبيانه)، دار اليمامة، بيروت الطبعة٨ ٢٠٠١م.

٨٥. الذهبي، محمد حسين ( التفسير والمفسون ) مكتبة وهبة، مصر، ط٧ ٢٠٠٠م.

٨٦. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر( التفسير الكبير ) دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٨٧. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ( مختار الصحاح ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان ١٩٨١م.

٨٨. الرافعي، مصطفى صادق( إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) مطبعة الاستقامة القاهرة ط١ ١٩٥٨م.

٨٩. الرامهرمزي، أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ( كتاب أمثال الحديث ) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١ ،١٩٨٨م .

٩٠. رجب، عمر الفاروق السيد، ( المدينة المنورة ـ اقتصاديات المكان، السكان المورفولوجية ) دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط١، ١٩٧٩م.

٩١. رضا، أحمد ( معجم متن اللغة ) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨م.

٩٢. رضا، محمد رشيد والشيخ محمد عبده ( تفسير القرآن الكريم المسمى تفسير المنار ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى:
٩٣. ( معاني الحروف) تح: عبد الفتاح إسماعيل، دار الفكر ١٩٧٩م.
٩٤. ( النكت في إعجاز القرآن ) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف القاهرة، ط٤، بدون.

٩٥. الزبيدي، أبو بكر محمد ( طبقات النحويين واللغويين ) تح: محمد أبو الفضل دار المعارف دمشق ط٢، ١٩٨٤م.

٩٦. الزبيدي، محمد بن محمد( تاج العروس) تح: عبد الستار أحمد، ومحمد يعقوب، ، الطبعة الخيرية مصر.١٩٦٥م.

٩٧. زرزور، عدنان محمد ( علومن القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه ) دار الأعلام الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.

٩٨. الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله ( البرهان في علوم القرآن ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عليه، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة ١، ٢٠٠١م.

٩٩. الزركلي، خير الدين ( الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ) . دار الفكر ، بيبرون، ٩٧٧١م.

١٠٠. زلهايم، رودلف ( الأمثال العربية القديمة ) ترجمة: رمضان عبد التواب مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٢م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر:
١٠١. ( أساس البلاغة )، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١م.
١٠٢. ( الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
١٠٣. ( المستقصي في أمثال العرب ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

١٠٤. الزين، سميع عاطف الزين ( المثال والمثل والتمثل والمثلان في القرآن الكريم)، دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى ١٩٨١م.

١٠٥. السبحاني، جعفر( الأمثال في القرآن ) دار الأضواء، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

١٠٦. السدوسي، أبو فيد مؤرج بن عمرو ( كتاب الأمثال ) دار المعارف بمصر ط ١، ١٩٨٩م.

١٠٧. السعدي،عبد الرحمن بن ناصر ( تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، ط:١، ٢٠٠٢م.

١٠٨. سعدي، عبد القادر ( أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية ) ثمرات المطابع للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.

١٠٩. السعران، محمود ( اللغة والمجتمع ) ط٢، دار المعارف مصر، ١٩٦٣م.

١١٠. سعيد، محمد رأفت ( دلالات الأمثال في القرآن ) دار الوفاء للطباعة مصر ط١، ٢٠٠٢م.

١١١. السكاكي، يوسف بن أبي بكر( مفتاح العلوم ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط١، ١٩٣٧م.

١١٢. السمين الحلبي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف ( الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
١١٣. ( الإتقان في علوم القرآن) تح: محمد هاشم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى:٢٠٠٠م
١١٤. ( الدر المنثور في التفسير بالمأثور ) دارالفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
١١٥. ( الأشباه والنظائر في النحو ) دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.
١١٦. ( عقود الجمان في المعاني والبيان ) تح: مصطفى البابي الحلبي، ط٢ ١٩٥٥م.
١١٧. ( المزهر في علوم اللغة وأنواعها ) دار الجيل، بيروت، تح: محمد جاد المولى، ط١، ١٩٩٨٧م.

١١٨. شاهين، عبد الصبور ( تاريخ القرآن ) دار القلم، ١٩٦٦م.

١١٩. شتا، علي ( علم الاجتماع اللغوي ) مؤسسة شباب الجامعة، بيروت، ط١ ١٩٩٦م.

١٢٠. الشريف، محمود بن محمد ( الأمثال في القرآن ) دار المعارف بمصر ١٩٨٧م.

الشعراوي، محمد متولي:
١٢١. ( الأمثال في القرآن )، مكتبة التراث الإسلامي، ط٢، ١٩٨٨م.

١٢٢. ( معجزة القرآن ) مكتبة التراث الإسلامي، ط٢، ١٩٨٥م.

١٢٣. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد ( فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ) تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية١٩٩٧م.

١٢٤. الصابوني، محمد علي بن أحمد ( صفوة التفاسير) دار القرآن الكريم بيروت، الطبعة الثالثة١٩٨١ م.

١٢٥. الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل ( المحيط في اللغة ) عالم الكتب، ط١ ١٩٩٤م.

١٢٦. صافي ، محمود ( الجدول في إعراب القرآن وصرفه ) دار الرشيد، بيروت ط٢، ١٩٨٨م.

١٢٧. صبرة، محمد حسنين ( مرجع الضمير في أمثال القرآن الكريم ) دار غريب للطباعة والتوزيع القاهرة،٢٠٠١م.

١٢٨. الصعيدي، عبد المتعال ( بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ) مكتبة الآداب ١٩٩٩م.

١٢٩. الصغير، محمد أحمد ( القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي) دار الفكر، دمشق ط١، ١٩٩٩م.

١٣٠. الصغير، محمد حسن علي ( الصورة الفنية في المثل القرآني ) دار الهادي بيروت ط١ ١٩٩٢م.

١٣١. الطباطبائي، محمد حسين ( الميزان في تفسير القرآن ) مؤسسة إسماعيليان إيران، ط٢، ١٩٧٢م.

١٣٢. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ( جامع البيان عن تأويل آي القرآن ) دار الفكر، بيروت، ط١ ١٩٩٠م.

١٣٣. الطريحي، فخر الدينى ( مجمع البحرين ) دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٩٨٥م.

١٣٤. الطنوبي، صلاح محمد( ضرب المثل في القرآن والسنة، وأثره في التربية والتعليم )، مجلة آفاق للثقافة والتربية. دبي، العدد ٨ - ١٩٩٥م.

١٣٥. الظواهري، كاظم ( بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم ) دار الصابوني ط، بدون تاريخ.

١٣٦. عابدين، عبد المجيد( الأمثال في النثر العربي القديم ) دار مصر للطباعة القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٩م.

١٣٧. عباس، محمد ( الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني) دار الفكر دمشق ط١ ١٩٩٩م

عبد التواب، رمضان:
١٣٨. ( التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه ) مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ ١٩٩٧م.
١٣٩. ( فقه العربية ) مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م.

١٤٠. عبد الجليل، محمد بدري (المجاز وأثره في الدرس اللغوي ) دار النهضة العربية،بيروت ١٩٨٦م.

١٤١. عبد الرحمن، عائشة ( الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ) دار المعارف بمصر، ط٤ ١٩٨٩م.

١٤٢. عبد السلام، حسن أحمد (المثل السائر وسلوك الإنسان ) دار الفكر، دمشق ط١، ١٩٩٩م.

١٤٣. عبد الصبور شاهين ( تاريخ القرآن ) دار القلم،بيروت، ط٢، ١٩٦٦م.

١٤٤. عبد الهادي الفضلي ( القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ) دار القلم، بيروت ط٣، ١٩٨٥م.

١٤٥. عبد الغفار، السيد أحمد (ظاهرة التأويل وصلتها باللغة ) دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١ ١٩٩٢م.

١٤٦. العبدلي، منصور أحمد ( الأمثال في القرآن) دار الكتب العلمية ط١، ٢٠٠١م.

١٤٧. عبد الهادي الفضلي، ( القراءات القرآنية تاريخ وتعريف) دار القلم، بيروت ط٣، ١٩٨٥

١٤٨. عبيلي، محمد ( أمثال القرآن وأمثال العرب ) دار الصداقة العربية، بيروت ط٢، ١٩٩٩م.

عتيق، عبد العزيز:
١٤٩. (علم البيان ) دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
١٥٠. ( في النقد الأدبي ) دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢ ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

العسكري، أبو هلال
١٥١. ( جمهرة الأمثال ) تح: محمد أبو الفضل، وعبد الحميد قطامش، دار الجيل بيروت، ط٢، بدون تاريخ.
١٥٢. ( الصناعتين الكتابة والشعر ) تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢، ١٩٨٤م.
١٥٣. ( الفروق اللغوية ) دارالكتب العلمية، ١٩٨١م.

١٥٤. عسيلي، محمد يوسف ( أمثال القرآن وأمثال العرب ) دار الصداقة العربية للطباعة والنشر بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
١٥٥. العشي، عبد الله ( بنية الدعاء ) مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين العدد٣، ص: ١٩٩

١٥٦. عصفور، جابر ( الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ) المركز الثقافي العربي ط٣، ١٩٩٢م.

عظيمة، محمد عبد الخالق:
١٥٧. ( دراسات لأسلوب القرآن الكريم )، دار الحديث، القاهرة [ بدون ].
١٥٨. ( المغني في تصريف الأفعال) دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٥٩. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسن( التبيان في إعراب القرآن)، مكتبة عباس الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٨م.

١٦٠. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي ( الطراز المتضمن لأسـرار البلاغة وعلـوم حقائق الإعجاز) تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت ط١، ٢٠٠١.

١٦١. علي، جواد ( المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ) . بيوت، دار العلم للملايين ، ١٩٧٦م.

١٦٢. عناية، غازي ( أسباب النزول القرآني)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

١٦٣. عنبر، محمد ( جدلية الحرف العربي ) دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

١٦٤. عياشي، منذر ( الوظيفة الاجتماعية للغة ) محاضرات ألقاها على طلابه في جامعة البحرين ٢٠٠٤م.

١٦٥. عيسى، شحاته عيسى ( الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري) دار قباء للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.

١٦٦. غطاس، محمود محمد ( فصل المقال في حقيقة الأمثال) مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة ط١ ١٩٩٢م.

١٦٧. الفارابي، إسحاق بن إبراهيم ( ديوان الأدب ) تح: أحمد عمر مختار ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ط١، ١٩٧٨م.

١٦٨. الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد ( الحجة في علل القراءات السبع )، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.

١٦٩. الفراء، يحيى بن زياد (معاني القرآن ) تح : أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط١، ١٩٥٥م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد:
١٧٠. ( الجمل في النحو ) تح: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط١ ،١٩٩٥م.
١٧١. ( معجم كتاب العين ) تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨٠م.

١٧٢. الفضل، الحسين ( الأمثال الكامنة في القرآن الكريم ) تح: علي حسين البواب مكتبة التوبة الرياض، ط١، ١٩٩٢م.

١٧٣. الفياض، محمد جابر( الأمثال في القرآن الكريم ) نشر وتوزيع الدار العلمية للفكر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣م.

١٧٤. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب
( القاموس المحيط ) دار الجيل ( بدون تاريخ ).
( بصائر ذوي التمييز من لطائف الكتاب العزيز ) ( بدون تاريخ ).

١٧٥. القاضي، منير( المثل في القرآن )، مجلة المجمع العلمي العراقي جـ٧، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٦٠م.

١٧٦. قباوة، فخر الدين ( مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء ) دارالفكر دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧٧. قدامة بن جعفر ( نقد الشعر ) المطبعة المليجية، ط١، ١٩٣٤م.

١٧٨. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري( الجامع لأحكام القرآن)، دارالفكر، بيروت ط١،١٩٩٩م.

١٧٩. القزويني، الخطيب جلال الدين محمد الدمشقي ( التلخيص في علوم البلاغة) وهو تلخيص كتاب " مفتاح العلوم " للسكاكي تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٨٠. قطامش، عبد المجيد( الأمثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية ) دار الفكر دمشق، ط١ ١٩٨٨م.

قطب، سيد:
١٨١. ( التصوير الفني في القرآن )، دار الشرق، بيروت، ط٩، ٢٠٠٠م.
١٨٢. ( في ظلال القرآن )، دار الشروق،القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.
١٨٣. ( مشاهد القيامة في القرآن ) دا المعارف، القاهة، ١٩٩٤م.

١٨٤. قطب، محمد ( دراسات قرآنية ) مطابع الشروق،القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م.

١٨٥. القيرواني،ابن رشيق أبو علي الحسن (كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه ) تح: د. عفيف نايف حاطوم، دار صادر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

لاشين، عبد الفتاح:
١٨٦. ( البديع، في ضوء أساليب القرآن الكريم)، دار الفكر العربي، ٢٠٠١م.
١٨٧. ( المعاني، في ضوء أساليب القرآن الكريم )، دار الفكر، ٢٠٠٠م.
١٨٨. ( من أسرار التعبير في القرآن ) دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

١٨٩. لاينز، جون ( علم الدلالة ) ترجمة : مجيد عبد الحليم وآخرون، كلية الآداب جامعة البصرة، ط١، ١٩٨٠م.

١٩٠. لوشن، نور الهدى ( مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ) المكتبة الجامعية، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩١. الماوردي، علي بن محمد حبيب (الأمثال والحكم) تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

١٩٢. المتنبي، أبو الطيب أحمد ( ديوان المتنبي ) دار الكتاب العربي، ١٩٨٠م.
١٩٣. مجاهد، عبد الكريم ( الدلالة اللغوية عند العرب ) دار الضياء، ط١، ١٩٨٥م.

١٩٤. محمد خان ( اللهجات العربية والقراءات القرآنية - دراسة في البحر المحيط ) دار الفجر للنشر والتوزيع،ط٢، ٢٠٠٣م.

١٩٥. محمد، خضر موسى ( التجوال في كتب الأمثال ) دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٢م.

١٩٦. محمد المبارك، ( دراسات أدبية لنصوص من القرآن ) دار الفكر، دمشق، ط٢ ١٩٦٤م.

محيي الدين عبد الحميد، محمد:
١٩٧. ( التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية ) مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ط١٩، ١٩٧٢م.
١٩٨. (شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري، ومعه كتاب سبيل الهدى، بتحقيق قطر الندى) مطبعة السعادة، مصر ط١١، ١٩٦٣م.

١٩٩. مراد، رياض عبد الحميد ( معجم الأمثال العربية ) دار الفكر، دمشق ط١،٢٠٠١م.

٢٠٠. مراغي، علي أحمد( موسوعة الأمثال القرآنية)، دار اليمامة، ط١، ٢٠٠١م.

٢٠١. المصري، ابن الإصبع ( بديع القرآن )، تح: حفني شرف، نهضة مصر ط٢،١٩٧٨م.

٢٠٢. معدل، خالد( أضواء على بعض الأمثال في القرآن الكريم ) مجلة التربية المجلد ٢٦، العدد ١٢٠، مطابع وزارة التربية والتعليم والثقافة، ١٩٩٧ م.

٢٠٣. المعلمي، يحيى عبد الله ( الشواهد والأمثال في القرآن )، دار الصداقة العربية ط٢، ١٩٩٩م.

٢٠٤. المقدسي، أنيس ( تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ) دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٩٨م.

٢٠٥. موشلي، عمار محمد ( المثل الطيب في الكتاب والسنة ) المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٣م

٢٠٦. الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري ( مجمع الأمثال )، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٠٧. الميداني، عبد الرحمن حبنكة الميداني ( الأمثال في القرآن، وصور من أدبه الرفيع ) دار القلم دمشق، ط٢، ١٩٩٢م.

٢٠٨. ناصف، مصطفى ( الصورة الأدبية ) مكتبة مصر، ط١، ١٩٥٨

٢٠٩. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد ( إعراب القرآن) تح: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م.

٢١٠. الهاشمي، السيد أحمد ( جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ) (بدون ).

٢١١. هلال، أحمد هنداوي ( المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي، دراسة بلاغية تفصيلية) مكتبة وهبة مصر ط١، ١٩٩٩م.

٢١٢. هلال، عبد الغفار حامد( اللهجات العربية نشأة وتطوراً) دار الفكر العربي القاهرة،١٩٨٨م.

٢١٣. هنادي، عبد القادر( ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم ) مكتبة الطالب الجامـــعي، مكة المكرمة ١٩٨٨م.

٢١٤. وافي، علي عبد الواحد ( اللغة والمجتمع ) دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

٢١٥. اليوسي، الحسن ( زهر الأكم في الأمثال والحكم ) تح: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، ط١، ١٩٨١م.

**********

## فهرس موضوعات البحث


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| شكر وتقدير | ٢ |
| المقدمة | ٤ـ ٦ |
| التمهيد | ٩ـ ١٦ |
| الفصل الأول ( الأمثال في القرآن ) | ١٧ـ ٩٥ |
| المبحث الأول ( المثل في لغة العرب ) | ١٨ ـ ٤٦ |
| • المثل لغة | ١٨ ـ ٢٧ |
| • المثل اصطلاحا | ٢٨ـ ٣٤ |
| • المثل عند البلاغيين | ٣٥ ـ ٤٠ |
| • الفرق بين المثل والحكمة | ٤١ |
| المبحث الثاني ( المثل القرآني ) | ٤٧ ـ ٩٥ |
| • الأمثال في القرآن | ٤٧ ـ ٥١ |
| • ضرب المثل | ٢٥ ـ ٥٦ |
| • أقسام المثل القرآني | ٥٧ ـ ٦٩ |
| • عدد الأمثال القرآنية | ٧٠ ـ ٧٥ |
| • منهج جمع الأمثال القرآنية وترتيبها | ٧٦ ـ ٧٨ |
| • آيات المثل القرآني | ٧٩ـ ٨٥ |
| • موضوعات الأمثال القرآنية | ٨٦ ـ ٨٩ |
| • الأمثال القرآنية حسب موضوعاتها | ٩٠ ـ ٩٥ |
| الفصل الثاني ( المعاني المعجمية ودلالاتها في المثل القرآني ) | ٩٦ـ ١٣٤ |
| • المعاني المعجمية لألفاظ الأمثال القرآنية | ٩٧ـ ١٢٨ |
| • التعليق العام على المعاني المعجمية للأمثال القرآنية | ١٢٩ ـ ١٣٤ |
| الفصل الثالث ( التراكيب النحوية ودلالاتها ) | ١٣٥ـ ٢٨٦ |

| | |
|---|---|
| • المبحث الأول ( قضية العقيدة ) | ١٣٦ - ٢٠٣ |
| • المؤمنون | ١٣٦-١٥٦ |
| • الكافرون | ١٥٧- ١٧٣ |
| • المنافقون | ١٧٤-١٨٩ |
| • الموازنة بين المؤمنين وغيرهم | ١٩٩-٢٠٣ |
| المبحث الثاني ( العالم الآخر ) | ٢٠٤- ٢٨٨ |
| • أولا: الجنة | ٢٠٤- ٢١٧ |
| • ثانيا: النار | ٢١٨- ٢٢٨ |
| المبحث الثالث ( الحياة الدنيا ) | ٢٢٩ - ٢٤٥ |
| المبحث الرابع ( القرآن الكريم ) | ٢٤٦- ٢٤٩ |
| المبحث الخامس ( الإنفاق ) | ٢٥٠- ٢٧٢ |
| المبحث السادس ( القصص القرآني ) | ٢٧٣- ٢٨٦ |
| الفصل الرابع ( التصوير الفني في المثل القرآني ) | ٢٨٧ - ٣٣١ |
| • التصوير الفني في المثل القرآني | ٣٠٠-٣٠٤ |
| • التخييل الحسي والتجسيم | ٣٠٩ |
| • مصادر التصوير القرآن | ٣١٠- ٣١١ |
| • اللغة التصويرية في المثل القرآني | ٣١١- ٣١٤ |
| • خصائص التصوير الفني في المثل القرآني | ٣١٤- ٣١٩ |
| • التصوير المتحرك | ٣١٩- ٣٢١ |
| • التناسق الفني في تصوير المثل القرآني | ٣٢١- ٣٣١ |
| الفصل الخامس ( الدلالة الاجتماعية في المثل القرآني ) | ٣٣٢- ٣٤٨ |
| • الدلالة الاجتماعية في المثل القرآني | ٣٣٣-٣٤٨ |
| الخاتمة | ٣٤٩- ٣٥٦ |
| الفهارس العامة | ٣٥٧- ٤٠٠ |
| أولا: فهرس الآيات القرآنية ( وفق ترتيب سور القرآن الكريم ) | ٣٥٨- ٣٧٤ |
| ثانيا: فهرس الأحاديث( وفق الترتيب الهجائي ) | ٣٧٥ |
| ثالثا: فهرس الأشعار ( وفق ترتيب القوافي ) | ٣٧٦ |
| رابعا: فهرس الأعلام( وفق الترتيب الهجائي ) | ٣٧٧- ٣٨٦ |
| خامسا: فهرس المراجع والمصادر ( وفق الترتيب الهجائي ) | ٣٨٧- ٤٠٠ |